



جامعة حضرموت
نيابة الدراسات العليا

تصدرها كلية التربية - المهرة



ISSN : 2707 - 86655
EISSN : 2707 - 8663

مجلة الْمَهْرُزُ للعلوم الإنسانية

مجلة علمية محكمة نصف سنوية

- » صعوبات التحقيق والإثبات في الجرائم المعلوماتية وأثرها على العدالة الجنائية.
- » أحكام الجمع بين صلاتي الجمعة والعصر (دراسة فقهية مقارنة).
- » الرجز في القرآن الكريم دراسة موضوعية.
- » أنساق المرأة في مواجهة الآخر الذكوري في نماذج من الرواية النسوية العمانية.
- » الصورة المشهدية السينمائية وتقنياتها البنائية لدى شعراء قصيدة التفعيلة العرب.
- » التناص الأدبي في شعر عبد الصمد باكثير.
- » كتاب ما وراء الفكرة لعبد الله علي عاطي قراءة تحليلية نقدية.
- » تصويرية المكان الموسعة في رواية (ظلال الجفر).
- » تقييم أبعاد الأمن التربوي لدى طلبة كلية التربية والعلوم بجامعة إقليم سبا.
- » أثر استراتيجية التدريس المصغر على تنمية الأداء التدريسي.
- » المشاركة المجتمعية في تحديد أولويات التنمية المحلية دراسة سوسيولوجية في مديرية محافظتي عمران وحجـة.
- » الصعوبات التي تواجه الطالب اليمانيين عند ترجمة الأمثال.

مجلة
المَهْرُون
للعلوم الإنسانية



مجلة المهرة لعلوم الإنسانية

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
تصدر عن كلية التربية - المهرة
تهتم بنشر الأبحاث والدراسات في العلوم الإنسانية
العدد الثاني عشر - يونيو 2022 م



حقوق الطبع محفوظة لمجلة المهرة لعلوم الإنسانية

المشرف العام

د. عادل كرامة معيلي

رئيس التحرير

أ.د. محمد علي جبران

مدير التحرير

أ.د. أمين عبد الله اليزيدي

سكرتير التحرير

د. هلال محمد علي السفياني

التدقيق اللغوي

أ.د. عبدالكريم حسين علي رعدان

الهيئة العلمية والاستشارية للمجلة

الاسم	البلد	التخصص	م
أ.د. عبدالقادر رباعي	الأردن	أدب ونقد	1
أ.د. عبد الحميد سيف الحسامي	السعودية- الملك خالد	أدب ونقد حديث	2
أ.د. هادي سالم الصبان	اليمن- حضرموت	تربية رياضية	3
أ.د. عامر فائل محمد	مركز اللغة المهرية للدراسات والبحوث	لغة ونحو	4
أ.د. هيثم عبد الحميد خزنة	تركيا - ماردين	فقه وأصوله	5
أ.د. رياض فرج بن عباد	اليمن- سيئون	فقه مقارن	6
أ.د. الخضر عبد الله حنشل	اليمن - عدن	حقوق	7
أ.د. أحمد صالح قطران	السعودية - الملك خالد	أصول فقه	8
أ.د. عبد الكريم حسين رعدان	اليمن - حضرموت	بلاغة ونقد	9
أ.د. شرف أحمد الشهاري	اليمن- الأندلس	أصول التربية	10
أ.د. محمد أحمد غالب العامري	اليمن- سبا	أدب ونقد قديم	11
أ.د. عبد الكريم مصلح البحطة	اليمن- ذمار	لسانيات عربية	12
أ.د. حسن عبيد الفضلي	اليمن- حضرموت	لغة إنجليزية	13
أ.د. جهاد الغرام	كندا- Pearson Vue	الإعلام السياسية والعلوم	14

الترقيم الدولي:

ISSN: 2707-8655

EISSN: 2707-8663

الرقم المحلي للمجلة:

للعام 1564 م 2020

إيميل: mjh@hu.edu.ye-almarajh@gmail.com
 تلفون - واتس: 00967772717308 - 00967774244170 - 00967713851060

قواعد النشر

- تصدر مجلة (المهرة) للعلوم الإنسانية عن كلية التربية- المهرة- وفقاً لقواعد الآتية:
- طبع البحوث المرسلة وتقدم للنشر على برنامج Microsoft Word (Microsoft Word) ويتم تنسيق الورقة على قياس (A4)، بأبعاد 2.5 من جميع الاتجاهات، وفقاً للآتي:
1. في البحوث المكتوبة باللغة العربية: خط (Arabic Transparent) بحجم (14) للملتن، و(12) للهواشم، وحجم (16) للعناوين الرئيسية و(14) للعناوين الفرعية بخط أسود عريض (بولد)، والمسافة بين الأسطر يجب أن لا تقل عن (1.5)، وحجم الخط (12) عادي للجدائل والأشكال وحجم (10) للملخص والهواشم.
 2. في البحوث المكتوبة باللغة الإنجليزية: خط (Times New Roman) حجم (12) للملتن وحجم (10) للهواشم، والعنوان الرئيسي بحجم (14) بخط أسود عريض (بولد)، والمسافة بين الأسطر يجب أن لا تقل عن (1.5)، وحجم الخط (11) عادي للجدائل والأشكال التوضيحية وحجم (9) عادي للملخص والهواشم.
 3. يسلم الباحث ملخصين للبحث: أحدهما باللغة العربية، والآخر باللغة الإنجليزية، على ألا تتجاوز كلمات كل واحد منها عن (200) كلمة، ويحتوي على كلمات مفتاحية لا تزيد عن ست كلمات، كما يحتوي على فحوى النتائج التي توصل إليها البحث.
 4. تنشر المجلة مجاناً لأعضاء هيئة التدريس بالكلية، ويدفع الباحثون من أعضاء هيئة التدريس بجامعة حضرموت (15000) ريالاً، فيما يدفع اليمنيون من داخل اليمن (25000) ريال، ويدفع الباحثون من خارج اليمن (50) دولاراً أمريكياً.
 5. يفضل ألا تزيد صفحات البحث عن (25) صفحة، وفي حالة الزيادة يدفع ألف ريال يمني عن كل صفحة زائدة.
 6. تسدد الرسوم على حساب المجلة رقم (254126515) في صرافه العمقي.

التوثيق:

- يشار إلى المصادر والمراجع على هيئة هواشم مرقمة أسفل الصفحة، تعتمد فيها الأصول المتعارف عليها، وترتبط المراجع في قائمة المراجع بالتسليسل، وذلك بعد مراعاة ترتيب المراجع ألف بائياً في القائمة حسب اسم المؤلف وفقاً للآتي:
1. **البحوث والمقالات المنشورة في الدوريات والمجلات:** يكتب اسم الباحث (الباحثين) بدءاً باسم العائلة، ”عنوان البحث“، ”اسم الدورية، رقم الجلد، رقم العدد، أرقام الصفحات، سنة النشر.“
 2. **الكتب:** اسم المؤلف (المؤلفين) بدءاً باسم العائلة، عنوان الكتاب، اسم الناشر، سنة النشر.

3. **الوسائل العلمية:** اسم صاحب الرسالة بدءاً باسم العائلة، "عنوان الرسالة"، يذكر رسالة ماجستير أو دكتوراه، اسم الجامعة، السنة.

4. **النشرات والإحصائيات الصادرة عن جهة رسمية:** اسم الجهة، عنوان التقرير، المدينة، أرقام الصفحات، سنة النشر.

5. **إذا كان المرجع موقعاً إلكترونياً:** اسم المؤلف بدءاً باسم العائلة، عنوان الموضوع، سنة النشر، الرابط الإلكتروني و تاريخ آخر زيارة للرابط.

6. **المستنادات:** اسم الباحث (الباحثين) بدءاً باسم العائلة، "عنوان البحث"، "اسم الدورية، رقم المجلد، رقم العدد، أرقام الصفحات، سنة النشر.

7. **وقائع المؤتمر:** اسم الباحث (الباحثين) بدءاً باسم العائلة، عنوان البحث، اسم المؤتمر، رقم المجلد، أرقام الصفحات، سنة النشر.

8. في حالة أن يكون التوثيق في المتن فيكون على النحو الآتي: (اللقب، عام النشر، الصفحة)

9. ترفق قائمة بالمصادر مرتبة هجائياً متضمنة المعلومات الأساسية: المؤلف، المرجع، تاريخ النشر، بلد النشر، رقم الطبعة.

يمنح الباحث نسخة من العدد الذي يتضمن بحثه، كما يمنح كاتبو المناقشات والمراجعات والتقارير وملخصات الجامعية نسخة من العدد الذي يتضمن مشاركيتهم.

المرفقات المطلوبة مع البحث:

1. رسالة موجهة من الباحث إلى رئيس هيئة التحرير تتضمن رغبته في نشر بحثه في المجلة ويحدد فيها التخصص الدقيق للبحث.

2. تعهد خطوي من الباحث بأن بحثه لم ينشر، أو لم يقدم للنشر في دورية أخرى، وأنه ليس فصلاً أو جزءاً من كتاب منشور.

3. نسخة من البحث بصيغة وورد وأخرى بصيغة بي دي إف.

4. سيرة ذاتية مختصرة للباحث تتضمن: اسمه الرباعي، ومكان عمله، ودرجة الأكاديمية، وتخصصه الدقيق، إضافة إلى بريده الإلكتروني ورقم هاتفه الثابت والنقل ورقم هاتف الواتس آب.

5. نسخة كاملة من أداة جمع البيانات (الاستبانة أو غيرها)، إذا لم تكن قد وردت في صلب البحث أو في ملاحقه.

قائمة المحتويات

8	قائمة المحتويات
.....	كلمة العدد
11	المجتمع الافتراضي وقيم العمل
.....	صعوبات التحقيق والإثبات في الجرائم المعلوماتية وأثرها على العدالة الجنائية
17	أ.د. كمال عبد الله المهااوي
.....	أحكام الجمع بين صفاتي الجمعة والعصر (دراسة فقهية مقارنة)
53	د. عبد الله عبيد سعيد مؤمن
.....	الرجز في القرآن الكريم دراسة موضوعية
72	علي عبد الله محمد الحيد
.....	أنساق المرأة في مواجهة الآخر الذكري في نماذج من الرواية النسوية العمانية
.....	د. خالد بن علي بن خميس المعمرى
111	أ.د. إحسان بن صادق اللواتي
.....	الصورة المشهدية السينمائية وتكثيكاتها البنائية لدى شعراء قضيدة التفعيلة العرب
136	د. ياسر فضل صالح العامري
.....	التناسق الأدبي في شعر عبد الصمد باكثير
171	د. أحمد علي أحمد باغين
.....	كتاب ما وراء الفكرة لعبد الله علي عاطي قراءة تحليلية نقدية
197	د. عبده عبد الكريم عبد الله مقبول
.....	تصويرية المكان الموسعة في رواية (ظلال الجفر)
243	أميرة شايف علي الكولي
.....	تقييم أبعاد الأمن التربوي لدى طلبة كلية التربية والعلوم بجامعة إقليم سبأ
264	د. بدر الدين حسين لطف الله البكولي
.....	أثر استراتيجية التدريس المصغر على تنمية الأداء التدريسي في التربية العملية لدى طلبة كلية التربية بمحافظة المهرة ...

304.....	علي عبد العزيز باعشن
.....	المشاركة المجتمعية في تحديد أولويات التنمية المحلية دراسة سوسيولوجية في مديريات محافظتي عمران وحجـة
336.....	د. عبد السلام أحمد الدار الحكيمي
Obstacles that Face Yemeni Students in Translating Proverbs from English into Arabic.....	
Dr. Abdou Ahmed Ali Mounassar	381

كلمة المشرف

يصدر عدتنا الثاني عشر في وضع دولي ومحلي شديد الاضطراب، وقد أثبتت الأوضاع في أوكرانيا كم يكون حجم الاهتمام والتأثير بالدول المنتجة، هذه الدولة وغيرها من الدول المنتجة؛ ما كان لها أن تكون كذلك من غير أسس علمية وإدارية واقتصادية وسياسية وصناعية، وأساسها جميعاً وجود نخبة تقدس العلم والإنتاج. أفاق العالم على دولة ستؤثر على بطون الملايين فهي تصدر لهم الحبوب وزيت الطبح فضلاً عن التأثير التعديني والسياسي، ستؤثر على ملايين الأفواه المشتركة التي تمتلك من الأرضي الزراعية والكتلة البشرية أضعاف ما تمتلكه أوكرانيا. وبعيداً عن نظرية المؤامرة التي لا شك في وجودها بل وأصبحت ترى رأي العين، ولكن نرجئها قليلاً ولنتساءل ماذا أصاب العالم من الحرب اليمنية المستمرة منذ 2004م حتى اليوم، في حين أن التاريخ يقول إن اليمن أحد أبرز البلدان المنتجة للبن والبخور واللبان والتوابل وتعدين السيف والخناجر، وهو أحد أبرز بلدان العالم القديم المؤثرة بعوانها ورحلاتها التجارية، وهو البلد الذي نشر الإسلام فاتحاً ومهاجراً، فهل يمكن أن نسأل أنفسنا وماذا بعد؟

هذا هو إصدارنا الثاني عشر من المجلة، وقد احتوى مضموناً متنوعاً من الفقه والقانون والدراسات الأدبية النقدية والدراسات التربوية.

أ.م.د. عادل كرامنة معيلي
المشرف العام

كلمة العدد

المجتمع الافتراضي وقيم العمل

خلق الله الإنسان اجتماعياً بطبيعته وهياً له الأسباب الفاعلة لتحقيق ذلك، وكان من الأسباب اللغة والثقافة المشتركة، وعلاقات النسب، والعواطف، وعلاقات الغريزة. ولأن الإنسان يتفاعل مع التطورات من حوله، فإنه يبني علاقاته وفقاً لطبيعة الحياة ومعطياتها كما أنه قد يخترع احتياجاته وفقاً للإمكانات التي يراها متاحة له، فقد كانت العلاقة الشفوية بما فيها من علاقة افتراضية – ليس بالمعنى الحديث - قائمة على تخيل اللقاء الحقيقي المنتظر على وجه الحقيقة. ثم كانت الكتابة، والتي تيسر وانتشرت لتكون وسيلة عامة ومشاعة بتطور الطباعة. والطباعة أحد أبرز التحولات في تاريخ البشرية، وكانت عالمة فارقة بين العلاقة الاجتماعية في المجتمع الشفوي واللاقة الاجتماعية في مجتمع الكتابة، وكانت التحولات التكنولوجية أثراً من آثار انتشار الكلمة بالكتابة ويسر نقل المعلومات محمولة، وأرشفة المعلومات وتراكم المعرفة؛ إلا أن ظهور المنتج الرقمي وأدواته وبرامجه قد جعل من هذه الأدوات والمنتجات تنتج نوعاً مستقلاً من أنواع العلاقات لتكون العلاقات ضمن المجتمع الافتراضي، بالمفهوم الحديث، يقوم على عدم اللقاء على وجه الحقيقة الذي كان متخيلاً في العلاقة في المجتمع الشفوي لكنه يتحقق.

مفهوم المجتمع الافتراضي:

" يعرف "رينجولد" (Rheingold) المجتمع الافتراضي بالتجمعات الاجتماعية التي تنبثق من الانترنت عندما تكون مجتمعاً نفسياً وفضاء لا مكان له يجتمع أفراده من خلال الحاسب الآلي ((الحديث عن الحاسب الآلي قبل دخول الجوال عالم الانترنت والوسائل)) ويكونون شبكة اجتماعية لها بناؤها المميز وقيمها الخاصة، وتعمل طبيعة الوسط الاجتماعي على تسهيل أو تعقيد الضبط

الاجتماعي كما تحتوي على مواقف ذات طبيعة اتصال عالمية وذات مؤشرات اجتماعية يتحقق من خلاله مفهوم القرية الاجتماعية⁽¹⁾ ومن ثم فإن "الواقع الافتراضي عالم بديل عن الواقع الفعلي من صنع التقنية الرقمية متشكل في ذاكرة الحواسيب الالكترونية.."⁽²⁾. وبهذا كان ظهور المجتمع الافتراضي موازياً للمجتمع التقليدي المكون من الأسرة والعائلة ... الخ⁽³⁾. وعبر التاريخ البشري الطويل وصل الإنسان - أخيراً - إلى التمظهر والتمثل في وسط تكنولوجي اتصالي جديد، وسط الاتصال الالكتروني، ليس لديه علاقة بأوساطنا التكنولوجية الاتصالية السابقة سوى أنه يجمع بين مختلف أنواعها في آن واحد (....) فحن اليوم في وسطنا الجديد (الانترنت وأدواته وأجهزته) مرئي جديد: إنسان، آلة- إنسان - حاسوب⁽⁴⁾ أو جوال حديث.

ولأن الحديث ذو شجون فساقتصر على قيم العمل في هذا الواقع الافتراضي وتأثيره على المجتمعات.

ويمكن القول: "يبدو أن الشغل والثقافة (في منظور العلاقات الافتراضية غالباً) نقىضان من عدة نواحٍ فالثقافة ينظر إليها كمكافئ للترفيه، وليس للعمل الرمزي وليس المادي؛ فهي التسوق والسياحة لا الوظائف. هي الجنس والرغبة والشطحات لا الشغل (....) وكلنا رأى من أماكن الاستهلاك أكثر مما رأى من أماكن الإنتاج"⁽⁵⁾.

ويمكن التعرض لبعض صور امتلاك الوهم التي أفرزها الانحراف الواسع ضمن علاقات المجتمع الافتراضي:

1) المجتمع الافتراضي: القيم والعلاقات الافتراضية بين الشباب (دراسة ميدانية في مجتمع الرياض): 75

2) الكتابة الزرقاء: 105

3) دور الخطاب الدعوي في بروز المجتمعات الشخصية: 53

4) علم الاجتماع الآلي، مقارنة في علم الاجتماع العربي والاتصال عبر الحاسوب: 22

5) الثقافة في عصر العوالم الثلاثة: 123

1 - أصبحت الكلمة- الصورة هما العمل والتفكير والإنجاز. فمن المعروف أن هناك مؤسسات ومنظomas يكون العمل الملموس فيها هو العمل أو الأصول الملموسة كالإنتاج في الزراعة والتصنيع، أما في حالة النص الرقمي / الإعلام واستخدام الوسائل، فالأفكار والكلمات والبرامج ليست أصولاً ملموسة أو غير ملموسة إنما هي الأعمال ذاتها...⁽¹⁾، وعلى سبيل المثال ولكن في الجانب الفني والأدبي "تحول الأولوية من فنانين ينجزون أعمالاً فنية متميزة إلى تلبية احتياجات منتجين إبداعيين يقدمون المحتوى للبنية التحتية الرقمية في إطار شبكات تغطي العالم.."⁽²⁾ لا سيما مع ما تتميز به الرقمية من سهولة الاستخدام والنشر مع سهولة الإنتاج والنشر الفردي، وخلاصة الفكرة أن بإمكان حامل الكاميرا أن يتتحول إلى منتج فيلم وثائقي أو للفرجة لا سيما مع توافر برامج الدمج والدبجة والмонтаж⁽³⁾. وهذا يقودنا إلى أمر أصبح غاية في الضرر بقيم العمل والمفاهيم الوطنية إذ مع وجود الكاميرا والنشر الميسر تغدو لحظة العمل والإنتاج الرسمي والفعلي ليست أكثر من لحظة التقاط الصورة، وهذا أضحي ملاحظاً في الأعمال الرسمية والسياسية وكأنَّ المواقف ليست أكثر من لحظة التصوير "فунدما تحضر الكاميرا يتغير السلوك ويتم التحفيز المسبق والإعداد القبلي للأشياء؛ يعني أن عقوبة الكائن وهي اللحظة الوجودية المهمة قد اندررت وتلاشت"⁽⁴⁾، وهذا فيه تعامل مع الجوانب الثقافية والفكرية وقيم العمل. ومن هنا ألا يمكن أن يكون التعامل مع الوسائل استهلاكاً أو مشاركة أو إعادة تدوير أو حتى إنتاج بعض نصوص تجلياتها، ألا يمكن أن يُعد تعويضاً لا شعورياً عن الرغبة في العمل والامتلاك المحسوس للإبداع، فالمستخدم يشعر بالتملك ويشعر بأنه يشارك فعاليات مجتمعه.... وبالنسبة للفرد المستخدم فإن تنفيذ هذا العمل ونشره على الشبكة ثم انهيال الإعجابات

1) ينظر: الصناعات الإبداعية- كيف تنتج الثقافة في عالم التكنولوجيا والعالم: 164

2) المصدر السابق، 212

3) الإنسان الأيقوني، أبق في مكانك وكل شيء بين يديك: 42

4) المصدر السابق: 41

والنقد يعد أحد مصادر السعادة لديه⁽¹⁾، وعوضاً عن أن يكون سعيدها بما أنجذه من تقديم خدمة لنفسه أو ل مجتمعه، أو درجة الرقي العلمي أو العملي فإنه يعيش عن ذلك بالحياة في المجتمع الافتراضي وإشباع حاجته للسعادة عبر علاقات افتراضية من خلال تلك الممارسات الرقمية من الإعجاب والتعليق ونحوهما.

2- أصبحت الأحاديث غير الضرورية على جانب كبير من الأهمية فقد أصبحت "السياسة جزءاً من الحياة اليومية لنسبة كبيرة من السكان"⁽²⁾ من خلال الإذاعات والتلفزيون ورسائل الجوال والانترنت الذي يمثل فيضاناً معلوماتياً، وأيضاً إمكانية جعل الثقافة والصحة والجمال والتجارة وغيرها جزءاً من الحياة اليومية لنسبة من الناس، أيضاً يمكن للوسائل جعل المعلومات النوعية أكثر عمومية مثل المعلومات الاقتصادية والطبية وأخبار الفضاء والصناعات وكرة القدم وغيرها⁽³⁾، فتصبح أحاديث السياسة والنكتة وأخبار إضراب النقابات والشائعات هي العمل، بينما يتحول العمل من مركز الاهتمام إلى الهامش، وقد يحذف من الهامش أيضاً.

3- أن وسائل الإعلام المهتمة بالتسليمة وأخبار العلاقات العامة في العادة تكون ذات علاقة واهية بالموضوعية⁽⁴⁾، كما أن ما يتاحه الفضاء الرقمي من النقاشات لا يعدو أن يكون هروباً من القضايا الجادة. فمناقشة قضايا يومية على الواقع الإلكترونية قد يكون أو هو محاولة للهروب من العجز عن معالجة ما هو واقع لصالح العيش في فضاء تقني مشكل⁽⁵⁾، ولعل هذا صورة لفخ من فخوخ العولمة⁽⁶⁾ التي توهّمك بالتملك، بالإنتاج، بالتغيير، بحرية التعبير، بالإشباع، بالنيل من الآخر،

1) ينظر: أنقذوا الانترنت: 13

2) التاريخ الاجتماعي للوسائل: 127

3) ينظر: المصدر نفسه: 127

4) ينظر: أخلاقيات العلم، مدخل: 169

5) ينظر: دور الخطاب الدعوي في بروز المجتمعات الشخصية: 60

6) ينظر: الصناعات الإبداعية- كيف تنتج الثقافة في عالم التكنولوجيا والعولمة: 222

بدعم اتجاهٍ ما، في حين أن كثيرةً مما سبق لا يعدو أن يكون وهماً يسيطر على المستخدم المنتج أو المتلقى على السواء، لا سيما إن عرفنا أن كثيرةً من (القروبات) والنقاشات تتداول ضمن الاتجاه نفسه الفكري أو السياسي، وكأننا نعيش حالة تعويضية للعجز في الإرادة وفي التصنيع وفي الطب، فضلاً عن التكنولوجيا، فعوضنا كل ذلك باستخدام التكنولوجيا الرقمية في مختلف نواحي الحياة والتعبير وال العلاقات، لنخلد في نهاية الأمر إلى النوم فلا نستيقظ إلا على حر الشمس الملتهبة لنلهث وراء الارتواء من المنتجات الوهمية من جديد.

4- أَنَّا نتشابك مع الآخرين ثقافياً فملبوساتنا مستوردة من دولة، والتلفاز من دولة أخرى، والسيارة من أخرى، والمأكولات كل صنف يتتمى إلى منطقة، وهكذا...، ثم قد يأتي برنامج في التلفاز يتحدث عن التاريخ أو عن ثورة محلية، ليجعلك تشعر بالفخر بأنك يعني – على سبيل المثال – في حين أن كل مصادر التأثيرات والتجارب تعود إلى أماكن متباعدة وثقافات متباعدة، وربما كنت تعيش مغتربياً خارج بلدك⁽¹⁾، إذ "أَتُوهمُ الحضارة المعاصرة الإنسان بامتلاك كل شيء في حين أنها تُقدم له ما تريده"⁽²⁾... وبسبب من إتاحة الاستخدام، أو الانبهار، أو إتاحة التجربة، والشعور بالامتلاك، أو الشعور بتحقيق نتيجة ما، أصبح ممكناً أن ترى فتية فقراء يمتلكون وسيلة الاتصال الحديثة (الجوال) ويتجاذبون الحديث عن إغراء إحدى فتيات الأفلام أو المسلسلات أو مسابقات السباحة وملكات الجمال، ويعلو صياغ الإعجاب ويبرق من العيون العشق لها وكأنها فتاة من فتيات الجيران يمكن لأحدhem الاقتران بها⁽³⁾.

5- الشعور بمتلك الحقائق استناداً إلى الواقع الافتراضي، فالوسائط التي ينبغي أن تعمل لإظهار الحقائق لا تقوم بدورها بل إنها في الواقع تصنع الواقع وتختلق الواقع لتكون الحقائق هي ما تصطفعه لا

1) ينظر: العولمة والثقافة، تجربتنا الاجتماعية عبر الزمان والمكان: 155

2) الإنسان الأيقوني، أبق في مكانك وكل شيء بين يديك: 40

3) ينظر: فن العولمة والاعتداء على الديمقراطي والرافاهية: 42

ما نعرفه وهذا فيه تناقض حاد؛ فقد تأثرت الحقيقة بعالمها الخاص ومشهدتها المكون لها وفق شروطها فهي "تقنية مخضبة": الإنارة، قوة تأثير المقااطع التسويقية، فعالية توهيم الصورة، زوايا القاطات المقدمة في الصور، الأداء الصوتي للمعلق، المكياج، الجنيريك، المكساج، التقاطيع والتركيب (المونتاج)، وبذلك يصبح الواقع الافتراضي مرجعًا للواقع الفعلي لاسيما وأن الحقيقة أصبحت ما يخلق ويُركب وما يتوهם من النماذج، ومع كل خلق وتركيب وتوهم سيتغير المرجع بتغير ما يخلق وما يركب وما يتوهם فيكون بذلك اللا مرجع هو المرجع الوحيد..⁽¹⁾.

6- انعدام الحوارية المباشرة. إذا كانت المشاركات الحوارية المباشرة في المجتمع الطبيعي هي الأفضل لاكتساب المهارات الحوارية وتحقيق مزيدٍ من الانسجام الاجتماعي وتكافؤ الفرص في إبداء الرأي إلا أن الملاحظ مع اتساع منتسي المجتمع الافتراضي داخل مؤسسات العمل أنه لم يعد هناك وقت فراغ كما لم يعد هناك وقت للعمل قد يحترم، وانتقل الحوار المباشر في المجتمع الافتراضي إلى التجليات الرقمية بما لها من آثار سلبية أو إيجابية.

أ. د. أمين عبد الله البزيدي

مدير التحرير

1) الكتابة الزرقاء، 110

صعوبات التحقيق والإثبات في الجرائم المعلوماتية وأثرها على العدالة الجنائية

أ.د. كمال عبد الله المهالو^(*)

الملخص:

تتسم الجرائم المعلوماتية بطبيعة خاصة تختلف تماماً عن الجرائم التقليدية؛ لأنها تتم في عالم افتراضي، ومن ثم فقد كانت هذه الدراسة عن صعوبات التحقيق والإثبات في الجرائم المعلوماتية، وأعني بذلك تلك العقبات والعوائق التي قد تقف في طريق الحق الجنائي أثناء مباشرته لعملية التحقيق في أي مرحلة من مراحله.

وابعدت المنهج الوصفي والتحليلي، وتوصلت إلى أن للجرائم المعلوماتية طبيعة خاصة تختلف عن الجرائم التقليدية، لذلك يجب أخذ الحذر من قبل المحققين الجنائيين في التعامل معها. وأن الجرائم المعلوماتية هي جرائم عالمية لا تعترف بالحدود السياسية والجغرافية، وهذا يتطلب وجود تعاون دولي لمكافحتها. ويتمتع المجرم المعلوماتي بذكاء بينما جهات التحقيق قد تفتقر تماماً للخبرة والكفاءة في هذا المجال. ومن خلال هذه النتائج أوصي، بتدريب كل من له علاقة في عملية التحقيق في هذا النوع من الجرائم. وضرورة التعاون الدولي بين مختلف دول العالم. وضرورة تبليغ جهات التحقيق فور وقوع الجريمة من قبل كل من يتعرّف إلى هذا النوع من الجرائم، لاسيما المؤسسات والشركات التجارية والبنوك وغيرها من يمتنع عن التبليغ بسبب خوفهم من فقد ثقة عملائهم، وخوفهم على سمعتهم. ولابد من وضع قانون إجراءات جنائية وقانون إثبات خاص بالجرائم المعلوماتية؛ نظراً لقصور كل من قانون الإجراءات وقانون الإثبات التقليديين.

الكلمات المفتاحية: الصعوبات، التحقيق؛ الإثبات، الجرائم المعلوماتية، العدالة الجنائية

(*) أستاذ القانون العام، كلية الخليج للعلوم الإدارية والإنسانية.

Difficulties of Investigation and Evidencing of Cyber-Crimes and their Impact on Criminal Justice

Prof. Kamal Abdullah Al-Mahlaawy

Abstract

Cybercrimes are of a particular nature that are completely different from traditional crimes since they occur in a virtual world. Thus, this study deals with the difficulties of investigating and evidencing on cyber-crimes, i.e., those impediments and obstacles that may stand in the way of the criminal investigator as he undertakes the investigation process at any stage of the investigation. This study followed the descriptive and analytical approach and concluded that cyber-crimes have a special nature that differ from traditional crimes. Therefore, criminal investigators must be vigilant in dealing with them. Further, cyber-crimes are global crimes that do not recognize political and geographical borders, and to this end, international cooperation to combat them is a requirement. Cyber-criminals possess intelligence, while the investigation authorities may completely lack experience and competence in this domain. In light of these results, the researcher recommends training everyone involved in the process of investigating this type of crimes. Also, there is a need for international cooperation between different countries of the world. As well as the necessity of notifying the investigation authorities immediately upon the occurrence of the crime by everyone who recognizes this type of crime, especially institutions, commercial companies, banks and others who refrain from reporting because of their fear of losing their clients' trust, and their fear for their reputation. It is also necessary to impose criminal procedures' law and a special evidencing law for cyber-crimes due to the shortcomings of both the code of procedure and the traditional evidentiary act.

Keywords: Difficulties; Investigation; Evidence, Cybercrimes, Criminal justice

مقدمة:

أدى التطور السريع في التقنية الحديثة وخاصة في مجال الإنترن特 إلى ظهور سلبيات كثيرة بجانب إيجابياتها التي لا تخفي على أحد، ومن أبرز هذه السلبيات: استغلال المجرمين لهذه الشبكة في عملياتهم الإجرامية، ذلك لأنها شبكة دولية واسعة لا يمكن حصر كل من يستخدمها من الأفراد، وكل ما يتم فيها من عمليات، فيستطيع أي شخص أن يفعل كل ما يريد، ثم يحو ذلك بكل سهولة ويسراً.

وللحريمة المعلوماتية طبيعة خاصة تميزها عن الجريمة التقليدية، وللمجرم المعلوماتي أيضاً خصائص تميزه عن الجرم التقليدي، ولذلك يجب أن يتمتع المحقق الجنائي بصفات خاصة ليتمكن من فك لغز الجريمة التي أمامه، والتي يكون مسرحها جهاز الحاسوب الآلي، ويتبين لنا من الواقع العملي أن المحقق الجنائي في الجرائم المعلوماتية يواجه الكثير من الصعوبات التي تعيقه للتوصل إلى الجرم المعلوماتي.

أهمية البحث:

تتمثل أهمية هذا البحث في أنه يسعى إلى توضيح الصعوبات التي تعتري المحقق الجنائي في الوصول إلى الحقيقة، بما يساهم في تقديم المشورة لجهات الاختصاص في إدراك تلك الصعوبات وحلها ليسهل القبض على هؤلاء المجرمين وتقل نسبة هذه الجرائم في المجتمع.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

1. تحري الصعوبات التي تواجه المحقق الجنائي في الجرائم المعلوماتية.
2. توضيح الصعوبات التي تواجه المحقق الجنائي في مرحلة المعاينة في الجرائم المعلوماتية.
3. توضيح الصعوبات التي تواجه المحقق الجنائي في مرحلة التفتيش في الجرائم المعلوماتية.
4. توضيح الصعوبات التي تواجه المحقق الجنائي أثناء الضبط في الجرائم المعلوماتية.

مشكلة البحث:

تَكُوْن مشكلة البحث في الصعوبات التي تعرّض الحقق الجنائي من الوصول إلى المجرم المعلوماتي. ويحيط البحث عن الأسئلة الآتية:

1. ماذا يعني بصعوبات التحقيق والإثبات في الجرائم المعلوماتية؟
2. ما هي الصعوبات التي تواجه الحقق الجنائي أثناء المعاينة في الجرائم المعلوماتية؟
3. ما هي الصعوبات التي تواجه الحقق الجنائي أثناء التفتيش في الجرائم المعلوماتية؟
4. ما هي الصعوبات التي تواجه الحقق الجنائي أثناء الضبط في الجرائم المعلوماتية.

منهج البحث:

اتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي.

ولغرض البحث تم تقسيمه إلى مقدمة وستة مباحث وخاتمة.

المبحث الأول: (مفهوم الجرائم المعلوماتية)

المطلب الأول: تعريف الجريمة

أولاً: الجريمة لغةً

الجُرم هو التَّعَدُّي، والجُرمُ الذنب ويجمع على أَجْرَام، وهو الجريمة، وقد جَرَمَ يَجْرِمُ جُرْمًا وأُجْتَرِمَ⁽¹⁾ وأَجْرَام، فهو مجرم وجريم.

⁽¹⁾ لسان العرب: 91 / 12

ثانيًا: الجريمة اصطلاحًا

الجريمة هي محظورات شرعية زجر الله تعالى عنها بحدٍ أو تعذير⁽¹⁾.

ثالثًا: الجريمة قانونًا

هي كل فعل معاقب عليه بموجب أحكام هذا القانون أو أي قانون آخر⁽²⁾، والمقصود هنا القانون الجنائي لسنة 1991م أو أي قانون آخر غيره.

المطلب الأول: تعريف المعلوماتية

أولاً: المعلوماتية لغةً

المعلوماتية جمع معلومة من العلم، والعلم هو نقىض الجهل، علمًا وعلم، وعلم الأمر وتعلّمه أي أتقنه⁽³⁾.

ثانيًا: المعلوماتية اصطلاحًا

المعلوماتية هي البيانات التي تتم معالجتها لترتيبها وتنظيمها وتحليلها بقصد الاستفادة منها⁽⁴⁾.

ثالثًا: المعلوماتية قانونًا

المعلوماتية هي نظم وشبكات ووسائل المعلومات، والبرمجيات والحواسيب والإنترنت والأنشطة المتعلقة بها⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ الموسوعة الفقهية: 16/59.

⁽²⁾ القانون الجنائي السوداني لسنة 1991م: 3.

⁽³⁾ لسان العرب: 12/417.

⁽⁴⁾ الجرائم الإلكترونية وأثارها على النسيج الاجتماعي: 31.

⁽⁵⁾ مجلة أبحاث ودراسات التدريب والمعلومات، ج 8، 2012م: 114.

رابعاً: الجريمة المعلوماتية

هي كل فعل ضارٍ يأتيه الفرد أو الجماعة عبر استعمال الأجهزة الإلكترونية، ويكون لهذا الفعل أثرٌ ضارٌ على غيره⁽¹⁾.

ويمكن تعريفها بأنها: كل نشاط إجرامي تستخدم فيه تقنية الحاسوب الآلي / الجوالات الذكية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة كوسيلة أو هدف لتنفيذ الفعل الإجرامي، وينشأ عنه خسارة تلحق بالجني عليه أو مكسب يتحقق الفاعل.

المطلب الثاني: خصائص الجريمة المعلوماتية

للجريمة المعلوماتية العديد من الخصائص التي تميزها عن الجريمة التقليدية نظراً لطبيعتها الخاصة، وهذه الخصائص تمثل فيما يلي:

أولاً: ترتكب عن طريق الحاسوب الآلي

يعد الحاسوب الآلي هو السبب الرئيس في إيجاد هذا النوع من الجرائم كونه الأداة المستخدمة لارتكابها؛ لأنه يمكن الأشخاص من الدخول على شبكة الإنترنت وتنفيذ الجريمة من خلالها أيًّا كانت هذه الجريمة⁽²⁾.

وهذه الخاصية هي الأساس الذي تبني عليه الخواص الأخرى؛ إذ لو لاها لما وجدت هذه الجرائم العابرة للحدود التي يصعب إثباتها.

⁽¹⁾ جرائم الكمبيوتر وحقوق المؤلف والاصناف الفنية: 32.

⁽²⁾ قانون الحاسوب: 213.

ثانيًا: عابرة للحدود

عندما نقول إن الجريمة المعلوماتية جريمة عابرة للحدود فإننا نعني بذلك أنها غير محدودة أو محصورة برقة جغرافية معينة؛ إذ يمكن أن ترتكب الجريمة المعلوماتية في مكانٍ ما وتظهر آثارها في مكان آخر سواءً كان قريباً منه أم بعيداً، ذلك لأن شبكة المعلومات تربط بين أجهزة الحاسوب الآلي المرتبطة بها في مختلف أنحاء العالم^(١).

ثالثًا: لا يستخدم فيها العنف

تحتاج الجرائم التقليدية في أغلب الأحيان إلى بذل مجهد عضلي؛ كثيراً كان أو قليلاً من قبل من يرتكبها كجريمة القتل وغيرها من الجرائم التقليدية، أما الجرائم المعلوماتية فكل ما تتطلبه مقدرة ذهنية وعقلية لدى الجاني، ومعرفة بتقنيات الحاسوب الآلي، وتوافر العلم الكافي ببعض البرامج التشغيلية^(٢) التي قد يحتاجها لارتكاب هذا النوع من الجرائم.

رابعاً: صعوبة الإثبات

البيئة التي تتم فيها الجريمة المعلوماتية هي بيئه افتراضية رقمية لا ترك خلفها آثاراً ماديه يمكن من خلالها حل لغز الجريمة المعلوماتية والوصول إلى مرتكبها، حتى لوجدت هذه الآثار المادية فإنه يصعب الحفاظ عليها كبيئه؛ لذلك يجب عند إيجادها أن يتم التعامل معها بواسطة مؤهلين فنياً وأكاديمياً^(٣).

- وتعود صعوبة الإثبات في الجرائم المعلوماتية:
- صعوبة الاحتفاظ الفني بآثارها إن وجدت.
 - أ أنها تعتمد على الخداع في ارتكابها، والتضليل في التعرف على مرتكبيها.

^(١) التفتيش في الجرائم المعلوماتية: 27-28.

^(٢) جرائم الحاسوب الآلي والانترنت: 107-108.

^(٣) شرح قانون جرائم المعلوماتية السوداني: 9.

ج. أنها تعتمد على قمة الذكاء والمهارة في ارتكابها.

د. يلعب البعد الزمني (اختلاف المواقف بين الدول) والمكاني (إمكانية تنفيذ الجريمة عن بعد) والقانون (أي قانون يطبق) دوراً مهماً في تشتيت جهود التحري والتنسيق الدولي لتعقب مثل هذه الجرائم⁽¹⁾.

ه. أنها تحتاج إلى خبرة فنية وتقنية من قبل المحقق الجنائي، وذلك يصعب جدًا على المحقق الجنائي التقليدي⁽²⁾؛ لأنها يفتقر لتلك الخبرة الفنية التقنية مما يجعل تعامله مع هذا النوع من الجرائم صعبًا جدًا.

المطلب الثالث: خصائص المجرم المعلوماتي

يطلق على المجرم المعلوماتي مصطلح (هاكرز)، وهو مفهوم لوصف الأشخاص الذين يستخدمون الحاسب الآلي في الأنشطة غير القانونية والأنشطة التدميرية⁽³⁾، ويتميز المجرم المعلوماتي بخصائص عديدة تميزه عن المجرم التقليدي وهي كالتالي:

أولاً: المجرم المعلوماتي الاجتماعي

يعيش المجرم المعلوماتي - عادة - وسط المجتمع، ويمارس عمله في المجال المعلوماتي أو غيره من مجالات الحياة الأخرى، وقد يرتكب الكثيرون منهم جرائم معلوماتية بدافع الكبرياء، أو بدافع النصب، أو الحسد، أو بدافع إظهار قدرته على التفوق في هذا المجال، أو بغرض الحصول على منفعة مادية⁽⁴⁾ أو

⁽¹⁾ الجوانب الإجرائية كجرائم الإنترن特: 40.

⁽²⁾ جرائم الإنترن特 والحاسب الآلي ووسائل مكافحتها: 19.

⁽³⁾ الجرائم الإلكترونية وأثارها على النسيج الاجتماعي: 22.

⁽⁴⁾ الجرائم المعلوماتية: 77.

لشغفهم بالمعلوماتية، أو بغرض إضرار الغير⁽¹⁾ أو غيرها من الأسباب التي تدفع به إلى فعل ذلك ولو بشكل غير مستمر.

ثانيًا: الجرم المعلوماتي ذكي

يتميز الجرم المعلوماتي - غالباً - بالذكاء، ذلك لأن هذه الجرائم لا يستطيع ارتكابها إلا من يتمتع بذكاء ومعرفة فائقين بتقنيات الحاسب الآلي؛ لأنه لا يستطيع مواجهة المصاعب التي تواجهه عند ارتكابه للجريمة المعلوماتية ما لم يكن يتمتع بالذكاء الحاد، ومن أمثلة هذه الصعوبات التي تواجهه أن يكون الحاسب الآلي محمياً بكلمة سرّ معينة⁽²⁾.

ثالثًا: الجرم المعلوماتي ذو خبرة

يتمتع الجرم المعلوماتي بخبرة فائقة في مجال الحاسب الآلي، ومهارة عالية في كيفية التعامل معه، وهذه الخبرة والمهارة تسهلان لهم عملية ارتكاب الجريمة المعلوماتية، غالباً يعملون كمبرمجين أو محللين أو مشغلين⁽³⁾.

رابعاً: الجرم المعلوماتي لا يستخدم العنف

لا يحتاج الجرم المعلوماتي عند ارتكابه للجريمة المعلوماتية إلى استخدام العنف، فهذا النوع من الجرائم تتم عن طريق جهاز الحاسب الآلي، ويحتاج فيها إلى الذكاء الحاد فقط لا إلى غيره من الأساليب الأخرى كالعنف⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ التفتیش في الجرائم المعلوماتية: 31.

⁽²⁾ المرجع نفسه: 31 - 32.

⁽³⁾ الجريمة المعلوماتية في القانون السوداني: 9.

⁽⁴⁾ قانون الحاسوب: 214.

المبحث الثاني: مفهوم صعوبات التحقيق والإثبات في الجرائم المعلوماتية

المطلب الأول: تعريف الصعوبات

أولاً: الصعوبات لغةً

الصعب خلاف السهل، وصعب الأمر وأصعب يصعب صعوبة صار صعباً⁽¹⁾ وصعب تجمع على صعوبات.

ثانياً: الصعوبات اصطلاحاً

الصعوبات هي كل موقف غير معهود لا يكفي لحله الخبرات السابقة والسلوك المألوف⁽²⁾.

المطلب الثاني: تعريف التحقيق

أولاً: التحقيق لغةً

الحق نقيض الباطل، ويجمع حقوق وحقائق، حققت الرجل وأحققته إذا غلبته على الحق وأثبتته عليه وحقه على الحق وأحقه عليه، وأستحقه طلب منه حقه⁽³⁾.

ثانياً: التحقيق اصطلاحاً

التحقيق هو بذل المجهود في طلب المقصود أو طلب الشيء بغالب الظن عند عدم الوقوف على حقيقته⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ لسان العرب: 7/340.

⁽²⁾ الموسوعة الحرة، ويكيبيديا.

⁽³⁾ لسان العرب: 3/256.

⁽⁴⁾ الموسوعة الفقهية: 10/187.

ثالثاً: التحقيق قانوناً

التحقيق هو اتخاذ جميع الإجراءات والوسائل المشروعة التي توصل إلى كشف الحقيقة⁽¹⁾.

المطلب الثالث. تعريف الإثبات

أولاً: الإثبات لغةً

ثبت الشيء يثبت ثبائتاً وثبوتاً فهو ثابت وثبت، وأثبتت حججته؛ أي أقامها وأوضحتها⁽²⁾.

ثانياً: الإثبات اصطلاحاً

الإثبات هو إقامة الدليل الشرعي أمام القاضي في مجلس قضائه على حق أو واقعة من الواقع⁽³⁾.

ثالثاً: الإثبات قانوناً

الإثبات هو أي وسيلة يتم بها إثبات أو نفي أي واقعة متعلقة بدعوى أو نزاع أمام المحكمين أو الموفقين⁽⁴⁾.

إذن الصعوبات هي: تلك العقبات أو المعوقات التي قد تعرّض طريق الحق الجنائي أثناء سير التحقيق في أي مرحلة من مراحله – معاينة، تفتيش، ضبط – بخصوص جريمة من الجرائم المتعلقة بالحاسب الآلي.

⁽¹⁾ البوليس العلمي أو فن التحقيق: 1.

⁽²⁾ لسان العرب: 2 / 79 – 80.

⁽³⁾ الموسوعة الفقهية: 232.

⁽⁴⁾ قانون الإثبات السوداني لسنة 1994م، م 4.

المبحث الثالث: المعاينة

المطلب الأول: مفهوم المعاينة

أولاً: المعاينة لغةً

العَيْنُ والمُعايِنة هي النظر، وقد عاينَه مُعايِنة وعيَانًا أي رأه⁽¹⁾.

ثانيًّا: المعاينة اصطلاحًا

المعاينة هي فحص مكان أو شيء أو شخص له علاقة بالجريمة وإثبات حاليه، مثل معاينة مكان ارتكاب الجريمة أو أداة الجريمة⁽²⁾.

المطلب الثاني: أنواع المعاينة

أولاً: معاينة المكونات المادية للحاسب الآلي

تمثل المكونات المادية في الحاسب الآلي في وحدة الإدخال (لوحة المفاتيح، الفأرة، الماسح الضوئي) ووحدة المعالجة المركزية (الذاكرة الرئيسية، وحدة الحساب والمنطق، وحدة السيطرة والتحكم)، ووحدة الإخراج (الشاشة، الطابعة، الأشرطة المغناطيسية، الأغراض المغناطيسية ووسائل التخزين الأخرى)⁽³⁾.

والجرائم التي تقع على المكونات المادية للحاسب الآلي هي مثل الاعتداء على أشرطة الحاسب الآلي وكابلاته، وشاشة العرض الخاصة الطابع المادي المحسوس⁽⁴⁾، وعموماً ليست هنالك أي صعوبة بتقرير صلاحية مسرح الجريمة الذي يضم هذه المكونات لمعاينته من قبل مأمورى الضبط القضائى والتحفظ على الأشياء التي تعد أدلة مادية على ارتكاب الجريمة ونسبتها إلى شخص معين وكذلك

⁽¹⁾ لسان العرب: 9/55.

⁽²⁾ التتحقق وجمع الأدلة في الجرائم المعلوماتية: 394.

⁽³⁾ التفتيش في الجرائم المعلوماتية: 211-216.

⁽⁴⁾ جرائم الكمبيوتر وحقوق المؤلف والمصنفات الفنية: 356.

وضع الأختام في الأماكن التي تمت المعاينة فيها، وضبط كل ما استعمل في ارتكاب الجريمة والتحفظ عليها، مع إخطار النيابة العامة بذلك.

ثانيًا: المكونات غير المادية للحاسوب الآلي

تمثل المكونات غير المادية للحاسوب الآلي في البيانات والبرامج، والبيانات مثل النصوص والخرائط وغيرها من البيانات التي تحول إلى معلومات، أما البرامج فهي مثل برامج نظم التشغيل ونظم إدارة قواعد البيانات، أو برامج تطبيقية مثل الأفراد والأجور وغيرها⁽¹⁾.

من الجرائم الواقعة على المكونات غير المادية للحاسوب الآلي تلك الجرائم الواقعة على برامج الحاسوب الآلي أو بياناته أو تتم بواسطتها، وكذلك الجرائم التي تتم عن طريق الإنترنت، ومنها أيضًا جرائم التزوير المعلوماتي والتخريب الذي يتم بطريق الفيروس المعلوماتي⁽²⁾.

المطلب الثالث: صعوبات المعاينة

أولاًً: إحجام الجني عليهم عن الإبلاغ

الجني عليهم - في كل الجرائم بصورة عامة وفي الجرائم المعلوماتية الجرائم المعلوماتية بصورة خاصة - هم المتضررون الأساسيون من وقوع هذه الجرائم عليهم، ولذلك ينبغي أن يقوموا بإبلاغ الجهات المختصة بالتحقيق فور حدوث الجريمة، بل وينبغي عليهم أيضًا أن يدلوا بأي معلومات أو وقائع قد تعرضوا لها قبل وقوع الجريمة كالتهديد والابتزاز وغيرها، حتى يسهل على الجهات المختصة القيام بالتحقيق ومساعدتهم، ويتمكنوا معهم من الوقوف على دوافع ارتكاب الجريمة⁽³⁾، وحل لغزها والوصول إلى الجانبي الحقيقي، ولكن الجنبي عليهم في الواقع قد لا يقومون بالإبلاغ عن الجريمة، سواء أكانت طبيعية أم اعتباريين وذلك لعدة أسباب منها:

⁽¹⁾ ينظر: الجرائم المعلوماتية: 73.

⁽²⁾ ينظر: المرجع نفسه: 183.

⁽³⁾ ينظر: البنية الإلكترونية: 52.

1. افتقارهم للقدرة الفنية التي تمكنهم من كشف الجريمة⁽¹⁾.

2. خوفهم على سمعتهم ومكانتهم وعلى فقدهم ثقة الناس فيهم وفي كفاءتهم.

3. محاولة إخفاء أسلوب الجريمة لكي لا يتم تقليلها من قبل مجرمين آخرين.

وبسبب هذه المخاوف لا يقومون بالإبلاغ عن الجرائم التي تقع عليهم، وهذا يؤدي إلى تمادي المجرمين بنقاط الضعف في أنظمتهم⁽²⁾ الأمر الذي يشجع ويدفع الكثير من الجناة على ارتكاب المزيد من الجرائم على هذه الجهات وعلى غيرها⁽³⁾.

إن إحجام أو تأخر المجنى عليهم بالإبلاغ عن وقوع الجريمة يؤدي إلى كثير من الأضرار والعوائق التي تقف في طريق من يقوم بعملية المعاينة وتجعل فهمها صعباً، أكثر مما لو كان قد أبلغ عنها فور حدوثها وانتقل فوراً إلى مسرح الجريمة.

ومن أهم السوابق القضائية التي تدور حول مشكلة عدم إبلاغ المجنى عليهم والأضرار المترتبة على ذلك هي قيام مدير المبيعات في إحدى الشركات الإنجليزية وباستخدام أسماء وهيبة لشركات في حسابات الشركة التي تحرى معالجتها عن طريق الحاسب، ولم يكتفى بما سببه من أضرار مادية بسبب الاختلاس بل طالب بمنحه إفادة تسمح له بالعمل في شركات أخرى مقابل عدم تشويهه بالشركة⁽⁴⁾.

ثانياً: عدم وجود آثار مادية

الجريمة المعلوماتية ذات طبيعة مختلفة عن الجريمة التقليدية، حيث إن الجريمة التقليدية غالباً ما تترك آثاراً مادية يسهل من خلالها على الحقق الجنائي حل لغز الجريمة والوصول إلى مرتكبها في أقل وقت

⁽¹⁾ التفتيش في الجرائم المعلوماتية: 29.

⁽²⁾ مبادئ الإجراءات الجنائية في جرائم الكمبيوتر والإنترنت: 110.

⁽³⁾ الجريمة المعلوماتية في القانون السوداني: 10.

⁽⁴⁾ ينظر: جرائم الكمبيوتر وحقوق المؤلف والمصنفات الفنية ودور الشرطة والقانون: 357.

ممكن، ولكن الجريمة المعلوماتية لا توجد لديها آثار مادية يمكن الوصول إلى مرتكبها بأسرع وقت؛ لأنها تتم عبر نبضات الكترونية غير ملموسة⁽¹⁾، لذلك من الصعب جدًا على المحقق الجنائي حل لغز هذا النوع من الجرائم، فالعديد من العمليات التي يجري إدخال بياناتها مباشرة في جهاز الحاسوب الآلي لا يتطلب بالضرورة وجود وثائق أو مستندات يتم النقل منها، كما لو كان البرنامج معدياً ومخزنًا على جهاز الحاسوب الآلي، وتتوافر أمام المتعامل خيارات عديدة، وليس عليه سوى أن ينقر على الخيار الذي يريد؛ فتتكامل حلقة الأمر المطلوب تنفيذه، كما في المعاملات المالية في البنوك، أو برامج المخازن في الشركات والمؤسسات التجارية الكبرى، حيث يتم ترصيد الأشياء المخزنة أو حسابات العملاء أو نقلها من مكان إلى آخر بطريقة آلية وحسب الأوامر المعطاة للجهاز، ويكون الاختلاس أو التزوير بإدخال بيانات غير مطلوبة وغير معتمدة في نظام الحاسوب، أو بتعديل البرنامج المخزن في جهاز الحاسوب الآلي، وبذلك تكون النتيجة مخرجات على هوى مستعمل الجهاز الذي أدخل البيانات أو عدّل البرنامج، وأنه لا يوجد استخدام وثائق أو مستندات ورقية فإن الجريمة تفقد آثارها المادية⁽²⁾.

ثالثاً: تردد الأشخاص على مسرح الجريمة

قد تقوم أعداد كبيرة من الأشخاص بالتردد على مسرح الجريمة خلال المدة الزمنية، التي غالباً ما تكون طويلة نسبياً، ما بين اقتراف الجريمة والكشف عنها؛ الأمر الذي يمنحك فرصة للجاني أو الآخرين لأن يقوموا⁽³⁾ بتغيير أو تلفيق أو العبث بالآثار المادية، أو زوال بعضها وهو ما يؤدي إلى الشك في

⁽¹⁾ ينظر: جرائم الكمبيوتر وحقوق المؤلف والمصنفات الفنية دور الشرطة والقانون: 356.

⁽²⁾ ينظر: مبادئ الإجراءات الجنائية في جرائم الكمبيوتر والإنتernet: 83 - 84.

⁽³⁾ مبادئ الإجراءات الجنائية في جرائم الكمبيوتر والإنتernet: 101-102.

الدليل المأْخوذ من المعاينة⁽¹⁾، ولذلك ينبغي أن يتم التبليغ بأقصى سرعة عند حدوث الجريمة، حتى لا يتم تغيير مسرح الجريمة المعلوماتية.

رابعاً: صعوبة الاحفاظ على الدليل المعلوماتية

تكون البيانات والمعلومات المتداولة عبر الانترنت على هيئة رموز مخزنة على وسائل تخزين مغذطة، ولا تقرأ إلا بواسطة الحاسب الآلي ولذلك لما تتميز به الجرائم المعلوماتية من طبيعة فنية معقدة فإنه يصعب الاحفاظ على الأدلة المعلوماتية ومن ثم فإننا نكون بحاجة إلى خبرة فنية معينة يتمتع بها رجال التحقيق، أو كل من يقوم ويشارك في عملية المعاينة، بحيث تتوافر لديهم المقدرات الفنية والتقنية التي تمكّنهم من القيام بإجراء المعاينة على أدق وأكمل وجه⁽²⁾.

خامسًا: إعاقة الوصول إلى الدليل المعلوماتي

قد يقوم الجرم المعلوماتي بإعاقة الوصول إلى الدليل المعلوماتي بشتى الوسائل، فهو بعد ارتكاب جريمته يقوم بدس برامج، أو وضع كلمات سرية كرموز تعيق من يقوم بإجراء المعاينة من الوصول إلى الدليل المعلوماتي، أو يلجأ إلى تشفير المعلومات، مما يصعب الوصول إلى دليل يديه، وذلك لأنه من السهل على الجرم المعلوماتي في أغلب الجرائم المعلوماتية محو الدليل في زمن قياسي، ولا يستغرق ذلك سوى دقائق معدودة بالاستعانة بالبرامج المخصصة لذلك⁽³⁾.

⁽¹⁾ ينظر: جرائم الكمبيوتر وحقوق المؤلف والمصنفات الفنية ودور الشرطة والقانون: 356.

⁽²⁾ مجلة الأبحاث ودراسات التدريب والمعلومات: 119.

⁽³⁾ الجريمة المعلوماتية في القانون السوداني: 11.

المبحث الرابع: التفتيش

المطلب الأول: مفهوم التفتيش

أولاً: التفتيش لغةً

الفَتْشُ وَالتَّفْتِيشُ: الْطَّلْبُ وَالْبَحْثُ^(١).

ثانياً: التفتيش قانوناً

هو إجراء من المتحرري يقوم على أساس الاطلاع على محل منح له القانون حماية خاصة، باعتباره مكمن سر صاحبه . فلا يجوز كقاعدة عامة الاطلاع عليه إلا بحكم القانون أو برضاء صاحبه^(٢).

المطلب الثاني: أنواع التفتيش

أولاً: تفتيش المكونات المادية للحاسوب الآلي

قد تقع بعض الجرائم على المكونات المادية للحاسوب الآلي مثل كابلاته، وشاشة العرض الخاصة به، ومفاتيح تشغيله وغيرها وذلك في حال سرقتها أو إتلافها أو اختلاسها^(٣).

الغرض من تفتيش المكونات المادية للحاسوب الآلي هو البحث عن شيء يتصل بالجريمة المعلوماتية، التي قد وقعت، ويفيد التفتيش في كشف الحقيقة عن الجريمة المعلوماتية وعن مرتكبها، وتفتيش المكونات المادية للحاسوب الآلي يتوقف على أمر واحد وهو طبيعة المكان الموجودة فيه هذه المكونات، وهل هو مكان عام أم خاص، فإذا كانت موجودة في مكان خاص كمسكن المتهم أو أحد ملحقاته كان له حكمه، فلا يجوز تفتيشها إلا في الحالات التي يجوز فيها تفتيش مسكنه وبنفس الضمانات المقررة قانوناً في التشريعات المختلفة، ويجب داخل المكان الخاص التمييز بين ما إذا كانت

^(١) لسان العرب: 10/175.

^(٢) قانون الإجراءات الجنائية: 294.

^(٣) ينظر: جرائم الكمبيوتر وحقوق المؤلف والمصنفات الفنية: 363.

هذه المكونات المادية منعزلة عن غيرها من الحاسبات الأخرى أم أنها متصلة بحاسب أو بنهاية طرفية في مكان آخر كمسكن لا يخص مسكن المتهم، فإذا كانت هنالك بيانات مخزنة في أوعية هذا النظام الأخير من شأنها كشف الحقيقة؛ لذا تعين مراعاة القيود والضمانات التي يستلزمها المشرع لتفتيش هذه الأماكن، أما في الأماكن العامة إذا وجد شخص وهو يحمل هذه المكونات المادية أو مسيطرًا عليها أو حائزًا لها فإن تفتيشك لا يكون إلا في الحالات التي يجوز فيها تفتيش الأشخاص بنفس الضمانات والقيود المنصوص عليها في هذا المجال⁽¹⁾.

ثانيًا: تفتيش المكونات غير المادية للحاسب الآلي

لما كان محل الجريمة المعلوماتية هو المكونات غير المادية للحاسب الآلي وهي البرامج والبيانات أو تمت الجريمة بواسطتها فإن ذلك يؤدي إلى سؤال مفاده: هل يمكن تطبيق القواعد التقليدية لتفتيش أم لا⁽²⁾؟.

1- برامج الحاسوب الآلي

لا يحتاج الأمر إلى تقرير قواعد جديدة لتفتيش عن أدلة الجرائم التي يكون محلها برامج الحاسوب الآلي كالسرقة أو الإتلاف أو استعمال هذه البرامج كأدلة في ارتكاب بعض الجرائم، كالتزوير أو التلاعب في البيانات أو الإتلاف الفني لأنظمة المعلوماتية، وذلك لكتفافية القواعد التقليدية لمواجهة هذه الأحوال أيًّا كانت الوسيلة المستخدمة لارتكاب الجريمة، سواءً كانت تقليدية أو كانت معلوماتية حيث يمكن إثبات الجرائم المعلوماتية عن طريق الاتجاه إلى الفنيين المتخصصين في هذا المجال.

2- بيانات الحاسوب الآلي

⁽¹⁾ ينظر: الجرائم المعلوماتية على شبكة الإنترنـت: 233 – 234.

⁽²⁾ المرجع نفسه: 195.

إذا كان محل الجرائم هو البيانات المخزنة بالأنظمة المعلوماتية فإن الأمر هنا فيه بعض الصعوبات وذلك بالنظر لكونها ليست ذات طابع مادي ملموس ، ولكن يحاول بعض أهل الفقه التغلب عليها باللجوء إلى حيلة التمييز بين المعلومات وبين البيانات المعالجة آلياً، فينفي الطابع المادي عن أنها أو يؤكد للثانية طابعاً مادياً على أساس أنها نبضات أو ذبذبات إلكترونية وإشارات أو موجات كهرومغناطيسية، قابلة لأن تسجل وتخزن على وسائل معينة، ويمكن قياسها، وبالتالي ينفيون الطابع غير المادي لهذه البيانات؛ مؤكدين أنها شيء يمكن لمسه في المحيط الخارجي ، وأنها كيان مادي لا يمكن جحده، مستندين في ذلك إلى حكم صدر من محكمة جنح بروكسيل الذي أكد على كون هذه البيانات أشياء مادية ملموسة، وانتهوا إلى إمكانية خضوع هذه البيانات لقواعد التفتيش التقليدية وبالتالي إمكانية ضبطها^(١). إلا أن المشكلة ليست في أن هذه البيانات ذات طابع مادي أو لا، بل تكمن في وجود صعوبات وعوائق إجرائية من شأنها إعاقة خضوع البيانات المخزنة آلياً لقواعد التفتيش التقليدية، ويمكن تلخيصها فيما يلي:

أ. حالة وجود النظام المعلوماتي داخل أحد المساركين مع وجود النهاية الطرفية له في مكان آخر، الأمر الذي يعطي الجاني فرصة سانحة للتخلص من البيانات التي يستخدمها التفتيش ، وهذا يتطلب منح الشخص المخول بالتفتيش السلطة الكاملة للتوصل إلى النهاية الطرفية، وتسجيل ما تحويه من بيانات تعد أدلة على ارتكاب جريمة ما دون التقيد بالحصول على إذن القاضي بذلك كما هو مقرر قانونا في حالة تفتيش منزل غير منزل المتهم.

ب. إن إذن التفتيش يشترط أن يكون محدداً فيما يخص محله والأشياء التي يهدف التفتيش إلى ضبطها، ويقتصر ذلك أن يقوم مصدر الإذن بتحديد الأشياء المراد ضبطها بطريقة فنية؛ الأمر الذي لا يكون في مقدوره؛ لأنه يتطلب نوعاً من المعرفة تتجاوز المعرفة العامة.

^(١) ينظر: جرائم الكمبيوتر وحقوق المؤلف والمصنفات الفنية: 364

ج. أن تفتيش البيانات المخزنة آلياً للقيام بعملية ولوح لأنظمة المعلوماتية التي تحويها لضبط ما يعد صالحاً من هذه البيانات كدليل لارتكاب جريمة ما؛ يقتضي أن يكون الشخص القائم بالتفتيش لديه معرفة كافية بكيفية التعامل مع البرامج والملفات والبيانات المخزنة بالحاسوب الآلي وكذلك كيفية فك كلمة السر والمروor اللازدين للدخول إلى النظام⁽¹⁾.

المطلب الثالث: شروط التفتيش

عند القيام بعملية التفتيش من قبل جهاز التحقيق في جريمة من الجرائم المعلوماتية لابد من توافر العديد من الشروط في التفتيش التي منها ما هو موضوعي، ومنها ما هو شكلي، وتمثل في الآتي:

أولاًً: الشروط الموضوعية

تتمثل الشروط الموضوعية للتفتيش في: سبب التفتيش و محله والغاية منه، والجهة المختصة بإصدار إذنه، والجهة القائمة به أو التي تباشره.

1- سبب التفتيش

سبب التفتيش يقصد به وقوع الجريمة، أي أنه لابد لكي يتم التفتيش أن تكون الجريمة قد وقعت بالفعل وليس محتملة الوقع، والسبب في ذلك هو أن التفتيش من الإجراءات الخطيرة التي تمس حرية الأشخاص وحرمة حياتهم، فلا يجوز انتهاكم إلا إذا ارتكبت جريمة بالفعل، فلا يجوز انتهاك حرية الأشخاص ومنازلهم بمجرد وجود احتمال ارتكاب جريمة⁽²⁾.

وأن تحديد وقوع جريمة من عدمه يرجع إلى مبدأ الشرعية (لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص) هذا المبدأ تظهر أهميته بشكل كبير ونحن نتحدث عن سلوكيات جديدة لارتكاب الجرائم، والتي تتطلب من المشرع ضرورة التدخل السريع وإدخال نصوص في القانون لتجريها خاصة عندما تعجز النصوص

⁽¹⁾ ينظر: جرائم الكمبيوتر وحقوق المؤلف والمصنفات الفنية: 364 – 365.

⁽²⁾ ينظر: الأدلة الالكترونية وحيتها في الإثبات الجنائي: 68 – 69.

التقليدية عن احتواها، مثل الاعتراض غير المصرح به للاتصالات الإلكترونية أو الهجوم على موقع الإنترنت⁽¹⁾.

2- محل التفتيش

يقصد بمحل التفتيش مستودع سرِّ الإنسان وهو الحاسب الآلي، وهذا محل إما أن يكون موجوداً في مكان معين منحه القانون حرمة خاصة كالمسكن، أو بحوزة شخص كالحاسوب المحمول، ولابد من توافر شرطين فيه، هما:

أ. أن يكون المحل معيناً: يجب أن يكون المحل معيناً تعيناً نافياً للجهالة.

ب. أن يكون المحل مما يجوز تفتيشه

قد يمنع القانون محل الجريمة حصانة معينة فيمنع إجراء تفتيشه على الرغم من توافر الشروط الالزمة للتلفتيش، ويرجع ذلك إلى تعلقه بمصلحة معينة؛ عامة كانت أم فردية، يرى المشرع أنها أولى بالرعاية من مصلحة التحقيق التي تتطلب إجراء التفتيش⁽²⁾؛ أي أنه يجب أن لا يكون محل التفتيش مما يمنع تفتيشه بمحضه أو بغيرها.

3- الغاية من التفتيش

لابد أن تكون الغاية من التفتيش دائماً هي ضبط أشياء تتعلق بالجريمة، التي تم التفتيش من أجلها أو أي أشياء تفيد في كشف الحقيقة، ويقع باطل التفتيش الذي يجري لغاية أخرى خلاف ما حدده المشرع؛ لأن كل تفتيش يجري بغير أن يتبيَّن وجه المصلحة منه يكون إجراء تحكمياً وباطلاً⁽³⁾.

⁽¹⁾ ينظر: جرائم الحاسب الآلي والإنتernet: 271.

⁽²⁾ التفتيش في الجرائم المعلوماتية: 127 – 131.

⁽³⁾ مبادئ الإجراءات الجنائية في جرائم الكمبيوتر والإنتernet: 358 – 359.

4- الجهة المختصة بإصدار إذن التفتيش

إذن التفتيش هو تفويض يصدر من سلطة التحقيق المختصة إلى أحد مأمورى الضبط القضائى مخولاً إياه إجراء التفتيش الذى تختص به تلك السلطة⁽¹⁾.

وقد نص قانون الإجراءات الجنائية السوداني لسنة 1991 في المادة 86 على من له حق إصدار إذن التفتيش:

1. يجوز لوكيل النيابة أو القاضي في أي وقت من تلقاء نفسه أو بناء على طلب من الجهة المختصة في أي دعوى جنائية أن يصدر أمراً بإجراء التفتيش الخاص لأى مكان أو شخص من رأى أن ذلك يساعد في أغراض التحري أو المحاكمة أو التنفيذ بحسب الحال.

2. يجوز للقاضي في أي وقت بناء على طلب من الجهة المختصة أن يصدر أمراً بإجراء التفتيش العام لأى مكانة أو أشخاص متى رأى أن ذلك يساعد في أغراض اكتشاف الجريمة⁽²⁾.

5- الجهة التي تباشر التفتيش

نصت معظم التشريعات على أن سلطة مباشرة التفتيش هي السلطة المختصة بالتحقيق وذلك لكون التفتيش إجراء من إجراءات التحقيق، وتباشر جهات التحقيق عملية التفتيش بنفسها إذا كان المكان المراد تفتيشه ضمن اختصاصها المكاني، أما إذا كان خارج نطاق اختصاصها المكاني فتقوم جهات التحقيق بإنابة السلطات التي توجد في تلك الأماكن ل مباشرة التفتيش بالنيابة عنها، ويتم ذلك من خلال أحد الأمرين التاليين:

أ. الندب بالتفتيش

⁽¹⁾ التفتيش في الجرائم المعلوماتية: 141-149.

⁽²⁾ قانون الإجراءات الجنائية السوداني لسنة 1983 م: 86.

الندب بالتفتيش يعني أن يتم تكليف مأمور الضبط القضائي من قبل السلطة المختصة بالتحقيق بعمل محدد أو أكثر من أعمال التحقيق، ويتربّ عليه اعتبار العمل من حيث قيمته القانونية كما لو كان صادراً عن سلطة التحقيق المختصة.

ب. الإنابة القضائية

الإنابة القضائية هي إجراء بموجبه ثنيب محكمة التحقيق المختصة محكمة تحقيق أخرى لاتخاذ إجراء أو أكثر من إجراءات التحقيق ضمن الاختصاص المكاني للمحكمة المنابة^(١).

ثالثاً: الشروط الشكلية

تتمثل الشروط الشكلية للتفتيش في وقت إجراء التفتيش، وحضور شاهدين، وتحrir محضر التفتيش، وعرض المضبوطات وقوائمها على وكيل النيابة أو القاضي^(٢).

المطلب الرابع: صعوبات التفتيش

نظراً لما يتميز به مسرح الجريمة المعلوماتية من طبيعة خاصة تختلف عن طبيعة مسرح الجريمة التقليدية، فقد تواجه جهات التحقيق العديد من الصعوبات أثناء إجراء عملية التفتيش، وهذه الصعوبات تتمثل فيما يلي:

أولاًً: سهولة محو الدليل أو تدميره لما كانت الجريمة المعلوماتية ترتكب بواسطة الحاسوب الآلي عن طريق إشارات وأوامر معنوية تعطى من الجانبي إلى الحاسوب الآلي بكل سهولة ويسر، وعن طريق ضغط زر واحد تصبح مسألة التخلص من تلك الأوامر في غاية البساطة والسهولة^(٣)، ومن الطبيعي أيضاً أن يكون من السهل على مرتكب

^(١) التفتيش في الجرائم المعلوماتية: 155-159.

^(٢) قانون الإجراءات الجنائية: 303.

^(٣) جرائم الحاسوب الآلي والانترنت: 290.

هذه الجريمة المعلوماتية محو وإتلاف وتدمير كل دليل من شأنه أن يدينه، حتى لا تتمكن جهات التحقيق من إيجاد دليل يدل على من ارتكب هذه الجريمة.

ثانيًا: حماية الدليل بواسطة كلمة السر

قد يعمد الجاني إلى وضع كلمة سرٍّ معينة على جهاز الحاسوب الآلي الذي ارتكبت عن طريقة الجريمة المعلوماتية حتى لا يمكن أحد من الدخول عليه والاطلاع على ما فيه من معلومات وأدلة تدينه⁽¹⁾.

ثالثًا: حماية الدليل بواسطة التشفير

التشفير هو تحويل المعلومات عبر اتفاقات تحتوي على رموز غير مفهومة، بحيث يجب إعادةها إلى حالتها الأصلية لأجل قراءتها وفهمها، وقد يلجأ مرتكب جريمة من جرائم المعلوماتية إلى التشفير كوسيلة لمنع الوصول إلى الدليل الذي يدينه⁽²⁾، على الرغم من قيام بعض الجهات التي تبني في نشاطها نظامًا معلوماتيًّا لتيسير حركتها بقصد حماية نُظمها عن طريق التشفير وغيرها من طرق الحماية الإلكترونية الأخرى، إلا أن قراصنة الحاسوب الآلي والعاملين في ذات الجهات يستطيعون اختراق هذه الأنظمة و يجعلون حمايتها لا جدوى منه، وذلك بدخولهم إلى المعلومات السرية أو الأسرار التجارية بغض بعها، أو استخدامها في مؤسسات جديدة يسعون إلى إنشائها أو يكون هدفهم فقط تغيير الأرقام والبيانات لتخريب المعلومات ويقومون بعد ذلك بفرض تدابير أمنية لمنع التفتيش المتوقع بحثاً عن أدلة إدانة ضدهم، ويستخدمون كلمة سر حول موقعهم لمنع الوصول إليها أو تشفيرها لإعاقة الاطلاع على أي دليل يخالف وراء نشاطهم الإجرامي⁽³⁾.

⁽¹⁾ التفتيش في الجرائم المعلوماتية: 223.

⁽²⁾ الأدلة الإلكترونية وحيثتها في الإثبات الجنائي: 45.

⁽³⁾ مبادئ الإجراءات الجنائية في جرائم الكمبيوتر والإنترنت: 89 - 91.

رابعاً: وجود فايروسات داخل الجهاز

الفايروس هو برنامج تم إعداده من قبل شخص أو أكثر لهم خبرة ودرأية عاليتين بالبرمجة عن طريق استخدام تقنية متطرورة بحيث يكون من خصائص هذا البرنامج الانتقال إلى أجهزة الحاسب الآلي والتكرار والانتشار فيها، وهي برامج غير مرئية بالطرق العادلة وتحتاج إلى أسلوب علمي للكشف عنها.

وستستخدم الفايروسات لغرضين؛ أحدهما: حمايي، ويكون لحماية الحاسوب الآلي لما يحتويه من بيانات وبرامج من خطر النسخ غير المشروع، إذ ينتشر الفايروس بمجرد النسخ ويدمر نظام الحاسوب الآلي الذي يعمل عليه، والآخر لغرض التخريب إذ يهدف واضعه لتخريب نظام الحاسوب الآلي أو الحصول على منافع شخصية، وقد يقوم الجاني مرتکب الجريمة المعلوماتية بإدخال فايروس إلى الجهاز المترکبة عن طريقه الجريمة المعلوماتية وذلك بهدف إعاقة الوصول إلى الدليل المعلوماتي الذي يدينه^(١).

خامساً: تخزين المعلومات في جهاز آخر

قد يعمد مرتکب الجريمة المعلوماتية إلى تخزين المعلومات التي قد تدينه في جهاز آخر غير الذي ارتكب به الجريمة، فإذا كان جهاز الحاسوب الآلي الموجودة فيه المعلومات هو غير الجهاز الذي ارتكبت به الجريمة ويوجد في مكان آخر غير المكان الذي يوجد فيه الجهاز المخزن فيه المعلومات ولكن داخل حدود الدولة نفسها ، ففي هذه الحالة يشار تساؤل مهم حول مدى إمكانية امتداد إذن التفتيش للحاسوب الآخر عن طريق الشبكة إذا تبين أن المعلومات المطلوب ضبطها مخزنة على ذلك الحاسوب، ويرى جانب من الفقه في ألمانيا إمكانية امتداد التفتيش إلى البيانات المخزنة في حاسوب آخر خارج موقع التفتيش.

^(١) التفتيش في الجرائم المعلوماتية: 224.

أما إذا كان الجهاز المخزن فيه المعلومات يقع في مكان آخر خارج حدود الدولة فيجمع الفقه على عدم إمكانية تجاوز نطاق التفتيش لحدود الدولة؛ لأن هذا النوع من التفتيش يشكل انتهاً لسيادة الدولة التي يقع الجهاز على أراضيها، ومخالفة لقواعد الاختصاص المكاني والولاية القضائية لقضاء الدولة، ويقول رأي آخر إنه من الممكن تفتيش الجهاز حتى ولو كان خارج حدود الدولة إذا كان الهدف منه إظهار الحقيقة⁽¹⁾. وما يعيق عملية التفتيش خارج حدود الدولة بالإضافة إلى الكشف على كل ما يشمله الجهاز من معلومات داخله هو عدم الدقة في إذن التفتيش الذي قد يصدر في هذا الصدد⁽²⁾.

المبحث الخامس: الضبط

المطلب الأول: مفهوم الضبط

أولاً: الضبط لغةً

الضَّبْطُ هو لزوم الشرع وحبسه، ضبط عليه وضبطه يضُبط وضابطه⁽³⁾.

ثانياً: الضبط قانوناً

الضبط هو وسيلة لانتقاد الأدلة المأخوذة من التفتيش، وتشييدها ويعتمد على تحرير أوراق رسمية بكل خطوة تأتيها جهة التفتيش بالإضافة إلى التقادم كل دليل يعتبر في الإثبات⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ التفتيش في الجرائم المعلوماتية: 231-233.

⁽²⁾ جرائم الحاسوب الآلي والإنترنت: 293.

⁽³⁾ لسان العرب: 15 / 8.

⁽⁴⁾ جرائم الحاسوب الآلي والإنترنت: 285.

المطلب الثاني: أنواع الضبط

أولاً: ضبط المكونات المادية للحاسوب الآلي

لا يرد الضبط بحسب الأصل إلا على الأشياء المادية، ولذلك فإنه من السهل ضبط أدلة الجرائم المعلوماتية التي يكون محل الجريمة فيها هو المكونات المادية للحاسوب الآلي، مثل الجرائم التي تقع على معدات الحاسوب الآلي أو كابلاته، أو أسلاكه أو مفاتيح تشغيله، أو شاشة العرض أو الدعامات المادية أو الأشرطة أو الأسطوانات أو غيرها، عن طريق إتلافها بالوسائل التقليدية، كالكسر أو الحرق أو غيرها^(١)، وهنا لا توجد أية صعوبة أو مشكلة لكي نقر بصلاحية هذه الجرائم لضبط أدلةها بموجب القواعد التقليدية للتفتيش^(٢)، ولا يوجد أي خلاف فقهي في كيفية ضبطها^(٣).

إلا أن ضبط المكونات المادية للحاسوب الآلي يحتاج إلى عناية خاصة من قبل القائم به، وهنا تبرز أهمية وجود الخبير المعلوماتي مع الفريق المكلف بالقيام بعملية الضبط؛ لأنها يستطيع تحديد الطريقة المناسبة لضبط مكونات للحاسوب الآلي والمواد الالزمة لحفظها وتغليفها ومقاومة الكهرباء الساكنة والحرارة، مثل الأغطية البلاستيكية، وورق التغليف والصناديق الكرتونية القوية وغيرها من المواد، وعلى الخبير المعلوماتي مباشرة الضبط والنقل والتغليف بنفسه لضمان عدم تلف جهاز الحاسوب الآلي^(٤).

ثانياً: ضبط المكونات غير المادية للحاسوب الآلي

تمثل المكونات غير المادية للحاسوب الآلي في برامجه وبياناته، ونظراً لما تميز به هذه المكونات من طبيعة خاصة فإن ضبطها يثير العديد من الصعوبات ومنها الآتي:

^(١) مبادئ الإجراءات في جرائم الكمبيوتر والإنترنت: 402.

^(٢) جرائم الكمبيوتر وحقوق المؤلف والمصنفات الفنية: 373.

^(٣) جرائم الحاسوب الآلي والإنترنت: 286.

^(٤) التفتيش في جرائم المعلوماتية: 226 - 267.

1- برامج الحاسوب الآلي

ليست هنالك صعوبة في ضبط الجرائم وأدلتها حين يكون محلها سرقة الدعامة المادية للبرامJT أو الوسائل المادية المستخدمة في نسخة بصورة غير مشروعة، أو إتلافه بوسائل تقليدية، ومن ذلك البرنامج المطبوع على (F.D) أو (C.D)⁽¹⁾، ولكن تكمن الصعوبة هنا في أمرتين: أولهما، نقص خبرة المحققين نظراً لقلة تدريفهم في هذا المجال، والثاني يتمثل في ما إذا كانت عملية الضبط لهذه الوسائل التقنية تتم في الأنظمة المعلوماتية الكبيرة، أو الشبكات الكبيرة حيث يصادف الضبط فيها صعوبتين هما:

أ. يؤدي الضبط إلى عزل النظام المعلوماتي بالكامل عند دائرة مدة زمنية قد تطول أو تقصر، مما قد يتسبب عنه أضرار للجهة مستخدمة النظام.

ب. عدم إبداء مستخدمي الأنظمة المعلوماتية الاستعداد للتعاون الكامل والفعال مع سلطات التحقيق، لما يعنيه الضبط بالنسبة لها من المساس بحقوق الغير⁽²⁾.

2- بيانات الحاسوب الآلي

ثمة عوائق تعرّض مأمورى الضبط القضائى / الحقائق الجنائي عند ضبط البيانات، وذلك بغض النظر عن الخلاف القانوني الدائم حول طبيعتها؛ فيما إذا كانت من الأشياء القابلة للتملك من عدمه، وإن تلك الصعوبات العملية تحول دون ضبط البيانات التي هي دليل على ارتكاب جريمة ما في بيئة المعالجة الآلية للبيانات⁽³⁾.

⁽¹⁾ مبادئ الإجراءات في جرائم الكمبيوتر والإنترنت: 211.

⁽²⁾ جرائم الكمبيوتر وحقوق المؤلف والصنفات الفنية: 374.

⁽³⁾ مبادئ الإجراءات في جرائم الكمبيوتر والإنترنت: 213.

ويجب عند ضبط المكونات غير المادية للحاسب الآلي أن نقوم بتجميعها وحصرها في حيز مادي، بمعنى أن يتم نقلها من صورتها غير المادية إلى صورة مادية، ويتم ذلك عن طريق إخراجها على ورق أو أخذ تسجيل منها أو جمعها على أقراص مرنة أو مغناطية أو تصويرها⁽¹⁾.

المطلب الثالث: صعوبات الضبط

أولاً: ضخامة تكاليف جمع الأدلة

تحدد جهات التحقيق نفسها مجبرة على تفتيش نظام الحاسب الآلي برمته بحثاً عن الصفحات، لاسيما عندما لا تثبت تلك الصفحات شيئاً بالإضافة إلى الحالات التي يكون فيها الحاسب الآلي متصلاً بشبكات الاتصالات العالمية فتزداد الصعوبة وترتفع التكاليف، وهذا يتطلب خبرة فنية ومقدرة على معالجة المعلومات والبيانات بصورة يمكن معها تحديد مكان وجود الدليل، وأقصر وأيسر السبل لضبطه⁽²⁾.

ثانياً: نقص خبرة المحققين

يتطلب التحقيق في الجرائم المعلوماتية معامل وختيرات خاصة، وخبراء يجمعون بين المعرفة القانونية ومهارة التحقيق وعلوم وتقنيات المعلومات، وبالإضافة إلى ذلك يتطلب مواجهة التحدي الجديد بناء قدر من التعاون والثقة بين أجهزة تنفيذ القوانين والمؤسسات التي تقدم خدمات المعلومات والاتصالات⁽³⁾، ومن الصعوبات التي تواجهه/ تعيق عملية التحقيق في الجرائم المعلوماتية: نقص الخبرة في مجال الحاسب الآلي لدى رجال الضبط القضائي، أو أجهزة الأمن بصفة عامة، وكذلك لدى

⁽¹⁾ جرائم الحاسب الآلي والإنتernet: 286.

⁽²⁾ جرائم الحاسب الآلي والإنتernet: 291.

⁽³⁾ مبادئ الإجراءات الجنائية في جرائم الكمبيوتر والإنتernet: 66-67.

أجهزة العدالة الجنائية مثلة في سلطات الاتهام والتحقيق الجنائي، وذلك فيما يتعلق بثقافة الحاسب الآلي والإلام بعناصر المعلوماتية وكيفية التعامل معها⁽¹⁾.

ثالثاً: مشاكل اللغة المستخدمة في التحقيق

من المعلوم أن ثورة التكنولوجيا بما أوجده من نظم معلوماتية ذات تقنية عالية تعتمد على لغة علمية نمت وتطورت مع الاستعمال المتزايد والمتكرر، هذه اللغة بدأت بطرفين هما: المبرمج والحااسب الآلي، ثم امتدت إلى المبرمجين والعاملين في مجال تقنية المعلومات بعضهم مع بعض، ثم تعدلت وأصبحت تستخدم باختصارات معروفة عوضاً عن مصطلحات أصلية، سميت بلغة المختصرات ويتم استخدامها من قبل خبراء ومشغلي الحاسب الآلي للتفاهم بينهم، وأصبحت هذه اللغة مهمة مع ظهور جرائم الحاسب الآلي؛ ومن ثم فالواجب على جهات التحقيق والمحاكم المختصة معرفتها، وتبرز أهمية معرفتها من أن الجريمة تعتمد على تقنية معلوماتية يشار إليها برموز معروفة عند أهل التخصص، فهي وسيلة التخاطب الوحيدة المفهومة بين مرتكبي الجرائم والخبراء والمستغلين من جهة، والنيابة العامة والمحاكم من جهة أخرى⁽²⁾.

رابعاً: مسائل الاختصاص

ترتبط شبكات الاتصال الإنترن特 بين ملايين الحواسيب الآلية حول العالم، مما يعني أنه قد ترتكب الجريمة المعلوماتية بدولة وتظهر آثارها في دولة أخرى، وقد يكون الجاني أيضاً من دولة ثالثة، ومن ثم تكون الأدلة على ارتكاب الجريمة المعلوماتية موجودة خارج النطاق الإقليمي لجهة التحقيق؛ أي خارج

⁽¹⁾ المرجع نفسه: 122.

⁽²⁾ جرائم الحاسب الآلي والإنترنت: 295-296.

صلاحيتها القانونية الجنائية، كما أن الدول تبني فكرة الإقليمية محددة الاختصاص، وكل القوانين

عاجزة عن مواكبة التطورات والمستجدات التي أتت بها التكنولوجيا الحديثة⁽¹⁾.

ويلاحظ أن التشريعات الجنائية المطبقة حالياً في معظم دول العالم تركز على الصفة الإقليمية فيما يتعلق بتطبيق الإجراءات الجنائية عن طريق السلطات غير الوطنية، ولذلك لا تقدم ولا تتتطور التشريعات الجنائية بنفس سرعة وتقديم وتطور المعلوماتية التي شملت العالم كله، والحل الوحيد لذلك وضع اتفاقيات ثنائية أو جماعية بين الدول في مختلف أنحاء العالم لتسهيل عملية التحقيق في الجرائم المعلوماتية⁽²⁾.

خامساً: ضخامة المعلومات والبيانات

يواجه رجال الضبط وسلطات التحقيق الجنائي في الجريمة المعلوماتية كمية ضخمة من المعلومات والبيانات التي هي في حاجة إلى فحص ودراسة كي يستخلص منها دليل هذه الجريمة، بالإضافة إلى ضرورة توافر الخبرة الفنية في مجال الحاسوب الآلي لدى رجل الضبط / الحق الجنائي يتعين كذلك أن يتوفّر لديه القدرة على فحص هذا الكم الهائل من المعلومات والبيانات المخزنة على الحاسوب الآلي، أو على ديسكات أو أسطوانات منفصلة⁽³⁾، وذلك لكي يتمكّن من تحديد البيانات التي تصلح كأدلة جنائية من تلك التي لا تصلح، وكثيراً ما تكون الأحرمة الأمنية المفروضة من قبل مستخدم النظام حول البيانات التي يحتويها هذا النظام عائلاً عن الوصول إلى المعلومات في كثير من الأحيان، مما يزيد من صعوبة الأمر على الحق الجنائي على معرفته لكلمات السر أو شفرات المرور، وهذا يتطلّب يقتضي تعاون مستخدم النظام معه أو الاستعانة بذوي الخبرة في هذا المجال⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ المرجع نفسه: 292-293.

⁽²⁾ مبادئ الإجراءات الجنائية في جرائم الكمبيوتر والإنتernet: 146-147.

⁽³⁾ مبادئ الإجراءات الجنائية في جرائم الكمبيوتر والإنتernet: 148.

⁽⁴⁾ جرائم الكمبيوتر وحقوق المؤلف والمصنفات الفنية: 375.

وتعد ضخامة هذه البيانات والمعلومات عائقاً أمام عملية التحقيق، وذلك لأن طباعة كل ما هو موجود على الدعامات المعنونة لحاسب آلي متوسط العمر يتطلب مئات الآلاف من الصفحات، وقد لا تقدم هذه الصفحات أي شيء مفيد في عملية التحقيق، ولذلك ولضعف خبرة رجل الضبط/ الحقق الجنائي في مجال الحاسوب الآلي فإنه يكون من الملائم وجوب ندب خبراء فنيين في مثل هذه الجرائم حتى يمكن فرز المعلومات التي يحتاجها التحقيق عن تلك التي لا يحتاج لها، وذلك يتطلب أن يكون ندب هؤلاء الخبراء وجوبياً، وتعديل كل التشريعات الجنائية التي تجعل ندبهم أمراً جوازياً للمحقق – إن شاء قبله أو رفضه – لأن طبيعة هذه الجريمة تتطلب التعامل معها بحرفية أو فنية تفوق قدرات رجل الضبط/ الحقق الجنائي التقليدية، إلا إذا كان هو مؤهلاً لذلك فيمكن حينها الاعتماد على قدراته الشخصية في ضبط وتحقيق هذه الجرائم شرط ألا يخرج عمله عن الأصول الفنية المتعارف عليها⁽¹⁾.

المبحث السادس: أثر الصعوبات على العدالة الجنائية

العدالة الجنائية هي ممارسة المؤسسات العدلية، ممثلة للدولة لمكافحة الجرائم والتخفيف منها، ومعاقبة من ينتهك النظام من خلال العقوبات والإصلاحات الجنائية. وبالتالي، يتحقق للأشخاص المشتبه في ارتكابهم جرائم المطالبة بالحماية من الانتهاكات سلطة التحقيق والادعاء.⁽²⁾

وتقوم فكرة العدالة الجنائية بغرض مكافحة الجريمة من خلال تقديم أكبر عدد من المجرمين إلى العدالة وزيادة الثقة في عدالة النظام، وتعزيز ثقة المواطنين الملتزمين بالقانون⁽³⁾.

⁽¹⁾ مبادئ الإجراءات الجنائية في جرائم الكمبيوتر والإنترنت: 148-149.

⁽²⁾ - <https://e3arabi.com/?p=788689>

⁽³⁾ - <https://e3arabi.com/?p=788689>

إذن لا تستطيع الدولة تقديم كل من ارتكب الجريمة إلى العدالة إلا أن يكون لديها أجهزة عدلية ذات كفاءة عالية من حيث التأهيل والتدريب.

من خلال ما أوردناه في البحث ندرك أكثر صعوبات بعض إجراءات التحقيق المتمثلة في المعاينة والتفتيش والضبط، وتمكن الجاني من الإفلات من المحاكمة. ويمكن أن نحمل أبرز الآثار المترتبة على هذه الصعوبات في الآتي:

- 1 صعوبة حل لغز هذا النوع من الجرائم على المحقق الجنائي نظراً لأن الجريمة المعلوماتية لا توجد لديها آثار مادية يمكن من الوصول إلى مرتكبها بأسرع وقت، لأنها تتم عبر نصوص الكترونية غير ملموسة⁽¹⁾.

-2 سهولة إفلات مرتكبها من العقوبة وذلك وهذا يسهم في صعوبة عمل المحقق الجنائي؛ وذلك لسهولة تنفيذ الجريمة من قبل مرتكبها، لا سيما أنه قد يكون واحداً من موظفي الجهة، ولا يحتاج إلى أي مكونات مادية كالأوراق والمستندات لتنفيذ جريمته، كما أنه يتمكن من خلال كلمات السر أو التشفير من إخفاء جريمته.

-3 استحالة فحص ودراسة كمية المعلومات والبيانات الضخمة، والتي هي في حاجة إلى كي يستخلص منها دليل هذه الجريمة.

-4 كلفة مواكبة تدريب وتأهيل رجال التحقيق الجنائي والقضائي على التقنيات الحديثة نظراً للتطور المتسارع في تقنيات الحاسوب وبرامجه وفي تقنيات الجريمة الالكترونية

-5 ضعف الثقة في قدرات التحقيق الجنائي وهو ما سيؤدي إلى إضعاف مؤسسات الدولة العدلية في محاربة ومكافحة الجريمة.

المجمع نفسه: 356 (1)

خاتمة:

أولاً: النتائج

1. أن الجرائم المعلوماتية ذات طبيعة خاصة، تختلف عن الجرائم التقليدية؛ لأنها تتم في عالم افتراضي وهمي غير ملموس.
2. أنها جرائم عالمية لا تعترف بالحدود الجغرافية والسياسية، الأمر الذي يشير كثيراً من المشاكل المتعلقة بالقانون الواجب تطبيقه عليها.
3. أن المجرم المعلوماتي يتمتع بذكاء حاد في مجال الحاسوب الآلي، حيث تعاني جهات التحقيق من فقر ونقص شديدين في الخبرة الفنية والكفاءة في هذا المجال.

ثانياً: التوصيات

1. أوصي بضرورةأخذ الحيوة والحذر عند التعامل مع هذا النوع من الجرائم من قبل العاملين في عملية التحقيق، حتى لا يتممحو أو إتلاف أي دليل عن طريق الخطأ.
2. لابد من وجود تعاون دولي بين مختلف دول العالم؛ لأن هذه الجرائم هي جرائم عالمية ينبغي حلها أو مكافحتها بالتعاون بين جميع دول العالم.
3. ضرورة وضع قانون للإجراءات الجنائية وقانون للإثبات خاص بالجرائم المعلوماتية؛ نظراً لقصور كل من قانون الإجراءات الجنائية والإثبات التقليديين عن مواكبة هذا النوع من الجرائم.
4. ضرورة تدريب كل العاملين في مجال التحقيق في الجرائم المعلوماتية وتزويدهم بالخبرة والكفاءة في مجال الحاسوب الآلي، وتزويدهم بصورة ومحاطه وطرق ارتكاب هذا النوع من الجرائم، وكيفية التعامل مع الأدلة إن وجدت.

المصادر والمراجع:

- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، ١٤١٤هـ.
- أسامة أحمد المناعسة - جلال محمد الزعي - صايل فاضل الهواوشة جرائم الحاسب الآلي والإنترن特، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، ٢٠٠١م.
- أقيس عبد الوهاب حمد محمد، شرح قانون جرائم المعلوماتية السوداني، السودان، ط1، ٢٠١٠م.
- القانون الجنائي السوداني لسنة ١٩٩١م.
- الموسوعة الفقهية.
- أمير فرج يوسف، الجرائم المعلوماتية على شبكة الإنترت، دار المطبوعات الجامعية، مصر، ٢٠٠٨م.
- جرائم المعلوماتية (ورشة عمل)
- حاج آدم حسن الطاهر، قانون الإجراءات الجنائية، منشورات جامعة السودان المفتوحة، السودان، ط1، ٢٠٠٧م.
- دار مسيس بنهان، البوليس العلمي أو فن التحقيق، منشأة المعارف، مصر، ١٩٩٦م.
- سامي جلال فقيهي حسين، التفتيش في الجرائم المعلوماتية، دار الكتب القانونية، مصر، د(ط) ٢٠١١م.
- عبد الفتاح بيومي حجازي، مبادئ الإجراءات الجنائية في جرائم الكمبيوتر والإنترن特، دار الكتب القانونية، مصر، ٢٠٠٧م.
- عبد المنعم عبد الحافظ إبراهيم، البنية الإلكترونية، السودان، د. ت. ط
- عزة علي محمد الحسن، قانون الحاسوب، منشورات جامعة السودان المفتوحة، السودان، ط1، ٢٠٠٧م.
- عزة علي محمد الحسن، الجريمة المعلوماتية في القانون السوداني، الزبيونة للطباعة، السودان، ٢٠٠٩م.
- عفيفي كامل عفيفي، جرائم الكمبيوتر وحقوق المؤلف والمستلزمات الفنية، منشورات الحلبي الحقوقية، لبنان، ٢٠٠٣م.
- قانون الإثبات السوداني لسنة ١٩٩٤م.
- مجلة أبحاث ودراسات التدريب والمعلومات.
- مجلة العدل (العدد ٢٤)، ٢٠٠٣م.

- محمد علي إبراهيم محمد، الأدلة الإلكترونية وحجيتها في الإثبات الجنائي، السودان، ط1، 2014م.
- محمد علي العريان، الجرائم المعلوماتية، دار الجامعة الجديد، مصر، 2011م.
- مصطفى محمد موسى، أساليب إجرامية بالتقنية الرقمية، دار الكتب القانونية، مصر، 2005م.
- منير محمد الجبيهي، و منتصر محمد الجنبيهي، جرائم الإنترنت والحاسب الآلي ووسائل مكافحتها، دار الفكر الجامعي، مصر، 2005م.
- نبيلة هبة هروال، الجوانب الإجرائية لجرائم الإنترنت، دار الفكر الجامعي، مصر، ط1، 2007م.

أحكام الجمع بين صلاتي الجمعة والعصر (دراسة فقهية مقارنة)

د. عبد الله عبيد سعيد مؤمن^(*)

الملخص:

تهدف الدراسة إلى توضيح مسألة الجمع بين صلواتي الجمعة والعصر، وهي من المسائل المهمة التي تختلف فيها الآراء وكثير فيها اللغط، لما مرت بها واقع الناس وحياتهم اليومية بشكل متكرر، وكون صلاة الجمعة ليست كصلاة الظهر. وما تفضل الله تعالى به على عباده أن جعل للتکاليف الشرعية في السفر والمرض والمطر وما فيه من مشقة عليهم، وضعفا خاصا وأداء خاصا، فبيّنت هذه الدراسة ماهية الجمع والقصر بين الصالاتين وحكمه، ومن أجاز ومن منع من الفقهاء الجمع بين صلاة الجمعة وصلاة العصر ومناقشة أدلة هؤلاء وأثر ذلك الخلاف، وتم ترجيح جواز جمع الجمعة مع العصر جمع تقديم، لأن وقت صلاة الجمعة هو وقت صلاة الظهر؛ ابتدأً وانتهاءً.

Rulings on Combining Friday Prayer with Asr Prayer

(A Comparative Jurisprudence Study)

Dr. Abdullah Obeid Saeed Mu`min

Abstract

This study aims at clarifying the issue of combining Friday and Asr prayers. It is one of the significant issues in which opinions differ and confusion is caused because it touches the reality of people and their daily lives on a frequent basis, and also due to the fact that the Friday prayer is not like the Dhuhr prayer. Among the favors that Allah Almighty bestowed upon His servants is permitting of special

(*) أستاذ الفقه المقارن المساعد بجامعة القرآن والعلوم الإسلامية، حضرموت - المكلا.

ways to perform religious obligations in certain cases as that of travel, sickness, rain, and cases that cause any kind of difficulty upon them. Therefore, this study elucidated what combining and shortening of two prayers really are and mentioned their ruling. It also mentioned the jurists who legalized combining the Friday prayer with the Asr prayer and those who prohibited it, discussing their evidence and the impact of that disagreement. Finally, the view considered to be preponderant was that it is permissible to combine the Friday prayer with the Asr prayer but as an advanced combining because the time of the Friday prayer is exactly the same as the Dhuhr prayer; in its commencement and ending.

Keywords: Combination; Asr; Friday; Dhuhr; Rulings

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، حمدًا يوازي نعمته علينا بالإسلام إذ أنزل إلينا خير كتبه، وأرسل إلينا أفضل رسالته وشرع لنا أفضل شرائع دينه، وجعلنا خير أمة أُخرجت للناس، والصلة والسلام على خير البرية، وأله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد: فإن الإسلام هو دين الله الخالد، فيه المدى والنور لمتاهات البشرية الحائرة اليوم، وهو دين الحق الذي لا يقبل الله من الخلق دينًا سواه.

ولما كان الإسلام بهذه المثابة فإن شرائعه العظيمة، وأحكامه المتزنة، جاءت شاملة كاملة ملية لحاجات البشر كلها، حيث نظمت أمور الحياة كافة في المعاش والمعاد في العاجل والأجل، فلا تخلو واقعة في الحياة إلا وفيها حكم الله تعالى عرفه من وجده من جهله.

ولقد اقتضت حكمة الله تعالى أن جعل التكاليف الشرعية التي أمر الله بها عباده مناطها نفي الحرج كي يؤديها المكلف بحب واشتياق وهذا كله من عظيم رحمته.

وما تفضل الله تعالى به على عباده أن جعل للتکاليف الشرعية في السفر والمرض والمطر وغيرها مما فيه مشقة عليهم وضعًا خاصًّا، وأداء خاصًّا، فخفف عليهم ما فرضه من أمور الطهارة والصيام، بل وسائل العبادات في مقامها وأحوالها وهيئتها.

وفي إطار بيان مقاصد العبادات جاءت الشريعة ملبيًّة لحاجات الناس مبينة لهم أمور شريعتهم في سر وبيان حيناً وفي إجمال حيناً آخر.

وقد كثُر الحديث حول مسألة الجمع بين صلاة الجمعة وصلاة العصر، فذاع القول في الفضائيات والمحاضرات، والفتاوی حتى تناقل بعض الناس بطلان الجمع بين صلاته الجمعة والعصر، ورأيت أن أوضح القول في هذه المسألة؛ ببيان أقوال الفقهاء، وجمع الأدلة فيها، ومناقشتها، وبيان الراجح منها، مستدلاً على ذلك بالأدلة النصية، وما تقتضيه دلالتها، ومفهومها.

ولقد حاولت جاهدًا أن أحجم وأقارن وأبين وأوضح في هذه المسألة حتى يسهل الرجوع إليها، من قبل الباحثين وطلاب العلم.

أسباب اختيار الموضوع:

- 1 - مسألة الجمع بين صلاته الجمعة والعصر من المسائل المهمة التي تختلف فيها الآراء وكثير فيها اللغط حتى أفتى البعض ببطلان صلاة من جمع بينهما.
- 2 - كثرة توجيه الأسئلة من قبل الناس في هذه المسألة بالذات، وتعدد الإجابات من قبل المفتين وطلاب العلم.
- 3 - كثرة اختلاف الناس في الجمع بين صلاته الجمعة والعصر، وتبيينها يعني الحد من الخلاف فيها.

أهمية البحث:

- 1- ملامسة الجمع بين صلاتي الجمعة والعصر لواقع الناس وحياتهم اليومية وبشكل متكرر.
- 2- الحاجة إلى معرفة الحكم الشرعي البين لمعرفة تعامل الشريعة في تنظيم مسائل الخلاف.
- 3- إفراد المسألة ببحث مستقل يسهل الوصول إليه عند الحاجة.

أهداف البحث:

- 1- دراسة مسألة الجمع بين صلاتي الجمعة والعصر من الناحية الفقهية وجمعها في مكان واحد كي يسهل الرجوع إليها.
- 2- تبيان كيف يستتبع الفقيه الشرعي الأحكام من خلال الاجتهاد في أصول الشريعة وأغوار الكتب الفقهية، والسير على قواعد مطردة.
- 3- إظهار محاسن الشريعة وكيف راعت أحوال الخلق، ومرؤتها الملبية للمتعدد متى ما وجد المقتضى الشرعي، وسعيها للتيسير لا التعسir.

منهج البحث:

اتبع الباحث في تنفيذ منهج البحث المنهج الاستباطي والاستقرائي، حيث قام بتتبع أقوال الفقهاء واستقراء النصوص من مصادرها الأصلية المعتمدة في كل مذهب والنظر فيها سالكًا في ذلك منهجه ملخصه النقاط الآتية:

- 1- الاقتصار على المذاهب الفقهية المعترفة بتوثيق كل قول من أقوال الأئمة من كتب المذاهب نفسها، معتمداً على أمهات المصادر والمراجع في التحرير والتوثيق.
- 2- عزو الآيات القرآنية، بذكر اسم السورة، ورقم الآية في الهامش.

3- تخيير الأحاديث النبوية الشريفة والآثار التي وردت في البحث، ببيان الكتاب والباب والجزء ورقم الصفحة.

الدراسات السابقة:

لم يجد الباحث فيما تيسر له الاطلاع عليه دراسة بنفس مضمون هذه الدراسة، ووجد دراستين هما:

1- الجمع بين الصالحين في الفقه الإسلامي للدكتور: سامي محمد غر أبو عرجه، وقد تناول تعريف الجمع وبيان الصلوات التي يجمع بينها، ومذهب الفقهاء في الجمع وإيراد أدلة لهم ومناقشتها، وتناول المبحث الثالث الأعذار التي تبيح الجمع عند الفقهاء وهي السفر والمطر والوحل.

2- الجمع بين الجمعة والعصر دراسة فقهيه مقارنة، بحث نشر في مجلة دار العلوم للدكتور: سطام بن صالح.

3- الجمع بين الجمعة والعصر دراسة فقهيه مقارنة، رسالة ماجستير إعداد الطالب صالح رزيق بن خلف القرشي، جامعة أم القرى بمكة المكرمة

وتحتفل هذه الأبحاث عن بحثي أنه يدور حول ماهية الجمع وأدلة الم Gizin و المانعين للجمع بين الصالحين، والترجيح، بينما الأبحاث التي ذكرتها قد توسيعها كثيراً في التعريف وشرح الأعذار وتناولت في عمومها شروط جمع التقديم والتأخير، وسبب التسمية ومشروعيتها، وتم مناقشة هل الصالحين مستقلة أو بدل، وأسهوا في تفاصيل الأعذار المبيحة للجمع، وتطرقوا في المبحث الأخير إلى حكم جمعها مع صلاة العصر عند وجود سبب الجمع.

واقتضت طبيعة الدراسة أن تكون من مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة.

المبحث الأول: ماهية الجمع والقصر بين الصالاتين وحكمه

الفرع الأول: تعريف الجمع لغة

ورد في كلمة (جمع) من جمَع يجْمِع، جَمْعاً، فهو جامِعٌ، والجمع للشيء المتفرق وهو الضمُّ، يقال: جمع المتفرق: ضمٌّ بعضه إلى بعض⁽¹⁾.

وجمع الصلاة شرعاً: أن يجمع المصلي بين فريضتين في وقت إحداهما، جمع تقديم أو جمع تأخير⁽²⁾.

وجمع الصالاتين شرعاً له حالتان:

الحالة الأولى: جمع التقديم: وصورته: ضم صلاة العصر إلى صلاة الظهر، وأداء الاثنين متتابعين في وقت صلاة الظهر، وضم صلاة العشاء إلى صلاة المغرب، وأداء الاثنين متتابعين في وقت صلاة المغرب.

الحالة الثانية: جمع التأخير: وصورته: ضم صلاة الظهر إلى صلاة العصر، وأداء الصالاتين متتابعين في وقت صلاة العصر، وضم صلاة المغرب إلى صلاة العشاء، وأداء الاثنين متتابعين في وقت صلاة العشاء⁽³⁾.

أما القصر لغة: فهو الأخذ من الشيء وتقصيره، وجعله أقل مما كان عليه⁽⁴⁾.

وقصر الصلاة في الشرع: أداء الصلاة الرباعية ركعتين⁽⁵⁾.

(1) ينظر: مختار الصحاح: 1/60.

(2) ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية: 27/287.

(3) ينظر: البناءة شرح الهدایة: 2/419.

(4) ينظر: لسان العرب: 5/98؛ المعجم الوسيط: 2/738.

(5) ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية: 27/273.

الفرع الثاني: الحكمة من الجمع:

الحكمة من مشروعية الجمع والقصر تلخص فيما يأتي:

١- الجمع فضل وهبة من الله سبحانه تصدق به على العباد، ومن الفضل أن نقبل صدقته
ل الحديث يعلى بن أمية قال: قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: (ليس عليكم جناح أن تقتصروا من الصلاة
إن خفتم أن يفتتنكم الذين كفرو) فقد أمن الناس، فقال: عجبت منه، فسألت رسول الله عن ذلك
فقال: (صدقة تصدق الله عليكم فاقبلاوا صدقته)^(١).

٢- الجمع فيه رفع المشقة والخرج عن الأمة، وقد ورد عن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه جمعه بين الصلاة في سفره
يوم غزوة تبوك، فعن ابن عباس رضي الله عنهما: (أن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه جمع الظهر والعصر والمغرب والعشاء)" فقال
سعيد بن جبير رضي الله عنه: فقلت لابن عباس رضي الله عنهما ما حمله على ذلك؟ فقال: أراد أن لا يخرج أمهه)^(٢).

فنفي - ربنا سبحانه - الخرج عن هذه الأمة فيه دليل على مشروعية التيسير.

الفرع الثالث: سبب الخلاف في الجمع بين صلاته الجمعة والظهر:

سبب الخلاف بين الفقهاء يعود إلى جواز الجمع بين صلاته الجمعة والظهر كون صلاة الجمعة
ليست صلاة الظهر^(٣) فتصلح ظهراً ركعتين، إذ أن الأصل في العبادات التوقف والمنع.

وقد ذكر بعض الفقهاء سبباً آخر؛ يستنبط بالتبعد، وهو اختلافهم في صلاة الجمعة هل هي
صلاة ظهر أم ليست بصلاة ظهر^(٤).

(١) ينظر: صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب صلاة المسافرين وقصرها: ١/ 478، حديث رقم (686).

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١/ 490، حديث رقم (705).

(٣) ينظر: بداية المجتهد ونهاية المقتضى: ١/ 231.

(٤) ينظر: شرح التلقين: ١/ 360.

فالشافعية يرون أن الجمعة كالظهر، وما ينطبق على صلاة الظهر من أحكام الجمعة؛ ينطبق على الجمعة، ولا فرق بينهما، قال الإمام النووي "يجوز الجمع بين صلاته الجمعة، والظهر؛ فالجمعة كالظهر"⁽¹⁾.

بينما الحنابلة لا يقولون بالجمع بين الجمعة والعصر" فالجمعة صلاة مستقلة ليست بدلًا عن الظهر، لعدم انعقادها بنية الظهر من لا تجب الجمعة عليه كالعبد والمسافر، ولجوازها قبل الزوال، وأنه لا يجوز أن تفعل أكثر من ركعتين، ولا تجمع مع العصر، في محل بيع الجمعة بين الظهر والعصر لعذر، وصلاة الجمعة أفضل من الظهر بلا نزاع"⁽²⁾.

المبحث الثاني: أدلة الم Gizin من الفقهاء للجمع بين صلاته الجمعة والعصر ومناقشتها.

ذهب المالكية⁽³⁾ والشافعية⁽⁴⁾ وقول للحنابلة⁽⁵⁾ إلى جواز جمع الجمعة مع العصر جمع تقديم؛ لجواز الجمع بين الظهر والعصر.

واستدلوا بالأدلة الآتية:

الدليل الأول: أن الجمع بين الجمعة والعصر جائز، قياساً على جمع الظهر مع العصر⁽⁶⁾ بجامع المشقة؛ خصوصاً في جمع التقديم، فلا فرق بين تقديم العصر يوم السبت أو الخميس أو الجمعة⁽⁷⁾.

(1) ينظر: الجموع شرح المذهب: ٤ / ٣٢٠.

(2) ينظر: كشف النقاب عن متن الإقاع: ٢ / ٢١.

(3) ينظر: منح الجليل شرح على مختصر سيد حليل: ٤٢٤-٤٢٥ / ١؛ التلقين في الفقه المالكي: ٥٠ / ١؛ المدونة: ٢٠٤ / .

(4) ينظر: الجموع شرح المذهب: ٤ / ٣٨٣؛ روضة الطالبين وعمدة المفتين: ١ / ٥٠٢؛ تحفة الحبيب على شرح الخطيب: ٢ / ٣٨٤.

(5) ينظر: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل: ٢ / ٣٦٤.

(6) ينظر: مناهج التحصيل ونتائج لطائف التأويل في شرح المدونة: ١ / ٥٣٦؛ الحاوي الكبير في فقه الإمام الشافعي: ٢ / ٩٤٩.

(7) ينظر: التنبيه على مبادئ التوجيه: ٢ / ٦٣٣.

ونوقيش هذا الدليل من وجهين:

- (1) صحة القياس في هذه الصورة فيه نظر؛ لأنها عبادة والعبادات توقيفية، ولا قياس فيها فكل منها عبادة مستقلة^(١)، ولا يجوز إحداث شيء فيها بمجرد الرأي^(٢).
- (2) هذا قياس مع الفارق ولا يصح القياس^(٣)؛ فالجمعة والظهر مختلفتان حقيقةً وحكمًا^(٤) فلا تلحق إحدى الصالاتين بالأخرى.

ونوقيش دليهم من وجهين:

- (1) ليس هذا قياساً في العبادات، بل هو قياس في الرخص، وهذا النوع من القياس جائز وسائغ^(٥) ومنه: قياس الثلج والوحول على المطر في الجمع.
- (2) هذا قياس في العبادات؛ وليس من قبيل القياس غير المشروع في العبادات وهو القياس في أصول العبادات^(٦)، وفيما لا يعقل معناه، وأما فيما عدا ذلك وما يعقل معناه فالقياس جائز^(٧)؛ وهو كثير في كتب الفقهاء.

الدليل الثاني: ما الفرق بين جمع الجمعة مع العصر وجمع الظهر مع العصر إذا استويا في المشقة أو كانت المشقة في يوم الجمعة أشد^(٨)؛ لأن الشارع لا يفرق بين المتماثلات؛ كما أنه لا يجمع بين المخالفات^(٩).

(١) ينظر: شرح مختصر الخرقى: 2/ 949.

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد: 1/ 411.

(٣) ينظر: شرح زاد المستقنع: 8/ 18.

(٤) ينظر: البناءة شرح الهدایة: 3/ 81.

(٥) ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه: 7/ 77.

(٦) ينظر: الحصول: 5/ 348؛ الأصل الجامع لإيضاح الدرر المنظومة في سلك جمع الجمعة: 2/ 112؛ الذخيرة: 1/ 133.

(٧) ينظر: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: 2/ 145.

(٨) ينظر: أنسى المطالب في شرح روض الطالب: 1/ 242.

(٩) ينظر: الحصول للرازى: 5/ 109.

والرد عليهم: بوجود فروق بين الظهر والجمعة، وإذا وجد الفرق بينهما فلا يصلح التشبيه والتماثل بينهما، فالجمعة صلاة مستقلة ليست بدلاً عن الظهر، لعدم انعقادها بنية الظهر من لا تجنب الجمعة عليه كالعبد والمسافر، ولجوازها قبل الزوال، وأنه لا يجوز أن تفعل أكثر من ركعتين، ولا تجمع مع العصر، في محل بيع الجمعة، بين الظهر والعصر لعذر وصلاة الجمعة أفضل من الظهر بلا نزاع⁽¹⁾.

الدليل الثالث: ثبت عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال لمؤذنه في يوم مطير: "إذا قلت: أشهد أن محمدًا رسول الله، فلا تقل: حي على الصلاة، قل: صلوا في بيوتكم" فكان الناس استنكروا، قال: "فعله من هو خير مني؛ إن الجمعة عزمه، وإن كرهت أن أحرجكم فتمشون في الطين والدحض"⁽²⁾.

ووجه الدلالة في الحديث من نظرتين:

1) إذا نزل المطر فهو من جملة الأعذار لترك الجمعة لمشابحتها بالظهر في صلاتها في الرحال وجود العذر⁽³⁾.

ورد عليهم: هذا لا يبرر القياس؛ لأن الشبه لا يعد مميزاً، وإنما في كل الصلوات المفروضة وغير المفروض؛ لأن القياس عندنا في باب العبادات لا يجري⁽⁴⁾.

(1) ينظر: كشاف القناع: 2 / 21.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، باب الرخصة إن لم يحضر الجمعة في المطر: 1 / 306 حديث رقم (859).

(3) ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري: 10 / 74.

(4) ينظر: الأصل: 1 / 210.

(2) أن الجمعة يُعدَّ بتركها في هذه الحال، فسيكون صلاتها في الجمعة مع العصر أولى من صلاتها ظهراً في وقتها مفردة دون العصر في الرحال⁽¹⁾ وهذا دليل عقلي ولا يعتمد على نص، واعتبره من قياس الأولى.

الدليل الرابع: عموم حديث ابن عباس، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ "جَمَعَ بَيْنَ الصَّلَاةِ فِي سَفَرٍ سَافَرُهَا فِي عَزْوَةٍ تَبُوكَ، فَجَمَعَ بَيْنَ الظَّهِيرَةِ وَالْعَصْرِ، وَالْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ" قَالَ سَعِيدٌ: فَقُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: مَا حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ، قَالَ: أَرَادَ أَنْ لَا يُخْرِجَ أُمَّةَهُ⁽²⁾.

ووجه الدلاله: أن ابن عباس أخبر عن النبي ﷺ أن الجمع وجد رفعاً للحرج عن أمته، فدل أنَّ علة الجمع رفع الحرج والمشقة⁽³⁾، وواقع الحال يقول: ما دامت المشقة موجودة في حال الجمعة فالجمع جائز.

المبحث الثالث: المانعون من الفقهاء للجمع بين صلاة الجمعة والعصر ومناقشة أدتهم

ذهب الحنفية⁽⁴⁾ وهو قول للحنابلة⁽⁵⁾ إلى عدم جواز جمع الجمعة مع العصر مطلقاً.
 أما الحنفية فلا يرون الجمع مطلقاً بين الظهر والعصر إلا في عرفة فقط لفعل النبي ﷺ⁽⁶⁾.
 أدتهم:

الدليل الأول: أن صلاة الجمعة صلاة مستقلة وليس بدلأً عن الظهر، لعدم انعقادها بنية الظهر من لا تحب عليه ولجوازها قبل الزوال⁽⁷⁾.

(1) ينظر: فتح العزيز شرح كتاب الوجيز في الفقه الشافعي: 4 / 605.

(2) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الجمع بين الصالاتين في الحضر: 1 / 490 حديث رقم (705).

(3) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال: 2 / 170.

(4) ينظر: بداع الصنائع في ترتيب الشرائع: 1 / 257.

(5) ينظر: كشاف القناع: 21 / 2؛ شرح منتهی الإرادات شرح منتهی الإرادات المسمى دقائق أولى النهى لشرح المنهی: 5 / 2 قال: "ولا تجمع الجمعة إلى عصر ولا غيرها حيث أبيح الجمع لعدم وروده".

(6) ينظر: بداع الصنائع: 1 / 121.

(7) ينظر: الإقاع في فقه الإمام أحمد بن حنبل: 1 / 189؛ الإنصال: 2 / 255.

نوقش دليلهم من وجهين:

أولاً: أن استقلال الجمعة لا يمنع من اشتراكها مع الظهر في بعض الخصائص كالإبراد بها، فقد بوب الإمام البخاري - رحمه الله - في صحيحه: (باب إذا اشتد الحر يوم الجمعة) ^(١).

وأورد حديث أنس رض: أن النبي ﷺ: "كان إذا اشتد البرد بـكـر بالصلـة، وإذا اشـتدـ الحرـ أـبـرـدـ بالصلـة" ^(٢).

قال الحافظ ابن حجر : "وُعْرِفَ بـهـذـاـ أـنـ الإـبـرـادـ بـالـجـمـعـةـ عـنـدـ أـنـسـ رضـ إـنـماـ هوـ بـالـقـيـاسـ عـلـىـ الـظـهـرـ لـاـ بـالـنـصـ،ـ لـكـنـ أـكـثـرـ الـأـحـادـيـثـ تـدـلـ عـلـىـ التـفـرـقـ بـيـنـهـمـ" ^(٣).

رد عليهم: أن أنس رض علم ذلك بالنص لا بالقياس، ولا سيما وجود الرسول ﷺ ولا علاقة للاستدلال هنا بمسألة الجمع، فالحديث يدل على مشروعية الإبراد في الصلاة بما فيها الجمعة، وهذا ليس دليلا؛ فمن الواضح أنه متفق على وجود فروق كثيرة بين الظهر والجمعة، لأن القياس بين المقيس والمقيس عليه إذا وجد بينهما فارق واحد لم يصح القياس، فكيف إذا وجد أكثر من فرق كما هو الحال بين الجمعة والظهر ^(٤).

ثانياً: أن صلاة العصر تستقل في فضل الحافظة عليها والوعيد بتركها عن صلاة الظهر، فقد قال النبي ﷺ: "من صلى البردين دخل الجنة" والبردان: الفجر والعصر ^(٥)، وقال رسول الله ﷺ: "من فاتته العصر فكأنما وتر أهله وماله" ^(٦)، ومع ذلك جاز جمعها إليها.

(١) ينظر: صحيح البخاري: 1 / 307

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب إذا اشتد الحر يوم الجمعة: 1 / 307 حديث رقم (864).

(٣) ينظر: فتح الباري: 2 / 389؛ عمدة القاري شرح صحيح البخاري: 10 / 87.

(٤) ينظر: الفتح الباري: 3 / 48.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب فضل صلاة الفجر: 1 / 210 حديث رقم (548).

(٦) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب إنما فاتته العصر: 1 / 203 حديث رقم (527).

ونوقيش هذا الدليل: هذا الاستدلال في غير موضع الخلاف، ولا يدل على جواز الجمع بين الجمعة والعصر، فعدم الجمع لا يعني فوات العصر، وفوات العصر يوجب الإنذم على المكلف إذا كان بتقصير منه فلا يعني أن نجيز الجمع بين الصلوات للمكلف خوفاً من فواتها عليه.

الدليل الثاني: أن السنة النبوية المطهرة لم تأت بجمع الجمعة مع العصر، وإنما وردت بجمع الظهر

مع العصر⁽¹⁾.

نوقيش هذا الدليل: بأن الجمعة كالظهر في باب الأعذار⁽²⁾، فستتفقان في الأعذار المبيحة للتخلص عن الجمعة والجماعة، وفي كونهما تصليان في الرحال في المطر الشديد، بل وتزيد الجمعة في حق المسافر: أنها لا تحب عليه، ثم إن الجمعة صلاة مستقلة، ولكن استقلالها لا يمنع جمعها مع العصر، فالظهور صلاة مستقلة وتحضر مع العصر، والمغرب صلاة مستقلة وتحضر مع العشاء سواء في السفر عند جماهير العلماء، أو في الحج بعرفة، ومزدلفة عند كافة الفقهاء .

ونوقيش هذا من وجهين:

(1) لا يلزم من عدم النقل عدم الجمع بينهما، لاحتمال أن الراوي لم يذكر الجمع للعلم به، وإنما روى ما يحتاج إليه من خبر الأعرابي، ولذا لم يذكر ما فعل النبي ﷺ بعد نزوله من المنبر.

(2) الاستدلال في هذا الحديث في غير محله؛ لأنّ هذا النص، لم يذكر أنّ النبي ﷺ جمع الظهر، والعصر، ولا المغرب، والعشاء، أيضاً؛ فهل يعني عدم نقل راوي الحديث أنس بن مالك للجمع يوم الجمعة، ولا الجمع بين الظهر، والعصر، ولا المغرب، والعشاء.

(1) ينظر: شرح منتهى الإرادات المسمى دقائق أولي النهي لشرح المنتهى: 1 / 309.

(2) ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه: 7 / 78.

ردوا عليهم: أن الاستدلال هنا يتطرق إليه الاحتمال وهو الفعل أو عدمه، وإغفال ذكر الشيء إما لأنه لم يحصل، أو أنه أمر معروف وقت الحادثة فلم يذكر لعدم المناسبة لذكره؛ لأن مناسبة القول أصلاً لم يكن عن الجمع بين الجمعة والعصر بالذات، والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط الاستدلال به⁽¹⁾.

الدليل الرابع: أن الجمع الوارد عن النبي ﷺ في المدينة كان سبعاً وثمانياً.

- قال منصور البهوي الحنبلي: "ولا تجمع جمعة إلى عصر ولا غيرها؛ لعدم وروده"⁽²⁾.

رد عليهم: بأن الجمع منقول في غير يوم الجمعة، ولذا كان جمع النبي ﷺ سبعاً وثمانياً كما ورد في حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: "صلى بنا رسول الله ﷺ بالمدينة ثمانياً وسبعاً: الظهر والعصر والمغرب والعشاء"⁽³⁾.

وهو دليل قوي على عدم حصول الجمع بين الجمعة والعصر.

وذلك لعدم ورود الدليل على ذلك، والأصل في العبادات أن لا منع إلا بدليل⁽⁴⁾، وأنه لا قياس في العبادات، فلا تقاس الجمعة على الظهر.

(1) ينظر: رد المحتار: 6 / 339

(2) ينظر: شرح منتهى الإرادات: 1 / 309

(3) رواه البخاري ومسلم في صحيحهما ولفظه: "صلى بالمدينة سبعاً وثمانياً الظهر ...". ينظر: صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب تأخير الظهر إلى العصر: 1 / 95؛ صحيح مسلم، كتاب المسافرين، باب الجمع بين الصلاتين في الحضر: 1 / 491

(4) ينظر: مطالب أولى النهى في شرح غاية المنتهي: 1 / 755

المبحث الرابع: الترجيح.

بعد تقسيي المسألة من جهاتها يظهر للباحث أن كلا القولين فيما من القوة، ولكن أقربهما للصواب القول الأول - جواز جمع الجمعة مع العصر - لرجحان أداته عندي؛ لأن الأصل جواز الجمع بين كل صلاتين مشتركتنا الوقت إلا أن يمنع دليل شرعي من ذلك، وال الجمعة وقتها يبدأ من زوال الشمس مثل الظهر كما هو مذهب الجمهور، فما المانع الشرعي من الجمع بينها وبين العصر للمسافر أو غيره إذا احتج إليه.

وليس بخاف على كل طالب علم أن الجمع بين صلاته الجمعة والعصر هو مذهب مالك والشافعي ورواية عند الحنابلة، أما أبو حنيفة فلا يقول أصلاً بالجمع إلا الجمع الصوري الذي في يوم عرفة فقط، كما سبق وهو محجوج بالنصوص الثابتة عن النبي ﷺ في جواز الجمع في السفر والمطر وغيرهما من الحالات.

الخلاصة:

يمكن تلخيص ما تبين لي في النقاط الآتية:

أولاً: أن وقت صلاة الجمعة هو وقت صلاة الظهر، ابتداءً وانتهاءً.

ثانياً: أن الجمع إذا كان جمع تقديم، فإن وقت الجمعة لم يتأثر، وإنما يتأثر وقت العصر.

ثالثاً: أن الصلاة جمعاً في المساجد أولى من الصلاة في البيوت مفرقة باتفاق الأئمة الذين يجوزون الجمع كمالك والشافعي وأحمد. كما قال ذلك شيخ الإسلام؛ بل عد الصلاة في البيوت وترك الجمع بدعة، حيث قال: "ترك الجمع مع الصلاة في البيوت بدعة مخالفة للسنة، إذ السنة أن تصلى الصلوات الخمس في المساجد جماعة، وذلك أولى من الصلاة في البيوت باتفاق المسلمين. والصلاة

جعماً في المساجد أولى من الصلاة في البيوت مفرقة باتفاق الأئمة الذين يجوزون الجمع: كمالك والشافعي وأحمد".

رابعاً: أن أكثر ما يمكن أن ترد عليه صورة جمع الجمعة والعصر هو في حال الحضر؛ سواء أكان لعذر المطر أو الوحل أو غيره من الأعذار لأن المسافر لا تلزم الجمعة ابتداء، ولا يكاد يدركها في سفره، ولعل ذلك هو السبب في أن الفقهاء يوردون بحث هذه المسألة تحت (باب صلاة الجمعة) ولا يوردونها عند الكلام حول صلاة المسافر أو في مسائل الجمع بين الصالاتين.

خامساً: أن المالكية وبعض الحنابلة يمنعون جمع الظهرين أصلاً في المطر، واطرد مذهبهم أن يمنعوا الجمع بين الجمعة والعصر ولذا ينبغي لمن يجوز الجمع بين الظهرين في المطر ألا يتأثر كثيراً بموقف المذهبين في ذلك.

سادساً: أن قياس صلاة على صلاة في رخصة وهي أولى من قياس رخصة على رخصة في صلاة واحدة، فليس أحدهما أولى من الآخر لأن موضع الخلاف والبحث هو الصلاة وهي أم العبادات.

سابعاً: لم يثبت عن النبي ﷺ في واقعة من الواقع أنه جمع في المطر في الصلوات الخمس، فاستدلال بعض العلماء بعدم ورود الجمع بين الجمعة والعصر غير مؤثر كثيراً؛ بل كل الأثر لأن القياس وقع هنا في العبادات وبالذات الصلاة.

ثامناً: ومع ذلك كل من قال بجواز جمع الجمعة مع العصر قالوا بأن ترك الجمع أفضل خروجاً من الخلاف؛ فالأفضل أن تصلى كل صلاة في وقتها للخروج من الخلاف. قال الغزالى في البسيط: (لا خلاف أنَّ ترك الجمع أفضل)⁽¹⁾، وقال المرداوى: يؤخذ من قول المصنف "ويجوز الجمع" أنه ليس بمستحب وهو كذلك بل تركه أفضل على الصحيح من المذهب وعليه أكثر الأصحاب⁽²⁾.

(1) ينظر: روضة الطالبين: 1/505.

(2) ينظر: الإنصاف: 2/334.

المصادر والمراجع:

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ، 1995م.
ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد، بداية المجتهد ونهاية المقتضى، دار الحديث، القاهرة، 1425هـ - 2004م.

ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 1.
الأصحابي، مالك بن أنس، المدونة، دار الكتب العلمية، ط 1، 1415هـ، 1994م.
الأنصاري، زكريا بن محمد بن زكريا، أسفى المطالب في شرح روض الطالب، دار الكتاب الإسلامي.
بالقرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس، الذخيرة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1994م.
البجيري، سليمان بن محمد بن عمر، تحفة الحبيب على شرح الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1417هـ - 1996م.

البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري المسمى بالجامع الصحيح المختصر، تحقيق وتعليق : د. مصطفى ديوب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط 2 ، 1407 ، 1987 م.

البهوي، منصور بن يونس بن إدريس، شرح متنهى الإرادات شرح متنهى الإرادات المسمى دقائق أولى النهى لشرح المتنهى، عالم الكتب، بيروت، 1996.

البهوي، منصور بن يونس بن إدريس، كشاف القناع عن متن الإقناع، تحقيق: هلال مصيلحي، مصطفى هلال، دار الفكر، بيروت، 1402هـ.

الترمذى، محمد بن عيسى، سنن الترمذى، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج 1، 2) و محمد فؤاد عبد الباقى (ج 3) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج 4، 5)، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر، ط 2، 1395هـ، 1975م.

التنوخي، إبراهيم بن عبد الصمد بن بشير، التنبيه على مبادئ التوجيه، تحقيق: محمد بلالحسان، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط 1.

الشعلي البغدادي، عبد الوهاب بن علي، التلقين في الفقه المالكي، تحقيق: أبي أوس محمد بو خبزة الحسني التطوانى، دار الكتب العلمية، ط 1، 1425هـ-2004م.

الخضي، عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد، شرح مختصر الخرقى شرح مختصر الخرقى الرازى، محمد بن عمر بن الحسن، الحصول، دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلوانى، مؤسسة الرسالة، ط3، 1418 هـ ، 1997 م.

الزرകشى، بدر الدين محمد بن بهادر، البحر المحيط في أصول الفقه، تحقيق ضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: د. محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، 1421 هـ - 2000 م.

السيناوى المالكى ، حسن بن عمر بن عبد الله، الأصل الجامع لإيضاح الدرر المنظومة في سلك جمع الجماع ، مطبعة النهضة، تونس، ط1، 1928 م.

الشوکانى، محمد بن علي، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول تحقيق: الشيخ أحمد عزو عنابة، دمشق - كفر بطنا، قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور، دار الكتاب العربي، ط1، 1419 هـ - 1999 م.

الشوکانى، محمد بن علي، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط1، 1414 هـ.

الصناعى، عبد الرزاق بن همام، المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمى، المجلس العلمي - الهند، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1403 هـ

العثيمين، محمد بن صالح اللقاء الشهري، موقع الشبكة الإسلامية، قام بتنسيقها وفهرسته: أسرة أبي أبى أيوب السليمان.

عليش، محمد، منح الجليل شرح على مختصر سيد خليل، دار الفكر، بيروت، 1409 هـ، 1989 م.
العينى، محمود بن أحمد بن موسى، البنية شرح الهداية، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1420 هـ - 2000 م.

العينى، محمود بن أحمد بن موسى، عمدة القاري شرح صحيح البخارى، دار إحياء التراث العربى، بيروت.

القرزيونى، عبد الكريم بن محمد الرافعى، فتح العزير شرح كتاب الوجيز في الفقه الشافعى لأبى حامد الغزالى، دار الفكر.

القشيري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن النيسابوري، صحيح مسلم المسمى بالمسند الصحيح، تحقيق:
محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.

الكاشاني، أبو بكر بن مسعود بن أحمد، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية، ط2،
1406هـ - 1986م.

المداوي، علي بن سليمان أبو الحسن، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام
أحمد بن حنبل، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار إحياء التراث العربي.

مصطفى، إبراهيم، آخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.
الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويتية، ط2، دار
السلاسل، الكويت.

النووي، يحيى بن شرف، المجموع شرح المذهب، دار الفكر.

النووي، يحيى بن شرف، روضة الطالبين وعمدة المفتين، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي،
بيروت، دمشق- عمان، ط3، 1412هـ ، 1991م.

الرجز في القرآن الكريم دراسة موضوعية

علي عبد الله محمد الحيد*

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى بيان الرجز في القرآن الكريم، وقد قُسِّمَ إلى مقدمة وأربعة مباحث وختامة، اشتمل المبحث الأول على تعريف الرجز، وبيان مدلولاته في الاستعمال القرآني، وبيان الألفاظ ذات الصلة بلفظ الرجز في القرآن الكريم، وتناول المبحث الثاني أهم أسباب حلول الرجز على الأمم السابقة، واشتمل المبحث الثالث على بيان أنواع الرجز في القرآن الكريم، وفي المبحث الرابع يُقدّم البحث طرفةً تقي المجتمعات من الواقع في موجبات الرجز، من خلال بحث هذه المفردة القرآنية في ضوء منهج التفسير الموضوعي، باستخدام المنهج الوصفي القائم على الاستقراء والتحليل والاستنباط، واشتملت الخاتمة على مجموعة من النتائج أبرزها: توصل الباحث إلى أن الاستعمال القرآني للرجز على ثلاثة معانٍ، معنى حقيقي، وآخرين مجاز، وأن أشد أنواع الرجز في الدنيا هو الذي حل بقوم لوط - عليه السلام -، كما بين البحث بأن هناك أسباباً تستدعي حلول الرجز، وهي متفاوتة بتفاوت الذنب.

الكلمات المفتاحية: الرجز، المدلول، الاستعمال القرآني، أنواع الرجز.

Al- Reijz in the Holy Quran

Thematic studying

Ali Abdullah muhammed Alhaid

Abstract:

This research intends to explain the Reijz (severe Punishment) in Holy Quran. It has been divided into four parts and a conclusion. The first part discusses the definition of Rejiz and what it means in Quranic language usage and explaining

* باحث بقسم القرآن الكريم وعلومه - كلية التربية بالحویت - جامعة صنعاء.

Rejiz related words in Holy Quran. The second part investigates the reasons of Rejz(the severe Punishment) on the old nations. The third part illustrates the Rejiz types in Quran and then the fourth part which offers guidelines through which communities could be protected from being (Rejiz)punishment deserving by means off analyzing this Quranic Word (Rejiz) based on the objective interpretation approach, using elicitation and analysis based descriptive style. Finally, the conclusion contains some of various results; researcher reached the idea that the Quranic language Usage has been on three definitions: one is realistic and two figurative. and The worst kind of punishment in this worldly life which was descended on lot nation. The research also shows that there should be causes for the Rejiz (punishments and these causes are on level variety as the sin is.

Keywords: The Rejiz, the meaning, Quranic Usage, Rejiz (punishment) types.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، أنقذنا الله به من السخط والعقاب الأليم، ولو لاه حل علينا الرجز العقيم، وأشهد أن لا إله إلا الله العظيم الحليم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى الدين القوم، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإن من أشرف العلوم، وأولاها بالاستحقاق علم التفسير؛ لتعلقه بأشرف كتاب، وأحسن خطاب، فهو يوضح كلام الباري - سبحانه وتعالى - ويقربه إلى الناس، هذا، وقد تعددت مناهج التفسير وطرقه، ومن المناهج التي ظهر نفعها في عصرنا الحاضر في مجال الدراسات القرآنية: منهج التفسير الموضوعي القائم على بحث مفردةٍ قرآنية، أو مقطعٍ قرآني معين، أو سورة ذات وحدة موضوعية، وفي هذا البحث يتناول الباحث لفظة قرآنية، وهي لفظة "الرجز" بجمعِ مادتها، ودراسة دلالاتها، وبيان منطوقها، وفحواها، وتسطير فوائدها، من خلال آيات الكتاب العزيز؛ ليستلهم القارئ الفوائد وال عبر،

ويقف على بعض أحوال من غير في عرض موضوعي قرآنٍ يجمع شتات المادة، ويعلم جوانبها المترفة- إن شاء الله.

أهمية البحث:

تكمّن أهمية البحث في كونه يقدم بحثاً موسوعياً قرآنٍ لم يدرس من قبل؛ ليكون إضافة جديدة إلى المكتبة القرآنية، يفيد منها طلاب العلم الشرعي، ويُعرِّف القارئ بمعنى الرجز، وأنواعه، ودلالاته هذه الكلمة.

سبب اختيار البحث:

الوقوف على مكونات هذا الموضوع من جهة، وتقديم إضافة جديدة للمكتبة القرآنية يستفيد منها الباحثون في الدراسات القرآنية والاجتماعية من جهة أخرى.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الآتي:

- 1 - تعريف الرجز، وبيان معانيه في القرآن الكريم، ومعرفة مرادفاته أو الألفاظ ذات الصلة بلفظ الرجز القرآن الكريم.
- 2 - التعرف على أنواع الرجز المذكورة في آيات الذكر الحكيم.
- 3 - الوقوف على أسباب حلول الرجز (العذاب) على الأمم السابقة.
- 4 - معرفة العوامل والطرق التي تقي المسلم من الوقوع في ذلك.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث في الشبكة العنكبوتية لم أجده بحثاً يتناول هذا الموضوع حسب اطلاعي، نعم وجدت بحثاً بعنوان (صيغة فعل في القرآن الكريم) للدكتورة / أحلام ماهر محمد حميد، وهو يتناول بحث الرجز والرجس بحثاً دلائلاً صرفيًا في ثنايا بحثه، وهو مختلف تماماً عن بحثي؛ لكونه بحثاً لغوياً، وهذا

بحث تفسيري موضوعي، وهناك مقالات مبئوثة في الشبكة العنكبوتية لا تتجاوز ثلاث صفحات في الحديث عن هذا الموضوع.

منهج البحث:

اعتمد الباحث على المنهج الوصفي القائم على الاستقراء والتحليل والاستنباط، والتتابع لهذه اللفظة من خلال تجميع متفرقات المادة في القرآن الكريم.

خطة البحث:

اقتضت خطة البحث أن يشتمل على مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع.

اشتملت المقدمة على أهمية البحث، وسبب اختياره، وأهدافه والدراسات السابقة ومنهج البحث، وخطة تقسيمه، وذلك على النحو الآتي:

المبحث الأول: تعريف الرجز، ودلالته في الاستعمال القرآني، والألفاظ ذات الصلة في القرآن الكريم، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى الرجز لغةً، واصطلاحاً.

المطلب الثاني: مدلولات كلمة الرجز في الاستعمال القرآني.

المطلب الثالث: الألفاظ ذات الصلة بلفظ الرجز في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: أسباب حلول الرجز.

المبحث الثالث: أنواع الرجز المذكورة في القرآن الكريم، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الرجز المقصود به العذاب، وله فروع.

المطلب الثاني: الرجز المراد به الوسوسه.

المطلب الثالث: الرجز المراد به الأصنام.

المبحث الرابع: طرق الوقاية من المموج في الرجز.

الخاتمة: وسأضمّنها نتائج البحث، وتوصياته.

فهرس المصادر والمراجع.

المبحث الأول: تعريف الرجز، ودلالته، والألفاظ ذات الصلة في القرآن الكريم

و فيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الرجز لغةً، واصطلاحًا

الرجز في اللغة:

قال ابن فارس -رحمه الله-: «الراء والجيم والزاء أصل يدل على اضطراب، من ذلك: الرجز داء يصيب الإبل في أعجائزها، فإذا ثارت الناقة ارتعشت فخذتها.

فأما الرجز الذي هو العذاب، والذي هو الصنم في قوله - جل ثناؤه -: ﴿وَالْرُّجْرَفَاهْجُر﴾ [سورة المدثر، الآية: 5]، فذاك من باب الإبدال؛ لأن أصله السين» (1).

وذكر الراغب الأصفهاني - رحمه الله - نحوًا من كلام ابن فارس - رحمه الله - ثم قال: «وقوله: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مِّنْ رِّجْزٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة سباء، الآية: 5]، فالرجز هنا: الزلزلة، وقال: ﴿إِنَّا مُنْزَلُونَ عَلَىٰ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنِ السَّمَاءِ﴾ [سورة العنكبوت، الآية: 34].

(1) معجم مقاييس اللغة: 2 / 489

وقوله: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُر﴾ [سورة المدثر، الآية: ٥]، قيل: هو صنم، وقيل: هو كنایة عن الذنب، فسماه بـ«الرجال»^(١).

والرجز: القدر، مثل الرجس، وقرئ: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُر﴾ [سورة المدثر، الآية: ٥] بكسر الراء وضمها، عبادة الأوثان. وقيل: هو الشرك: ما كان تأويله أن من عبد غير الله تعالى فهو على ريب من أمره، واضطراب من اعتقاده، وقال مجاهد: هو الصنم. وقيل: هو العمل الذي يؤدي إلى العذاب، وأما قوله تعالى: ﴿رِجَزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٥٩]، فهو العذاب المقلقل؛ لشدة وله قلقلة شديدة متتابعة، وأصل الرجز في اللغة: الاضطراب وتتابع الحركات^(٢).

مما سبق يتبيّن للباحث أن معنى الرجز بالكسر والضم يدور على المعاني الآتية:

- ١- الاضطراب وتتابع الحركات، وهذا أصل الاستعمال في الوضع اللغوي.
- ٢- القدرة.
- ٣- العذاب.
- ٤- الصنم.
- ٥- عبادة الأوثان المؤدية إلى العذاب.

وهذه المعاني فيما يظهر للباحث متفرعة عن المعنى الأول؛ لأن القدرة ناتجة عن اضطراب في السلوك الإنساني، وخروج عن الفطرة السوية، والعذاب ناتج عن عدة احتمالات من التغيير؛ جراء اضطراب الإنسان في دينه، وتخلّفه عن القيام بواجبه الشرعي، أو ارتكاب ما نهى الله عنه، وأما تفسيره بالصنم أو عبادة الأوثان، فهي أسباب للعذاب، فسميت به من باب تسمية المسبب بالسبب، كما سيأتي في المطلب الآتي.

(١) مفردات ألفاظ القرآن: 342-341.

(٢) ينظر: مختار الصحاح: 131؛ لسان العرب: 146/5؛ تاج العروس من جواهر القاموس: 15/148-149.

الرجز في الاصطلاح: قال ابن عباس - رضي الله عنهما - وتبعه جمع من المفسرين⁽¹⁾: «كل شيء في كتاب الله من الرجز يعني به العذاب»⁽²⁾.

قلت: هذا التفسير إن كان بالنظر إلى أصل المادة في المدلول اللغوي فليس ب صحيح؛ لأن الرجز المذكور في القرآن على أنواع كما سيأتي - إن شاء الله -، وإن كان إطلاق ابن عباس - رضي الله عنهما - ومن تبعه لهذه القاعدة الكلية تفسيراً للمادة بلازمهما، فالقاعدة صحيحة من هذه الحقيقة، وهذا كثير في تفسير السلف - رحمهم الله .

المطلب الثاني: مدلولات كلمة الرجز في الاستعمال القرآني

ورد لفظ (الرجز) في القرآن الكريم في مواضع متعددة ذات سياقات مختلفة؛ فتارة يرد في الحديث عن نبأ قوم لوط، وأخرى في قصة بني إسرائيل، وبين تمردتهم وعنادهم، وما حل بهم؛ جراء ذلك، ومرة في الحديث عن الغطرسة الفرعونية، وأخرى في النهي عن عبادة الأوثان، ومنها ما سطره القرآن عن المؤمنين في غزوة بدر، وما كاده الشيطان؛ لإحرازهم وإضعاف معنوياً لهم، وثقتهم بربهم، ومن هنا فإن دلالة هذه اللفظة ستتغير بتغير السياق الذي ترد فيه، ومن ثم س يتغير المعنى الذي تفيده هذه اللفظة، وقد تكرر ذكر مفردة (الرجز) معرفة ومنكراً عشر مرات في القرآن الكريم، في سبع سور هي: البقرة، والأعراف، والأنفال، والعنكبوت، والجاثية، والمدثر⁽³⁾.

فالالأصل في (الرجز) في الاستعمال القرآني: العذاب - كما مر - «لكن يقال لما يوجب العذاب رجز على سبيل التجوز بطريق السبب، وذكر بعض المفسرين أن الرجز في القرآن على ثلاثة أوجه:

(1) منهم: مجاهد والسدي وابن زيد والحسن وقتادة وأبي مالك، ينظر: تفسير ابن أبي حاتم (تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - والصحابة والتابعين): 1597/5.

(2) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: 1597/5؛ جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 1/730.

(3) المعجم المفهرس لأنفاظ القرآن الكريم بخاتمة المصحف الشريف: 381 - 382.

أحدها: العذاب، ومنه قوله تعالى: ﴿لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا أَرْجَزَ لَنُؤْمِنَ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: 134].

ثانيها: الصنم، قال تعالى: ﴿وَالرُّجَزَ فَاهْجُرُ﴾ [سورة المدثر، الآية: 5].

والثالث: كيد الشيطان ووساوشه وخطايته، قال جل وعلا: ﴿إِذْ يُغَيِّشُكُمُ الْعَاسَ أَمْنَةَ مِنْهُ وَيَنْزِلُ عَلَيْكُم مِنَ السَّمَاءِ مَا لَيْطَهِرُكُمْ بِهِ وَيَنْهَا عَنْكُمْ رِجَزُ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثْبِتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [سورة الأنفال، الآية: 11] «(1)».

وللمعني الأول في الاستعمال القرآني لهذه المفردة أنواع؛ فإن العذاب الذي حل بالأقوام الذين ذكر الله أنه أنزل عليهم الرجز لم يكن ذات نوع واحد، وإنما هو متعدد مختلف كما سيتناوله البحث الثالث- إن شاء الله.

والنظر إلى السياق القرآني يجعله قد فسر بعض أنواع الرجز في موضع آخر من الكتاب العزيز، وأورد بعضاً آخر بمفردة أخرى من قبيل المشترك اللغظي؛ لذا سيشير البحث إلى الألفاظ ذات الصلة بالموضوع.

المطلب الثالث: الألفاظ ذات الصلة بلفظ الرجز في القرآن الكريم

استعمل القرآن الكريم ألفاظاً مختلفة للتعبير عن الحادثة الواحدة؛ لتدل على أسرار أو دعها الله - عز وجل - في كتابه الحكيم، وعند استعراض الباحث لهذا الموضوع وجدت ألفاظ ذات صلة بالموضوع محل البحث، وهي:

(1) ينظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: 313-314؛ وكلمات قرآنية بمعان مختلفة: 359

أ- العذاب:

العذاب: في اللغة: الضرب، ثم استعير ذلك في كل شدة(1).

وفي المعنى الاصطلاحي: قال الأصفهاني – رحمه الله-: «العذاب هو: الإيذاع الشديد، وقد عذبه تعذيباً أكثر حبسه في العذاب، قال: ﴿لَا عَذَبَتَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [سورة النمل، الآية: 21] (2). وقال ابن الجوزي – رحمه الله-: «العذاب: اسم لما استمر ألمه» (3).

وقد ورد «العذاب» في القرآن على عشرة أوجه: الحد، والمسخ، وهلاك المال، والغرق، والقذف والخسف، والجوع، والقتل، والضرب والألم، وتنف الريش، وتعب الخدمة» (4).

الصلة بين الرجز والعذاب: سبق في المعنى اللغوي والاصطلاحي أن معنى الرجز في الاستعمال القرآني: العذاب غالباً، بل إن القرآن الكريم قد ناوب بين الكلمتين في بعض الموضع منها: ذكر - سبحانه وتعالى - العذاب الذي حل بفرعون وقومه في سورة الزخرف فاستعمل لفظ (العذاب)، ولم يستعمل لفظ (الرجز) الذي استخدمه في القصة ذاتها في سورة الأعراف، قال تعالى: ﴿وَقَاتُلُوا يَتَائِيَهُ السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَاهَدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴾٦٩﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴾ [سورة الزخرف، الآية: 49 - 50]. قال الشنقيطي – رحمه الله-: «والرجز المذكور في الأعراف هو بعينه في آية الزخرف» (5).

لكن ليس هناك في الكتاب العزيز ألفاظ مكررة على الراجح من أقوال أهل العلم؛ فإن لكل لفظ سراً بيانياً مختلف به عن غيره مما يقارب معناه؛ فلفظ الرجز معنى زائداً على معنى لفظ العذاب، قال

(1) معجم مقاييس اللغة: 260/4.

(2) مفردات ألفاظ القرآن : 554 - 555.

(3) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: 448.

(4) ينظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: 448 - 451.

(5) أصوات البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: 7/166.

الرازي - رحمه الله -: «والرجز أشد العذاب بدلالة قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاء﴾ (١).

ويرى الباحث أن العذاب - إضافة إلى ذلك - أعم من الرجز؛ لأنّه ينزل بالأفراد والجماعات، وأما الرجز في الاستعمال القرآني فلم يرد إلا في العقوبات التي تحل بالجماعات والشعوب.

ب- الرجز:

الرجس: في اللغة: الرجس بالكسر: القدر والائم وكل ما استقدر من العمل، والعمل المؤدي إلى العذاب والشك والعقاب والغضب(٢).

وفي المعنى الاصطلاحي: الرجس في الاستعمال القرآني «يكون على أربعة أوجه: إما من حيث الطبع، وإما من جهة العقل، وإما من جهة الشعاع كالخمر والميسر ...، وإما من كل ذلك كالميّة ... وقيل رجس ورجز للصوت الشديد»(٣).

وقال ابن الأمير الصناعي - رحمه الله -: «والرجز والرجس واحد في معنى العذاب، والرجس أيضًا: القدر والنتن، وقوله -عز وجل-: ﴿فَرَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِم﴾ [سورة التوبة، الآية: 125]؛ أي: نتنًا إلى نتنهم؛ أي: كفراً إلى كفراهم، والنتن كناية عن الكفر، وعلى المعنى الآخر: فزادتم عذاباً إلى عذابهم، وقيل: الرجس: الخذلان، ومنع اللطف»(٤).

(١) التفسير الكبير: 262/27

(٢) القاموس المحيط: 493

(٣) مفردات ألفاظ القرآن: 342؛ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: 37/3 - 38.

(٤) تفسير غريب القرآن: 176

الصلة بين الرجز والرجس: الاتصال بين اللفظين ظاهر فالصلة عند بعض العلماء - كابن فارس - صرفية، وبعض العلماء يرى أنها لفظان مترادافان، وقد استخدم القرآن الكريم اللفظين في التغفير عن عبادة الأصنام، قال تعالى: ﴿وَالْرِّجْزُ فَاهْجُرُ﴾ [سورة المدثر: 5]، وقال - جل وعلا -: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَرُّ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَرْلَمُ رِجْسٌ مَّنْ عَمَلَ الشَّيْطَنَ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة المائدة: 90]، وقال - عز شأنه -: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [سورة الحج: 30].

والقول بالترادف في القرآن العزيز محل نزاع ليس هذا محله.

ج- الأخذ:

الأخذ في اللغة: خلاف العطاء، وهو: التناول⁽¹⁾.

وفي الاصطلاح: حوز الشيء وتحصيله، وذلك تارة بالتناول نحو: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ تَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَعْنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا لَظَلَمْوْنَا﴾ [سورة يوسف، الآية: 79].

وتارة بالقهقر، نحو: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَلِيمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [سورة هود، الآية: 102]⁽²⁾، والمراد هنا: المعنى الثاني.

الصلة بين الأخذ والرجز: من أنواع الأخذ المذكورة في الاستعمال القرآني ما أنسد إلى الباري - عز وجل -، وهذا المعنى فيه التهديد والوعيد والإخبار بما حل بالأمم الغابرة من المثلاط، وبهذا يكون قد اشترك مع الرجز في كون كل منهما فيه عقوبة ووبال، لكن الرجز أشد عذاباً وأعظم نكاولاً فيما يظهر للباحث.

(1) تهذيب اللغة: 524/7.

(2) مفردات ألفاظ القرآن: 67.

د- النكال:

النكال في اللغة: اسم مصدر، يقال: «نكل به تنكيلًا»؛ أي: جعله نكالاً وعبرة لغيره⁽¹⁾.

وفي الاصطلاح: العقوبة والتنكيل، قوله - عز وجل - ﴿فَأَخْذَهُ اللَّهُ نَكَالًا لِّآخِرَةٍ وَّأَوَّلَى﴾^(٢)

[سورة النازعات، الآية: 25]؛ أي: أغرقه في الدنيا، ويعذبه في الآخرة⁽²⁾.

الصلة بين النكال والرجز: يلاحظ في كلا اللفظين معنى العذاب، ومن هنا جاءت الصلة في

المعنى؛ حيث استعمل القرآن كلا اللفظين للعقوبة، والتأديب لمن خرج عن أوامر الله ورسله.

هـ- البطش:

البطش في اللغة: «الباء والطاء والشين أصل واحد، وهو: أخذ الشيء بغلبة وقهر وقوة⁽³⁾

وفي الاصطلاح: «الأخذ بقوة»⁽⁴⁾.

أو هي: «تناول الشيء بصولة»، قال تعالى: ﴿إِنَّ بَطَشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [سورة البروج، الآية:

(5)[12]

قلت: ومن خلال ذلك يلاحظ أن المفسرين اكتفوا بالمعنى اللغوي، لكن يمكن القول في تعريفه: هو أخذ الله تعالى للأقوام المخالفات لتعاليمه المضادة لرسله بالقهر والتعذيب؛ نتيجة خروجهم عن طاعته.

الصلة بين البطش والرجز: البطش عذاب يجل بالأمم الكافرة، والأقوام الفاجرة، وهو نوع من

(1) مختار الصحاح: 348

(2) تفسير غريب القرآن: 298

(3) معجم مقاييس اللغة: 1/262

(4) البحر الخيط: 21/300

(5) مفردات ألفاظ القرآن: 129

أنواع الرجز، والله أعلم.

المبحث الثاني: أسباب حلول الرجز

عذب الله الأمم الغابرة حين جاءتهم الرسل، وعرضت عليهم دعوة الله، وحدروهم عقابه وسخطه وحلول بأسه من عاند رسله، وأقيمت عليهم الحجة، وبانت المحجة، ودق ناقوس الخطر مؤذنًا بزوال الظالمين؛ نتيجة أسباب ارتکبواها بينها الله في كتابه، ومن أهمها:

1 - تكذيب الرسل فيما جاءوا به، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرْآنَ إِمْتَنُوا وَاتَّقُوا لَفَتَحَنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوهُ فَأَخْدَدْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: 96]، قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كَذَّبُوا﴾؛ أي: ولكن كذبوا بالله ورسله، فهذا سبب وخيم استدعي نتيجة مؤلمة كانت: ﴿فَأَخْدَدْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ يعني: فجعلنا لهم العقوبات بحسبهم الخبيث، وعملهم الرديء؛ وذلك لكرههم بالله وآياته(1).

وبين - سبحانه وتعالى - أن التكذيب دمار الأمم وهلاكها، وعلة طمسها وبوارها، قائلاً: ﴿كَذَّبُتَ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ نُوحٌ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ ۖ ۱۲ وَثَمُودٌ وَقَوْمٌ لُوطٌ وَاصْحَابُ كَيْكَةٍ أُولَئِكَ الْأَحَرَازُ ۖ ۱۳ إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابٌ ۖ ۱۴﴾ [سورة ص، الآية: 12-14]، فقد ذكر الله في هذه الآيات سبباً بارزاً استوجب الأمم الكافرة به العذاب وكرر ذكره «وفي تكرير التكذيب وإياضه بعد إيهامه، والتنبيه في تكريره ... أنواع من المبالغة المسجلة عليهم؛ باستحقاق أشد العقاب وأبلغه، ثم قال: {فَحَقَّ عِقَابٌ}؛ أي: فوجب لذلك أن أعقابهم حق عقابهم»(2).

(1) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 10 / 333.

(2) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقوال: 5 / 247.

2- الكفر بالله وبما جاءت به أنبياؤه ورسله، قال - عز شأنه: ﴿كَدَأْبُ إِلَّا فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِمَا أَنْتَ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُذْنُوبُهُمْ إِنَّ اللَّهَ فَيُؤْمِنُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [سورة الأنفال، الآية: 52]. ومن هذا المنطلق حذر الله عباده عن أن يقعوا في هذا السبب الذي يجر مرتكبيه إلى ما لا تتحتمله نفوسهم، ولا تقوى عليه أجسادهم، قال تعالى: ﴿هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا أَنْتَ رَبُّهُمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [سورة الجاثية، الآية: 11]؛ أي: «والذين جحدوا ما في القرآن من الآيات الدلالات على الحق، ولم يصدقوها، ويعملوا بها لهم عذاب يوم القيمة من عذاب موجع»(1).

3- الاستكبار: هذا معلم من معلم إبليس، وإرث قبيح من تركته التي ورثها لأوليائه وأتباعه، فمن أخذ منها أخذ بقسط إبليسي واخر، يستحق العقاب الأليم والجزاء الوخيم، فها هي أقوام بائدة ركبت موجته فباءت بالخسارة، ولقد سطر القرآن لنا خبرهم، وأوجز أمرهم مبيناً ما نالوه لهذا السبب فليتهم ما فعلوه، قال الله - عز وجل -: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَرَّعُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: 94]، «بالأسوء: بالبؤس والفتور، والضراء: الضر والمرض؛ لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه؛ ليتضروا ويتذللو، ويحطوا أردية الكبر والعزة»(2).

4- الفسق وهو: «الخروج عن طاعة الله - عز وجل - فقد يقع على من خرج بكفر، وعلى من خرج بعصيان»(3) .

ولقد علل الله - سبحانه - حلول الرجز على بني إسرائيل بالفسق الذي اقترفوه، قال تعالى:

﴿فَبَدَلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْتَ عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية: 59]؛ أي: «بما كانوا يتذمرون طاعة الله فيخرجون عنها إلى معصيته،

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 78/21

(2) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب حاشية الطبي على الكشاف: 6/483.

(3) الجامع في أحكام القرآن: 1/369.

وخلال أمره»⁽¹⁾.

وهذه المعصية التي جعلتهم موصوفين بالفسق هو: ما جاء في الآية ذاتها من تبديل أوامر الله تعالى، ومخالفتهم قولًا وفعلاً أوامر نبيهم، فسر ذلك الحديث الشريف، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب فدخلوا يزحفون على أستاهم، فبدلوا، وقالوا: حبة في شرة»⁽²⁾.

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: «إنهم قالوا: هطى سقانا أربه هربنا، وهو بالعربية: حبة حنطة مثقوبة فيها شرة سوداء، فذلك قوله: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلَنَا عَلَيْهِمْ ظَلَمًا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ [سورة البقرة: 59]»⁽³⁾.

وهذا الأثر وإن كان فيما يظهر من الإسرائييليات، لكنه موافق لما في الحديث السابق الثابت عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، وفيه زيادة بيان، وما كان موافقًا لشرعنا فإنه لا بأس من الاستئناس به - إن شاء الله -، وأيضاً قد روی عن جماعة من مفسري التابعين.

قال ابن كثير - رحمه الله -: «وحاصل ما ذكره المفسرون، وما دل عليه السياق من الحديث أئمـةـ بـدـلـواـ أـمـرـ اللـهـ بـالـقـوـلـ وـالـفـعـلـ؛ فـأـمـرـواـ أـنـ يـدـخـلـواـ الـبـابـ سـجـدـاـ فـدـخـلـواـ يـزـحـفـونـ عـلـىـ أـسـتـاهـمـهـ رـافـعـيـ رـؤـوسـهـمـ، وـأـمـرـواـ أـنـ يـقـولـواـ حـطـةـ؛ أـيـ: اـحـطـطـ عـنـاـ ذـنـوبـنـاـ فـاستـهـزـءـوـاـ، فـقـالـواـ: حـنـطـةـ فـيـ شـرـةـ، وـهـذـاـ فـيـ غـاـيـةـ مـاـ يـكـوـنـ مـنـ الـمـخـالـفـةـ، وـالـمـعـانـدـةـ؛ وـهـذـاـ أـنـزـلـ اللـهـ بـهـ بـأـسـهـ وـعـذـابـهـ بـفـسـقـهـمـ»⁽⁴⁾.

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 732/1.

(2) أخرجه البخاري، ينظر: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب: {وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغْدًا وَادْخُلُوا ...} [سورة البقرة، الآية: 58] : 538، برقم: (4479)، وأخرجه مسلم، ينظر: صحيح مسلم، كتاب التفسير، باب: في تفسير آيات متفرقة: 1229، برقم: (3015).

(3) تفسير ابن أبي حاتم: 5/1596.

(4) تفسير القرآن العظيم: 1/277.

5- الظلم: سبب لزوال النعم، وحلول النقم فما ارتكبته أمة إلا أخذها العذاب قال الله تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رِبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقَرَىٰ وَهِيَ طَلَمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [سورة هود، الآية: 102]، وما وقع بنو إسرائيل في الظلم الذي كان باعثاً لهم على تبديل أوامر الله ورسوله موسى – عليه السلام – أنزل الله عليهم الرجز، قال – جل شأنه –: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي عُلِّقَ فِيهِمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [سورة البقرة، الآية: 59]، وكرر لفظ الظلم، ولم يأت بالضمير في هذا الموضع؛ «تنبيهاً على أن ظلمهم سبب في عقابهم»⁽¹⁾.

وقد جعل الله حلول الرجز على بنو إسرائيل سببين ففي آية الأعراف المكية ذكر علة عقابهم (بما كانوا يظلمون)، وفي سورة البقرة المدنية قال: (ما كانوا يفسقون)؛ «ففي سورة البقرة تعداد للنعم ... أما في سورة الأعراف فالمقام مقام تقييع وتأنيب؛ لأن الظلم أشد من الفسق ...؛ ولأن الفسق لا يلزم منه الظلم»⁽²⁾ وليس ذلك التغاير تنوعاً للعبارة، والله أعلم.

6- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: فما تركته أمة إلا فشت فيها المعاصي والمنكرات، وحلت بها أنواع البلایا، ولقد ذم الله بنی إسرائيل حين تركوا هذه الشعيرة العظيمة، قال تعالى:

﴿لَعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاؤَدَ وَعِيسَى أَبْنَ مَرِيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَمُوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [سورة المائدة الآية: 78-79].

7- إتيان الفاحشة: إن الأمم إذا خرجت عن الفطرة التي جبلها الله عليها أرخت للشهوة زمامها، وأطلقت لها عناها، فأنت كل قبيح، ومارست الرذيلة، وابتعدت عن الفضيلة، وقلبت الحقائق، وقارفت البوائق، فخرجت عن المعقول عندئذ تاذن حضارتها وحياتها بالأفول؛ لأنها قد أنت بما يوجب نكالها، ويؤذن بإبادتها، وإن أفحش جريمة أخلاقية على الإطلاق: (جريمة اللواط) التي ابتدأها قوم

(1) اللباب في علوم الكتاب: 2/102.

(2) التعبير القرآني: 324، 313، 322.

لوط، قال الله: ﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاجِحَةَ مَا سَبَقُكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: 80]، والمراد بالفاحشة هنا: «إتيان الذكران في قول جميع المفسرين»⁽¹⁾ وتمادوا في غيهم فكانت سبباً لعقوبتهم فقد كانوا «يستعلنون ذلك ولا يستترون فأرسل الله إليهم لوطاً فرجراهم وأنذرهم لكن القوم كانوا قد تأصلت فيهم هذه الفاحشة، واستولت عليهم الشهوة البهيمية، فلم يزدادوا إلا عناداً وإصراراً على فعلتهم الشنيعة، فكانوا بذلك يستنزلون عقاب الله، ويستعجلون عذاب الدنيا قبل الآخرة»⁽²⁾.

وقد نبتت في عصمنا نابتة خبيثة تدعو إلى اللوطية جهاراً متتجاوزة حدود العقل السليم، والخلق القويم؛ فأقامت لدعواها الجمعيات، وعقدت من أجلها الندوات والمؤتمرات، وسنت لها القوانين، فائقة قوم لوط في فعلتهم، وأطلقوا عليها اسم (الزواج المثلي) و(الجنس الثالث) فها هي أنظمة الغرب الذي يدعى الحضارة والتقدم تقع في سلسلة من الجرائم، وتتقدم نحو الرذيلة أكثر، بل لقد صار من ينادي بذلك في مجتمعاتنا المسلمة، فواعجبوا كيف تستقيم حياة مثل هذه! فتخشى على العالم مزيداً من رجز يحل به، وسخط يعم الدنيا، عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: أقبل علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: «يا معاشر المهاجرين، خمس إذا ابتنيتكم بجهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا...» الحديث⁽³⁾؛ وهذا ظهرت أوبتها، وانتشرت أمراض خطيرة لم تعهد لها البشرية قبل هذا.

وتجدر الإشارة إلى أنه ينبغي على الجهات المعنية بمكافحة الكوارث الطبيعية الاستفادة من دروس الأمم الماضية، لئلا تتكرر تلك الحوادث المهلكة، والعمل على الاستفادة من هدایات القرآن في مدافعة الكوارث العظيمة التي تنزل بالمجتمعات الخارجية عن طاعة الله، والأخذ بأيدي المجتمعات على

(1) التفسير البسيط: 218/9

(2) أسباب هلاك الأمم السالفة كما وردت في القرآن الكريم: 32

(3) أخرجه ابن ماجه، ينظر: سنن ابن ماجه، أبواب الفتن، باب العقوبات: 5/149-150، برقم: (4019).

عدم الوقع في أسباب الهالك، وعزوه تلك الكوارث إلى الأسباب التي حذر الله من الوقع فيها، وعدم مجازاة الجاهلية الغربية التي تنسب تلك الكوارث من زلازل وفيضانات ومسخ وقدف وقحط ومجاعات إلى تغيرات في الطبيعة أو غير ذلك، فينظرون إلى ذلك بنظرات مادية بعيدة عن تعاليم الدين الحق الذي أخبر أن تلك الكوارث نتيجة انحرافات البشر عن دين الله.

فقد أخبر ديننا عن حصول خسف في الأمة، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «العجب إن ناساً من أمتي يؤمنون بالبيت برجل من قريش، لقد جأ بالبيت حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم»، فقلنا: يا رسول الله، إن الطريق يجمع الناس. قال: «نعم، فيهم المستبصر والمحبور وابن السبيل، يهلكون مهلاً واحداً، ويصدرون مصادر شتى يبعثهم الله على نياتهم».⁽¹⁾

وأخبر النبي عن حصول مسخ، وقدف، وخفف، عن عمران بن حصين - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «في هذه الأمة خسف ومسخ وقدف فقال رجل من المسلمين: يا رسول، متى ذاك؟ قال: «إذا ظهرت القينات والمعاذف وشربت الخمور».⁽²⁾

وأخبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن حدوث زلازل في مستقبل أمنته، عن ابن عمر - رضي الله عنهما - حديث الفتنة، وفيه: قالوا: وفي نجدنا. قال: هناك الزلازل والفقن ...»⁽³⁾.

والناظر إلى تلك الكوارث نظرة إسلامية يجد أنها نتيجة أسباب خالفت الأمة فيها تعاليم الدين الحنيف فعوقبت بهذه العقوبات، كل ذلك مصدق لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالِ﴾ [سورة الرعد، الآية: ١١].

(1) أخرجه مسلم، ينظر: كتاب الفتن وأشرط الساعة، باب الخسف بالجيش الذي يوم البيت: 1180، برقم: (2884).

(2) أخرجه الترمذى، ينظر: سنن الترمذى، أبواب الفتن، باب ما جاء في علامه حلول المسخ والقفز: 4/275، برقم: (2359).

(3) أخرجه الترمذى، ينظر: سنن الترمذى، أبواب المناقب، باب [هكذا بدون ترجمة]: 6/435، برقم: (4297).

المبحث الثالث: أنواع الرجز المذكورة في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الرجز المقصود به العذاب

وسيكون ترتيب هذا المبحث تاريخياً بدءاً بالأقدم من الأقوام فالقديم حتى تتضح الصورة، وتكتمل الفائدة، أخذًا من الترتيب القرآني للقصص والأحداث التي جرت في الأمم الماضية، وقد اشتمل هذا المطلب على أربعة فروع:

الفرع الأول: الرجز (العذاب) الذي حل بقوم لوط:

لقد قص علينا القرآن نبأً قوم لوط مبيناً دعوته لقومه التي ارتكزت على تحذيره إياهم من فعلتهم القبيحة التي لم تسبقهم إليها أمة من الأمم، واصفًا إياها بالفاحشة، وهي: «الفعلة القبيحة المتناهية في القبح»⁽¹⁾ هذه الجريمة التي عبر عنها القرآن بعدة عبارات موجّهاً لهم، ومبيّناً كيف انتكست فطرتهم، وانحطت أخلاقهم حتى وقعوا في هذا المستنقع القبيح، قال تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الْذِكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الشعراء، الآية: 165] أين عقولكم؟ كيف يستسيغ أحدكم أن يأتي ذكرًا مثله؟!، وقال: ﴿أَيُّكُمْ لَتَأْتُونَ الْجَاهَلَ شَهَوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ إِلَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ بَجَهَلُوكُمْ﴾ [سورة النمل، الآية: 55]؛ أي: «كيف توصلتم إلى هذه الحال، صارت شهوتكم للرجال - وأدبارهم محل الغائط والنجو والخبث - وتركتم ما خلق الله لكم من النساء، من الحال الطيبة التي جبت النفوس على الميل إليها، وأنتم انقلب عليكم الأمر؛ فاستحسنتم القبيح واستقبّحتم الحسن»⁽²⁾.

وهكذا يستمر قوم لوط في غيهم، ولم يأخذوا بالتوجيهات الربانية؛ فيقطعون الطريق، ويغيّفون

(1) فتح القدير: 194/4.

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: 577

المارة، ويسعون في الأرض فساداً، ونبي الله لوط - عليه السلام - بين أظهرهم ينهاهم عن جرائمهم، قائلًا: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَر﴾ [العنكبوت: 29]؛ أي: «أنتم أيها القوم تأتون الرجال في أدبارهم، وتقطعون المسافرين بفعلكم الخبيث، وذلك أنتم كانوا يفعلون من مر عليهم من المسافرين الفاحشة» (1).

فلما أصرروا على كفرهم دعا لوط - عليه السلام - ربّه، فقال: ﴿رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة العنكبوت، الآية: 30]، فقرعت الدعوات أبواب السماء، وجاء النصر.

ولما أذن الله بأخذهم، واقترب زوالهم أمر ملائكته باستنصافهم، وحلت ساعة الصفر، فجاءت الملائكة إلى لوط - عليه السلام - في صورة أضيفاف من بني آدم في صور جميلة، وهبات حسنة فأقبل القوم مسرعين إلى دار لوط - عليه السلام - يريدون الفاحشة بأضيفافه: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهَرَّعُونَ إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ أَسْيَاطِهِ قَالَ يَقُولُونَ هَؤُلَاءِ بَنَاقِ هُنَّ أَظَاهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْرُجُونَ فِي ضَيْفِنِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [سورة هود، الآية: 78]، واشتد الأمر، وعظم الخطب على النبي الله، فقال: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ أَوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [سورة هود، الآية: 80] فأوحى الله إلى نبيه لوط - عليه السلام -: ﴿إِنَّمَا مُنْزَلُوكَ عَلَى أَهْلِهِنَّذِهِ الْقَرِيَّةِ بِحِزْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ إِيمَانًا كَانُوا يَفْسُدُونَ﴾ [سورة العنكبوت، الآية: 34].

ومن الملاحظ أن الرجل هنا مجمل فصلته آيات آخر، قال تعالى: {فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّنْ سِحْلٍ مَّنْضُودٍ} [سورة هود، الآية: 82]، حينئذ «أمر الله جمعاً من الملائكة بأن يخربوا تلك المدائن في وقت معين، فلما جاء ذلك الوقت أقدموا

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 18/388 بتصرف يسير.

على ذلك العمل»⁽¹⁾، وحل بهم الرجز، وعاينوا العذاب، وانتهت غطرستهم، وخررت الديار، وأحلوا أنفسهم دار البار.

فاستجابت الملائكة وببدأوا بالتنفيذ ﴿قَالُوا يَنْلُوطُ إِنَّ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُّ إِلَيْكَ﴾ [سورة هود، الآية: 81] «فافتتح الباب، ودعنا وإياهم، ففتح الباب، فدخلوا، فضرب جبريل – عليه السلام – بجناحه وجوههم، فطمس أعينهم، وأعمامهم فصاروا لا يعرفون الطريق، ولا يهتدون إلى بيوتهم، وذلك قوله تعالى: ﴿وَقَدْ رَوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ، فَطَمَسْتَ أَعْيُنَهُمْ فَنَذَوْقُوا عَذَابَنِنْدِر﴾ [سورة القمر، الآية: 37].⁽²⁾

وخرج لوط – عليه السلام – من القرية الظالمة مستجيئاً لأمر ربه: ﴿فَأَسْرِ بِإِهْلِكَ بِقِطْعَةِ مِنَ الْأَيَّلِ﴾ ﴿وَلَا يَلْنَفِتَ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَأَنَاكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابُهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبُحُ أَلِنَّ الصُّبُحُ يَقْرِبِ﴾ [سورة هود، الآية: 81].

وبدأت أنواع الرجز تحل بساحتهم آخذة التدرج المرحلي في العذاب، وقد أخذهم الله بثلاثة أنواع من العذاب – كما ذكر الرازي –:

الأول: الصيحة الهائلة المنكرة، قال تعالى: ﴿فَأَخْذَهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقُنَّ﴾ [سورة الحجر، الآية: 73].

الثاني: جعل عاليها سافلها، قال ابن عباس والمفسرون: «أدخل جبريل – عليه السلام – جناحه الواحد تحت مدائن قوم لوط حتى قلعها، وصعد بها إلى السماء، حتى سمع أهل السماء نحيف الحمير، ونباح الكلاب، وصياح الديوك، لم تنكفي لهم جرة، ولم ينكسر لهم إname».

(1) التفسير الكبير: 37/18

(2) التفسير البسيط: 505/11

الثالث: أمطر عليهم حجارة من سجيل، قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَدِيلًا هَا سَأْفِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ﴾ [سورة الحجر، الآية: 74]، وجعل الله مكانها بحيرة منتنة، وجعلهم عبرة إلى يوم التناد(1).

ولما ارتكبوا أمراً فيه قلب للفطرة عن وجهها، وانحراف بها عن مسارها عذبوا بعذاب من جنس ذلك «فَمَا أَعْظَمْ حِكْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى فِي هَذَا الْقَلْبِ الَّذِي هُوَ أَشَبَّ شَيْءًا بِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ إِتْيَانٍ الأَعْجَازِ، وَالْإِعْرَاضِ عَمَّا تَقْتَضِيهِ الطَّبَاعُ السَّلِيمَةُ»(2).

وقد اختلف العلماء في بيان الحجارة التي عذب بها هؤلاء القوم، قال مجاهد – رحمه الله -: «أولها حجارة وآخرها طين».

وقال ابن عباس – رضي الله عنهما – وسعيد بن جبير و وهب – رحمهم الله -: سنك وكل.

وقال عكرمة: السجيل: الطين(3)، وقيل غير ذلك.

والذي يظهر أنها حجارة من طين مطبوخ، كما يؤيده قوله تعالى: ﴿لِتُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّنْ طِينٍ﴾ [سورة الذاريات، الآية: 33]؛ لأن (من) بيانية بينت نوع الحجارة وأنها من طين، ولا يكون الطين موصوفاً بكونه حجراً إلا إذا طبخ وقوى.

وأما هذا الاسم (السجل) فهو فارسي معرب(4)، ولا يمنع كون معناه ما ظهر للباحث.

وقد وصف الله الحجارة التي عذبوا بها بثلاثة أوصاف:

الأول: من سجيل.

(1) ينظر: التفسير البسيط: 509/11؛ التفسير الكبير: 203/19؛ تفسير القرآن العظيم: 277/6.

(2) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثان: 51/12.

(3) الكشف والبيان عن تفسير القرآن: 14/427-428.

(4) المهدب فيما وقع في القرآن من المعرب: 69.

الثاني: منضود؛ أي: قد نضد بعضه على بعض، وقيل: مصفوف⁽¹⁾.

الثالث: مسومة؛ أي: معلمة.

ومن خلال هذا العرض المختصر للرجز الذي نزل بقوم لوط - عليه السلام - يظهر للباحث أن الرجز الذي أجملته آية العنكبوت، يتكون من أربعة أنواع من العذاب، لا كما ذهب إليه الرازي - رحمه الله - من أنه ثلاثة أنواع، وهي الثلاثة التي ذكرها - رحمه الله -، ويضاف إليها: الطمس المذكور في سورة القمر.

الفرع الثاني: الرجز (العذاب) الذي حل بفرعون وقومه:

أرسل الله تعالى موسى وأخاه هارون - عليهما السلام - إلى فرعون؛ ليدعوه إلى عبادة الله وحده، ويحذرنه من عقوبته وبطشه، فما كان منه إلا أن احتقر موسى - عليه السلام -، وكذبه وطلب منه أن يظهر آيات دالة على صدق نبوته تعنتاً وتكبراً؛ لا لأجل الإيمان بموسى، فأيد الله موسى بتسعة آيات واضحات آية تلو الأخرى، بدءاً بالعصا واليد، لكن فرعون علا في الأرض، وزاد غطرسة وكبراء، وأعلن في الملائكة: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَلَائِكَةُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقَلْتُ يَهْمَنْ عَلَى الْطِينِ فَاجْعَلْتُ لَيْ صَرْحًا لَعَكَيْ أَطْلَعْ إِلَيْهِ الْمُوسَى وَإِنِّي لَأَظْنُهُ مِنَ الْكَذَّابِينَ﴾ [سورة القصص، الآية: 38].

ولما كان هذا حالم مع النبي الله موسى - عليه السلام - أخذهم الله بالقطط، والشدة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا إِلَيْهِ أَهْلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّينَ وَنَقَصْ مِنَ الْثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: 130]؛ أي: لعلهم «يتعظون ويرجعون عن غوايتم»⁽²⁾.

لكن القوم لم يكتفوا عن ضلالهم، بل زادوا في العناد، ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لَتَسْأَلَنَا بِهَا فَمَا

(1) النكت والعيون: 2/493.

(2) فتح القدير: 2/248.

تَحْنُّ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ [سورة الأعراف، الآية: 132]؛ أي: «إنك إن جئتنا بكل نوع من أنواع الآيات، التي يستدل بها على أنك محق في دعوتك؛ لأجل أن تسحرنا بها، وتصرفاها بها ... فما نحن بمصدقين لك، ولا متبعين لرسالتك»⁽¹⁾.

عندئذ أرسل الله عليهم الرجز، وهو: صنوف من العذاب؛ عقوبة لهم، قال - ﷺ: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الظُّفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقَملَ وَالضَّفَادِعَ وَاللَّدَمَ إِيمَتِي مُفَصَّلَتِ فَاسْتَكَبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: 133]، قال ابن عباس - رضي الله عنهما - في تفسير هذه الآية: « فأرسلنا عليهم الطوفان، وهو: المطر حتى خافوا الملائكة، فأتوا موسى، فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك أن يكشف عننا المطر، فإننا نؤمن لك، ونرسل معك بنى إسرائيل، فدعوا ربكم فكشف عنهم المطر؛ فأنبأ الله به حرثهم، وأخصب به بلادهم، فقالوا: ما نحب أننا لم نطر بترك ديننا؛ فلن نؤمن لك ولن نرسل معك بنى إسرائيل، فأرسل الله عليهم الجراد، فأسرع في فساد ثمارهم وزروعهم، فقالوا: يا موسى، ادع لنا ربك يكشف عننا الجراد، وكان قد بقي من زرعهم ومعايشهم بقايا، فقالوا: قد بقي لنا ما هو كافينا، فلن نؤمن لك، ولن نرسل معك بنى إسرائيل، فأرسل الله عليهم القمل، وهو: الدب، فتتبع ما كان ترك الجراد، فجزعوا وأحسوا بالملائكة، وقالوا: يا موسى، ادع لنا ربكم يكشف عننا الدب؛ فإننا سنؤمن لك، ونرسل معك بنى إسرائيل، فدعوا ربكم فكشف عنهم الدب، فقالوا: ما نحن لك بمؤمنين، ولا مرسلين معك بنى إسرائيل، فأرسل الله عليهم الضفادع، فملاً بيوكتم منها، ولقوا منها أذى شديداً لم يلقوا مثله فيما كان قبله، أئمماً كانت تشب في قدورهم، فتفسد عليهم طعامهم، وتطفئ نيرأكم، فقالوا: يا موسى، ادع لنا ربكم يكشف عننا الضفادع، فقد لقينا منها بلاءً وأذى؛ فإننا سنؤمن لك، ونرسل معك بنى إسرائيل، فدعوا ربكم فكشف عنهم الضفادع، فقالوا: لا نؤمن لك، ولا نرسل معك بنى إسرائيل، فأرسل الله عليهم الدم، فجعلوا لا يأكلون إلا الدم، ولا يشربون إلا الدم، فقالوا: يا موسى، ادع لنا

(1) حدائق الروح والريحان في روایی علوم القرآن: 10/90.

ربك يكشف عننا الدم، فإننا سنؤمن لك، ونرسل معكبني إسرائيل، فدعوا ربها، فكشف عنهم الدم، فقالوا: يا موسى، لن نؤمن لك، ولن نرسل معكبني إسرائيل، فكانت آيات مفصلات بعضها على إثر بعض؛ ليكون لله عليهم الحجة، فأخذهم الله بذنبهم، فأغرقهم في اليم»(1).

وقد اختلف المفسرون في كل ما مضى من الطوفان وما بعده على أقوال، لكنني أثرت قول ابن عباس - رضي الله عنهما - لصحة الرواية عنه؛ فهي من طريق علي بن أبي طلحة، ولكونها أشمل من غيرها في بيان الآية، وأنه أشهر المفسرين.

وحل بhem ما مر من أنواع العذاب، وأشكاله المختلفة، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَمُوسَى أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عِهْدَتْ لِئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: 134]، وكذلك كما اختلف المفسرون فيما مضى من أنواع النكال الذي حل بفرعون وقومه اختلفوا في الرجز المذكور في هذه الآية على قولين: الأول: العذاب، والثاني: الطاعون(2).

واستظهر جماعة من المفسرين أن الرجز الجمل في هذه الآية مبين في الآية المذكورة آنفًا من الطوفان وما بعده(3).

وهو الراجح؛ لأن القرآن يفسر بعضه ببعضًا، وقد ورد في سياق واحد، ولموافقة هذا الرأي أثر ابن عباس - رضي الله عنهما المتقدم، وأن القول الأول مجمل يتحمل أن قائليه فسروا الرجز بمعناه العام ولم يريدوا التفصيل، فقد كان السلف يكتفون في تفسيرهم بالمعنى الإجمالي، ولعلهم استندوا إلى آية الرخرف التي فسر فيها الرجز بالعذاب، قال تعالى: ﴿وَمَا تُرِيهِمْ مِنْ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أَخْتِهَا﴾

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 10/389-390.

(2) ينظر: النكت والعيون: 2/253.

(3) البحر الخيط: 10/270؛ فتح القدير: 2/249.

وَأَخْذَنَّهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ وَقَالُوا يَتَأَيَّهُ السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَاهَدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهَتَّدُونَ

فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٤٥﴾ [سورة الزخرف، الآية: 48 - 50].

ومن خلال ما سبق يرى الباحث أن الرجز الذي حل بفرعون وقومه كان ذا أنواع مختلفة، وفي أوقات متباعدة، وام يكن دفعه واحدة؛ زيادة في عذابهم، وردعاً لكريائهم، وعبرة لغيرهم.

الفرع الثالث: الرجز الذي حل ببني إسرائيل:

لم ينعم الله على أمة من الأمم السابقة ما أنعم على بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقَوْمُ أَذْكُرُوا نِعَمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيْكُمْ أَنْيَاءً وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَأَنْتُمْ كُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَلَمَيْنَ﴾ [سورة المائدة، الآية: 20]، أعطاهم النعم المتکاثرة، والآلاء المتواترة، فقابلوا تلك النعم بالمخالفة والعصيان لأنبياء الله تعالى وعandوهم، ولم يقوموا بحمل الرسالة السماوية كما ينبغي، واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، وحالوا بين أنفسهم وبين كثير من النعم بسبب تعنتهم.

ومن تلك النعم التي كفروها، والأوامر التي خالفوها (دخول الأرض المقدسة) التي جعلها الله لهم مقابل قيامهم بالخضوع لله والقيام بأمره والتوكيل عليه، فقال: ﴿وَإِذْ قُلْنَا أَدْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُّوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغْدًا وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلُّوا حَمَّةً تَغْفِرُ لَكُمْ خَطَّيْكُمْ وَسَزِّيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَأَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الْمَعْرِفَةِ قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ إِمَّا كَانُوا يَفْسُدُونَ ﴿٥٩﴾ [سورة البقرة، الآية: 58 - 59]، «هذا إشارة إلى ما حل ببني إسرائيل - لما نكلوا عن الجهاد - ودخولهم الأرض المقدسة - أرض كنعان - لما قدموا من بلاد مصر صحبة موسى - عليه السلام - .(1)».

(1) محسن التأويل: 133-134/2

وقد اختلف المفسرون في تعين القرية التي أمروا بدخولها على أقوال: فقال جمهورهم: بيت المقدس، وقيل: أريحا، وقيل: الشام، وقيل: الرملة والأردن وفلسطين وتدمير، وقيل: مصر، وقيل: غير ذلك (1).

ولعل أرجح الأقوال الرابع؛ لأنها محل بعثة أنبياءبني إسرائيل، وأما قول القائل: إنها مصر، فليس بصواب؛ لأن موسى – عليه السلام – خرج منها إلى الأرض المقدسة، فكيف يستقيم الخروج منها والدخول إليها، والله أعلم.

وقد أمر بنو إسرائيل «أن يدخلوا الباب على وجه الخصوع، وأن يذكروا بساحتهم التماس حط الذنوب حتى يكونوا جامعين بين ندم القلب، وخضوع الجوارح، والاستغفار باللسان»(2).

واختلف المفسرون في حقيقة الرجز الذي أصاب الظالمين من بني إسرائيل، فقال ابن عباس - رضي الله عنهما: العذاب، وقال أبو العالية - رحمه الله -: الغضب، وقيل: الطاعون.

قال ابن جرير - رحمه الله -: «وقد دللتنا على أن تأويل الرجز العذاب، وأن عذاب الله أنواع مختلفة ... وجائز أن يكون ذلك طاعوناً، وجائز أن يكون ذلك غيره، ولا دلالة في ظاهر القرآن ولا في أثر عن رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ثابت أيُّ أصناف العذاب كان ذلك»(3).

قلت: والذي يظهر أن قول ابن عباس - رضي الله عنهما - أولى بالصواب؛ لأن تعين الرجز يحتاج إلى نص من القرآن أو الحديث، ولا دليل، وأما قول أبي العالية فهو موافق لقول ابن عباس؛ إذ إن الغضب سبب حلول العذاب. وعليه فالرجز هنا عذاب لا نعلم تعينه، لكننا نستفيد من القصة ما سيأتي في البحث الرابع.

(1) ينظر: *اللباب في علوم الكتاب*: 93/2.

(2) *اللباب في علوم الكتاب*: 96/2.

(3) *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*: 1/731.

الفرع الرابع: الرجز المطلق:

ولما ذكر الله الرجز الذي حل بالأقوام الغابرة، والأمم السابقة أبان أن هناك نوعاً من الرجز لا يزال للمخالفين بالمرصاد، وأن من ارتكب موجبه سيحل به، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوا فِي ءَايَاتِنَا مُعَذِّبِينَ أُولَئِكَ هُمْ عَذَابٌ مِّنْ رَّجُزِ الْأَلِيمِ﴾ [سورة سباء، الآية: 5]؛ أي: والذين «عملوا في إبطال أدلةنا وحججنا مفاوتين، ويحسبون أنهم يسبقوننا بأنفسهم فلا نقدر عليهم أولئك لهم عذاب من شديد العذاب الموجع»⁽¹⁾، ولا يفهم القارئ أن في الآية تكراراً، «فإنه لا تكرار في الآية؛ لأن العذاب أنواع متباينة، والمعنى لهم عذاب من جنس العذاب الأليم»⁽²⁾.

وقيل: هذا على تقدير قراءة الجر لـ(أليم)، وأما على قراءة الرفع لـ(أليم) فـ«المعنى لهم عذاب أليم، ويكون المراد من الرجز: الرجل الذي هو النجاسة، ومعنى النجاسة في قوله تعالى: ﴿مِنْ وَرَاهِيهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءً صَدِيقِ﴾ [سورة إبراهيم، الآية: 16]، وكان المعنى لهم عذاب من تحرع رجس أو شرب رجس فتكون من تبيينا للعذاب»⁽³⁾.

والراجح القول الأول؛ لأمور: الأول: أن الرجز والرجس لا ترادف فيهما حتى يكون بمعناه؛ لأنه ما من حرف في القرآن إلا وله دلالة وسر عظيم يدل على إعجاز القرآن، وهذا بناء على القول بعدم الترادف في القرآن.

الثاني: أن في هذا تكليفاً لحمل المعنى عليه، ولا داعي له.

الثالث: أن فيه قطعاً بأن المراد من هذه الآية ما في سورة إبراهيم، والقطع لا يكون إلا بنص

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 212/19.

(2) التدبر والبيان في تفسير القرآن بصحيح السنن: 31/116.

(3) التفسير الكبير: 27/262.

صريح، والله أعلم.

ويذكر القرآن في سورة الجاثية هذا النوع من الرجز، وأنه يرافق كل من كذب بالقرآن الكريم فيقول جل شأنه: ﴿هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّا نَبِيَّنَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّنْ رَّبِّهِمْ أَلِيمٌ﴾ [سورة الجاثية، الآية: 11]؛ أي: «والذين جحدوا ما في القرآن من الآيات الدالات على الحق، ولم يصدقوا بها ويعملوا بها لهم عذاب يوم القيمة من عذاب موجع»(1).

ويمكن القول بأن هذا النوع أشد أنواع الرجز عذاباً؛ لأنه مدخل للجادين بآيات الله إلى يوم القيمة، ومن المعلوم أن عذاب الآخرة أشد، ونكاها أعظم، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَخْرِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِنَبَيِّنَ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ [سورة طه، الآية: 127].

المطلب الثاني: الرجز المراد به الوسوسة

لم يزل الشيطان بالإنسان يلاحقه ويصطاده منذ خروجه إلى هذه الحياة إلى موته، فلا يتركه في حال من الأحوال، وهكذا تستمر الحرب بين المسلم والشيطان وهو يريد إغوائه، والنيل من دينه ويستمر به حتى في حال الطاعة يثبشه، ويختزله، ومن هذه المواطن التي يشن فيها الشيطان حرباً شعواء على المسلم حال اللقاء مع العدو في أرض المعركة التي تحتاج إلى مزيد من المعنيات القوية، والعزائم العالية، فينتهز الشيطان الفرصة لإدخال الوهن في قلوب الصف المسلم المجاهد مخدلاً لهم، ومعظماً لقوى العدو، فيخيل إلى ضعفاء العزيمة من الجندي أن مقدرات العدو أقوى، وإمكاناته أعظم، وعدته وعتاده أكثر وأدوم، ومن هنا يحاول خلخلة الجيش المؤمن، وزعزعة ثباته؛ ليكون لقمة سائحة يلتئمها العدو.

ولم يفت الشيطان موسوساً حتى تسررت وسوساته لخير جند، وأقوى المقاتلين صلابة وهم الصحب

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 78/21

الكرام - ﷺ - وفي أول معركة فاصلة بين الحق والباطل في التاريخ الإسلامي (غزوة بدر الكبرى) التي سطر القرآن مجراها وأحداثها، ومن تلك الأحداث (الرجز الشيطاني) الذي حاول به في وسط الجيش المسلم آنذاك، فأبطل الله كيده، وذهب بمكره، قال تعالى ممتناً على المؤمنين: ﴿إِذْ يُغْشِيْكُمُ النَّعَاسَ أَمْنَةً مِنْهُ وَيَرْلُ عَلَيْكُم مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُظْهِرَكُم بِهِ، وَيُدْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزُ الشَّيْطَانِ وَلَيُرِيْطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثْبِتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾ [سورة الأنفال: ١١].

فقوله: ﴿وَيُدْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزُ الشَّيْطَانِ﴾؛ أي: «عذابه لكم بوساوسيه، ... وقيل: رجزه: كيده ووسوسته، وقيل: الجنابة من الاحتلام؛ فإنما من الشيطان»(١).

وعلى كل فالأقوال متقاربة، وإنما اختلفت العبارة، والمقصود واحد؛ لما جاء في تفسير هذه الآية أن اللهأنزل المطر رحمة بالمؤمنين وإبطالاً لكيد الشيطان الذي «تمثل لهم، وكان المشركون قد سبقوهم إلى الماء، ونزل المسلمون في كثيب أعفر تسونخ فيه الأقدام على غير ماء، وناموا، فاحتلتم أكثرهم، فقال لهم: أنتم يا أصحاب محمد تزعمون أنكم على الحق، وأنكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة، وقد عطشتكم ولو كتمتم على حق ما غلبكم هؤلاء على الماء، وما ينتظرون بكم إلا أن يجهدكم العطش، فإذا قطع العطش أعناقكم مشوا إليكم؛ فقتلوا من أحبوا وساقوا بقيتكم إلى مكة فحزنوا حزناً شديداً، وأشفقوا، فأنزل الله - عز وجل - المطر فمطروا ليلاً حتى جرى الوادي ... وتوضئوا، وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الأقدام، وزالت وسوسه الشيطان»(٢).

إذاً فالمقصود بالرجز في هذه الآية: (وسوسة الشيطان)؛ حيث شبه الوسوسة الشيطانية بالرجز ثم حذف المشبه، وأقام المشبه به مقامه على سبيل الاستعارة التصريحية بجامع الإيذاء والإيلام في كل، وأن من قال: عذابه أراد بذلك - والله أعلم - أنه مجاز مرسل؛ حيث أطلق المسبب (الرجز)، وأراد

(١) البحر الخيط: 36/11.

(٢) الكشاف: 562/2.

السبب (الوسوسة).

المطلب الثالث: الرجز المقصود به الصنم

من بلاغة التعبير القرآني أن يطلق الشيء مراداً به غيره، وهذا ما يسمى عند جمهور العلماء بالمحاز المرسل، وعند آخرين بالأسلوب العربي، وعلى كل فجميع العلماء يتلقون في المراد، وإن اختلف المصطلح الذي يطلقونه.

من الجري على هذا الأسلوب في التعبير القرآني استعمال مفردة الرجز، حيث استعملها القرآن كما سبق مريداً بها حلول العذاب والسخط من الجبار على من ارتكبوا موجباته، واستعملها في الأسباب الموصلة إلى ذلك، كما يبينه هذا المطلب.

قال تعالى: ﴿وَالرِّجْزُ فَاهْجِرْ﴾ [سورة المدثر، الآية: 5]، اختلفت القراءة للرجز فقرئت: بكسر الراء وضمها، ومن هنا اختلف المفسرون في معناها قال ابن جرير -رحمه الله-: «فمن ضم الراء وجهه إلى الأوثان، وقال منعى الآية: والأوثان فاهجر عبادتها، واترك خدمتها، ومن كسر الراء وجهه إلى العذاب، وقال: معناه: والعذاب فاهجر؛ أي: ما أوجب العذاب من الأعمال فاهجر- قال- والصواب أنهما قراءتان معروفتان بمعنى واحد، ولم نجد أحداً من متقدمي أهل التأويل فرق بين تأويل ذلك، وإنما فرق الكسائي»⁽¹⁾.

ثم اختلف المفسرون في المراد بالرجز في هذه الآية، فقال ابن عباس - رضي الله عنهما-: الرجز: السخط، وهو الأصنام، وقيل: المعصية والإثم⁽²⁾.

ويمكن حمل الآية على أعم من ذك، فيقال: «اهجر الجفا والسفه وكل قبيح، ولا تتخلف بأخلاق

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 410/24.

(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 411/24.

هؤلاء المشركين المستعملين للرجز»⁽¹⁾.

ولما كانت الآية تلي آية فيها الأمر بالطهارة الحسية أشار بعض المفسرين إلى أن الآية تتضمن الأمر بالطهارة المعنوية، فيقال في معناها – أيضاً: «طهر قلبك من الخطايا وأشغال الدنيا»⁽²⁾.

المبحث الرابع: طرق الوقاية من الوقوع في الرجز

من رحمة الله تعالى بالإنسان أن شرع له ما يقي به نفسه من الوقوع في المهالك إذا قارف الذنب، ووقع فيما يغضب رب، فإن حلول الرجز على الأئم؛ نتيجة ارتكابهم للأسباب التي أوقعتهم في المعاطب.

ومن المعلوم أن للنجاة أسباباً يجب سلوكها، ومراكب فلاح ينبغي لللبيب ركوبها؛ حتى يصل إلى دار السلام، آمناً من مزالق الآثام، ومن أهمها:

1- الإيمان الصادق الذي يخالط سواد القلب، ويجري في الأحاسيس والمشاعر، ويقود صاحبه إلى الارتفاع الروحي، فينبع نفسيًا تكره المعصية، فضلاً عن أن تقع فيها، وهذا لما ذكر الله الإمام السالفة، التي وقعت في الكفر وعظيم المخالفات بين أنهم لو آمنوا لما حل عليهم الرجز، ونزل بهم النكال، ولكنهم نكروا ذلك، فعوقبوا؛ لأن الإيمان صمام أمان لأهله، ومركب نجاة يقل ركابه إلى بر الأمان، قال - جل وعلا-: ﴿وَأَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ إِمَّا مُؤْمِنُوا وَإِنَّمَا لَفَنَحَنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ كَذَّابُوا فَأَخْذَنَاهُمْ بِمَا كَنُوا يَكْسِبُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: 96]؛ يعني: « ولو أن أهل القرى الذين كذبوا وأهلكوا آمنوا بدل كفرهم، واتقوا المعاصي مكان ارتكابها لأنينا لهم بالخير من

(1) محسن التأويل: 16/333.

(2) أنوار القرآن وأسرار الفرقان: 5/238.

كل وجه ... ولكن كذبوا فأخذناهم بسوء كسبهم»⁽¹⁾؛ ولذا قال بعض العارفين: «والآية بيان أن الإيمان بالله، والاتقاء يوجب إساغ النعم، والتكميد يوجب الإهلاك والعذاب»⁽²⁾.

2- التقوى: من سبل النجاة التي تقود إلى الفلاح الدائم، والحياة الآمنة من حوادث الدهر ونوائب الرمان التي تحل بالبشرية جراء خروجهم عن السنن الإلهية تحقيق الفرد والمجتمع لتقوى الله؛ فإنها تأخذ أصحابها في طريق آمن من كل المعاطب، حتى يكونوا في بحبوحة الطاعة لله تعالى، وقد بين الله عباده أن التقوى نجاة من العذاب في الدنيا والآخرة، كما في الآية السابقة ومثيلاتها من الآيات العظيمة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابَ إِمْنَاعًا وَأَنَّقَوْا لَكَفَرَنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دَخْلَنَّهُمْ جَنَّتِ الْعِيْمَ﴾ [سورة المائدة، الآية: 65].

3- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيه تعرف معالم الدين، وتندحر المخالفات، وتدرس المعاصي والمنكرات، وهذا كانت الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس؛ لقيامها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال - عز من قائل-: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجْتُ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَايُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ مَا أَمَنَ أَهْلُ الْكِتَابَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثُرُهُمُ الْفَسِيقُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 110]، وهذه الخيرية في الأمة ما دامت قائمة بهذا الأمر، فإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر زال ذلك عنهم⁽³⁾.

ويبيّن القرآن الكريم أن من أسباب هلاك الأمم ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما مر

معنا.

(1) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب: 485/6

(2) التفسير البسيط: 249/9

(3) فتح القدير: 453/1

4- الدعاء والتضرع: من الطرق العظيمة لدفع البلاء الدعاء، فلما حلت أنواع من الرجز بفرعون وقومه توجهوا إلى موسى - عليه السلام - يطلبون منه أن يدعوه ربه؛ ليكشف عنهم البلاء، فقالوا: ﴿وَقَالُوا يَتَأْتِيهِ السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَاهَدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾ [سورة الزخرف، الآية: 49]؛ أي: ادع الله «بما خصل به»، وفضلك به، من الفضائل والمناقب أن يكشف عنا العذاب»⁽¹⁾.
 فليست هناك سبب لرد البلاء النازل، والكوارث العظيمة مثل الدعاء، فعن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «لا يرد القضاء إلا الدعاء»⁽²⁾.

5- تجنب الوقع في أسباب حلول العذاب.

الخاتمة:

توصيل البحث إلى جملة من النتائج، والتوصيات والمقترنات، على النحو الآتي:

أولاً: نتائج البحث

- تنوع المعانى القرآنية للمفردة الواحدة، وذلك من أسرار إعجازه، وقوة بلاغته التي وقف أمامها البلوغاء مشدوهين لا يملكون إلا الإذعان بأنه لا يبارى، ولا يمكن بحال أن يجارى.
- أن الرجز أنواع مختلفة، وليس بنوع واحد في كتاب الله، وأنه يتفاوت بتتفاوت الذنب المقترفة، وقد حل بأقوام فأبادهم، وأخرين فأدجهم، ولم يستأصلهم.
- أن الاستعمال القرآني للرجز على ثلاثة معان، معنى حقيقي، وأخرين مجاز.
- هناك أسباب تستدعي حلول الرجز - وهي تتفاوت في استدعائهما للعذاب حسب بشاعة الذنب الذي هو سبب العذاب - فيجب تجنبها، وعوامل تدفع وقوعه، وتمنع نزوله، فينبغي الأخذ بها؛ لأنها كاللقالح يمنع تأثير الفيروسات في الجسم، ويحميه من التلف.

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 733).

(2) أخرجه الترمذى، ينظر: سنن الترمذى، أبواب القدر، باب ما جاء لا يرد القدر إلا الدعاء، (218/4)، برقم (2276).

- أن أشد أنواع الرجز في الدنيا هو الذي حل بقوم لوط - عليه السلام.
- حصول الكوارث العامة بالمجتمعات يأتي نتيجة انحراف مسارها عن تعاليم الخالق المدبر، وخروجها عن سير الأنبياء - عليهم السلام - ومحاربتها للدين الحق واتباع هوى النفس البشرية وشهواتها، وذلك يؤذن بانهيار حضارتها، بل واستئصال أهلها.

ثانيًا: التوصيات والمقترنات

يوصي الباحث بالآتي:

- أن تهتم الجهات المعنية بوضع السياسات التربوية والتعليمية بالاستناد إلى هذه الدراسات النافعة التي تهدب المجتمع، وتنقيه من أرجاس البلاء التي وقعت فيها الأمم الغابرة، وتبيان سبل النجاح لبناء مجتمع قوي يستمد قوته من تعاليم القرآن.
- بوضع السياسات الإعلامية إلى استثمار هذه الدراسات في رسالة الإعلام، حتى يكون إعلاماً يستثير بضوء القرآن وهدaiاته.

- يوصي الباحث - أيضاً - الجهات القائمة على مكافحة الكوارث الطبيعية بالاستفادة من الدراسات القرآنية التي وقفت على أسباب هلاك الأمم والشعوب ودمار الحضارات السابقة، وتحليلها وفق هداية القرآن بعيداً عن التكهنات الغربية والشرقية لتحليل الكوارث والحوادث التي تحصل بين الحين والآخر؛ فإن تلك التكهنات والتحليلات لا تعترف بأن أسباب الكوارث ناتجة عن الانحراف البشري عن رسالة السماء، ويكتفون بتحليلات تقوم على نظريات يعترفها كثير من النقص والخلل.

- وضع معجم لألفاظ العذاب في القرآن الكريم.

- دراسة مدلولات كل من البطش والنکال في الاستعمال القرآني دراسة موضوعية.

قائمة المصادر والمراجع:

ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: 597هـ)، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الرضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1،

1404هـ - 1984م.

ابن حيان، محمد بن علي بن يوسف (ت: 745هـ)، تحقيق: مجموعة من الحقين، البحر المحيط، دار الرسالة العالمية، دمشق، ط1، 1436هـ - 2015م.

ابن عادل، عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي (ت: 880هـ)، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: مجموعة من الباحثين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1419هـ - 1998م.

ابن عاشور، محمد الطاهر (ت: 1393هـ)، التحرير والتنوير، الدار التونسية، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، د. ت. ط.

ابن فارس، أحمد بن فارس (ت: 395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجليل، بيروت، د. ت. ط.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السالمة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 1420هـ - 1999م.

ابن ماجه، محمد بن يزيد القرزوني (ت: 273هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وسعيد اللحام، دار الرسالة العالمية، دمشق، ط1، 1430هـ - 2009م.

ابن منظور، محمد بن مكرم (ت: 711هـ)، لسان العرب، بعناية: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، ط1، 1416هـ - 1995م.

الأذري، محمد بن أحمد (ت: 370هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: مجموعة من الباحثين، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د. ت. ط.

الأصفهاني، الراغب الحسين بن محمد (ت: 502هـ)، مفردات القرآن، تحقيق: عدنان صفوان داودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط2، 1418هـ - 1997م.

الألوسي، محمود بن عبد الله (ت: 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: مجموعة من الباحثين، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1431هـ - 2010م.

بابا سيلا، سعيد محمد ، أسباب هلاك الأمم السالفة كما وردت في القرآن الكريم، سلسلة إصدارات الحكمة، بريطانيا، ط1، 1420هـ-2000م.

البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت: 256هـ)، صحيح البخاري، مكتبة الإمام مسلم للنشر والتوزيع، مصر - القاهرة، ط1، 1436هـ-2015م.

الترمذى، محمد بن عيسى بن سورة (ت: 279هـ)، سنن الترمذى (الجامع الكبير)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وأخرون، دار الرسالة العالمية، دمشق، ط1، 1430هـ-2009م.

التعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم التعلبي (ت: 427هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ت: مجموعة من الباحثين، دار التفسير، المملكة العربية السعودية - الرياض، ط1، 1436هـ-2015م.

الرازي، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس (ت: 327هـ)، تفسير ابن أبي حاتم (تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - والصحابة والتابعين)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض، ط1، 1417هـ-1997م.

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت: 666هـ)، مختار الصحاح، اعتمى به: أحمد جاد، دار الغد الجديد، القاهرة، ط1، 1434هـ-2013م.

الرازي، محمد بن عمر (ت: 606هـ)، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، د. ت.

الزبيدي، محمد بن محمد الملقب بالمرتضى (ت: 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي رشدي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 1414هـ-1994م، د. ط.

الرمخشري، محمود بن عمر (ت: 538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلى محمد معاوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1418هـ-1998م.

السامرائي، فاضل صالح، التعبير القرآني، دار عمار، الأردن، ط4، 1427هـ-2006م.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت: 1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق:

- عبد الرحمن بن معاً اللويحق، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- السيوطى، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١هـ)، المهدب فيما وقع في القرآن من المذهب، شرحه وعلق عليه: سمير حلبي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- الشنقطي، محمد الأمين بن محمد المختار (ت: ١٣٩٣هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، خرج آياته وأحاديثه: محمد عبد العزيز الحالدى، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- الشوکانی، محمد بن علي بن محمد (ت: ١٢٥٠هـ)، فتح القدیر، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المصوره، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- الصناعي، محمد بن إسماعيل الأمير (ت: ١١٨٢هـ)، تفسير غريب القرآن، تحقيق: محمد صبحي حسن حلاق، دار ابن كثیر، دمشق - بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- الطبرى، محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأویل آی القرآن، تحقيق: د/ عبد المحسن بن عبد الله التركى بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط ١، القاهرة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- الطيبى، شرف الدين الحسين بن عبد الله (ت: ٧٤٣هـ)، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب حاشية الطيبى على الكشاف، تحقيق: عمر حسن القيام، جائزة دى الدولى للقرآن الكريم، ط ١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
- عبد الباقي، محمد فؤاد (ت: ١٣٨٨هـ)، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- الفیروز آبادی، مجید الدین محمد بن یعقوب (ت: ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، ضبط وتوثيق: یوسف الشیخ محمد البقاعی، إشراف مکتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، د. ط.
- الفیروز آبادی، مجید الدین محمد بن یعقوب (ت: ٨١٧هـ)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان، د. ت. ط.

القاري، نور الدين علي بن سلطان (ت: 1014هـ)، *أنوار القرآن وأسرار الفرقان* الجامع بين أقوال علماء الأعيان وأحوال الأولياء ذوي العرفان (تفسير ملا علي القاري)، تحقيق: د/ ناجي السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1434هـ - 2013م.

القاسمي، محمد جمال الدين (ت: 1332هـ)، *محاسن التأويل*، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط2، 1398هـ - 1978م.

القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت: 761هـ)، *الجامع في أحكام القرآن*، تحقيق: عبد المحسن بن عبد الله التركي مع مجموعة من الباحثين، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط1، 1434هـ - 2013م.

الماوردي، علي بن محمد بن حبيب (ت: 450هـ)، *النكت والعيون*، راجعه وعلق عليه: السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط3، 1433هـ - 2012م.

المغراوي، محمد بن عبد الرحمن، *التدبر والبيان في تفسير القرآن بصحيح السنن*، لبنان، ط1، 1435هـ - 2014م، د. ن.

النزهي، علي فهمي، *كلمات قرآنية بمعانٍ مختلفة*، دار الإيمان، دار القمة - الإسكندرية، ط1، 1435هـ - 2014م.

النيسابوري، مسلم بن الحجاج بن مسلم (ت: 261هـ)، *صحيح مسلم*، تحقيق: أحمد زهوة وأحمد عناية، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، 2016م، د. ط.

المهري، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوى، *حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن*، راجعه: د/ هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، د. ت. ط.

الواحدي، علي بن أحمد (ت: 468هـ)، *التفسير البسيط*، أشرف على طباعته وإخراجه: د/ عبد العزيز سطام آل سعود، و أ. د/ تركي ابن سعود العتيبي، دار المصور العربي، الإسكندرية - مصر، د. ت. ط.

أنساق المرأة في مواجهة الآخر الذكري في نماذج من الرواية النسوية العمانية

د. خالد بن علي بن خميس المعمری^(*)

أ.د. إحسان بن صادق اللواتي^(**)

الملخص:

تنوعت مجالات الدراسات النقدية الحديثة مؤخرًا، واتسعت دائرة اهتماماتها في العلوم الإنسانية، وشملت جوانب مختلفة من المعرفة، ويأتي في مقدمتها النقد الثقافي الذي أبدى اهتماماً كبيراً بالثقافة الإنسانية و مجالاتها المختلفة.

وقد ازداد هذا الاهتمام في النقد العربي بصدور كتاب النقد الثقافي لعبد الله الغذامي الذي تناول فيه مؤلفه تشكّل الأنساق الثقافية في الثقافة العربية، وعليه فإن الدراسة التي نحن بصددها تمحور حول موضوع الأنساق الثقافية في نماذج مختارة من الرواية النسوية العمانية والتي نبحث من خلالها عن تخفّي هذه الأنساق في الخطاب الروائي لدى الروائية في عمان، ومدى زاوية الرؤية لدى هذه الكاتبة عن قضايا المرأة والصراع مع الآخر، وبموجبه يمكن التعرف على الحضور الفعلي للمرأة والآخر الذكري في العمل السردي النسوبي وفق العلاقة المتبادلة بين الاثنين.

وسينتقل البحث تحليل هذه النماذج منذ عام 1999- 2016 وفق منهج تحليل الخطاب الذي من خلاله سيتم الكشف عن هذه الأنساق التي تشكلت بموجب الثقافة داخل الخطاب السردي.

الكلمات المفتاحية: نسق ثقافي - الآخر - نقد ثقافي - الهيمنة

(*) باحث في السردية العمانية.

(**) أستاذ الأدب والنقد بقسم اللغة العربية وأدابها بكلية الآداب والعلوم الاجتماعية - جامعة السلطان قابوس - سلطنة عمان.

Women's Patterns in Facing the Male Other in Samples from the Omani Feminist Novels

Dr. Khaled bin Ali bin Khamis Al-Ma'mary

Prof. Ihsaan bin Sadeq Al-Luwaati

Abstract

The fields of modern critical studies have recently diversified and the circle of their interests in humanities has expanded. It has included various aspects of knowledge, foremost of which comes cultural criticism which showed great interest in human culture and its various fields.

This interest in Arab criticism has increased with the publication of the book *Cultural Criticism* by Abdullah Al-Ghadhaami, in which the author dealt with the formation of cultural patterns in the Arab culture. So, the study at hand is centered on cultural patterns of selected samples from the Omani feminist novel and through which is in search of the concealment of these patterns in a narrative discourse of the feminist writer in Oman, as well as the vision perspective of this writer about women's issues and the conflict with the other. As a result, the identification of the actual presence of both female and male other in the feminist narrative work according to the mutual relationship between the two can be possible.

The study will analyze these samples from the year 1999 to the year 2016 following a discourse analysis approach, through which these patterns that were formed as a result of the culture within the narrative discourse will be revealed.

Keywords: Cultural patterns; The Other; Cultural criticism; Hegemony

مقدمة:

تُرِد صورة الرجل في ذاكرة المرأة مُشكّلةً أنساقًا متباينة في الخطاب السردي، وعادةً ما تكون العلاقة بين المرأة والرجل ملتبسة في المجتمعات العربية، يشوبها الفتور، وتُغلّفها الحيرة والريبة. ورغم أنّ النبي - ﷺ - جاء مفصلاً للعلاقة بين الطرفين حين عَدَ النساء شقائق الرجال، فإنّ العلاقة مختلفة لما أراد لها المجتمع عمّا هي عليه في التأصيل الديني. وتأخذ هذه العلاقة أشكالاً تتراوح بين التمييز الجنسي في أغلب الأحيان قائمة على هيمنة الآخر الذكوري أو المجتمع. وتحتفي صورة الرجل في مرآة الأنوثة في الدراسة وفقاً لأولويات الكتابة وثيمات الطرح، ويمكن توضيح هذه الصورة في الآتي:

1- المرأة/ الهاشم، الرجل/ المركز:

حين عَدَ النبي - ﷺ - النساء شقائق للرجال كان يهدف إلى بناء منظومة مجتمعية قائمة على التساوي في الحقوق والواجبات، واحترام الكيان الأنثوي، إلا إنّ الأفكار المتسرية من عمق التاريخ إلى المجتمع كانت تعمل على التمييز بين الجنسين: الذكورة والأنوثة، "وطيلة القرون الوسطى كانت وظيفة المرأة تختزل في إسعاد الرجل والاهتمام بشؤون البيت وتربية الأطفال"⁽¹⁾. وكانت المرأة في نظر الفلاسفة القدماء تأخذ شكلاً تحفيريًّا؛ فقد "اعتراض روسو بشدة على نظرية أرسسطو القائلة إنّ العبودية نظام طبيعي. ثم لم يتزد لحظة واحدة في أن يواافقه في اعتبار عبودية النساء أمراً طبيعياً"⁽²⁾. وامتدت هذه النظرة إلى عمق الخطاب الإنساني في التمييز بين الجنسين؛ حيث يرى الكاتب الفرنسي

(1) من حبكة الحدث إلى حبكة الشخصية: 83

(2) النسوية وفلسفة العلم: 19.

أن المرأة "كائن نجس وقذر، إنها حسب تعبيره أنجس اثنتا عشرة مرة Alfred Victor Vigny

من الرجل، وهذا ما يفسر اهتمامها المفرط بتجميل ورعاية جسدها"⁽¹⁾

إن المتأمل في الخطاب الثقافي العربي يجد أن علاقة المرأة بالرجل قائمة على ثنائية المركز والهامش، الأصل والفرع، وهي ثنائية انغرست عميقا في الفكر الإنساني وعملت على تشكيل هويته الثقافية. ولو تأملنا هذه الثنائية من منظور اللغة كونها الوعاء الناقل للخطاب على سبيل المثال سنجد أن الثقافة العربية تُكرّس " عبر تراثها اللغوي تمييزا بين الرجل والمرأة، تمييزا يصل حد التضاد، حيث تتحقق الصفات الإيجابية بالذكر، ويتم إلحاد الصفات السلبية بالمؤنث، إلى درجة إلحاد الأنثى بالجماد، وبالملوّات"⁽²⁾. ولعله تعقيبا على ذلك، طرّح التساؤل الآتي: "هل وضعية المرأة متأثرة بموقعها كفرع من الأصل داخل المنظومة اللغوية؟ وهل بنية اللغة ساهمت في تأصيل صورة المرأة، كهامش وملحق استثناء من القاعدة؟"⁽³⁾. وعند مطالعة لسان العرب لابن منظور، نجد أن "الفَنَدَ (بالتحريك) هو الحرف وإنكار العقل من الهرم أو المرض أو غيره، والكلمة تستخدم للتذكير دون التأنيث. يقال شيخ مُفْنَدٌ، ولا يقال للأئمَّة عجوزٌ مُفْنَدَة لأنَّها لم تكن ذات رأي في شبابها فتفنَّدَت في كبرها. وإذا كان معنى الفَنَدَ لا يخرج عن الخطأ في الرأي فالمرأة ليست مفتنة لأنَّها ليست ذات رأي"⁽⁴⁾.

إن كل ذلك مما حملته اللغة بين طياتها هو تمييز جنسى عملت اللغة على تبنيه وتغذيته، فانعكس ضمننا في الخطاب الأنثوي تجاه الرجل، فقد روى أبو نعيم في حلية الأولياء: "قالت امرأة سعيد بن المسيب: ما كنّا نتكلّم أزواجهنا إلا كما تكلّمون أمراءكم: أصلحك الله، عافاك الله"⁽⁵⁾.

(1) السرد النسوى العربي: 84، وكلمة (اثنتا عشرة) هكذا وردت، والصواب اثني عشرة.

(2) المرجع نفسه: 85.

(3) موسوعة النقد النسوى في الثقافة العربية: 230.

(4) نقد ثقافة التخلف: 53.

(5) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: 198/5.

لقد قام المجتمع بتقسيم الأدوار الاجتماعية بين الجنسين وفق ما يعرف بالجندar أو Gender أو النوع الاجتماعي أو الجنوسنة، وهو مصطلح صاغه عالم النفس "روبرت ستولر"، ويعني الأدوار والاختلافات التي تقررها وتبيّنها المجتمعات بين الرجل والمرأة⁽¹⁾.

ويتم التفريق بين - الجندار والجنس كون الجنس ذا مدلولٍ بيولوجي، أما الجندار فذو مدلولٍ ثقافي أيديولوجي، وعليه فإن التصنيفات التي يلجأ إليها المجتمع في تصنيف الذكورة والأنوثة قائمة على أساس ثقافي تجعل من مركز الرجل أعلى من مركز المرأة، وطبيعة الأعمال الموكلة إلى الرجل تختلف عن الأعمال الموكلة للمرأة، فالتقسيم أساسه ثقافي وليس بيولوجيًا قائمًا على تكوين المرأة، "فالنساء يحملن أطفالاً، بفضل جنسهن، ويقمن بدور معين في المجال المنزلي بفضل جنسهن"⁽²⁾.

تعيش زهرة في رواية (الطواف حيث الجمر) على هامش المركز / الإخوة الذكور، فيتم تهميش هذه الشخصية قياساً بإخوتها، ويقتصر دورها في البيت على الأعمال المنزليّة التي تقوم بتنفيذها مثل عمل الفطور اليومي والطبخ والعمل بلا كلل كالحمار، وخدمة إخوتها، والعمل في المزرعة. ولقد قام والدها بإخراجها من حلقات تعليم القرآن لأنّ أمها تحتاج لمن يساعدها في العجين، وأنها اكتفت بذلك القدر من التعليم.

تقوم زهرة بشكل يومي بأدوارها الاجتماعية التي تشير إلى تمييز جنسي بين الذكورة / الإخوة، والأنوثة / زهرة، تعيش زهرة مع هذا التمييز حالة من التذمر والشكوى الداخلية التي تنفجر في صورة مونولوج داخلي في أغلب أحداث العمل الروائي. يجري مع هذا التمييز تهميش للأنوثة، يأخذ أشكالاً متعددة أفرزها المجتمع في هيئة أعراف ثابتة. ويبتهر هذا التهميش في نقل صورتين أو حادثتين ارتبطتا بالذكورة والأنوثة؛ فقد ارتبطت حادثة بلوغ زهرة لدى والدتها بتصوير الصبيان لها وحوشاً، كما نحتتها

(1) انظر: موسوعة النقد النسوي في الثقافة العربية: 120؛ معجم الدراسات الثقافية: 166-167

(2) الدراسات الثقافية: مقدمة نظرية: 284

عن اللعب والركض في الأزقة، وعلّمتها كيف تتعامل مع الأمر بمنتهى السرية، تحكي زهرة: "كنا نتحدث كمن يخوض في سيرة عار، وكنت وقتها خائفة كثيراً، وقلت لها ودموعي تسرب إلى فمي:

- أمي إبني أدمي.

- لا عليك، لا تخسري أحداً، ضعي قماشاً نظيفاً واربطيه في خاصرتك.

- أنا خائفة لثلاً أموت.

- لن تموي لو ابتعدت عن الصبيان، سيقتلوك أبوك لو رأيك تلعبين.

- ألن أموت وأنا أدمي؟

- اذهبي وجزي القت يا زهيرة، لقد كبرت⁽¹⁾.

ولأنها أنثى مرتبطة بالعار والشرف يتم إقصاؤها حتى عن المعرفة اللازم تعلمها، أما الذكر فالامر مختلف تماماً، فحادثة بلوغ إخوة زهرة لم تكن "تحمل هذا التوجس، كانت النظرة مهووسة بالكبراء، نظرة تحمل مئات الزغاريـد، وإنوثـي لم يكونـوا مطـأطـي الرأس كـما كـنـتـ، كانوا فخـورـينـ، رـجـالـ يـضـرـبـهمـ أبيـ بـزـهـوـ علىـ ظـهـورـهـمـ وـتـلـقـاهـمـ أمـيـ بـالـلـوـدـ وـالـبـشـاشـةـ"⁽²⁾.

يجري تهميش زهرة عن إخوتها بكثرة، عندما تثير الروائية هذه النظرة بقولها: "كانت لك ولإخوتك مطلق الحرية، تسرح في الأرض، تغازل الحريم عند الفلج، تساعد وتتعود وتقـتاـ شـيـئـ، تنـامـ الـقـيلـولةـ كلـ يومـ بيـنـماـ أـكـونـ وـقـتهاـ أـجـابـهـ نـعـاسـ التـعبـ وـأـغـسلـ آـنـيـةـ الـغـداءـ مـصـاحـبةـ الشـمـسـ"⁽³⁾.

(1) الطواف حيث الجمر: 15-16

(2) المصدر نفسه: 16-17

(3) المصدر نفسه: 25

إن المتأمل في خطاب التهميش لعالم الأنوثة يجد أن الخطاب قد أوجد طبقتين داخل الأسرة الواحدة، طبقة الذكورة العليا وطبقة الأنوثة الدنيا، تتضح هاتان الطبقتان من الحوارات الدائرة بين زهرة وإخوتها، وهي تتسم بالاستعلاء، إذ نلمح ذلك من مضامين الحوارات نفسها، وبظاهر الحوار الآتي أنموججا لذلك:

- سالم مات.. رحمة الله، دعوه يستريح في تربته.

- كيف مات؟

- سمعتنا تلك الليلة، فلا تدعى البلاهة!

- ألم يكن يجيد السباحة؟

- يسمونها عاصفة، ريح شديدة وماء من كل ناحية، أتفهمين ما أقول؟

وكان يشدد، متهمكما، على عبارته الأخيرة، من جديد يظن أنه يجادل مخلوقا من عالم آخر أقل عقلاً، يبسط مفرداته لتبدو أقرب إلى عقل طفل أبله، هذا المغرور التافه⁽¹⁾.

أيضا يتم تهميش شخصية صابرة في (صابر وآصيلة) وتحديد أدوارها الاجتماعية من قبل شقيقها حمد الذي يسيطر على كل القرارات المنزلية، حيث يعمل على تهميش كيان صابر الأنثوي، ويتفردد بالقرار كونه المركز الذي يحمل صفات الهيمنة الذكورية.

يتم التمييز الجنسي بتحديد أدوار صابر بإخراجها من المدرسة وعدم إكمال تعليمها، وإلزامها برعاية شؤون البيت، ورفض حمد مشاركة صابر في الأنشطة المدرسية المختلفة التي تنظم في المدرسة عصرًا، ويحدد حمد جميع الأدوار السابقة قائلًا لأبيه: "أعدك يا أبي أن ذلك لن يحدث تحت سقف

(1) الطواف حيث الجمر: 27-28

هذا البيت ما دمت أنا حيًّا، مهمة صابرة الأولى والأخيرة هي الطبخ والخياطة وتربية أبنائي والزواج وتربيَة أبنائهما⁽¹⁾.

إن المتأمل لخطاب التهميش الحاصل لزهرة وصابرة في الروايتين يجده قد ابتدأ من عدم إكمال التعليم، وكأن المجتمع يرى في إكمال المرأة للتعليم خطراً يهدده، وخطوة لكسر التابو والهيمنة والأعراف والتقاليد. فكانت الخطوة الأولى التي تلتها خطوات أخرى في طريق التهميش الذي أريد للمرأة. فهل كان التعليم يخيف المجتمع إلى هذا الحد؟ يقول خير الدين نعман بن أبي الثناء في كتابه (*الإصابة في منع النساء من الكتابة*): "أما تعليم النساء القراءة والكتابة فأعوذ بالله، إذ لا أرى شيئاً أضر منه بمن، فإنهن لما كنّ محبولات على الغدر كان حصولهن على هذه الملكة من أعظم وسائل الشر والفساد، وأما الكتابة فأقول ما تقدر المرأة على تأليف الكلام بها، فإنه يكون رسالة إلى زيد ورقعة إلى شرير سفيه تحدي إليه سيفاً، أو سكّير تعطيه زجاجة حمر، فاللبيب من الرجال من ترك زوجته في حالة من الجهل والعمى فهو أصلح لهنّ وأنفع"⁽²⁾. وبذلك كان حمد يبدأ طريق التهميش الموجه إلى صابرة: "على صابرة ارتداء غطاء الوجه عند خروجها من المنزل، كما تفعل أمي، وعليها المساعدة في البيت من طبخ وكنس وتدبير. ما فائدة النجوم الذهبية السخيفة التي تزين بها المدرسات كراساتها؟ بالله قل لي يأبى ما فائدتها، أنها تساعد الفتاة على التعالي والتمرد على أسرتها، وفي نهاية الأمر تبقى عانساً لتخوف الرجال منها ومن التعليم الذي تتعالى به على الجميع"⁽³⁾.

(1) صابرة وأصيلة: 12.

(2) المرأة واللغة: 111.

(3) صابرة وأصيلة: 12.

لقد ساعد المجتمع على تهميش دور المرأة في بناء الحياة الاجتماعية، واقتصرها على الأعمال التي حددتها لها، لقد ساعد المجتمع على الدور الإقصائي للذكورة وممارسة سلطته المركزية على الهاشم الأنثوي.

2- الآخر المذكور في مرايا الأنوثة:

يُعدُّ مصطلح الآخر The Other مصطلحاً مقابلاً لمصطلح الذات Self. ويأخذ مصطلح الآخر أشكالاً متعددة في علاقاته المختلفة⁽¹⁾. كما إنّ مفهوم الآخر "يرتبط بشكل وثيق بالهوية والاختلاف، حيث إنّ الهوية محددة في جزء منها كاختلاف عن الآخر. أنا ذكر؛ لأنني لست أنثى، أنا رجل سوي جنسياً؛ لأنني لست مثلياً، أنا أبيض لأنني لست أسود..."⁽²⁾، وبما أنّ المصطلح يمكن أن يحضر في تحليلات تخرج عن إطار العلاقات الثقافية على مستوى الشعوب إلى العلاقات ما بين الجنسين، فيتحدد الآخر على المستوى الجنوسي (الجندري Gender) ليصير الذكر آخر الأنثى والعكس. كما يمكن لـ"الآخر" أن يتحدد على المستوى الاجتماعي ليصير "الآخر" من يختلف لونه أو سجنته أو دينه أو اهتماماته الجنسية: الأسود "آخر" الأبيض، والمسيحي آخر المسلم⁽³⁾. وعليه فإني سأكتفي باعتماد مصطلح الآخر، ما مراده الذَّكر مقابل الأنثى بكل أشكال الآخر التي وردت في مدونة الدراسة.

تأتي صورة الآخر في نماذج الدراسة بوصفها آخرًا لهيمنة الذكورة المنظور إليها من زاوية الساردة الأنثى وفق ما تقتضيه هذه الرؤية، وما تكشف عنه من علاقات شائكة بين الطرفين. ولعل صورة الآخر / الأب والعم صورة وردت ضمن إطار الآخر العائلي، وهي صورة متعددة في معانيها، تأخذ

(1) يمكن الوقوف على بعض هذه الأشكال بالنظر في: الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف:، 31 وما بعدها حيث فصل المؤلف ذلك

(2) معجم الدراسات الثقافية: 53

(3) الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف: .36

غير صيغةٍ وشكلٍ، كما إنّ صورة الآخر / الحبيب جاءت ضمن إطار الآخر الذي تنشئه الحياة الاجتماعية، وقد شكلّت هذه الصورة منحى نفسياً للذات الأنثوية وصراعاً داخلياً. وتأتي صورة الآخر / المحتقر متداخلة مع الصورتين السابقتين حيث ترتبط بإطار الأعراف والتقاليد المجتمعية. فتأخذ الصورة الأولى نسقاً مهيمناً في أغلب علاقتها، وتأخذ الصورة الثانية نسقاً متألفاً متجاذباً، وتأخذ الصورة الأخيرة نسقاً عنصرياً طبقياً.

وبالنظر في صورة الآخر / الرجل في غير واحد من السرد النسوبي العربي نجد في أغلبها أنه "يظهر عائقاً أمام المرأة، قيداً يكبح جماحها، ويحد من طموحاتها، وينعد أحلامها، ذلك أنّ المرأة في المجتمع الذكوري تخضع لنوعين من السلطات: الأول السلطة الاجتماعية المباشرة، ممثلة في الذكر المعين، أيها كانت علاقته بها: زوجية أو عرقية. والثاني السلطة الثقافية، ممثلة في جميع الذكور"⁽¹⁾.

أ- الآخر / ذو القرابة

الأب:

يمثل الأب رأس الهرم في الأسرة؛ فعليه تعتمد اعتماداً كبيراً في تسخير أمورها مادياً ومعنوياً. ويعُدُّ الأب صاحب القرار الأول والرئيس؛ إذ يمثل السلطة الرئيسة أمام المجتمع، لذا تتتنوع مسؤولياته وفقاً لمركزه في الأسرة. وإذا يحمل الأب هذا الدور فإنه محكوم بعلاقات تربطه بجميع أفراد الأسرة. وتأخذ هذه العلاقات أشكالاً متباعدة مع أفراد الأسرة الواحدة وفق ما تقتضيه حدود كل علاقتها منها. ولقد رسمت مدونة الدراسة بعضاً من ملامح هذه العلاقة وبالأخص علاقة المرأة بالأب وفق إطار الحياة الأسرية الملزمة بضوابط المجتمع الشرقي الذي تحدّه حدود الأعراف والتقاليد. فكيف تبدو هذه العلاقة وهل تشكلت في ضوئها أنساق توغلت في الخطاب السردي ضمن الحياة التاريخية؟

(1) السرد النسووي العربي: 87

في رواية الطواف حيث الجمر تتشكل صورة والد زهرة (ناصر بن زاهر) بأسكار مختلفة، فهو المنتهي لسلالة الشیوخ، خطیب المسجد، القبیلی، الملتم بالاعراف والتقالید الجتماعیة. وبرغم كل هذه الصفات التي عليها فإن هناك جذوراً نسقیة تغلغلت داخله، عمل المجتمع على تنشتها. فالأب الذي يؤمن بأنه "لا فرق بين الناس إلا بالتقوى" يخالف رأيه في الموقف نفسه لزواج ابن أخيه سالم من فتاة أفريقية: "لكن خادمة! ترك الحرات من أجل خادمة!"، مما دفع بزهرة أن تطلق جملتها الاستنکاریة: "وشتان بين جملة أبي الأولى والأخيرة"⁽¹⁾. والأب الذي يؤمن بالإنجاب كونه رزقاً من الله تعالى، يعمل على التمييز بين الذكور والإإناث. فعندما خدشتْ زهرة مُحَمَّداً بأظافرها ضرِّها كفأً "كانت ساخنة ومهيبة"، و"شدَّ شعرها ووصفها بالشابة"⁽²⁾.

يتشكل هذا التمييز الأبوی في ذاكرة زهرة ليخرج من أعماق مكبوتة على هيئة مونولوج مع الذات: "فأبی لم يشتق لي يوماً واحداً كما يشتق لحمد كل ساعة، ولم يحملني مرة كما يفعل مع مُحَمَّد دائماً، لم يضعني تحت شجرة السدر المهرة، لم يمسح على رأسي بحنان ويقبلي"⁽³⁾. والأب الذي يقرأ القرآن ويرى وجوب تعلمه يصرّ على تعلم أبنائه ويحرم ابنته من حلقات تعليم القرآن لمساعدة أمها لها في العجين، وبأنها أكتفت من الدراسة⁽⁴⁾ ترسم زهرة صورة واضحة للآخر / الأب كونه أباً يرى في البنت مرتبة أقل من مرتبة الولد، وعورةً وعرضةً لحديث الناس، كما يرى أنّ البنت لا يمكن لها رفض قرارات المؤسسة الأبوية/ المجتمعية: "ستفعل كل ما أقول، منذ متى البنات يقلن لا؟ لقد صارت كلام

(1) الطواف حيث الجمر: 14.

(2) المصدر نفسه: 17.

(3) المصدر نفسه: 74.

(4) المصدر نفسه: 49.

الناس". و "ابنة الأصل لا تعترض على قرارات و "زهرة.. أخِّ عليك.. أهكذا تُحدِّثين عَمَّا يَا
بنت؟"⁽¹⁾

لم تجد زهرة أي فرصة لتحقيق ذاتها في حضرة الأب، بسبب التمييز بينها وبين إخوتها، فليس لها أي حقٍ في اختيار الزوج أو إبداء الموافقة على الزواج، وهذا ما يbedo من حوار بين الأب والأم عند موافقتها على زواجها غير المتكافيء، بين الفتاة الثلاثينية وعبد الله الصغير في السن. المهم في الأمر أن تتحقق موازين العادات والتقاليد المجتمعية والمتمثلة في تزويج الفتاة من أي شخص من العائلة بغض النظر عن التوافق العمري بينهما.

لقد تولّدت لدى زهرة رغبة في كسر هذه القيود التي قُيّدت بها، فكانت فكرة الهروب هي التي قادت الأحداث إلى خارج الفضاء القروي وعملت على توسيع نطاقها في فضاءات بعيدة. لقد كان الأب صورةً أخرى للمجتمع، ورغم تعلّمه ووظيفته الأقرب للتعليم فإن سلطة المجتمع كانت أقوى من كل ذلك.

وترسم أمل في (حفلة الموت) صورة أخرى للأب، صورة جمعتْ أنساقاً عميقاً تحملها النفس الإنسانية، فوالدها شيخ القبيلة ليس إلا رجلا سطا في لحظة شبق على شرف جاريته السمراء القادمة من زنجبار مع والدها، ثم تزوجها؛ لأنها أنجبت له بنتاً، هذه العلاقة تتآزم أكثر حين يسطو والدها بين الحين والآخر على جسد زوجته "متخذًا كل التدابير كي لا تنجب لها شيئاً".⁽²⁾

لقد رفضت أمل كل أشكال العنصرية من والدها تجاه والدتها مما شكل لأمل هاجساً بالرفض لكل الرجال، فهم في نظرها الباحثون عن جسد يلجمون إليه لحظة المتعة، يظهر ذلك لدى أمل: "كنت أقرأ في عين كل واحد منهم أنه نحاس يبحث عن جارية لبيته، وينحط مسبقاً ليخفيها عن العيون في

(1) نظر: الطواف حيث الجمر، الصفحتان: 23، 24.

(2) حفلة الموت: 83.

غرفته السرية". و "الأزواج الذين جعلوا عقد الزواج عقد عبودية وامتهان". و "يهرونون إليهن ليلًا كالوحش ليطقوها رغباتهم القدرة في أجسادهن الهشة، بلا كلمة حب أو لمسة حنان، كي لا ينظاولن عليهم، هكذا تقول تقاليد القبيلة الغبية، كلما أهنت المرأة احترمتك وقدرتك". و "الرجال لا يجيدون الحب، نحن النساء نحب بأرواحنا وقلوبنا ودموعنا وعيوننا، وأنتم تحبون ب أجسادكم فقط"⁽¹⁾. إضافة لرفض أمل لأبيها نتيجة لعنصريته تجاه والدها، هناك رفض آخر، رفض داخلي، إذ تنفر أمل من أبيها بعد علمها بحقيقة شخصيته، فوالدها ساحر قدّمها طعاماً لأصدقائه السحرة، تخاطب أمل والدها في هيئة حوار: "أيها السافل! تهبني طعاماً لأصدقائك السحرة، عليك اللعنة أيها الملعون وعليهم"⁽²⁾. إن مشهد تقديم أمل طعاماً للسحرة عمل على إصابتها باهياز عصبي لهول ما مرت به في رحلتها الغبية إلى ذلك العالم، ثم عادت من عالمها الأسطوري وهي "المغيبة"، ومنذ ذلك اليوم لم يستطع والدها أن ينظر في وجه ابنته.

وُطلق أمل أوصاف الرفض على والدها: شيخ القبيلة العنصري، الساحر، السجين، القاتل. ولا يمكن في هذه العلاقة أن تبكي الابنة موت والدها،وها هي تحكي عنه بكل شدة وقوة: "رحل الوالد/، الجبار/، الشیخ/، العاشق/، الساحر". و "ذهبت إذن يا أبي! لن أبكيك ولا يؤلمني موتك، أو رحيلك المفاجئ والذي خلته لشدة بطشك لا يجيء أبداً". و "جلادك رحل"⁽³⁾.

إن أمل هنا تنتصر على صورة الأب وذاكرة حياتها معه بالحب حين تقرر الارتباط بمن تحب مواجهةً كل القيود التي وضعها الأب/ الساحر وأصدقاؤه السحرة حول موتها إن قررت الزواج. وتنتصر أمل على ذلك بعلاقتها بأحمد: "قررت أن أتفل في وجه أبي، وفي وجه السحرة، والشياطين، والجلاميد

(1) حفلة الموت ، الصفحات: 13، 14، 120.

(2) المصدر نفسه: 59.

(3) المصدر نفسه: 79-80.

والأحجار وأشباههما، وأنتصر لأمي التي قالت لي ذات فرح (لا تكثري الحذر يا أمل سيفسد عليك متعة الحياة ومرح الشباب) ⁽¹⁾.

وتظهر في رواية (**الأشياء ليست في أماكنها**) صورتان مختلفتان للأب، صورة لوالد أمل، وصورة لوالد صديقتها مني. والد أمل فقير، يمدّ يده لأهل الحارة حتى يزودوه ببعض الريالات آخر الشهر. وتحظى أمل امتعاضها من الفقر الذي عليه والدها، فهو يكبد عليهم من العمل في التخيل ويحازف رغم كبر سنها بظهور النخلات الطوبولات، تشير أمل إلى الحال التي عليها والدها: "وفي العيد كان يعود إلينا فرحا بالريالات التي يأخذها كالصغار عيدية من الأهالي. وهناك من يمنحه أكياس الطحين، أو حب القهوة، أو بعض الإزارات الجديدة، أو المصار المستعملة التي أتعبها الالتفاف على الرؤوس، كما أتلف خيوطها العسيلي المتكرر" ⁽²⁾.

إنّ الحال التي عليها أمل وامتعاضها من عمل والدها البسيط وراءه سبب آخر، وهو أنّ أسرتها تنتمي طبقياً في نظر المجتمع إلى فئة البليسة، وهو الذي شكل حالة نفسية أخرى تضاف إلى الحالات التي هي عليها: اللون، فقر الأب، قبول مني في الجامعة وعدم قبولها، كل ذلك جعلها ترسم صورة لأبيها لحظة حديثها عن الشقة (عش الغرام) التي تلتقي فيها بمحسن. إنّ والد أمل كان من البساطة والفقر حيث كان يشعر بالرضا كلما أرسلت له ابنته آخر الشهر نصف مرتبها، ورغم فقره فإنه كان يجتهد في توفير احتياجات ابنته حتى لا تشعر بالنقص أمام زميلاتها، فكان المبلغ الذي ترسله له رغبة منها ليترك العمل في التخيل في هذه السن.

ترتبط صورة الأب في ذهن ابنته لحظة مقارفة الخطيبة مع محسن في الشقة، مما يحيط على الحالة النفسية التي وصلت إليها تجاه المجتمع بسبب لونها وتميزها الجنسي، والتي بسببها قررت تفريح هذه

(1) حفلة الموت، 134.

(2) **الأشياء ليست في أماكنها**: 54.

المكتوبات عن طريق منح جسدها لخلوف، ثم بعد ذلك لمحسن، فما قيمة هذا الجسد – كما ترى –
والمجتمع ينظر إليه كونه شيئاً محقرًا؟

وتتشكل صورة أخرى للأب لدى مني صديقة أمل، وذلك برسم صورة الأب الذي لا دور له في حياة الأسرة، وتكون الأم بديلة للأب في البيت. والد مني كان طيباً، وحنوناً، لكنه يجيد الانسحاب من حياة ابنته وإخوتها، وتشعر دائماً أنّ وجوده طارئ على الأسرة⁽¹⁾. لذا كان لا بدّ من ظهور الأب البديل حتى تستقر الحياة الأسرية، فكان أنْ تحول الدور القيادي من الأب إلى الأم، تروي مني قائلة:

– وأبي؟

– وهل أبوكِ رجل؟ إما في سفره أو في منزله، لا يعرفه أحد في الحارة، لا أحد يحترمه أبداً، لولا أني أقدم الخير، وأنواعها متعددة، لما وضع لنا الناس أي قدر أو أي اعتبار⁽²⁾.

لقد شكلت صورة الأب لدى كل مني مني هاجساً يتعدد في مخيلة كل واحدة منهمما، فأمل رغم حياة اللهو والمجون التي تعيشها بعيداً عن أهلها فإنّ ذاكرتها مليئة بصورة الأب الفقيرة الجريحة بعادات المجتمع، ومني رغم زواجهما بمحسن واستقرارها بعيداً عن القرية فإنّ شخصية الأب البديل لأمها وسلبية شخصية الأب ظلت حاضرة في ذاكرتها مما أوجد لها صراعاً نفسياً مع الشخصيات في العمل السردي.

العلم:

العم أب آخر، يقوم – تقريباً – بالمهام ذاتها تجاه أسرة أخيه، ولكن في دراستنا هنا تظهر للعم صورة مغايرة متمثلة في شخصية العم الظالم، والمسلط في قراراته، والمتاجر بالعييد، والعنصري والطبعي تجاه الآخر.

(1) الأشياء ليست في أماكنها: 100.

(2) المصدر نفسه: 105.

تصف زهرة عمها في (**الطواف حيث الجمر**) بأنه ماردٌ، جبارٌ بجوار أبيها ضئيل الجسد⁽¹⁾، وهي صفات جسمانية خارجية أكثر منها روحية داخلية تقوم على القوة/ الجسد والسيادة/ بحسن المظهر. ويُحكم عمّ زهرة سيطرته على أفراد القبيلة، فكلمته نافذة بين فيهم والد زهرة، وذلك جليٌّ في حادثة تزويج زهرة لابن عمها عبد الله، فالأخ مجرد منفذ للقرار، لا يمكن أن يغيّر أو يلغى، فالأمر نافذ بأمر من الأخ. ترى زهرة أنّ عمها يكرهها ولا تدرى سبب هذا الكره، ويشير الحوار الآتي إلى مدى العلاقة الفاترة بين الطرفين: "كم أهابك، كم أتمنى لو أنّ الجبل خلا منك، وقتها سأكون الآن امرأة ساكنة تجهز لعرس بناها عوضاً عن عرسها هي".

-ألم تعرفين؟

أتراك لو لم توجد لصار الجبل أحسن؟ المردة يتوازون، السحرة يموتون وهم على يقين أنّ هناك من يرثهم برغم أنفه، كذلك قالت لي جدتي وأنا صغيرة.

- عبد الله، ابني يا زهرة، يتيم..

واقترب مني ليربت على رأسي:

- وستكونين أنت كل شيء بنظره، زوجته وأمه.

تماماً، هو ذا يحيده أي ساحر شاطر، عمي يا عمي، هذه الرقة التي ترسمها على وجهك وتبثها في أوتار صوتك، تحذير لا داعي له، صرت أعرف تماماً أنني بلا حول ولا قوة.

-حافظي عليه وأرشديه إلى طريقه.

أتكون خائناً من أسلط عليك ولدك الوحيد؟

(1) **الطواف حيث الجمر:** 23

أقسم لأجعلنّه يذلّك كما فعلت بي⁽¹⁾.

ونتيجة لتلك العلاقة الراقصة لآخر، تطلق زهرة على عمها الأوصاف الآتية: "تاجر العبيد"، "اللص"، "عيف بلا رحمة"، "كالخنجر في القلب"⁽²⁾. وتكاد الصورة تكون ذاتها في رواية (الباغ) لعم راشد وريّا، فهو ظالم، متسلط. وترد صورة العم في الرواية على لسان والد راشد: "نصحته، لكنه ما سمع مني، قلت له: نحن طلاب علم ودين ما طلاب دنيا ومال، قال لي: أنت اجلس في المسجد واعطيني المشيخة، قال لي: أنت ضعيف ما تقدر عليها، قلت له: خذها، مالي رغبة في الأمر والنهي ورقبة الخلق، لكنه تخبر وظلم وأفسد، أخذ مال الناس غصب، وقبل شهادة الزور، أدنى الفساد، وبعد أهل النصيحة، نسى العلم ونسى ربه..."⁽³⁾، أما شخصية رياً مقابل شخصية عمها فهي الفتاة التي لا رأي لها إلا برأي ولديها (أخيها راشد) بعد وفاة والدهما، لذا فكما ظلم عمها أهل القرية، فقد ظلمها وأخاها، فنجّ براشد في سجن الوالي بعد اتهامه بالاعتداء على بيت وخادمة عمه، ثم قرر تزويج رياً من ابنه. ورغم الصورة الظالمه للعم، وخروج راشد وريّا من السراير فإنّ رياً كانت تحُّن للبلاد وتريد العودة لها، فبها ذكريات تجاهه الظلم والقسوة.

إنّ محاولة الكتابة السردية النسوية في اختراع صورة ظالمه مسلطة إلى العم هي محاولة خلق نوع من التوازن بين الشخصيات داخل النص، يتم بموجبه تقسيم رؤوس الأسرة الواحدة إلى قسمين بأدوار مختلفة، تقتضي خلالها المراوحة السردية وتحريك الأحداث واتساعها، لتحمل الأحداث صفات كل شخصية وتقيم بها علاقات زمانية ومكانية، وبذلك يكون السرد متحركاً مشوفاً كما هي الأحداث هنا.

(1) الطواف حيث الجمر: 46، وعبارة (ألم تعرفين؟) هكذا وردت في الأصل، والصواب ألم تعرفي؟

(2) المصدر نفسه، الصفحات: 45، 178، 29.

(3) الباغ: 77.

تبعد ثيمة الحب من بين الشيمات الواردة في مدونة الدراسة، وتثير شخصية الحبيب الذي كان يظهر للمرأة/ الساردة في صور مختلفة وتحمل أنساقاً متخفية داخل كل شخصية. في رواية (**الطواف**) حيث الجمر) وعن علاقة الحب بين سالم وزهرة، يمكننا طرح الأسئلة الآتية:

- ماذا يمثل الحب لزهرة حتى تكون زوجة لسالم؟

- وهل كان سالم يبادل زهرة الحب؟

تطلق زهرة على سالم كلما تذكرته ضمن أحداث الرواية الأوصاف الآتية: فاتن، عاقل، رصين، ترتيله حلو مهيب، له ذاكرة لا تخيب، ابن عمي الجميل الساخر، الحبيب، الجميل المادئ اللدود. هذه الأوصاف التي تطلقها زهرة على سالم هي أوصاف تبتعد عن الرومانسية إلا في وصفين أو ثلاثة منها. إن ثقافة المجتمع والنساء التي نشأتها زهرة في أحضان هذا المجتمع لا تجعل الخطاب يقترب من دلالات الحب والعشق، فاكتفت الساردة بأوصاف الجسم الخارجي مع بعض الصفات الداخلية. إن المجتمع لا يخوض ولا يريد للفتاة أن تخوض في مسائل الحب – كما سنرى في البحث القادم – إذ يعدّ الحب من المسكونات عنه في المجتمع. في المقابل تعلل زهرة سبب اختيار سالم للأفريقية زوجة له دوناً عنها بأنّها: جميلة، وتحبز، وتطبخ، وتنجيمها أدق تنجيم على الجبل، ونظيفة، ومطيبة، وتعمل كالحمار بلا كلل. لقد ارتبطت السمات السابقة لزهرة بمهام العمل المنزلي. إن ارتباط الزوج بأفريقية وترك ابنة الشیوخ شکل هاجسا لدى زهرة، تركت بسببه انتقاء ألفاظ الحب عندها ذكرها للحبيب، فكلاً ذلك قد أحدث شرخاً في ذاكرتها.

ويبدو أنّ زهرة أخيراً أقرتْ أن سالماً أحبَّ الحرية/ التمرد أكثر مما أحبّها، فهي لا تمثل إلا جسداً يمارس المجتمع عليه قيوده وسلطته، تقرُّ بذلك حين تقول: "الآن فقط عرفتُ لماذا آثر سالم السوداء علىيّ". ليس بيدي أن أفعل ولو مرة واحدة ما أشاء. كأيّ امرأة مهضومة.. جمالي بارِدٌ محاطٌ بالهوان..

وها أنا الآن مسجونة بعرس لم أستوعبه بعد.. أتبع مجرةً الخطى التي رسمت لي⁽¹⁾، وحين تخيل سالما يقول: "لا تدعهم يستغلونك، بداخلك قوّة إذا رغبت"⁽²⁾.

إنّ محاولة زهرة للبحث عن ابن حبيها سالم قد ساعد على توسيع رقعة الأحداث، والعمل على تسلسلها، مع الكشف أنّ أنساق الحب تجاه الآخر / الحبيب لم تكن واضحة كثيراً أي أنّ العلاقة بين زهرة وسام مُطلقاً علاقة قائمة على النسب الوراثي أو الزوج الوراثي أو الارتباط الوراثي فقط.

وتأتي علاقة المرأة بالآخر / الحبيب في (حفلة الموت) تعويضاً عن صراع داخلي، وترقّ عائلية مردُّه العلاقة المنقطعة بين الأب وابنته. فأمل تعيش صراعاً داخلياً، ومائزاً نفسياً تولَّدَ منذ أن قدّمها والدها طعاماً لأصدقائه السحرة. وبعد عودتها من رحلتها الغيبية إلى عالمنا الحقيقي صار اسمها بين الناس "المعيبة"، كلُّ ذلك أثر في نفسيتها مما جعلها تعيش محاطة بأنظار المجتمع، وهو جرس السحر والسّحرة تطاردها وتمنعها من الارتباط المقدس.

تجد أمل في حبيها أحمد الخلاص من هواجسها، ومن سجن الساحر والسحرة، كما ترى في أحمد الحبيب الذي يخالف الصورة التقليدية المتشكّلة في مخيلتها عن الزوج الذي يرى في جسد زوجته جسراً للوصول إلى اللذة المنشودة، فالحب أسمى من كل ذلك، والحب طرف الآخر الذي تكتمل به أساس الحب.

إنّ أحمد هو قارب النجاة لأمل، وهو الذي لم تمنعه المنطقة الجغرافية الفاصلة بينهما من الارتباط بها، ولم يمنعه أي تصنيف بشري قائم على العرق أو اللون أو الجنس من الارتباط بفتاة تعيش في بلدتها وهي تحمل تصنيفاً دونياً في نسبها، لم تقف تلك الحواجز عائقاً أمامهما بل إنّ الحب أوجد بينهما

(1) الطواف حيث الجمر: 22.

(2) المصدر نفسه: 48.

علاقة ثنائية متينة. ورغم أنّ نهاية أمل ستقترب بسبب الارتباط بأحمد نظراً لتهديدات السحرة بالقضاء عليها فإنّ ذلك لم يُشكّل لها أي عائق أيضاً، فالحب أقوى من عالم السحرة وأساطيرهم.

وتحاول صابرة في (صابرية وأصيلة) أن تعوض العطف والحنان الأسري المفقود في المنزل بعلاقةٍ تقييمها مع حبيبها (شهم) رغم الاختلاف العمري والفكري والثقافي بينهما. وتمثل صابرية في علاقتها بشئم صورة البنت الصغيرة غير المدركة بعواقب العلاقة مع شخص من بلاد أخرى لها عادات وتقالييد مختلفة، وتعتزل شئم لها تعويضاً عما فقدته من أسرتها، فهو (الرجل الجذاب المتعلّم والعصري)، و(له خلفية متحضرّة ومتقدّفة)، و(متقدّف مطلع الأفق يؤمن بمساواة المرأة بالرجل)، و(يتميّز بالطول الفارع والشعر البني واليدين القويتين، وباهندام الجميل والعلم الغزير)⁽¹⁾.

وتعمل صابرية على تكرار أوصاف الثقافة والعلم والذكاء على شئم؛ وذلك تعويضاً للنقص المتمثل داخلها في عدم إكمالها للدراسة، كما تحاول الوصول إلى عالمه الثقافي من خلال تأليف القصص التي كان يراها شئم بسيطة. لقد كانت العلاقة بين الطرفين مختلفة في بنائهما، فصابرة ترى في حبيبها المخلص لها من هيمنة أخيها حمد وتسلّطه، كونها ستتزوج منه وتذهب معه إلى فلسطين وبذلك تكون قد تحرّرت من قيودها الذكورية، أما شئم فكان يرى في علاقته بصابرية محاولةً لاكتشاف هذا المجتمع المنغلق على ذاته، فالنساء هنا محجبات وهو لم يعبر منذ زمن بعيد عن رجولته. هنا تختلف دوافع كل شخصية مما يجعل مفهوم الحب مع الآخر / الحبيب منقطعاً، قائماً على دوافع مختلفة، فما إنْ يقضى شئم وطه من الفتاة الصغيرة حتى يعود إلى بلده يفتّش عن حبيبه السابقة ليعيد بناء علاقة جديدة معها، أما صابرية فتعود إلى مواجهة سلطة البيت، وأعراف المجتمع في إخفاء ملامح علاقة حب وهيبة بين طرفين مختلفين تماماً.

(1) صابرية وأصيلة، انظر: الصفحات بالترتيب: 30، 59، 122، 55.

جــ الآخر / المحتقر

في رواية (الطواف حيث الجمر) تتصارع شخصية زهرة مع شخصية النوخذة سلطان، هذا الصراع طيلة أحداث الرواية كان كفياً لإظهار ملامح كثيرة في علاقة المرأة بالآخر، وهي علاقة قائمة على احتقار الآخر، وتصنيفه دونياً. إنّ علاقة زهرة بسلطان قائمة على المصالح المشتركة بين الطرفين؛ فزهرة تريد الهروب إلى أفريقيا وتحتاج إلى سلطان لإيصالها، في حين أنّ سلطان يحتاج إلى المال الذي لدى زهرة لإصلاح مركبه. تبدأ علاقة زهرة بسلطان حذرةً يشوها الخوف نتيجة ما وصل إليها عنه من سمعة سيئة، ثم تتطور هذه العلاقة بين شدٍّ وجذب، تارةً تكون القوة لها وتارةً تنقلب الموازين له. إلا إنّ الملاحظ في هذه العلاقة طغيان دلالات الاحتقار؛ فزهرة تحقر سلطان كونه زطياً ولصاً وتاجر عبيداً. وتتكرر هذه الدلالات طيلة الرواية، وتقوم زهرة بتكرارها في كل موضع، وتمثل الجدول الآتي لفاظ الاحتقار التي وجهتها زهرة لسلطان ومرات تكرارها:

م	اللفظ التحقير	عدد المرات
1	الزطّي	3
2	اللص	14
3	المكروه / الكريه	4
4	البغض	4
5	ألفاظ أخرى	38

ويمكّنا استنتاج الكثير من خلال الشكل التوضيحي للحضور الأكبر لأفعال وأقوال زهرة بما تكتّه نحو خميس من الكره والاحتقار. وتعامل زهرة مع خميس بنوع من الاحتقار الزائد، فقد كان في - نظرها- "متعرجاً بطريقة مستفزة، وطويلاً بلا حدود، ينظر إليها وهو في علوه الشاهق كأئمها أحقر من غلة"⁽¹⁾. وبما أن المكان/ المزرعة صار تحت سلطة زهرة فإن كل ما عليه صار ملكاً لها، ولذلك بجد زهرة تستخدم سلطتها الفوقية في التعبير عن ملكيتها: "آه هذا الخميس إنه مغزور مجحوف، لا

.229 الطواف حيث الجم : (1)

عليك سأبيعه"، "هذا يجعلني مصرة على بيع هذا الكتمبوا المغرور"⁽¹⁾. وعندما ذكرها ربيع خادم سلطان: "أليست أنت من تقولين بأن الناس جميعهم سواسية، لماذا تقلبين على كلامك؟" قالت: "لا.. لا، أنا لا أنقلب، هم سواسية ولكن فقط هذا الخميس وبعدها سأتوب"⁽²⁾.

إن موقف زهرة تجاه الآخر المحتقر (الأفريقي) بدأ من الجبل، عندما كانت تصف ميا زوجة سالم بألفاظ الاحتقار والدونية، وشأنها في ذلك شأن والدها الذي كان ينادي بالمساواة، ولكن داخله كان يضجُّ بأنساق الطبقية والدونية. لقد نشأت زهرة ابنة الشیوخ في مجتمع يتغذى في خطابه المضرر على الطبقية، ويرى في الآخر / الأسود عبداً محتقراً بياع ويشتري، ورغم أنّ الناس سواسية في عرف والدها فإنه يشتري العبيد لخدمته وخدمة أهله، وكذلك انتقلت هذه الألفاظ الدونية إلى الخطاب الصادر عن زهرة، فالناس في عرفها مراتب: أحرار وعبيد، عرب وزطوط، بيض وسود، وهكذا.

وتتوالى الألفاظ في حق خميس: (احترم نفسك وأنت تكلم سادتك)، (أنت كاذب وسخ)، (يعجبني هذا التفاني، ولكنكم، أعني لكنهم أصبحوا عبيداً ولا مغيّر لذلك)، (تبالك، أيها السافل القدر ترفضني أنا)⁽³⁾، هذه الألفاظ طبقية في مبنها، تحمل في طياتها دلالات العنصرية، لكنها تختفي عند أزمة زهرة الكبيرة، لقد ثار العبيد على أسيادهم، كما تقول، وبدأ الثوار بقتل الناس وبقر بطونهم، في هذه اللحظة اختفت كل دلالات الطبقية والاحتقار، وعرضت زهرة على خميس / كتموا الزوج حتى لا تقتل. لقد تخلّت ابنة الشیوخ عن قيمها الوهمية التي بناها المجتمع في ذاكرتها، قيم رأت فيها أنها "أميرة حقيقة" ولو ملدة قصيرة. هكذا تبني الرؤية تجاه الآخر / المحتقر، يتم النظر إليه نظرة فوقية، إنه بحکم لونه وعرقه مستحق عبد، ولا يمكن أن يكون إلا هكذا كما صيغته الأعراف التقليدية.

(1) الطواف حيث الجمر: 231.

(2) المصدر نفسه: 231.

(3)المصدر نفسه، انظر: الصفحات بالترتيب: 297، 255، 258، 233.

النتائج:

- تناولت الرواية النسوية العمانية قيمًا ودلالاتٍ تحيل على عددٍ من الأنماط المضمرة في الخطاب الروائي، ويعكّرنا تقسيم هذه الأنماط إلى أنماط متعلقة بالمرأة، وأنماط متعلقة بالمجتمع، وقد كشفت الدراسة عن مضمراتها التي اختبأت بين طيات الخطاب المجتمعي؛ إذ عملتُ الرواية النسوية على طرحها، وإبراز ظواهرها في الخطاب ضمن علاقة المرأة بالآخر الذكوري، مثل قضایا الطبقية، وتحمیش المرأة ومركزية الرجل، وقضایا اهیمنة الذکوریة.
- تتقاطع فكرة الرواية النسوية - لا سيما فكرة الأنماط المضمرة - مع النظريات النسوية الحديثة، من كونها تُضمِّر دلالاتٍ مسكونةً عنها في الخطاب، اشتغلت عليها الدراسة، وعملت على إبراز قضایاها المختلفة، وتکوین صورة للمرأة تتقاطع مع الكتابة النسوية في العالم في علاقتها بالآخر الذکوري.
- أظهرت الدراسة ملامح الصوت المهمّش للمرأة مقابل مركزية الرجل، وهذا ما أظهرته نماذج من الروايات التي درست هنا، بإعطاء أهمية لشخصية الرجل مقابل الدور الهامشي الذي تعيشه في المجتمع.
- برزت العلاقة المتواترة بين الذات الأنثوية، والآخر الذكوري، وهو الذي تقدّمه الكاتبات على هيئة صراع داخلي يعمل على تشكيل الأحداث في الرواية.
- تحيل الرواية النسوية في علاقتها بين الذات والآخر، في ضوء الدراسة على تشكيل صورة المرأة في السرد وفقاً لصورتها الخارجية في الواقع؛ إذ تتشكل الصورة السردية بناءً على استعارة دلالاتها من الواقع الخارجي التي تحيل عليه. وتظهر جوانب الضعف والقوة، وتقديم الشخصيات بناءً على مرجعياتها الاجتماعية والثقافية والجغرافية والدينية والسياسية والتراصية والمعرفية.

- تظهر زاوية نظر الساردة/ الكاتبة الأنثى من خلال تناول بعض الثيمات المرتبطة بالذات الأنثى والآخر الذكوري، مثل ثيمات الحب، والصراع الطبيقي، والعادات، وهو ما عملت الروايات معه على نقد قيم المجتمع.

المصادر والمراجع:

آل سعيد، غالية ف. ت، صابرية وأصيلة، رياض الرئيس للكتب والنشر، بيروت، ط1، 2007م.
الأصفهاني، الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبدالله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مكتبة الخانجي، القاهرة- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1996م.

باركر، كريست، معجم الدراسات الثقافية، ترجمة: جمال بلقاسم، دار رؤية، القاهرة، ط1، 2018م.
البازعي، سعد، الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-بيروت، ط2، 2011م.

بعلي، حفناوي، موسوعة النقد النسووي في الثقافة العربية، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2019م.

الجهوري، هدى، الأشياء ليست في أماكنها، مؤسسة عمان للصحافة والنشر والإعلان (كتاب نزوی)، سلطنة عمان، الإصدار الثالث عشر، مايو 2010م.

خلفان، بشرى، الباغ، مسعى للنشر والتوزيع، كندا، ط1، 2016م.

الخولي، يمنى طريف، النسوية وفلسفة العلم، مؤسسة هنداوي سي آي سي، المملكة المتحدة، 2017م.

ديورنخ، سيمون، الدراسات الثقافية: مقدمة نظرية، ترجمة: د. مدوح يوسف عمران، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 425، يونيو 2015م.

- الشحي، بدرية، **الطواف حيث الجمر**، دار سؤال للنشر، بيروت، ط1، ٢٠١٧م.
- الشيدyi، فاطمة، **حفلة الموت**، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، ٢٠٠٩م.
- عصفوري، جابر، **نقد ثقافة التخلف**، دار الشروق، القاهرة، ط1، ٢٠٠٨م.
- الغذامي، عبدالله، **المرأة واللغة**، الدار البيضاء-بيروت: المركز الثقافي العربي، ط5، ٢٠١٥م.
- وهابي، عبدالرحيم، **السرد النسووي العربي: من حبكة الحدث إلى حبكة الشخصية**، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، ٢٠١٦م.

الصورة المشهدية السينمائية وتقنياتها البنائية لدى شعراً قصيدة التفعيلة العرب

د. ياسر فضل صالح العامري^(*)

الملخص:

بين الشعر والفن علاقات حميمة، ازدادت متنتها في العصر الحديث، إذ أدى تحول القصيدة العربية إلى التفعيلة إلى استثمار الشعراً تقنيات فن السينما وتوظيفها في نتاجهم الإبداعي في سبيل تحدث قصائدهم والولوج بها بباب الحداثة المعاصرة، وقد دفعنا إدراكنا لهذا التحول للسعى إلى كشف ذوبان الفاصل التقديربي بين الجنس الشعري وفن السينما، وقد تمثل ذلك في الوقوف أمام عدد من النماذج الشعرية لعدد من شعراً التفعيلة الأوائل والتابعين وتشريحها؛ بهدف الكشف عن مدى تشرب شعراً التفعيلة وعي الحداثة الجديدة المتتجاوز الشكل إلى الفن، واستكناه مدى قدرتهم على توظيف مخرجات تلك الحداثة في نتاجهم الإبداعي... وقد كشف التشريح العملي للمتون الشعرية تسلح هؤلاء الشعراء بثقافة سينمائية عميقية، إذ لمسنا شراكة متينة بين فن السينما والشعر، تجسدت في استعارة الشعر لأدوات السينما وتقنياتها مثلية بدرجة أساس، في قوام هذه الوقفة البحثية، في مقوماتها البنائية وما يفرضه مشهد المفتتح من أثر بنائي ودلالي في محمل بنية النص ومشاهده... وقد أوثق هذه الدراسة، ضمنياً، أهمية النظر إلى المتون الشعرية الحديثة من زوايا غير تقليدية، كونها وليدة وعي حداثي يمتص فتوحات الثقافة المعاصرة، ويعمل على إعادة تمثيلها في مجالات ابداعية وليدة وصور مبتكرة.

الكلمات المفتاحية: شعر التفعيلة، الصورة المشهدية، السينما، البناء، السياق، البياتي، دنقل،

المقالخ

(*) أستاذ الأدب العربي الحديث المساعد، قسم اللغة العربية كلية التربية عدن . جامعة عدن.

Cinematic Scene Images and their Structural Techniques among Arab Poets of Blank Verse

Dr. Yaaser Fadhl Saleh Al-'Aamry

Abstract

Between poetry and art lies intimate relations and whose strength has increased in the modern era. The transformation of the Arabic poem into blank verse led poets to capitalize the techniques of cinematic art and employ them in their creative output in order to modernize their poems and access the threshold of contemporary modernity. Our realization of this transformation prompted us to seek to uncover the vanishing of the suppositional wedge between the poetic genre and the cinematic art. This was represented in surveying and illustrating several poetic samples of a number of the early blank verse poets and their adherents; with the aim of revealing the extent of blank verse poets' absorption of the awareness of the new modernity that transcends form to art, and the submissive extent of their ability to employ the outputs of that modernity in their creative production.

The practical analysis of the poetic texts revealed that these poets were well-armed with a deep cinematic culture, as we perceived a strong bond between the art of cinema and poetry, which was embodied in the poetry's borrowing of cinema tools and techniques represented mainly in the strength of this research stance, in its structural components and the structural and semantic effect imposed by the opening scene on the overall structure of the text and its scenes. This study implicitly suggested the significance of considering modern poetic texts from non-traditional viewpoints, as they are the product of modern awareness that absorbs the successes of contemporary culture and works to re-represent them in new creative fields and innovative images.

Keywords: Blank verse; Scene image; Cinema; Structure; Al-Sayyaab; Al-Bayaati; Dunqul; Al-Maqaaleh

مقدمة:

إن النظر في العلاقات الناشئة بين الأجناس الأدبية والفنية يكشف عن أن التطور الذي رافق نظرية العلاقات بين الفنون لم يقتصر على ظاهرة من الظواهر أو زاوية من زوايا الحياة، وإنما كان موقفاً حضارياً شاملأً مس جميع مجالات الحياة والمعارف الإنسانية المختلفة، ونقلها من نطاق النظرية الانفصالية والانعزالية الضيقة إلى نطاق فسيح تصالح فيه عوالمها، ويشري بعضها ببعض، وتتدخل حدودها، ويلتحم بعضها ببعض في صورة جدل دينامي دائر⁽¹⁾... وتحصيص زاوية الرؤية النقدية لفحص العلاقة القائمة بين الشعر والفن تكشف عن نشوء علاقة متينة بينهما، تزداد متنانتها كلما تقدما في الزمن، إذ أدى تحول القصيدة العربية عبر محطات زمنية عديدة إلى تحديث بيتهما النصية بروئي مبتكرة وسبل مستحدثة على الدوام، وقد أحدث ذلك التحول، في محطات عديدة، تصدعات بنائية أسهمت في زعزعة أركان نظام القصيدة العتيق، وهو ما أفرز تغييرات فنية وخلق تقنيات متعددة من حيث أنماطها، ومبتكرة في سبل توظيفها...، ونظرأً لذلك فإن فحص نصوص الحداثة الشعرية يستلزم مفارقة الأداء النبدي السائد للمنتج النصي، والدخول إليها زوايا تسهم في استكشاف جماليات البنية النصية للقصيدة العربية الحديثة.

إن قراءة المنتج النصي لقصيدة التفعيلة قراءة تشريحية فاحصة لجماليات الشعرية المتعددة، والوقوف على تكنيكاتها الفنية والبنائية التي مكتنها من الولوج في باب الحداثة المعاصرة، تستوجب معainة خاصة تستدعي إزالة الفاصل التقديري بين الجنس الشعري والفنون، بحيث يتسعى لنا الالتفات إلى التقنيات غير الشعرية المستجلبة من فنون غير لغوية، لعل أهمها تقنيات فن السينما، التي ستكون محور اشتغال هذه الوقفة التشريحية الموجزة.

(1) ينظر: الشعر بين الفنون الجميلة: 48.

إن الفقرة النوعية التي حققتها القصيدة العربية في نهاية الأربعينيات من القرن الماضي وما تلاها، والمتمثلة في زعزعة البنية العمودية وتحطيمها، فتحت الباب واسعاً أمام شراء قصيدة التفعيلة لترصيع بنية قصائدهم بتكتيكات مبتكرة وتقنيات مستحدثة لم تكن مألوفة بالصورة التي وصلت إليها عندهم، ومن هنا يأتي اختيار هذه الدراسة لمتونها النصية، حيث جعلت النتاج الإبداعي لقصيدة التفعيلة العربية ميدان اشتغالها؛ بهدف تسليط الضوء على بعض السبل التي سلكتها قصيدة الحداثة، واستكشاف قبس من الوسائل والتقنيات التي استعارتها من فن السينما في طريق تحديث بنيتها الوليدة... ونظراً لكثرة مرتدادي هذا النمط من الشعاء، وبروز سمات فن السينما في نتاجهم الإبداعي، فقد وجهنا جل اهتمامنا إلى استكشاف وعي الشعاء الأوائل الكبار بتلك السمات؛ لبيان تشرفهم وعي الحداثة الجديدة المتجاوز الشكل إلى الفن، واستثناؤه مدى قدرتهم على توظيف مخرجات تلك الحداثة في نتاجهم الإبداعي، وهؤلاء الشعراء ممثلين بـ(السياب والبياتي وأمل دنقل)... وكي لا ينقطع خط الأثر الذي رسم ملامحه الشعراء الأوائل فقد أرددناهم بـ(عبد العزيز المقالح) بوصفه مثالاً لشعراء التفعيلة الكبار التابعين... وتأتي هذه الإضافة بهدف ملامسة امتداد هذا النهج الفني وتبع مدى رسوخه في بنية القصيدة، كي يتسرى لنا التثبت من مصداقية القول: بإذابة الفوارق الفاصلة بين الشعر وفن السينما من عدمه، مع التنبه إلى أنها لم نقف على تبع كيفية انتقال الأثر من السابق إلى اللاحق، بل أكتفينا برصد بعض مظاهر توظيف تلك السمات السينمائية لدى شعراء الدراسة؛ فاصلدين من وراء ذلك إلى الإيحاء بطريقة عملية تحليلية عن عمق جريان ذلك الأثر وانتقاله بين الأجيال بوصفه سمة أصلية من سمات الحداثة الشعرية التي لم تتن حظها من الاهتمام بالدراسة والنقد.

لقد بدا لنا من خلال القراءة الأولية لمتون شراء التفعيلة سعي كثير من رواد الحداثة الشعرية المعاصرين إلى الإفاده مما يمتلكه فن السينما من إمكانات تقنية؛ خدمة للأثر الجمالي والدلالي المراد، ولعل هذا نابع من إدراك الشعراء الرواد أن الشعر العربي الحديث يقف على حافة تطور جارف

العاصف⁽¹⁾، الأمر الذي دفعهم إلى تحديد بنية النص عبر خلق فضاء من الصور المشهدية المكتنزة بالمؤثرات السينمائية المختلفة. وقد عزز الشعراء التابعون هذا النهج ورسخوا دعائم حضور الصورة المشهدية بتقنياتها البنائية وملابساتها الفنية ومؤثراتها البصرية والصوتية والحركية بحيث أصبحت من أهم تقنيات فن السينما التي توسل بها شعراء التفعيلة في سعيهم إلى تحديد بنية القصيدة الحديثة. وفي سبيل استكشاف مصداقية الانطباع السابق القائم على القراءة الأولية فسوف نسعى من خلال هذه الوقفة البحثية إلى رصد بعض مظاهر تلك المشاهد السينمائية وملامسة طرق توظيفها في المتنون الشعرية؛ في سبيل استكشاف ما أضفته على المتنون الشعرية من تشكلات بنائية سينمائية بدرجة أساس، والوقوف على بعض ملابساتها الفنية وأبعادها الدلالية الخالقة للأثر كلما دعت الحاجة إلى ذلك.

المشهد السينمائي وتقنياته البنائية:

يعرف (جان بول تورووك) المشهد السينمائي بأنه وحدة درامية مستقلة تتضمن فعلاً مستمراً له تاريخ دقيق، ويجري في ديكور⁽²⁾ واحد، وبين الشخصيات نفسها دون حذف أو قفز فوق الزمن⁽³⁾، أي أنه يقوم "على تواصل سلسلة اللقطات وبالتالي فهي ديمومة حقيقة، خلافاً للمتالية التي تتميز بإيجازات زمانية"⁽⁴⁾، و"تكمن أهمية المشهد السينمائي كونه يشكل المحرك المؤدي للنمو الدرامي في

(1) ينظر: ديوان نازك الملائكة: 27/2 - 28.

(2) الديكور: يسمى التصميم الداخلي، وهو علم يقوم على تطوير القدرات والمهارات الإبداعية والثقافات المختلفة؛ بهدف إبراز جماليات المشهد موجوداته، وتتمثل أهمية الديكور السينمائي في امتلاكه قدرة التعبير على الخصائص المميزة للمشاهد، والإسهام في إبراز الدلالة المراد توصيلها والإيحاء بها.

(3) ينظر: التصوير المشهدى في الشعر العربي المعاصر: 25.

(4) معجم المصطلحات السينمائية: 93

الفيلم؛ لأنّ أيّ تغيير في المشهد. أي الانتقال من مشهد إلى آخر . يتبعه حتماً تطّور في القصة الفيلمية".⁽¹⁾

إن تفحص نتاج شعراء التفعيلة العرب الرواد يكشف عن أن انتقال قصيدة التفعيلة تدريجياً من النزوع الذاتي إلى الموضوعي أسمهم في فتح أفق النص للوصف ودخول الأحداث والشخصيات في فضاء اللوحة الشعرية بصورة واسعة، وجعل بنية كثير من القصائد تقوم على لوحات مشهدية تمهد الأرضية للدخول إلى عوالم النص وواقعه حيناً، وتسهم في تمدده وتناميه أحياناً أخرى، وفي ثنايا هذا وذاك يعمل الصوغ الشعري على خلق تشكالاته الفنية وبعث إيحاءاته الحالقة للأثر الجمالي. هذا النزوع الفني لا يقتصر على القصيدة ذات الطابع الموضوعي فحسب بل يتمدد حضوره ليغوص كثيراً من القصائد التي لا تخلي من لغة البوح والوجود... ويبدو أن الحرية الإيقاعية النسبية، التي عملت على تخلص قصيدة التفعيلة من الرتابة الصوتية المنتظمة، أسهمت في فك القيود التي كانت تكبح جماح حركة المشاهد والأحداث، وأخرجتها إلى فضاء تمدد فيه المشاهد وتتوالى الأحداث تواليًا شبهاً بمرور الصورة السينمائية أمام العين الباقرة.

تُعدّ الصورة المشهدية، كما ذكرنا سابقاً، أبرز تقنيات فن السينما حضوراً في شعر الحداثة العربية، حيث توسل بها الشعراء في طريقهم إلى تحديث بنية القصيدة، وأضفوا عليها، في كثير من نتاجهم، لمسات فنية تبعدها عن الوصف الغار المكتفي بذاته، إلى جعلها بنية ديناميكية حاملة للدلالة، وفاتحة أفق النص للتمدد والتنامي... وقد كشف تتابع نتاج شعراء التفعيلة عن تعدد سبل توظيف الشعراء لهذا النمط من التصوير، حيث تمثل القصيدة، أحياناً، إلى توظيف الصورة المشهدية، في المفتتح، بأسلوب شبيه بعمل عدسة الكاميرا، حين تفتح الفيلم السينمائي بمشهد يؤطر للخلفية التي ستدور فيها الأحداث، ويهدف الشعراء من وراء ذلك إلى الإلقاء بما يفسحه توظيف هذه التقنية، في مفتتح

(1) التصوير المشهدى في الشعر العربي المعاصر: 23.

القصائد، من خلق أفق بنائي متداً، وما يمثله من خلفية تلقي بظلالها الإيحائي على مجمل المشاهد والأحداث اللاحقة. نجد هذا التأثير المشهدى الممهد للأحداث في قصيدة (أحزان الليلة الأخيرة من حياة عمارة اليمني) لعبد العزيز المقالح⁽¹⁾:

الرَّمَانُ: تساوى النَّهَارُ مَعَ الْلَّيلِ، فِي نَدْرَةِ الضَّوءِ، لَكَنَّهُ كَانَ لَيْلًا ثَقِيلًا حَطَطِي عَابِسًاً. وَالْمَكَانُ:
ذَرَاعٌ مِّنَ الْأَرْضِ، زَنْزَانَةٌ يَتَكَوَّرُ فِيهَا السَّجِينُ الَّذِي سِيقَدِمُهُ الشَّعْرُ لِلْمَوْتِ..

افتتح المقالح قصيده بتأثير للخلفية المكانية والزمانية، فاتحاً بذلك أفق النص لولوج الشخصيات وتتابع الأحداث... وهذا المشهد (الإطار)، بصورته التي تشكل بها في مفتاح القصيدة لم يوظف بوصفه إطاراً خارجياً مجرداً من أية بواعت إيحائية، بل عمل على فتح أفق الدلالة كي تشي في مضمونها بطبيعة الحياة التي سُتسلط عليها عين الكاميرا... فالزمان وقت المغيب وببداية سكون الأحياء إلى ذواتها، والمكان زنزانة تضيق ب أصحابها... وبهذا جمع المشهد بين سوداوية الزمان وضيق المكان بما يمثلانه من إطار للكبت وحصار للإنسان المقهور في محیطه.

هذه الخلفية المشهدية الموحشة، التي عمد الشاعر إلى وضعها في مفتاح القصيدة، كانت نتاج المخيلة السينمائية التي تلبست وعي الشاعر لحظة الصوغ الشعري، إذ استعان بتقنية الفيلم السينمائي التي توظف المشهد في المفتاح بوصفه خلفية تفتح فضاء الفيلم لولوج الشخصيات وتتابع لأحداث كما ذكرنا سابقاً... هذا التلاحم التقني بين الشعر والفن أكسب الشعر جماليات إضافية مكنت الشاعر من الولوج إلى أعماق الشخصية (شخصية الشاعر القناع)، كما أسهم في بلورة أسلوب حداثي أجاد الشاعر بوساطته بعث وحشة شعور النفس المتکورة على ذاتها، وسرد أحزانها وبث مواجهتها وذكرياتها وما استشعرته من خيبة أمل لتطبعاتها (كما يتضح من مجمل النص)... كل تلك

(1) الأعمال الشعرية الكاملة: 659/2

المواجد والأحسيس ما كان لها أن تبعث أثراً في المتلقى المشاهد، وما كان له أن يتقبلها بالفاعلية نفسها إن لم تكن محاطة بخلفية حاضنة لتلك المواجد والأحسiss وباعثة لها.

إن الانتقال من مشهد المفتاح إلى تلمس أثره في بنية نصوص شعراء قصيدة التفعيلة، يكشف عن أن هذا النمط من التصوير كثيراً ما يمارس لعبته البنائية، ويفرض طقوسه الفنية وملابساته الإيحائية على امتداد النص، حيث يبرز أثر مشهد المفتاح فيما يفرضه من تعاملات بنوية في قوام بنية المشاهد اللاحقة، وما يولده من استدعاء مشاهد لا تخلو من الظلال الإيحائي المنبعث في المفتاح، فتتوالى بنية المشاهد، في قوام النص الشعري، توالياً لا يخلو من التوتر الدرامي، بفعل هذا الأثر وتقنيته المستجلبة من فن السينما.

لقد أدرك المقالح أهمية الصورة المشهدية التي يوظفها المخرج السينمائي في مفتاح الفيلم، فاستعان بما يشيره مشهد المكان الليلي، الذي يضيق بصاحبها، من حمولات نفسية وبواعث إيحائية للولوج إلى مكون شخصية يسيطر عليها القلق والاضطراب، فجاء حديث الشخصية بصيغة من صيغ التداعي الحر للأفكار والهواجس، ما أدى إلى احتدام الذكريات وتداخلها بالحاضر والمستقبل، فتدافعت بكثافة شعورية تم حشدتها عبر إيجازات زمنية أسهمت في نقل بنية النص من مشهد المفتاح إلى خلق سلسلة من المتواليات والمشاهد المكتنزة بكثافة شعورية مشعة.. وقد كان لهذا العامل النفسي المتلبس للشخصية أثره في عدم فتح مجال أوسع لمشهد المفتاح كي يتمدد، حيث إن قلق الشخصية جعلها تهيّم في زوايا مختلفة، إذ احتدمت في مخيلتها هواجس مضطربة، فولد هذا الاحتشاد القلق قفزات زمنية أوقفت تمدد مشهد المفتاح، غير أن الشاعر، رغم هذا، كان حريصاً على عدم تحول النص إلى سرد هواجس لا تفضي إلى تطور القصة الفيلمية أفقياً، ومن ثم تفقد نموها الأفقي الذي هيأ له مشهد المفتاح، ولهذا عمل، في ثنايا رصده لفيض الهواجس والأفكار التي تداعى على المخيلة تداعياً حرّاً غير متحكم بقانون الزمن الواقعي، على التأثير على محطات مشهدية قصيرة ملتم بواسطتها شتات خط

السرد وضبط مجرى تواليه أفقياً، حيث أشر على أربع محطات أو فواصل زمنية متوازية في ثنايا النص الشعري، نجدها في قوله⁽¹⁾:

(...) **الجبالُ حصى، والثُّوْمُ زنازنُ مقلفةٌ، والطريقُ اخناءاتٌ لا تستبينُ معالمُها**).

وقوله⁽²⁾:

(ختفي في السماء النجومُ، تدقّرها غيمةٌ بالكابةِ والحزنِ. في الأرضِ يتلألأ الرُّعبُ لونَ المصابيحِ، وهو يقلّبُ جُنّته صارعاً).

ويقول في المحطة الثالثة⁽³⁾:

(ساعةُ البرِّ تعلنُ منتصفَ اللَّيلِ.. في ركضِه الدَّاخليِّ لم يزلْ ثابتاً جرعاً، يجذبُ الرأسَ منْ قبضةِ الحزنِ والخوفِ، يطلقُ عينيهِ عبرِ حديدِ الزَّانِنِ نحوِ المقطَّمِ).

وفي المحطة الرابعة يقول⁽⁴⁾:

(الآذنُ لما ترُلْ تتهَدُّ في قبضةِ اللَّيلِ، تحتَ مخاوفها تذكرُ اللهُ أكْبُرُ..، والقادُةُ النَّاعسُونَ بظاهرِ المدينةِ يستصرخُونَ الجبالَ، وما زالَ في صمتِه جاثماً تحتَ جمرِ القيودِ يصلّي).

إذا كان المفتتح يلتقط مشهد الزنزانة لحظة الغروب التي يختلط عندها الليل بالنهار، فإن الفواصل الأربع ترصد خط التمدد الزمني أفقياً، حيث تزداد، قليلاً، كنافة الظلام، في المحطة الأولى، فلا تستبين معالم الطريق، ثم يتقدم الزمن، بعد ذلك، فتنطفئ المصابيح مشيرةً إلى اقتراب الزمن من منتصف الليل، ثم منتصف الليل في المحطة الثالثة، ثم وقت أذان الفجر في الرابعة... ويلاحظ أن المقالح قد عمد إلى

(1) الأعمال الشعرية: 2/662.

(2) نفسه: 663.

(3) نفسه: 665.

(4) نفسه: 666.

وضع هذه الفوائل بين قوسين، دالاً بذلك عن استعانة الشاعر بتقنية المونتاج (١) السينمائي وتقعده دور المخرج حين يعمل على إحداث فففات زمنية تدركها عدسة المصور وتنقلها لنا مُدركه بالعين، وهو بهذا لم يكتف بإخراج عمله النصي بصورة مماثلة لأسلوب كتابة السيناريو (٢)، ولعل هذا نابع من إدراكه أن النصوص السينمائية لا توفر، غالباً، قراءة ممتعة لأنها مجرد خريطة أو مؤشر للإنتاج النهائي (٣)... ولهذا جاءت هذه النقلات في قوام من البناء المدرك فنياً وجماليًّا بالمشاهدة، وهذه الفوائل تعد امتداداً زمنياً لمشهد المفتاح الليلي، وتكشف للمشاهد/ القارئ أهمية المشاهد التي أسهمت نقلاتها في نمو النص نمواً شعرياً درامياً شبهاً بالنمو الدرامي في القصة الفيلمية.

إن الوقوف على مشهد من مشاهد الختام، في نص شعري تتلبس مخيلته صاحبه وعي المخرج السينمائي ومنظوره، سيكشف عن لوحة مدركة عياناً، مكتنزة بالدلائل الملحقة لملأات أحداث القصة الفيلمية/الشعرية، والشاعر الجيد يستثمر هذه التقنية الفنية إلى أبعد حد ممكن، حيث يشبعها إيحاءً ويشحذها فيضاً مشعًا بالشعور الذي يريد نقله إلى المشاهد/القارئ. نجد شيئاً من هذا في نص المقالع حين ختمه بمشهد نصي يقول فيه^(٤):

(١) المونتاج: يعرف بأنه ترتيب اللقطات المختلفة؛ بحيث تُعطى مجتمعة معنى أو فكرة مختلفة لما تعطيه كل لقطة على حدة، أو هو عملية تركيب خلاق لجزئيات الفيلم من حيث تكوين الأفكار والمعاني والمشاعر والإيقاع والحركة، بما يحقق الوحدة الفنية للفيلم، وبهذا فهو المسؤول عن إنتاج المعنى، وهو لا يكتفي بترتيب اللقطات لتناسب السرد الدرامي فحسب، بل يقوم بدور المجاز والتورية والاستعارة... إنه يصنع بلامحة السينما. ينظر: الأسلوب السينمائي في البناء الشعري المعاصر: ٩٧ و ١٠٣. ويعرف بأنه "ترتيب اللقطات المختلفة في مرحلة لاحقة للتصوير التي تفترض إعادة بناء الزمن والمكان، مانحة استمرارية للسرد السينمائي". ينظر: الخطاب السينمائي. لغة الصورة: ٣٤٢.

(٢) السيناريو: هو "المخطط المكتوب لأجزاء حلقات الفلم، مع تخطيط الحوارات أحياناً". معجم المصطلحات السينمائية: ٩٢. كما يُعرف بأنه وثيقة مكتوبة ومقسمة إلى أعمده تمثل صور السيناريو وأصواته لقطة فلقطة، وهو يشكل المرحلة العليا قبل تصوير الفيلم، ومرجعاً للفريق التقني. ينظر: معجم المصطلحات السينمائية: ٢٧. ويعرفه (بوكanan) بأنه: "مجموع قطع التوليف في التسلسل الذي ستظهر فيه عندما يفرغ من إنجاز الشريط". تقنية السينما: ٤٧.

(٣) فهم السينما ٨. السينما والأدب: ١١.

(٤) الأعمال الشعرية: ٢ / ٦٦٨.

(الشوارع مذعورةٌ تفاررُ، وجهُ المدينةِ ينهضُ منْ نومِه المتقطّعِ، مشنقةٌ تتارجحُ في غبشِ
الفجرِ، في حيلها الكلماتُ الذبيحةُ خابيةٌ تتدلىُ، العصافيرُ مِنْ خلفِها ترقُبُ الشمسَ، حينَ تجيءُ
سترسلُ فوقَ مراكِبِها، وتشدُّ الرِّحالَ، بلا شِعرٍ انكَسَرَ القلبُ.. ها هي عائدةً لباري زيدُ).

إن القارئ الضمني⁽¹⁾ لهذا المقطع من القصيدة يستعيير عين المشاهد، ويقع في زاوية الرؤية التي ينظر منها إلى ذلك العالم الافتراضي الذي خلقته القصة الفيلمية، فيستجمع مذكراته الحسية ويعيد ربطها بذلك العالم الافتراضي الذي مر على شريط الأحداث قبل هذا المشهد، فيتجلى أمام ناظريه مشهد المدينة، الملتفت من زاوية علوية⁽²⁾، فاتحاً أفق الرؤية على شوارع المدينة التي بدأت تضج بالحياة بعد سكونها، ويستفيق سكانها شيئاً فشيئاً مع بداية تسلل خيوط الصباح، ثم ينتقل بصره بسرعة خاطفة مع حركة الكاميرا التي تسلط عدستها على زاوية من زوايا المدينة تتارجح فيها مشنقة ويتدلى جثمان الكلمات الذبيحة، وهذه اللقطة المأساوية أخفت وجه القاتل وغيت حضور كيانه المادي، وجدت فعله وسلطت عدسة الكاميرا عليه بدقة وتركيز عاليين، كما أخفت هيبة القتيل وجثمانه وجدت هويته؛ بهدف تعميم مشهد المأساة الذي لا يعد استرجاعاً مأساة فردية مستجلبة من

(1) القارئ الضمني: مفهوم له جذور راسخة في بنية النص، أنه معنى ولا سبيل إلى الربط بينه وبين أي قارئ حقيقي، فهو لا يقرأ النص من خارجه، وليس هو القارئ الفعلي الذي يمكن تصوره في عملية قراءة ميكانيكية، إنه بنية نصية وحالة من حالات إنتاج المعنى. ينظر: التلقي في النقد العربي في القرن الرابع المجري: 35-36. والمُؤلف والشاعر حين يتبع نصه يفضل أن يرتئي قارئه النموذجي، غير أن هذا "لا يعني، حسراً، أن يأمل في وجوده، بل يعني ذلك أن يؤثر في النص بما يؤدي إلى بنائه". ينظر: القارئ في الحكاية: 69.

(2) زاوية الرؤية أو زاوية الكاميرا في التصوير التلفزيوني والسينمائي: "هو الخط الذي تنظر عبره الكاميرا إلى الموضوع الذي يجري تصويره.. أي زاوية الكاميرا تجاه الموضوع الذي يصور". ينظر: قواعد الإخراج التلفزيوني: 89. تتوقف زاوية التصوير السينمائي على موضع العدسة الشيئية بالنسبة لحقل التصوير، فعندما تكون الكاميرا موضوعة بشكل أفقي على ارتفاع نظر إنسان، تبدو الزاوية عادلة، ويستطيع المخرج أن يفلّم موضوعه بطريقة النزول (من فوق إلى تحت) بوضع الكاميرا في الأعلى، أو بطريقة الصعود بوضعها تحته، للإيحاء بنظرة نحو الأعلى أو الأدنى. ينظر: معجم المصطلحات السينمائية: 6.

الماضي فحسب، بل مأساة إنسانية تستنسخ باستمرار، وتتدلى مشانقها كلما حاولت خيوط النور أن تتسرب إلى هذه المدن الذبيحة.

هذه الخاتمة التي تجسد مشهدًا من مشاهد الإعدام، تعد نهاية منطقية لما جسده مشاهد القصة الفيلمية وأحداثها، وما يعايشه قارئ القصيدة من قلق الشخصية وانكسارها وخيبة أملها، ومع هذا فإن القصيدة لم تكتف بالوقوف على مشهد الإعدام الذي وضع حدًّا لأساة الشاعر (القناع) وحياته، إذ تجاوز شاعر القصيدة المشهد الواقعي، وفتح أفق الرؤية على الشعور، إذ جسد نافذة الأمل وفتحها على الأفق المشرق، ووسع دائرة التطلع التي كان ينشدها المشنوق على جيل يرقب الحرية وينتظر لحظة الشروق الذي غيبته قوى التسلط والكبت، ولعل هذا نتاج طبيعي لأثر السينما في الشعر، حيث لا يكتفي المشاهد بالتفاعل مع ما يتحرك أمامه على الشاشة فحسب، بل مع ما يتربس ويثبت من معاني بصرية كمنت في ذاكرته⁽¹⁾ ... والشاعر في إخراجه لهذا البناء الفني بهذه الصورة الموحية يكشف عن أنه أجهد نفسه كثيراً في كتابة سيناريو النص والتخطيط لتفاصيل بنائه ورسم مجرى أحداته وتواли مشاهده، في سبيل الوصول إلى نتيجة فنية مرضية ومنتجة للدلالة، وقد أفرز هذا التخطيط لبنية النص بأسلوب السيناريو إنتاج عمل سينمائي مكتوب بالكلمات تمثل فيه الشاعر، لحظة الخلق الشعري، دور المخرج الذي لا يسعى إلى نقل المشهد كما هو، بل يضفي عليه بعض المؤثرات السينمائية التي تعمل على استشارة الدلالات المستخلصة والموحية لدى المشاهد... وإن مشهد الختام لا يستحضر، هنا، بوصفه خاتمة يتم بها إغلاق بنية النص، بل بوصفه لوحة مشهدية مشعة بالدلالة الكامنة ومشرقة بانبعاثها الموحية، بأسلوب فني وتقنية مماثلة لتقنية فن السينما في بعثه للدلالة المراددة في وعي المشاهد وشعوره.

(1) ينظر: العلاقة العضوية بين المرئي واللامرئي . النص البصري: 56

ولعله من المفيد الإشارة، قبل طي صفحة الحديث عن أثر مشهد المفتتح في بعث دلالاته الإيحائية في بنية النص، إلى أن الشعراء الذين يعتمدون على مثل هذا التكثيك الفني في افتتاح قصائدهم، سيجدون أنفسهم محكومين بطقوس فنية وأطر بنائية عديدة مستجلبة من فن السينما، فقد يغرق الشعراء، بعد هذا التأطير المشهدى في مفتتح النص، في رسم خطوط المشهد وتنسيق جزئياته، متقمصين في ذلك عمل المخرج الذي يولي الديكور عناية خاصة ويحمله محمولاته الدلالية التي يريد بعثها...، والشاعر، في طريقته تلك، قد يكتفى بموقف مشهدى واحد، يتخير منه ما يؤدي الدلالة التي يريد الإيحاء بها، فيبني النص، قصيراً كان أم طويلاً، بناءً عضوياً متماساً بالصورة التي سنجدها في قصيدة عبدالوهاب البياتى التي سنقف عليها لاحقاً في قوام هذه الدراسة... وإذا ما قصر المشهد عن بلوغ الكمال فإن الشاعر يلجأ إلى فتح أفق النص لتواли بنياته المشهدية التي تنساق في مكنونها البنائي والدلالي لسلطة مشهد المفتتح وبوعنته، جاعلاً من مشهد المفتتح إطاراً ومدخلاً وباعثاً لمشاهد النص ومحاجاً لأحداثه ومحمولاته الدلالية كما هو في نص المقال. وإذا ما نظرنا إلى هذه النصوص، التي تتخذ من تقنية التصوير السينمائي المشهدى أداتها للولوج في عوالم الشعرية الحديثة، من زاوية فنية، فإن زاوية الرؤية الفنية تضعننا أمام عدد من السبل، تتقاطب جميعها بين قطبي التوظيف المباشر والإيحائي للصورة المشهدية في المفتتح: فالشاعر المجيد يفید من مشهد المفتتح بوصفه باعثاً للدلالة التي ينشدها، وهو في هذا النمط من التصوير لا يكتفي بالنظر إلى الأشياء من منظورها السطحي المباشر، بل يميل إلى جعل المفتتح مشهدًا مكتنزاً بالدلائل العميقية الفاتحة أفق إشعاعها في مجلل النص، وهذا النمط من التوظيف العميق لمشهد المفتتح يسهم في خلق نص ثري بجماليات الشعرية الحديثة إذا ما أجيد توظيفه، كما لاحظنا سابقاً، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يبدو أن الشاعر يميل، أحياناً، إلى توظيف المشاهد توظيفاً مباشراً فيولي جل اهتمامه في وصف ظواهر الأشياء وأحوال الشخصيات والجزئيات المحيطة بها وصفاً توثيقياً مباشراً، وهذا كثيراً ما يؤدي إلى خلق نص متansom أو متراكماً... تتناهى لوحاته ومشاهده أو تتراءكم دون أن توفر للشاعر، ما لم يكن مجيداً وواعياً، كثيراً من

المساحات الفنية للإيحاء بالخلفيات المكتنزة والدلالات المشعة التي ينشدتها الشعر... وكلما استرسل الشاعر في حشد المشاهد والأحداث حشداً سطحياً، تمدد النص وترآكمت بنيته دون إضافة فنية مميزة غالباً... ونظراً لذلك فإن هذا النمط من البناء القائم على المشاهد المباشرة لا يخلو من المزالق الفنية، مالم تلتقطه عدسة شاعر مصور يعمل على تخير جزئيات لوحاته بعنابة كبيرة، ويضعها في مواضعها التي تقضي بها بحرفية ومهارة عالية، ويعمل على توظيفها توظيفاً فنياً دالاً وموحياً... وقد يذهب الشاعر مذاهب أخرى فيغرس في الغوص في أعماق الشخصيات وتطلعاتها وبواطن الأشياء وبواعثها، فيخلق نصاً مشهدياً، منبثقاً عن مشهد المفتاح، قد يتطلع إلى الخلاص من أسر الواقع ويستشرف المستقبل بخلق لوحات مشرقة تفضي إلى مشهد مغاير لمشهد المفتاح، أو يعود إلى الماضي للبحث عن مشهد بديل عن الواقع المعيش، وقد يراوح الواقع ويتعايش معه دالاً بذلك عن حالة الزهو أو الانكسار التي لا تقوى على الخروج من إطار مشهد المفتاح الذي يعمم ملامحه على مجمل النص... إلخ.

الشاعر في استعانته بتقنيات فن السينما في تشكيل جزئيات الصورة المشهدية لا يقف عند هذا النمط من التصوير المشهدية الذي وجدناه في نص المقالح والذي يميل فيه إلى جعل مشهد المفتاح بنية خالقة للأثر، تتسم بقدرها على توجيه بنية القصيدة ومشاهدها في عمق النص وخاتمه، إذ قد يستهويه المشهد فيغرس في رصد الجزئيات، فيتمدد النص ويسترسل الشاعر في تخير التفاصيل من منظور رؤية فنية عميقية، يعمل بواسطتها على شد كل تلك التفاصيل والجزئيات بخيط الدلالة المراد الإيحاء بها... والنص في مثل هذا النمط من التصوير كثيراً ما يبني في مجمله بناءً عضوياً متماسكاً، مكتنزاً بالتشكلات المشهدية البصرية والصوتية والحركية، بأسلوب مماثل لما نجده في المشهد السينمائي، نلمس شيئاً من هذه السمات في قصيدة (الحديقة المهجورة) لعبد الوهاب البياتي⁽¹⁾:

(1) الأعمال الشعرية الكاملة: 1 / 174 - 175.

القديم والبيت الحمقاء، التينة

ورفيف أجنحة المساء

وزنابق سود عطاش

تذوي، و أسراب العصافير الجياع

ملوية الأعناق، تحلم بالرحيل

والتبنة الحمقاء، نافرة العروق

كامل موس الشمطاء، لم تُبق السنون

منها سوی قش و طین

وعلى زجاج نوافذ البيت القديم

وعلى السياج، مخالب الموت الصمود

نشرت خط العنكبوت

وغناء حطاب، أبحَّ، يفيض من قلب السكون:

كوريقه صفراء، يا ريح الشمال!

عبر البحيرات العميقة، والبساتين الهميليني، والتلال

يا أنت يا ريح الشمال

وتردد الأصداء: "يا ريح الشمال!"

وعلی الحوائط فی اکتئاب

يتسلق الليل، أشبه بالثور

ويموء قطّ، والعصافير الجياع

ملوية الأعناق، تحلم بالرحيل

ومن المرات الطويلة، عطر امرأة يضوع

عطر يضوع

"عادت إذن!" ويثير في شفتيه جوع

جوع إلى لب الأعلى والفناء

ويموء قط، ليس من أحد هناك سوى المساء

.....

النص في بنيته الكلية عبارة عن حالة شعورية ينم استحضارها عن خيال استرجاعي⁽¹⁾ خلاق، وهو في بنيته الكلية يجسد موقعاً مشهدياً واحداً، تخير الشاعر جزئياته بعنابة، واستطاع أن يشد كل تلك الجزئيات من منظور رؤية لا تؤمن بدلالة الصورة المباشرة، بل تميل إلى بعث الدلالة عبر تأثيث بنية النص بمؤثرات سينمائية ختارة بوعي خلاق؛ يهدف إلى استثمار أقصى درجات الإيحاءات الممكنة.

وفي سبيل تحديث بنية القصيدة ومحاولة بعث دلالاتها بأسلوب مفارق لأسلوب الصورة البلاغية، من خلال ميل الوعي الشعري الحداثي إلى تأثيث النص بأدوات فن السينما وخلق انبعاثاته الإيحائية بوسائلها، وحرصه الشديد على تخير جزئيات المشهد بعنابة فائقة، وتحديد أبعاده بوضوح، نجد الشاعر، في هذه القصيدة، يسلط منظور الرؤية الشعرية على حديقة مهجورة يتسلل إليها المساء فيكسوها بخيوطه السوداء، وهو في تحريره لجزئيات اللوحة لم ينقل للقارئ/ المشاهد كل موجودات المشهد بمواصفاتها وأشكالها المختلفة، بل تخير منها ما يخدم الفكرة ويعودي الدلالة المراد بعثها... حيث جعل البيت القديم مركزاً للصورة، فسلط عليه عدسته من خارجه وجال بها في جدرانه ونوافذه

(1) ترى (جوديت جرين) أن الخيال الاسترجاعي "حضور صور ذهنية تتشابه وظواهر العالم الطبيعي وإن لم تعبّر عن شيء حقيقي موجود، وهي التي تزود الإنسان بالصور الذهنية لأشياء واقعية لأنماطاً مشفرة ولا وجود لها في الواقع". ينظر: المرئي واللامرئي في الفن التشكيلي: 264.

ومحيطه، وبذا حريصاً على نقل ما يدل على كل صور الحياة القائمة في فضاء المشهد ومحيطه، الإنسانية: (صوت الخطاب)، والحيوانية: (أسراب العصافير، خيوط العنكبوب على النوافذ، مواء القط)، والنباتية: (تين، زنابق، اللبلاب المتسلق)، وقد أضفى على هذه الحيوانات صفات العطش والجوع والذبول والإعياء، كما وظف حضورها للدلالة على أن البيت ومحيطه مهجوران، حيث استوطنت حديقته العصافير وتکاثرت في أسراب كثيرة بسبب هدوء المكان وغياب الحياة الإنسانية، وتکاثر القش على تربة الحديقة بفعل تکاثر نباتاته وذبولها وتقادم الزمن عليها دون رعاية، وبنت العناكب خيوطها على زجاج النوافذ، وتسلق اللبلاب حوائطه حتى غطائها، كما جاء صوت الخطاب خادماً لهذه الدلالة حيث صدح بعنائه ومزق سكون ذلك المكان المهجور، وبفعل السكون ترددت أصواته في أرجاء الحديقة وجنباتها... فضلاً عن ذلك تفنن الشاعر المصور في إضفاء سمات الحركة والصوت واللون على موجوداته، وحرص على إلباسها بعض الصفات واللاماح المدركة بالحواس، مما أنتج مشهداً سينمائياً مدركاً عياناً، يعج بالحركة والحياة، وقد أبدع في انتقاء تلك الجزئيات والسمات واللاماح وأجاد توظيفها في قوام المشهد، فتكاملت كل تلك الجزئيات المختارة بتنوعها وسماتها وأحوالها مشكلة مشهداً متماسك البنية، التقطه الشاعر بعدها مصور سينمائي ووعي مخرج يستشعر مدى أهمية الديكور والمكساج⁽¹⁾ في بعث الدلالة، كاشفاً بذلك عن أسلوب فني أكثر عمقاً ودلالة عمل بواسطته على إذابة الفوارق الفاصلة بين الشعر والسينما، وبعث الإحساس لدى القارئ/المشاهد بما يتلمس الشاعر من إحساس بالوحشة والفقد والعداب الناتج عن غياب ساكني ذلك الفضاء المهجور. التصوير بعده الفني وعمقه الإيحائي في هذه القصيدة لا تؤديه جزئيات النص كل منها على حدة، فتجزئته إلى صور مفككة يفقد الدلالة عميقها الفني ويضعف إشعاعها الجمالي الذي سعى الشاعر، بوعي، إلى بعثه عبر بناء لوحة مشهدية تتماسك أجزاؤها وتكامل مشهداً سينمائياً

(1) المكساج: عملية مزج كل الأصوات في شريط واحد، تعمل على خلق توازن مختلف الأصوات في شريط العرض. ينظر: معجم المصطلحات السينمائية: 68.

خطت قسماته الكلمات، وجعلت القارئ يقف أمامه موقف المشاهد الذي لا يستشعر لذة الفيلم من تواли مشاهده، ولا ينظر إلى جمالياته مما يخلقه من تنام درامي خالق للإثارة ومحرك للشعور، بل موقف المتحفز بسمعه وبصره لإدراك كل تفاصيله: حركاته وسكناته وتشكيلاته البصرية والسمعية بكل أبعادها.

إن انتقال الدراسة إلى الحديث عن ملمح آخر من ملامح الأثر الذي أفرزته السينما في قوام النص الشعري لدى شعراء التفعيلة، يكشف بأن الشاعر الحداثي يستثمر، خلال رحلة القصيدة، لعبة المخرج السينمائي في اجتذار مشهد ما، يعيد بنائه وتوزيعه كلياً أو جزئياً في قوام بنية النص؛ لهدف دلالي يلقي بظلاله على بنية القصيدة، من ذلك ما نجده في بعض التجارب الشعرية، لدى شعراء قصيدة التفعيلة، من استعادة مشهد المفتاح في الخاتمة، والشاعر في هذا لا يسعى إلى الاستفادة من مشهد المفتاح لهدف بنائي صرف، يغلق به عمله النصي فحسب، بل يوظفه توظيفاً فنياً يسعى بوساطته إلى الإيحاء بدلاله ما أرادها، فأوردها في صيغة المفارقة أو المماثلة... نجد أن هذا التكتيك المستجلب من السينما إلى الشعر، في قصيدة (في القرية الظلماء) للسياب، حيث يبدأ النص بهذا

المشهد:

الكوكب الوستان يطفئ ناره خلف التلال،
والجدول الهدار يسرره الظلام
إلا وميضاً، لا يزال
يطفو ويرسب... مثل عين لا تنام،
ألقى به النجم البعيد
يا قلب.. مالك، لست تحدأ ساعة؟ ماذا تريد؟
النجم غاب وسوف يشرق من جديد، بعد حين،
والجدول الهدار.. هيئ ثم نام،

أما الغرام - دع التشوق يا فؤادي والحنين!⁽¹⁾

هذا المفتتح شبيه بمفتتح الفيلم السينمائي، حيث نلمس فيه اجتهاد الشاعر في محاكاة عمل المصور، يتضح ذلك من سعيه الحثيث في إحلال منظور الرؤية الشعرية محل عين الكاميرا، وتسلیطها لالتقاط جزئيات المشهد الذي أعد وفق دیکور يتکئ على ما يشبه الواقع، حيث إن اتكاء الشاعر على الوصف مكنه من جعل منظر الأفق والجدول بعد الغروب، وانعکاس ضوء النجوم على جزئيات المشهد، خلفية وإطاراً عاماً افتتح به فضاء النص، ومهد من خلاله لمتمدد بنيته وتنامي حركته وتوالي أحداته ومشاهده.

هذا المشهد السينمائي يُبَيِّن وفق قواعد جمالية تقريره من الواقع وبجرده من أبعاد التخييل الميتافيزيقي والفنتازی؛ لما يتسم به من ملامح بيئية وخلفيات واقعية تحمل القارئ محل المشاهد الذي يتلقى الصورة ببصره لا بسمعه، فتجذبه قسمات ذلك المشهد وجزئياته بكل مؤثراتها المختلفة الضوئية والحركية...؛ ويهدف الشاعر من وراء توظيف الصورة بأسلوب المشهد السينمائي إلى تمهيد أفق النص للتعبير عن شعور ما... جاء ذلك عبر ربطها بما بعثه من شعور يتلبس الذات في النصف الثاني من المفتتح (يا قلب.. مالك لست تهدأ...)، ثم تمدد ذلك الشعور وتعمق حضوره، بعد ذلك، في كل مقاطع القصيدة ومشاهدها، وصولاً إلى مشهد الختام، الذي استعاد به الشاعر مشهد المفتتح، وأغلق به شريط المشهد النصي بتکنيك شبيه بالتكليك السينمائي، حيث يقول⁽²⁾ :

الكوكب الوسنان يطفئ ناره خلف التلال.

والجدول الهدار يسرره الظلام

إلا ومضيًّا، لا يزال

يطفو ويرسب مثل عين لا تنام؛

(1) ديوان بدر شاكر السياب: 341/1

(2) المصدر نفسه: 341

ألقى به النجم البعيد.

يا قلب؛ مالك في أكتئاب لست تعرف ما تريده؟!

يستعيد الشاعر مشهد المفتاح في الخاتمة بأسلوب عمل المخرج، حيث استحضر الإطار المكانى والزمانى بقسماته وخطوطه وأشیائه نفسها، مع إحداث تغييرات شكلية، تلقى بظلالها على حركة المشهد وتبعد إيحاء شبيهاً بإيحاء الصورة المشهدية المعادة في ختام الفيلم السينمائى، إذ يؤشر المشهد المعاد على طبيعة الأثر الذى يراد للمشاهد/ القارئ أن يخرج به بعد متابعته بمجمل مشاهد النص وطبيعة تنايمها الدرامي وتحول حركة الأحداث.

تظهر براعة الشاعر في توظيف بعض التغييرات الشكلية في هذا المشهد المعاد، من كونها توحى بتغييرات شبيهة بتلك التي يحدثها المخرج بين صورة المشهد السينمائى في مفتاح الفيلم وخاتمه... هذه التغييرات التي يتجسد حضورها في الفيلم من مجمل الظلال البصرية والصوتية والحركية بتقنياتها المختلفة، تجسد حضورها في قوام هذا المشهد النصي عبر علامات الترقيم المثبتة هنا وهناك من جسد النص، حيث أسهمت في إضفاء ظلال سينمائية تمثلت فيما أحدهته من تغييرات في حركة المشهد وبوعشه الإيحائية... وبين مشهد المفتاح والختام نجد: في نهاية السطر الشعري الأول من مشهد الختام حلت النقطة محل الفاصلة، وفي هذا دلالة على ديمومة العتمة وتوقف عين الكاميرا على مشهد الظلام ورسوخه بالوقف عليه بالنقطة، بينما دلت الفاصلة على تناقل الحركة في المفتاح، وفي هذا نلمس ملامح المفارقة السينمائية وبوعتها الموحية التي عملت على فتح أفق النص أمام محاولة ترويض النفس على تجاوز ذلك الواقع المتناقل في المفتاح، وخلصت إلى التسليم برسوخه وديمومته وعدم جدواه تجاوزه أو تغييره... وتتكرر دلالة الديمومة والثبات في ختام السطر الخامس من مشهد الختام، حيث كان مشهد البداية مفتوحاً على أفق السطر الشعري، وهذا مكن المشهد النصي من بعث الشعور بت Morrow حركة الصورة الشعرية في أفق النص بأسلوب شبيه بما ترصده عين الكاميرا وما تبعه الصورة المشهدية الممتدة في الفيلم السينمائى، والمؤغلة في عمق الفضاء الليلي الراصد أفق النجم البعيد الباущ ذلك

الوميض الخافت المتلائِي على سطح الماء، كما كان مفتوحاً أيضاً، عبر السؤال الذي يليه، على خفايا النفس ونوازعها ورغباتها المكبوتة التي استدعت فتح أفق السطر وتمدده أمام حركة الأحداث والماوجد...، وفي المقابل رسم الشاعر ديمومة الليل ونجومه في مشهد الختام، حيث رسم حضور الصورة المشهدية الليلية وأكَّد ديمومتها عبر إغلاق أفق السطر الشعري بالوقوف عليه بالنقطة.

ونلمس ملامح التحول السينمائي في اللوحة الشعرية من طبيعة الظلال الإيحائي الذي أحدثته المفارقة بين الفاصلة والفاصلة المنقوطة في ختام السطر الرابع، حيث توحِي الفاصلة المنقوطة بزيادة بطيء حركة مشهد الختام، معززة بذلك دلالة ديمومة ملامح الصورة الليلية التي سلم الشاعر بديمومتها في مشهد الختام... تتعزز هذه الدلالة عبر اختفاء النقاط التي جاءت وراء بعض في السطر الرابع من مشهد المفتاح، وهذا يؤشر على إطالة وقوف عين الكاميرا أمام تمويجات حركة اللوحة المشهدية وجزئياتها في المفتاح، والاكتفاء منها بقطة شاملة تلخص المشهد المعاد وتشتبه في الختام. هذه المفارقة السينمائية توحِي بأن استقصاء عين الكاميرا لجزئيات المشهد في المفتاح تهدف إلى تمهيد الخلية المكانية لدخول الشخصيات وتمدد حركة الأحداث وتناميها في أسلوب شبيه بأسلوب الفيلم السينمائي الذي يهتم فيه المخرج اهتماماً بالغاً بجزئيات مشهد المفتاح وخطوطه ويسعى إلى فتح أفقه لرصد ما سيكون، بينما تم استعادتها في مشهد الختام بقطة سريعة أفقدتها كثيراً من حركتها وتموتها وأكسبتها قبساً من سمات اللقطة الأيقونية؛ ذلك أن الشاعر استثمر تقنيات فن السينما وعمل بواسطتها على استعادة لوحة المفتاح في الختام بأسلوب يدل على رسوخ سوداوية واقع الحال المرصود مشهدياً ويولد لدى القارئ انطباعاً شبيهاً بالانطباع الذي يتلبس وعي المشاهد وشعوره: الممثل بالإحساس بصعوبة تغيير سوداوية ذلك الواقع من الناحية الدلالية، كما عمل على توظيفه تقنياً بوصفه وسيلة من وسائل الأداء الفني لإغلاق أفق النص... يعزز هذا الانطباع ما نلمسه في السطر الأخير من كآبة قُتلت معها حالة الهيجان التي تلبست الذات في المفتاح، وتحول معها الموقف من التساؤل عن سبب ذلك العنفوان الوجданِي الذي أُسهم في فتح أفق النص؛ بهدف الإجابة عن السؤال

ورصد حركة ذلك الوجد المنفعل بالبحث عما يريد، إلى الاستفهام التعجبي الفاتح فضاء الحيرة أمام المتلقى وتوليد الشعور بالانكسار والعجز.

إن تفحص العلامات الفارقة بين مشهد المفتاح ومشهد الختام يكشف عن كثير من العلامات الشكلية المستبدلة كـ(غياب النقطتين بعد النداء في السطر السادس وإحلال الفاصلة المنقوطة عوضاً عنها...)، هذه وغيرها من العلامات تحمل في ثناياها بوعاث تحول الشعور إلى الإحساس باليأس، وتولد الانطباع بصعوبة الافتتاح على المأمول الغيب أساساً.

هذا النمط البنائي للمشاهد يكشف أن القصيدة تتحرك حركة مغلقة، حيث بدا لنا أن القصيدة تبدأ بمشهد وتتعلق به، مع شيء من المعايرة البسيطة التي تبعث الإحساس برسوخ الحال وتعزز الشعور بصعوبة تجاوز واقع المفتاح واستحالة تغييره... هذه الحركة المغلقة التي تحسدت في قصيدة السباب تستدعي إيرادها مقرونة بنمط آخر من الحضور المشهدي المعاد في قوام النص الشعري، حيث نلمس في بعض النصوص، التي تتداعى فيها الأفكار والمواجد تداعياً حراً، أن حركة استعادة مشهد المفتاح في قوام بنية النص لا يخضع لمبدأ تقني أو بنائي متعارف عليه ومحظط له سلفاً، وهذا فإن هذا النمط من القصائد تستحضر فيها المشاهد، وتسترجع في صورة من صور البناء الحليزي الذي يعادد انتاج شفراته في محطات عديدة من جسد النص، وهذه الشفرات المعاد انتاجها على شريط المشاهد محكومة في تشكلها بوعاث الشعور وطبيعة الهواجس المثارة لحظة الخلق الشعري التي استدعت إعادة إنتاجها على شريط العرض، نجد هذا النوع من البناء الحليزي للمشاهد المعاد انتاجها في قصيدة أمل دنقل (بطاقة كانت هنا)... حيث يتنتقل بين محطات مختلفة خلال مقاطع القصيدة الثلاثة، وفي كل محطة تالية لمشهد المفتاح نجده يستعيد شيئاً من شفرات مشهد المفتاح، حيث يقول في المقطع الأول (مفتاح القصيدة) ⁽¹⁾:

(1) دنقل، أمل: الأعمال الشعرية الكاملة، مطبعة مدبولي . القاهرة، ط.3، 1987م، ص 153 . 154 .

(1)

المنزل الثالث بعد المحنى

الطابق الأخير

بطاقة صغيرة كانت هنا

وخيط ضوء كان من خلال باحها ينير

الطابق الأخير ...

الوحشة السوداء في الأعصاب تنغرس

يدى على الجرس

سدى.. سدى!!

تراجعت في أذني رحلة الصدى

وأساقط الرماد من لفافتي!

كانت هنا حبيبي

عيونها محابر الضياع

عام.. وعامان.. مدادُها الحزين لم يجفَّ

صلادة هرة إلى الشتاء خلف الباب

وبسمةٍ كأن نورساً على المدى يرفرف!

ها أنذا..

يُدْ تساندت على الجدار

وطقطوة تحبط للقرار!

يستقصي الشاعر، في هذا المفتتح، ملامح الصورة المشهدية (بيت المحبوبة)، ويوصيّف موقعه توصيفاً دقيقاً، حيث قدم لنا عنوان المنزل في لوحة مشهدية سينمائية تتحرك أمام أعيننا، وتنقل بنا من المشهد الكلي الذي يلتقط مشهد الشارع بمنحياته وبنياته من بعيد: (المنزل الثالث بعد المنحنى)، إلى تضييق مساحة المشهد مع انتقال حركة الزائر في المكان، حيث سُلطت عدسة الكاميرا على شقة المحبوبة (الطابق الأخير)، كاشفة بذلك، من الناحية المهنية، عن أن تقلص مساحة الصورة المشهدية ناجم عن تغيير موقع الرؤية/الكاميرا، واقترب عدسة الكاميرا من المشهد كلما تحرك الفيلم النصي إلى الأمام... وهذا التكتيك المهني المتكرر على تقنيات فن التصوير السينمائي يشي بطبيعة الشعور الملهم والمتجل لبلوغ بؤرة المشهد المراد... فمع تقدم حركة النص تقلص مساحة المشهد، وتنتقل عين الكاميرا إلى الأكثر جزئية (بطاقة التعريف بجانب الباب، ونقب الباب): (بطاقة صغيرة كانت هنا) (وخيط ضوء كان من خلال باحها ينير). هذه النقلة الأخيرة التي رصدتها عين الكاميرا، أوحت بكبح جماح الذات المندفعة للقاء، ولهذا نجد مخيلة الشاعر/الزائر تستحضر صور المفارقة بين ما كان ومستحضر في مخيلته (بطاقة صغيرة كانت هنا) (وخيط ضوء كان من خلال باحها ينير)، وما هو كائن، متمثل في غياب البطاقة الدالة على هوية الساكدين، وظلام يسود المكان ويمثل وحشة في النفس (**الوحشة السوداء في الأعصاب تنغرس**). هذا الانتقال بين ما تتخذه المخيلة وتستحضره من ذكريات وما تعاشه الذات في الواقع، تجسد في قوام النص الشعري بتقنية سينمائية مكنته القارئ من معايشة فعالية النص في التوليف⁽¹⁾ بين المشاهد بانتقال عدسة الرصد بين أزمنة متباينة وأحوال متناقضة، تخلّي صور المفارقة بين ما كان وما هو كائن، مستعيناً في سبيل إدراك كفاءة اللوحة المشهدية وتدوّق قيمها الفنية والإيحائية بثقافة سينمائية شبيهة بثقافةمنتجها...

(1) التوليف: يتسم التوليف بأن له القدرة على فصل الأشياء التي تكون متصلة مكانياً، ويربط أشياء ليس بينها استمرار مكان، منها: ربط الأشياء التي لا تكون الصلة بينها صلة مكان بل صلة معنى: (رمزية) أو شكل. ينظر: عقرية الصورة والمكان . التعبير . التأويل . النقد: 104.

هذا الانتقال للصورة المشهدية من الكل إلى الجزء، واستحضار صور المفارقة بين ما كان وما هو كائن، ينم عن أن شعراء التفعيلة الأوائل أفادوا بشكل واع من تقنيات فن السينما، ووظفوها في نتاجهم الإبداعي من منظور يسعى إلى تحديد النص الشعري تحديداً واسعاً، أصبحت معه تقنيات فن السينما واحدة من أبرز سبل الحداة الشعرية التي توسلوا بها بوصفها أحد أبرز وسائلهم للانتقال بالصورة من كونها بنية أيقونية جزئية في قوام النص إلى جعلها بنية حيوية متوجهة، تتمدد مع تعدد جزئيات المشهد المختارة بدقة، كما سعوا إلى توظيفها توظيفاً واعياً جعل كثيراً منها بنية مكتنزة بقيم فنية ذات دلالات إيحائية مشعة...

لقد انعكس واقع الحال (رحيل الحبوبة غير المتوقع) على نفسية الزائر وأحدث صدمة عنيفة أجاد الشاعر توصيفها للمتلقي توصيفاً سينمائياً تجليه الحركة وتبزره ملامح التوتر والانكسار، حيث انتقل المشهد من تصوير المشهد المكاني (البيت)... إلى رصد الأثر الذي أحدهه الموقف في نفسية الزائر، وهذا الانتقال جعل المشهد، من الناحية التقنية، يتحرك حركة ارتادية، فبعد أن كانت عدسة الكاميرا تتحرك إلى الأمام في رصدها للشارع ثم البيت (الطابق الثالث) ثم الباب، نجدها تعود في حركة ارتادية تتجسد في رصد أصداء صوت الجرس في عمق البيت، وتعود إلى محيط الباب، ثم تسلط على شخصية الزائر؛ لتبرز للقارئ/المشاهد أثر المشهد برمهته في نفسية صاحبه وتجليه على هيئته... حيث نلمس أن الإحساس بالوحشة والفقد وخيبة الأمل، ولد ضغطاً كبيراً على أعصابه، وأفرز توتراً وقلقاً كبيرين... نستشعر ذلك الأثر في إصراره القلق على ضغط الجرس باستمرار، ثم تحول القلق، بعد ذلك، إلى انكسار أدرك فيه الروح المتلهفة للقاء عدم جدوى استمرار الضغط على الجرس، فتراجع صدى صوت الرنين، ونفض الزائر رماد سيجارته باضطراب وقلق وحسرة... ثم انتقلت الصورة المشهدية بعد ذلك إلى إبراز تهالك نفسيته وانكسارها، حين يستند على جدران السلالم في نزوله من الطابق الثالث...

هكذا يتجسد مشهد المفتاح بمؤثراته السينمائية المدركة بالمشاهدة، والخالقة إيحاء عميقاً لا يمكن للصورة التقليدية النهوض به، الأمر الذي جعل استثمار التقنيات السينمائية بمؤثراتها المختلفة وإيحاءاتها المدهشة واحدة من أبرز السمات التي بعثت في قصيدة التفعيلة روح التحديث والابداع... كان للصدمة التي زعزعت وعي الزائر وشعوره أثراً الجمالي والبنياني في مقاطع القصيدة التالية، حيث ظلت جزئيات مشهد المفتاح حاضرة، تحفر بصمتها في نفسية الزائر المنكهة، وتفرض حضورها في بنية النص ومشاهده التالية على هيئة شفرات تدعى على المخيلة تداعياً نفسياً مزوجاً بالحسنة والأسى... نجد بعض ذلك في المقطع الثاني، حيث يقول الشاعر⁽¹⁾:

(2)

حانوتُ خمّار كتيب

يرسم في كؤوسه عرائس الأحلام؛ في الزجاج
توهجت عند امتلائتها..

وبعد برءةٍ.. عاودها الشحوب!

حبيبي ملامح ابتسامةٍ على بريقها الوهاج
"بنلوب" أين أنتِ يا حبيبي الخرينة؟

ضيفان ملحدان في مخاطر الأمواج
كقبضةٍ من العفونة..

أعوذُ، كي يغتسل الحنين في بحيرة المهيّب.
لكنما "بنلوب"..
بطاقةٌ كانت هنا!

(1) الأعمال الشعرية الكاملة: 154 - 155

ووحوشةٌ غريبةٌ، وثقبٌ بابٌ لم يعد يضيء!
وعنكبوتٌ قد أتمَ - فوق ركنه - نسيجه الصوفي!
لقد أتمَ العنكبوبُ ما بدأت في انتظارك الوفي!
ما كان كان..

لكنما ملامح الرجال
لا تعرف النسيان!

بأسلوب ماثل لأسلوب بناء السينما لمشاهد الفيلم تحولت القصيدة إلى مشهد جديد في المقطع الثاني، يتم تصوير جزئيات مشاهده وأحداثه في الحانوت، الذي يوحي تخierre، ووضعه خلفية للوقائع، بعمق حالة الأسى والأنهيار المتلبس الذات، ومحاولتها المروبة من ذلك العالم الموحش الذي تشكل أمامنا في ختام المشهد الأول... حيث أراد الشاعر استبدال واقع الأسى عبر استثمار ما يوفره الحانوت من أحلام مبهجة مغمضة بالنشوة، كان يتوهم أنها قادرة على دفع العقل إلى تغيب الذكريات المؤلمة والمليام في ملوكوت من النسيان والنشوة، غير أن وقع الأسى وفيض الشعور وعمق الذكريات كانت أقوى من أن يغيبها الانغماس في ذلك القبس من التوهج الآني... حيث تداعت الذكريات على مخيلة الشاعر/ الزائر حاملة معها فيضاًً وجданياًً تجسد في استدعاء (لاماح ابتسامة محبوبته في الكأس)، فاتحاً بذلك فضاء الذكريات، ومحرضاً المخيلة لاستدعاء جزئيات من مشهد المفتتح وإعادة انتاجها على شكل شفرات مشبعة بحمولات نفسية وأيقونات مدجحة، على شريط الصورة الفيلمية، مع جزئيات المشهد الجديد... حيث يغرق الشاعر في تذكر محبوبته فتجسد شفرات المشهد المعاد في:

(بطاقةٌ كانت هنا! // ووحوشةٌ غريبةٌ، وثقبٌ بابٌ لم يعد يضيء! // وعنكبوبٌ قد أتمَ - فوق ركنه - نسيجه الصوفي! // لقد أتمَ العنكبوبُ ما بدأت في انتظارك الوفي!)

يلاحظ أن الشاعر، كما أسلفنا، عمل على دمج شفرات من مشهد المفتتح مع جزئيات المشهد الجديد، إذ تخير من مشهد المفتتح ما يشي بحالة الغياب، وعني عناء خاصة في تعديقها بإضافة ملامح جديدة لللوحة: (اكتمال نسيج العنكبوت على الباب)، ورغم ما قد تشي به هذه الإضافة من كونها أقرب ما تكون إلى الديكور في التحليل المتلمس سمات السينما في النص، وما قد تشيره، لدى المتلقى، من دلالة توحى بإحلال حياة بديلة ترسخ ديمومة الغياب، فإن الشاعر عمل على دمج شفرات المقطع الأول المحسدة حالة الغياب مع أسطورة بنلوب "التي ظلت تنفس ما تغزل في انتظار عوليس"⁽¹⁾، غير أنه عمد إلى المفارقة بين مدلول الأسطورة في المورث ووظيفتها في النص، حيث جعل العنكبوت يكمل نسج ما بدأته بنلوب، في إشارة توصف في مضمونها حال الذات المنكسرة وركونها إلى التسليم بديمومة الغياب الذي بدأت نسجه (بنلوب) محبوبة الزائر، وأكمله العنكبوت دون أن ينفعه أحد... كل ذلك تم تشكيله عبر ملمح يشي بتأثير النص بأدوات سينمائية مدركة عياناً... ويلاحظ أن الشاعر، في هذه الأسطر التي تحمل في ثناياها تلك الشفرات المدجحة، قد ختمها جميعاً بعلامة التعجب (!) كاشفاً بذلك عن حالة الصدمة والدهشة مما آلت إليه الأمور.

بعد رحلة الشاعر وانتقاله بين المحطات مروراً بالبيت ثم الحانوت وما أثارته تلك الرحلة من مواجد وتداعيات نفسية، كانت نتاج انكسار الأمل المنطبع للقاء ومحاولة الهروب إلى فضاء من السينما لم يكتب له النجاح؛ بفعل استدعاء المخلية لتلك المواجه وإعادة إنتاج شفراتها على شريط العرض، بعد كل ذلك، يتعمق الإحساس بالفقد ويتعزز الشعور بالوحشة واليأس في المشهد الثالث (مشهد الختام)، إذ يبدأ الشاعر رحلة البحث في المجهول دون جدوى... ويلاحظ حرصه على استدعاء مفتتح المشهد الأول ووضعه على رأس مشهد الختام، مع الفرق في أن الزائر في المشهد الأول اقترب من الباب والتقط اللوحة عن قرب؛ لأنه لم يكن يتوقع خلو البيت من قاطنيه، أما في هذا المشهد فقد

(1) الشعر الحديث في اليمن . ظواهره وخصائصه الفنية 1939 - 1980: 202.

رصد البيت من بعيد ثم غادره للبحث في المجهول؛ ليقينه من خلوه من ساكنيه... وكأنه في وقوفه هذا يتمثل موقف الشعراء العرب القدماء في وقوفهم على الديار، غير أنه يوظف هذا بأسلوب الفيلم السينمائي الذي يعاود إنتاج مشاهد سابقة لبعث دلالة ما، مستعيناً بفضاء المشهد وخلفياته الزمانية والمكانية لتمثيل حالة الشعور وتشكيلها بصورة موحية، ومتوسلاً، في سبيل إذابة الفارق بين الشعر والسينما، بمؤثرات بصرية وتشكلات لونية: (الليل عند المنتصف، ضاعت معالم الطريق في الضباب... إلخ)، ومصحوبة بالحوار (يا سائق السيارة العجوز، لكنها يا صاحبي العجوز... إلخ)، والحركة (قف، امض، أوغل، غافلة تستعد للمسير، الحادين... إلخ). ويلاحظ أن وظيفة المشاهد المعادة لا تقف عند ما تفرضه من بنائية تبعث روح التماسك والترابط بين أجزاء المنتج النصي ومشاهده وخلق فسحة لتمدد بنيته فحسب، بل يتعدى أثرها ذلك إلى فتح شريط العرض أمام آفاق جديدة من الصور والمشاهد والدلائل الوليدة:

(3)

الليل عند المنتصف
يا سائق السيارة العجوز.. قف
المنزل الثالث بعد المنحني.
لكنها يا صاحبي العجوز.. لم تعد هنا!
امض هناك حيث لا مكان
حيث البيوت دونما عنوان
أوغل بنا في رحلة السراب
قافلة الغناء تستعد للمسير خلف دورة المضاب
لا تسأل الحادين عن وجهتها، عن المآب

فهم هناك يرقبون أصبع النجوم

ضاعت معالم الطريق في الضباب.

حبيبي لا بد أنها هناك

تسأل عن رواحل ارتدت من الغروب

لا ترتبك، فقد يضيع العمر في هنيهة ارتباك.

حبيبي: لقد نجوت من "سدوم"

طفلك آتٍ من مدينة الخراب

الموت ما يزال مقعيًا على الأبواب

الخاطئون

هم الذين يرحلون

في هذه القافلة المسدودة الدروب

.....

سدى.. سدى..

تراجعت في أذنيَّ رحلة الصدى

وأساقط الرمادُ من لفافيِّ⁽¹⁾.

يستغل شراء قصيدة التفعيلة تقنية استعادة مشاهد المفتاح في ثنايا النص الشعري بطرق شتى، إذ

قد يوظفوها بوصفها شفرات تداعى على المخيال ضمن سياق من المشاهد والأحداث، كما وجدنا

في المشهد الثاني، إذ تختلط شفرات من مشهد سابق ضمن سياق المشهد الوليد، بفعل التداعي الحر

للأفكار والمواجد، فيشكلان، معاً، مشهدًا تخلق بوعشه الفنية وقيمه الجمالية مما يشيره ذلك المركب

(1) الأعمال الشعرية الكاملة: 155 - 156

السينمائي من إيحاءات... هذا النمط من المشاهد يزداد توهجه كلما أحسن المنتج توليف تلك الشفرات والإفادة مما تكتنزه من مؤثرات وجاذبية، بحيث يصبح مركب الصورة مزيجاً من القوالب المشهدية التي تدركها العين وتتبعث أصداؤها في النفس. وقد يوظف الشاعر تقنية استعادة المشاهد السابقة في بداية مشهد جديد لفتح باب الحركة وتمدد الأحداث، وهذا النمط من التوظيف، إذا ما جاء في مفتتح مشهد الختام، كثيراً ما يفتح باب جريان الأحداث والمشاهد بصورة أكبر مما كانت عليه في السابق، يصدق هذا في المواقف التي تستشعر فيها الذات قلقها وتوترها وسعيها إلى اكتشاف المجهول، ويأتي ذلك التسارع، في بعض صوره، بوصفه وسيلة من وسائل الفن لدفع عجلة الأحداث للوصول إلى نتيجة يختتم بها الشاعر أحداث الفيلم ومشاهده النصية بصورة مطابقة أو معادية للبواعث الدلالية التي يشي بها المفتتح، كما هو في هذا المشهد، هذا من ناحية، أما من ناحية أخرى فقد يؤدي إلى بطء المشهد أو رسوخ حركته، كلما استشعرت ذات المنتج عجزها أو عدم رغبتها في تغيير الواقع؛ لإحساسها بعدم جدوى السعي وراء ذلك... وكثيراً ما يستعين الشعراء بتقنية الفن السينمائي في استعادة مشهد المفتتح أو جزء منه ليغلقوا به مشهد الختام، غالباً ما يتم توظيف ذلك بهدف بعث دلالات مستوحاة من طبيعة تشكل الصورة الفيلمية، تشي بواعثها بمقابلتها للبدایات أو معايرتها بصورة أعمق سلباً أو إيجاباً، كما أنها لا تخلى عن وظيفتها البنائية، إذ يتم بواسطتها كبح جماح حركة الأحداث والمشاهد بصورة محكمة تضع حدأً لتمدد بنية النص. نجد مثل هذا في خاتمة المشهد الثالث، حيث نلاحظ أن الشاعر قد أغلق النص بمشهد مستجلب من مشهد المفتتح:

سدى.. سدى..

تراجعت في أذني رحلة الصدى

وأساقط الرماد من لفافي.

هذا المشهد ليس وليد عودة وقوف الزائر على مشارف المكان، بل هو وليد التداعي الذي خلق يأساً ورسخ الشعور بديمومة فقد والغياب... فقد عمد الشاعر إلى إغلاق النص بالنقطة للدلالة

على اكمال البنية النصية والدلالية، وهنا تتلبس المشهد بواعث سينمائية تشي بتسليط عدسة الكاميرا على جزئياته لإجلاء أثر مجمل الأحداث على الذات... ويتجلّى عمّق ذلك الأثر من رصد صور المفارقة ورسم ملامح تحولها وتشكيلها نصياً على الذات في الموقفين، حيث تتلبس الذات الدهشة والتعجب والإحساس بالانكسار في المفتاح، وتركتن إلى التسليم بالواقع وقبوله بوصفه أمراً واقعاً وراسحاً لا جدوى من محاولة تغييره في الختام... تتحق تلك المفارقة من خلو المقطع المستجلب من التعجب والدهشة ممثلة بعلامات الاستفهام، وتأكيد رسوخه بالوقوف عليه بالنقطة عوضاً عن علامات التعجب في الختام... هذا الإحساس بعجز الذات واستسلامها أمام واقعها ولد شعوراً عاماً لدى المتلقى المشاهد بانغلاق أفق النص، الأمر الذي استوجب معه إيقاف تعدد بيته... أي أن هذا الأثر الدلالي الذي خلصت إليه الصورة المشهدية استوجب إغلاق بنية النص لعدم جدوى تعدد مشاهدها، إذ إن استمرار تعدد النص لن يؤدي إلا إلى مرآكمة مشاهده دون إضافة دلالية أو فنية مشعة... وهذا المنحى الدلالي أفرز نهاية مشهدية مغايرة لدلالة مشهد الختام في نص المقالح (أحزان الليلة الأخيرة من حياة عمارة اليمني)، الذي عمد إلى فتح أفق الرؤية على الشعور المفتوح على الأمل، تاركاً أفق الدلالة وفضاء التطلع مفتوحاً أمام المشاهد، مجليناً بذلك شعور الرغبة في التغيير وباعثنا له في وعي المتلقى وشعوره بأسلوب سينمائي مشع بالدلالة وقوة الأثر.

نلمس في المقطع الثالث تلخيصاً شاملأً لمشاهد المنتج النصي، حيث تستعيد مخيلة الشاعر، في مفتاح النص وخاتمه، شفرات من مشاهد الفيلم النصي، تصور رحلة البحث عن المحبوبة التي غيبها البعد، وقد بدا لنا أن استعادة شفرات المشاهد السابقة، في مواطن عديدة من بنية النص، محكوماً بزفرات نفسية عملت على تشكيّلها بيئة نتوءات وسياجات حلزونية تظهر وتحتفي على جسد النص... ولعل ذلك ناتج عن ميل الشاعر الحداثي، في استعانته بتقنيات فن السينما في بناء المشاهد، إلى تقمص دور المخرج الذي يسعى إلى تكرار جزئيات من مشاهد البدايات، يعيد بث شفراتها في قوام بنية الفيلم؛ لدلالة توحّي بمدى الأثر الذي تركته تلك الشفرات المشهدية بملابساته

المختلفة في النفوس... وبهذا فإن تلك الشفرات والمشاهد التي يسعى الشاعر الحداثي إلى إعادة إنتاج بعض جزئياتها على شريط العرض، ما هي إلا نتاج ما تنتخبه المخيالة بفعل ما يفرزه المحرض الوجданى هيجان شعوري جياش...

الخاتمة:

استثمر شعراء قصيدة التفعيلة مقومات فن السينما وتقنياته، وسعوا إلى تطويقها؛ بهدف الانتقال بالقصيدة إلى فضاءات من التحديث والابداع، وقد دلت النماذج التي وضعناها مادة لاشتغالنا، في ثنايا هذا التناول، عن تسلح الشعراء بثقافة سينمائية عميقة، حيث لمسنا شراكة متينة بين فن السينما والشعر تجسدت في استعارة الشعر لأدوات السينما وتقنياتها مثلية بدرجة أساس، في قوام هذه الواقعة البحثية، في مقوماتها البنائية بصورة عامة وما يفرضه مشهد المفتتح من أثر بنائي ودلالي في محمل بنية النص ومشاهده، ما أدى إلى تشابه مخرجاتها وتماثل أثرهما الجمالي، بحيث أصبح المتلقى / القارئ بحاجة إلى تحفيز حاسة البصر وتدقيق النظر في المشاهد بكل جزئياتها وطريقة استحضارها بملابساتها الفنية ومقوماتها البنائية المختلفة لتذوق النص الشعري وإدراك بواعته الدلالية المراددة... وهذا فقد ظهر أن براعة الشاعر وحداثة أسلوبه لا تتجلى من قدرته على إنتاج نص بلاغي متماسك البنيان، بل في قدرته على تقمص دور الممثل والمصور المنتج والمخرج السينمائي لحظة الخلق الشعري، وقدرته على تحسيد عمق التقارب الذي وصلت إليه القصيدة في طريقها إلى اجتياز الحدود الفاصلة بينها وبين فن السينما...

المصادر والمراجع:

إيكو، أمبرتو: القارئ في الحكاية، ترجمة: أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء، ط١، 1996م.

البياتي، عبد الوهاب: الأعمال الشعرية الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، 1995م.

جانبي، لوبي دي: فهم السينما (8 . السينما والأدب)، ترجمة: جعفر علي، منشورات عيون المقالات

. باندونغ البيضاء، مطبعة تينمل . مراكش.

جورنو، ماري - تيريز: معجم المصطلحات السينمائية، ترجمة: فائز بشور.

دنقل، أمل: الأعمال الشعرية الكاملة، مطبعة مدبولي . القاهرة، ط3، 1987م.

ديفيز، ديزموند: قواعد الإخراج التليفزيوني، ترجمة: حسين حامد، الهيئة المصرية العامة للكتاب،
1993م.

الرواشدة، أميمة عبد السلام: التصوير المشهدى في الشعر العربي المعاصر، سلسة كتب ثقافية تصدرها
وزارة الثقافة الأردنية الهاشمية (186)، عمان . الأردن، ط1، 2015م.

السياب، بدر شاكر: ديوان بدر شاكر السياب، دار العودة . بيروت، 2016م.

شموط، عز الدين: العلاقة العضوية بين المرئي واللامرئي . النص البصري، بحث منشور ضمن كتاب:
تحولات النص البصري، أبحاث في الفن، صادر عن مهرجان الدوحة الثقافي الرابع، الناشر:
المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراجم . الدوحة، ط1، 2006م.

عجور، محمد: الأسلوب السينمائي في البناء الشعري المعاصر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة،
سلسلة كتابات نقدية (198)، ط1، 2011م.

عرفان، عبد الرحمن عمر: الشعر الحديث في اليمن . ظواهره وخصائصه الفنية 1939 - 1980 .
رسالة دكتوراه، كلية الآداب . جامعة بغداد، 1996م.

فطوم، مراد حسن: التقلي في النقد العربي في القرن الرابع الهجري، منشورات الهيئة العامة السورية
للكتاب، وزارة الثقافة . دمشق، 2013م.

فينتورا، فران: الخطاب السينمائي . لغة الصورة، ترجمة: علاء شنانة، منشورات وزارة الثقافة السورية .
دمشق، 2012م.

لودوكا: تقنية السينما، ترجمة: فايز كم نقش، منشورات عويدات، بيروت . باريس، ط2، 1989م.

مسلم، طاهر عبد: عبقرية الصورة والمكان . التعبير . التأويل . النقد، دار الشرق للنشر، فلسطين، ط1 ، 2002م.

المقالج، عبد العزيز: الأعمال الشعرية الكاملة، وزارة الثقافة والسياحة . صنعاء، 2004م.
الملائكة، نازك، ديوان نازك الملائكة، دار العودة . بيروت، 1997م.

اليافي، نعيم حسن: الشعر بين الفنون الجميلة، المكتبة الثقافية جامعة حرة العدد (192)، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 16 فبراير 1968م.

يجي، مصطفى محمود محمد: المرئي واللامرئي في الفن التشكيلي، بحث منشور ضمن كتاب: تحولات النص البصري، أبحاث في الفن، صادر عن مهرجان الدوحة الثقافي الرابع، الناشر: المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث . الدوحة، ط1 ، 2006م.

التناص الأدبي في شعر عبد الصمد باكثير

د. أحمد علي أحمد بایمن (*)

ملخص:

التناص مصطلح نقدي غربي حديث، وينقصد به تداخل نص في نص، أو استحداث نص جديد من نصوص سابقة له. وقد ظهر هذا المصطلح على يد الناقدة الفرنسية جوليا كريستيفا عام 1969م، ومصادره مختلفة منها، الأدبي، الدينى، التاريخي، وغيرها.

التناص هو نتاج لثقافة متأنج وتفاعل في ذهن المبدع، يستدعي جزئياتها خلال شروعه في عملية الإبداع.

والشاعر عبد الصمد باكثير من شعراء القرن العاشر الهجري (ت 1024هـ) من مواليد تربص سنة 955هـ بوادي حضرموت، لقب بشاعر السلطان عمر بن بدر الكثيري.

يمهد البحث – بإيجاز – بالحديث عن ظاهرة التناص في الأدب العربي والغربي، ثم يليه الحديث عن وجود هذه الظاهرة في شعر عبد الصمد باكثير، حيث وجد الباحث عدداً لا يأس به من الأبيات التي بينها وبين الشعراء السابقين في العصرتين الإسلامية والعباسية علاقة تناسية، فعمد الباحث إلى بيانها وتوضيحها. وقد اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي.

الكلمات المفتاحية: التناص – التناص الأدبي – عبد الصمد باكثير.

Literary Intertextuality in Abdul Samad Bakathir's Poetry

Dr. Ahmad Ali Ahmad Bayumein

Abstract

Intertextuality is a modern Western critical term. It refers to the overlapping of a text into a text, or the generation of a new text from previous texts. This term was

(*) أستاذ أدب العصور المتأخرة المساعد - قسم اللغة العربية - كلية التربية - المهرة - جامعة حضرموت - الجمهورية اليمنية.

first coined by the French critic Julia Kristeva in 1969 and its sources differ, including literary, religious, historical and others.

Intertextuality is the product of a culture that blends and interacts in the mind of the creative author, evoking its disjecta membra during the initiation of the creative process.

The poet Abdul Samad Bakathir is one of the poets of the 10th century AH (died in 1024 AH). He was born in Taris town in 955 AH in Wadi Hadhramout. He was also nicknamed as the poet Sultan Omar bin Badr Al-Kathiri.

The research briefly preludes the discussion about the phenomenon of intertextuality in Arab and Western literature. This is followed by a discussion of the existence of this phenomenon in Abdul Samad Bakathir's poetry, where the researcher discovered a considerable number of verses that have intertextual relationship with former poets of the Islamic and Abbasid eras, and deliberately manifested and elucidated them. This study adopted the analytical descriptive approach.

Keywords: Intertextuality; Literary intertextuality; Abdul Samad Bakathir

مقدمة:

موضوع هذا البحث هو التناسق في شعر عبد الصمد بن عبد الله باكثير⁽¹⁾، حيث وجد الباحث أثناء دراسته لشعر باكثير عدداً غير يسير من الأبيات الشعرية في مواضيع مختلفة من مواضع ديوانه وفي قصائد شتى مجتمعة تارةً متفرقة تارةً أخرى؛ أبيات تتوافق في المعنى بينها وأبيات لشعراء من

(1) عبد الصمد بن عبد الله باكثير الكندي، وهو من مواليد مدينة تربس الواقعة إلى الغرب من سيناء بودي حضرموت بالجمهورية اليمنية ولد سنة 955هـ، وكانت وفاته بمدينة الشّحر سنة 1025هـ. ويُعتبر من شعراء الإحياء في اليمن عامّة وفي حضرموت خاصةً ويأتي ذلك من خلال ما خلفه من عطاءً أدبياً مهمّاً تمثّل في ديوانه الذي ارتقى به إلى مستوى متميّز بين شعراء عصره. ينظر: البيان المُشير إلى علماء وفضلاء آل أبي كثیر: 98.

الأقدمين في العصور الأدبية السابقة، وتقرب منها لغة وذوقا وإيقاعا، حتى يخيل للسامع أو القارئ أنه أمام قامة شعرية من قامات شعراء العصر الإسلامي أو العباسى.

وبأكثر من شعراء القرن العاشر الهجري، بمعنى أنه يُنسب لعصر انحطاط الأدب عموماً شعراً ونثراً. إذا ما أخذنا ذلك بعين الاعتبار الأدب والشعر في الأقطار العربية كمصر وسوريا والعراق، حيث عاش الأدب حالة من الركود في المعنى والقيمة قيمة الشعر ورسالته.

لكن كانت اليمن عموماً وحضرموت خصوصاً في منأى عن هذه التهمة أو الوصمة التي وصم بها الأدب في تلك الحقبة، وهذا ما يبينه هذا البحث من خلال وضع القارئ حكمًا على ما سأعرض له من تقارب عجيب بين نصوص باكثير ونصوص الشّعراء السابقين له.

وكان للبعد الجغرافي لوادي حضرموت - عن ما يمكن تسميته بدول الصراع الحضاري والثقافي في مصر والعراق والشام والمغرب العربي - أثر كبير في عدم تأثير وادي حضرموت بما تأثرت به الدول آنفة الذكر، حيث إن توالي الأمور فيها لغير العرب وكثرة الاختلاط بين الأجناس البشرية جعل العربية تضعف والشعر أيضاً ضعف لأجل ذلك؛ في الوقت الذي ظلت حضرموت وبعض مناطق في اليمن بعيدة كلّ البعد عما حدث، فظلت ألسن الشعراء فصيحة ولغتهم صحيحة يضافون شعراء عصر القوة؛ البحري وأبا نواس وأبا العتاهية وغيرهم.

تلك الإجادة والظروف آنفة الذكر جعلت من شعر عبد الصمد باكثير يرتقي لمصاف الشعر الإسلامي والعباسي؛ مما أوجد اشتراكاً في الأخيلة والمعانى أو ما يمكن تسميته بصطلاح العصر الحاضر تناسقاً بين شعره وشعراء السابقين وهو ما عكّف الباحث على تبيانه ليكون منطلقاً للآخرين لسرير أغواره والتّوسيع فيه وإفراد رسالة له سواءً أكانت للماجستير أو الدكتوراه.

منهج الدراسة:

سيتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي، حيث سيعتمد إلى تبع واستقراء النصوص وفحصها في كل ما له علاقة تناسية في ديوان باكثير مع الشعر القديم وتحليل النصوص وبيانها.

محاور البحث:

أولاً: التناص في الأدب العربي

التناص: ظاهرة نقدية استخدمت كثيراً في النصوص الأدبية، وانقسمت الآراء إزاءها، فيراه البعض فقراً من الكاتب إذ يلجأ إلى الأخذ من نصوص غيره، وآخرون يرون أنه تحرؤ من الكاتب على نصّ غيره.

ومع كلّ ما سبق فقد اتسع مفهوم التناص وانتشر في الأدب الغربي، ثم تأثر الأدب العربي لاحقاً بهذه الظاهرة بفعل الاحتكاك الثقافي.

أما التناص كمادة لغوية لم تُذكر في المعاجم العربية القديمة إلا في مادة: "نص" تناص القوم أي اجتمعوا، أو رفعك الشيء، ونص الحديث ينصلّه نصاً⁽¹⁾.

وفي التراث النّقدي العربي مصطلحات تقرب من مصطلح التناص، مثل: (الاقتباس، التضمين، التلميح، الإشارة).

وفي الميدان النّقدي مثل: (السرقات، المعارضات، المناقضات)⁽²⁾.

وذهب كثير من الباحثين إلى أن هذه الظاهرة جذور في التراث العربي القديم من ذلك مثلاً:

(1) لسان العرب: مادة (نص): 4441/5

(2) ينظر: النص الغائب: 42

الموازنة التي عقدها الأمدي بين الطائرين أبي تمام والبحتري، والوساطة بين المتنبي وخصومه عند الجرجاني تعداد شكلًا من أشكال التناص، فقول أمرئ القيس⁽¹⁾:

نبكي الديار كما بكى ابن خدام عوجا على الطلل الحيل

فامرئ القيس يقرر بأنه ليس أول من بكى وإن فعله هذا ما هو إلا تكرار لمن سبقة.

والاقتباس منه قول ابن الرومي⁽²⁾:

تتجافي جنونهم عن وطء المضاجع

والمعنى مقتبس من قول الله تعالى: ﴿تَتَجَافِي جُنُونُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾⁽³⁾.

والسرقة في الشعر أنواع منها:

ما نقل معناه دون لفظه، أو من أخذ معنى بلفظه كما هو كالسلخ والاصطراف والاختلاط، والانتحال، والإغارة والمرادفة والاهتمام... إلخ⁽⁴⁾.

يقول ابن رشيق: "واتكال الشاعر على السرقة بلادة وعجز، وتركه كلّ وعي سبق إليه جهل، ولكن المختار عندي أوسط الحالات"⁽⁵⁾.

أما التقىد العرب المحدثون فيرون أن هناك تقارباً ما بين مصطلح التناص وما ورد في التراث القديم من مصطلحات مثل: الاقتباس والتضمين والمعارضات.

(1) ديوان امرئ القيس: 281.

(2) ديوان ابن الرومي: 262.

(3) السجدة: 16.

(4) ينظر: العمدة في محسن الشعر وأدابه: 281/2.

(5) المصدر نفسه: 281/2.

ثانياً: التناص في الأدب الغربي

بداياته الأولى كمصطلاح نقدي ورد أثناء الحديث عن الدراسات اللسانية يقول (تودروف): "النص المعارض ليس استنساخاً أو محاذة للنص المعارض، فثمة تناقض وتفارق وثمة إضافات وحدود"⁽¹⁾.

ويُعد (باختين) المحدث لمفهوم التناسمية أو (الحوارية) فالنص عنده بمثابة حلقة بين سابق ولاحق. فالنص مرجعه نصوص سابقة كما يراه (ميشاريفاتير): "تعتمد النصية على أساس على التناسمية"⁽²⁾. وظهر مفهوم النص بشكلٍ واضح على يد الفرنسية (جوليا كريستيفا) واستبدلت مصطلح الحوارية بالتناسمية معتمدة على التحليل النفسي، معتبرة إياه نوعاً من الملازمة الجوهرية في ثقافتنا تقول: كلّ نصٍ هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى.. ويقرأ الكلام الشعري على الأقل ككلام مضاعف⁽³⁾.

ومن هنا أصبح التناص واسع الانتشار عند العديد من التقاد الأوروبيين والعرب.

والتناص نوعان:

1 - مباشر: ويدخل تحته ما عرف في النقد القديم بالسرقة والاقتباس والتضمين

والاستدعاء.

2 - غير مباشر: وينصوّي تحته التلميح والرمز والتلويع والإيماء والإشارة والمجاز ويسمى

التناص اللاشعوري أو تناص الخفاء.

تقانات التناص:

:Iamplification (التَّوْسُع) 1 - التَّضخيم (التوسيع)

(1) القول الشعري، قراءة في الشعر العربي المعاصر: 224.

(2) ينظر: دراسات في تعدي النص: 12.

(3) ينظر: دراسات في النص والتناسمية: 92.

وفيه يقوم الكاتب، بإعطاء النص أكثر من حجمه مع استنطاق كل ما فيه وكل ما ليس فيه⁽¹⁾.

2- التحرير : Verbalisation

معنى التحرير الكتابي لما ليس كتابيا بالأصل، وينطبق على حالة التناص بين الأنواع أو الأجناس المختلفة ومثاله: (كلود سيمون) في روايته (معركة فارسال) حيث عمد إلى وصف لوحة وصياغة محتوياتها كتابيا.

3- الترصيع : Enchassement

و فيه يعمد الكاتب على ترصيع عناصر النص القديم في نصه.

4- التشويش : Paranomase

و فيه يعمد الكاتب إلىأخذ فقرة من نصّ ما ويقوم بالتلاعب فيها، ومثال ذلك تحويل النص من الفصحي إلى العامية⁽²⁾. حيث نقلت العديد من الروايات من الفصحي إلى العامية.

5- الإضمار (القطع) : Lellipse

و فيه يمارس الكاتب الاقتباس المبتور، بحيث يتوجه النص لصوب آخر، لم يكن في توقعات القارئ. ومثاله ما فعله (لوتريامون) في سيرة بطله (مالدور)، حيث بتر سيرة بطله خلافاً لمعاصريه الذين يكتبون الصفحات لوصف ماضي أبطالهم.

6- المبالغة : Lhyperbole

وتقوم على المبالغة في المعنى والمغالاة فيه وتعزيز أثره الإيجابي.

(1) ينظر: التفاعل النصي: 294.

(2) ينظر: أدونيس منت雪花: 53.

7- القلب أو العكس :Linlerversion

وهو الصيغة الشائعة في التناسق وهو أنواع أربعة:

أ- قلب موقف العبارة أو أطرافها.

ب- قلب القيمة.

ت- قلب الوضع الدرامي.

ث- قلب القيمة الرمزية.

8- تغير مستوى المعنى:

نقل المعنى إلى صعيد آخر.

9- القطع أو المونتاج:

وهو تحديد اللقطات المختارة واستبعاد غير المرغوب فيها.

ثالثاً: التناسق الأدبي ودلالة في شعر عبد الصمد باكثير

إن إبداع الشاعر يقف وراءه تراث ضخم من الشعر القديم، حيث إنه لا يمر بعصرٍ من العصور الأدبية منذ الجاهلي مروراً بالإسلامي والعباسي وعصر الدول المتتابعة إلا وأفاد منها، مكملاً لسلسلة الإبداع الممتدة عبر الزمن الماضي إلى الزمن الحاضر⁽¹⁾.

فمن خلال البحث في ديوان باكثير سنحاول الكشف عن صور التشاكل النصي بين شعره وشعر من سبقوه، فالشعر نتاج لثقافة تمتزج وتتفاعل في ذهن المبدع، وسوف أحيل الشاعر باكثير للمتلقي سيجد مدى وقوفه على المؤثر التراشبي ومساهمته من خلال استدعاء النصوص القديمة في ابقاءها حية،

(1) ينظر: التناسق مع الشعر العربي: 27 - 28.

وهو في ذلك يستخدم صوراً مختلفة من التناص كالامتصاص والتحويل والمحاورة، فباكتير وظف أدوات الكتابة لديه ليعطي مدلولات فنية وجمالية جديدة.

والتوظيف " يعني استخدام معطيات اللغة استخداماً فيها إيحائياً، وتوظيفها رمزياً لحمل الأبعاد المعاصرة للرؤية الشعرية للشاعر بحيث يسقط الشاعر على معطيات التراث ملامح معاناته الخاصة، فتصبح هذه المعطيات معطيات تراثية معاصرة" ⁽¹⁾.

وفيما يلي جملة من التناصات مع التراث الشعري التي وردت في ثنايا قصائد ديوان عبد الصمد باكتير.

يقول باكتير مادحا عمر بن بدر ⁽²⁾:

ما قال لا عند السؤال كان لا محرمة لم يجر منه لها ذكر
فقوله مستقى من بيت الفرزدق لفظاً ومعنى ⁽³⁾:

ما قال: لا قطُّ، إلا في تشهّده لولا التشهّد كانت لاءه نعم

فالتناص بين في قوله " ما قال لا " والبيت إجمالاً يحمل نفس المعنى الذي قاله الفرزدق، والجامع بين مدوبيهما أن كلاً منهما عزيز عليه قول " لا " فلا يرداً سائلاً كأنها محرّم التلفظ بها عند باكتير في مدحه لمدحه ومستثنى التلفظ بها عند الفرزدق حال تشهّد مدحه.

وفي قصيدة فائية مدح باكتير عمر بن بدر فوصفه بأنه ملجاً الوفود وكهف الضيوف وواهب الآلاف فقال ⁽⁴⁾:

(1) توظيف التراث في شعرنا المعاصر: 202.

(2) ديوانه: 96.

(3) نفسه: 512.

(4) نفسه: 137.

متعمداً بصدوده إتلافى
كهف الضيوف الواهب الآلاف
لا زال في نعم عليه ضوافي
قد حفَّ بالتبجيل والإلطاف

حتى دُعى بالواهب المخالف
إلا ونال وفاز بالإسعاف

يا مولعا بالصد والإخلاف
عمر الذي عم الجهات بعلمه
ملجا الوفود إذا النواحي أحلت
هش طلاق الوجه غير معيسٍ
إلى أن قال:

ألفت أنامله العطاء مضاعفا
ما أمه ذو حاجة مأمولة

فقوله:

ألفت أنامله العطاء مضاعفا حتى دعي بالواهب المخالف

هو قول الخطيئة⁽¹⁾:

هو الواهب الكوم الصفايا لجاره
وكيل عتيق الحرتين أسليل⁽²⁾

فقول باكثير "دعي بالواهب" هو قول الخطيئة في مدح له لمدحه، فكلامها يضفيان على المدح على صفة الكرم المبالغ فيه في أحابين كثيرة.

بين باكثير وأبي تمام:

أراد عبد الصمد باكثير أن يضفي على مدحه صفة عظيمة في الكرم فقال⁽³⁾:

الذ شيءٌ إليه بذل نافلـه
وما له في سوى نيل العلا أربـه
هذا المعنى تناوله من قبله الشاعر العباسي أبو تمام حين قال⁽⁴⁾:

(1) ديوانه، رواية شرح ابن السكيت: 144.

(2) الكوم: القطبي من الإبل الصفايا: الغزار

(3) ديوانه: 44.

(4) نفسه: 211.

ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله
فتعبير أبي تمام ولا شك أفضل، فالذى يجود بروحه ليس كمن يجود بما زاد عن حاجته من المال والروح في كل الأحوال أنفس وأغلى من المال، ولكن يمكن القول إن باكتير أتى بما شابه المعنى في قول أبي تمام وإن علا الأخير عليه معنى وحملًا.

وفي قصيده الباينية حاكى وعارض باكتير أبي تمام لفظا وإيقاعا وقد حصل التناص في مواضع عدّة من القصيدين غير أنّ باكتير يمدح عمر بن بدر، وأبو تمام يمدح المعتصم يقول باكتير⁽¹⁾:

العز بالجد لا بالهز واللعب	والنصر بالبيض والخطيبة السلب
بقدر عزم أولي الآراء تُتنقص المعالي	الشِّم من نَاء ومقرب

فقد أحال باكتير المتلقى إلى قول أبي تمام في بائته التي وصف بها عموريّة ومدح الخليفة العباسى فقال⁽²⁾:

في حده الحُدُّ بين الجد واللعب	السيف أصدق إنبأً من الكتب
في متونك جلاء الشك والريب	بيض الصفائح لا سود الصحائف

فقد وقع التناص في البيت الأول بجامع الحديث عن السيوف، فبه الفصل بين الحق والباطل، فالتناص بين "الجد واللعب" ولفظة "البيض" الواردة في كلا البيتين؛ بالإضافة إلى المقاربة بين الصور والمعاني والمناسبة والإيقاع الداخلي والخارجي.

ومما قاله باكتير في هذه القصيدة⁽³⁾:

لَمَّا تَأْلَبَتِ الأَحْزَابِ غَرَّهُمْ	خَدَاعُ أَمْنِيَّةٍ بِالرَّشْدِ لَمْ تَشَبِّ
هذا المعنى ورد في قول أبي تمام في بائته ⁽¹⁾	

(1) ديوانه: .38

(2) ديوانه، شرح الخطيب التبريزى: 17

(3) نفسه: 39، ومعنى تأله: تجمعت.

أمانيا سلبتهم نجح هاجسها ضبي السيف وأطراف القنا السلب

فالنناص جلي في توظيف خداع الأماني للعدو وتغيير الأماني بهم. حيث قبضت سيف الممدوحين على تلك الأماني وقطع دابرها،

ومن ذلك قول باكثير⁽²⁾:

أناهم جعفر المقدام تحمله
كأنه ليث غاب حول أشبله
والنصر يصبه في كل معركة
طمرة من عتاق السبق النجبا
في كفه قاطع الحدين ذو شطب
عند اختلاف القنا في المأزق اللزب

ويظهر التناص بينه وبين أبي تمام حين قال⁽³⁾:

يُوْمًا وَلَا حِجَّةٌ عَنْ رُوحٍ مُّحْتَجِبٍ
إِلَّا تَقْدِمُهُ جَيْشٌ مِّنَ الرُّعْبِ
مِنْ نَفْسٍ وَحْدَهَا فِي جَحْفَلٍ لَّجْبٍ

وَالْمُعْظَمُ النَّصْرُ لَمْ تَكُنْ أَسْنَتْهُ
لَمْ يَغْزُ قَوْمًا وَلَمْ يَنْهَضْ إِلَى بَلْدٍ
لَوْلَمْ يَقْدُمْ جَحْفَلًا يَوْمَ الْوَغْيِ لَغَدَا

فالتعبير عن معنى الخوف المقدّف في قلوب الأعداء مجرّد السّماع بقدوم المدوح يهُزّ ويُحبط معنوياتهم، فهما المؤيدان بالنصر أينما توجّهت جحافلهم.

هذا المعنى تناوله كل من أبي تمام ولاحقا له باكتشاف اختلاف الممدوحين وتشابه المناسبين إلى ما

وَقْدَلْ يَا كَشْ⁽⁴⁾

.21 دیوانہ: (1)

(2) نفسه: 39، الطمرة: مؤنث الطمر وهو الفرس الجواد.

.20 (3) نفسه:

.39 : نفس (4)

الطعن والضرب في الأبطال تحسبه
نارا قد اشتعلت في أخضر الخطب
(١) هو استدعاء لقول أبي تمام:
للنار يوما ذليل الصخر والخشب
لقد تركت أمير المؤمنين بما
وقول باكثير^(٢):
من كل ذي نسب في الرّوع مهجته
هو قول أبي تمام^(٣):
إن الأسود أسود الغاب همها
يوم الكريهة في المسلوب لا السلب
فالقصيدة على الرغم من متابعة باكثير واتفاقه مع أبي تمام في قصيده السيف أصدق... من
حيث الروي والبحر والقافية كذا المعنى العام إلا إنك تجد حيوة متدفعه وسبكاً محكمًا ومعانٍ جميلة
أجاد فيها باكثير وأبدع.
وفي موطن آخر يقول باكثير في رأيه له يمدح عمر بن بدر^(٤):
لـ هيبة مـلء القـلوب، وـصـولة
تشـق قـلـوب الدـارـعين من الذـعـر
والمعنى استوحاه من قول أبي تمام^(٥):
لم يغُرْ قوماً ولم ينهض إلى بلد إلا تقدمه جيش من الرعب
فالتناص موجود في المقاربة ما بين الصور والمعانٍ، فالرعب يتقدم جيشي المدودحين، فيخير قوى
الأعداء، فيسهل من بعد ذلك النصر.

.19 (١) ديوانه:

.39 (٢) ديوانه:

.66 (٣) ديوانه، شرح التبريزى:

.107 (٤) ديوانه:

.59 (٥) ديوانه، شرح التبريزى:

لقد وَطَّ عبد الصمد باكثير علاقته بالتراث الشعري السابق له، فهو يشابه حيناً أبا قمam، وحينياً يقرب في أسلوبه من البحتري في سلاسة تعبيره وروعة تقسيمه البديعي وعدم تكليفه وفي تصريفه وتجنيسه وصفاته وتشبيهاته.

يقول باكثير مادحًا عبد الله بن عمر بن بدر من قصيدة بدأها بالمطلع الآتي^(١):

عذولي دع التفيدة واللوم والعذلا فإن تره عذلا فلم أره عذلا
إلى أن قال:

أعزّهم جاراً وأمنعهم حمى
وأرفعهم قدراً وأكرمهم يداً
وأكثرهم جوداً وأغزّرهم ندىً
وأسيقهم مجدًا إلى كل غاية
وأقربهم عفواً وأبعدهم ملدي
وأثبّتهم مجدًا وأسمعهم نداءً
وأكرم من تحدو المطايَا لسُوحه

ومن مدحه لعبد الله بن عمر يقول⁽²⁾:

سلطانا الصمّاصام عبد الله من
الأروع الملك السعيد مؤيد الـ
جلبت طويته على بذل اللهـى
ملك يعـد الحمد أسمـى مقتـنـى

.210 (1) دیوانه:

.72 نفسه: (2)

هذه الإجاده والروعة في المعاني وطريقة التقسيم بما يخدم إيقاع النص وجمالية الأسلوب عند باكثير فيما سبق لا تقل عما جاء به البحتري حين قال⁽¹⁾:

تولى نداء واستنارت خمائله
بداني معروف هو الغيث في الثرى
ونلت به القدر الذي كنت أتقى
أمنت به الدّهر الذي كنت آمله

وقول البحتري أيضاً⁽²⁾:

جود الرجال أن يسود بخليها
لهى سودته دون قوم ولم يدع
ولم يتلها حمد يعاف قبولها
ولو سبقت الدنيا إليه بأسرها

والتناص حاضر في ما راشه كلا الشاعرين من مدح ووصف للمدوحين، فبعد الصمد يغدق على
مدوحه جبه للضيافة وبذل المعروف الذي يرفع من ذكر صاحبه، بل إن مدوحه يعد ذلك أفضل
مقتنى ويفضله على العسجد - الذهب - وأن لا علا للملك إلا بتوزيع وتشتيت ما حوطه خزائن
الملك من ذهب وفضة وغيرها. والمعنى ذاته قد سبقه إليه البحتري، فيرى في مدوحه الأمان والأمان
من الفقر والعوز وال الحاجة، ولكرم مدوحه فقد نال ما يتمنى وقد أمل.

وقول باكثير⁽³⁾:

ألفت أنا ملئه العطاء مضاعفاً
حتى دعي بالسواهب المتلاشف
يدكرنا بقول البحتري⁽⁴⁾:

لديه لأمسى حاتم وهو عاذله
إلى مسرفٍ في الجود لو أن حاتما

(1) ديوانه: 163.

(2) نفسه: 198.

(3) نفسه: 137.

(4) البحتري، ديوانه: 3 / 1613.

فبما يشير أضفي على مدوحه عادة العطاء حتى صارت سمة من سماته الأمر الذي أطلق عليه لقب المتلف، فالتناص في شراكة وترادف معنى اللفظة في الإتلاف والإسراف، غير أن البحترى فاق باكثير في مدحه إذ جعل من حاتم — رمز الكرم عند العرب — لو أدركه للامه.

ومن غرر قصائد باكثير المدحى قصيدة مطلعها^(١):

أطلع نضيد ذا المقابل أم در
أم الأقحوانا لغض فاح له نشر⁽²⁾
حق، قال متخلاصاً:

مدحه لابن بدر، فهو الواهِب والمَاجِد إِلَيْهِ تُسْعَى الْوَفُودُ وَتَجُوبُ الْفَدَادِ النُّوقُ وَالْجَمَالُ الْبَرِيلُ لِيَلَا
كُلُّ بَيْتٍ فِي الْقُصْيَةِ مَطْرُبٌ يَشَدُّ الْقَارَئَ إِلَى مَا بَعْدِهِ فِي تَنَاسُقٍ جَمِيلٍ، كَرِرَ بِأَسْلُوبٍ مُخْتَلِفٍ

.95 دیوانه: (1)

(2) الأقحوان: هو البابونج، وهي زهرة معروفة كثيرة التفعم.

(3) التقلقا : التحرك والادقال: سعة المشهد.

(٤) الفدافت: الاخذ الواسعة. حندس الله: ظلمته.

(5) جعد: قصبه الأصانع، كنائة عن السخا

ونحرا راجية عطایاہ التي ليست ممحورة على صنف من الناس فيیأس من نيلها الفقر ولا هي بالنزر فيرغم عنها الغنى، فهو العز نفسه، بل العز والفخر يمد له بصلة، فما ردّ سائلًا وما قال في غير شهدہ لا. إن هذا الإطراب والإمتاع يذهب بك إلى ما قاله من قبل البحتری⁽¹⁾:

مد يلي من أحداها ومفیدي وفودا من العافين بعد وفود	متى وترني النائبات فجودهم مواهب ما تفك تصدر بالغنى
--	---

يقول باکثیر⁽²⁾:

أندائم كرما أزكاهم حسبا يرى كرام المساعي خير ما اكتسبا	أوفاهم ذمًا أسنامهم همما الضيغum الأروع الصّمّاص خير فتى
---	---

هذا التقسيم عند باکثیر أقرب ما يكون إلى تقسيم البحتری في قوله⁽³⁾:

نبلا وأبعدهم في سؤدد أبدا أو فاعلا حسنا أو قائلا سددا	يشيد الجد قوم أنت أقربهم وما رأيناك إلا بانيا شرقا
--	---

فقول باکثیر مثلا⁽⁴⁾:

يجود كهتان الغیوث الهوامع	رفیع العلی من لا یزال بنانه کأنک تقرأ للبحتری ⁽⁵⁾ :
---------------------------	---

هو الغیث ینهل في صوبه يقول عبد الصمد باکثیر مادحًا علي بن بدر الكثیری ⁽¹⁾ :

تناءی الكری عني وعز التصبر وتحتماً على من کابد البین يصر

(1) دیوانه: 181.

(2) نفسہ: 47.

(3) دیوانه: 718 / 2.

(4) دیوانه: 129.

(5) نفسہ: 89.

(1) نفسہ: 88.

إلى بلدٍ فيها على المظفر
طليق المحيَا بالنَّوال مبِشّر
لأغدق من وبل الغمام وأغمر
من الدهر خطب ألزم متنَّگر⁽¹⁾

وإنْ خفت من جور الزَّمان فيممي
عنه تلقى الوفود مرامهَا
حکى جوده فيض السحاب وإنَّه
زعيم بإكرام الضيوف إذا سطا

هذه المعاني في جدّتها وطراحتها وروعتها أشبه بمعاني المتّبني القائل⁽²⁾:

إلى ليث حربِ يلجم الليث سيفه
وبحر ندى في موجه يغرق البحر
تباعد ما بين السحاب وبينه
فنائلها قطر ونائله غمر

يحكى باكثير عن مدوحه أن كرمه حاكي وشابه فيض السحاب، واستدرك فقال: بل أفضل من نول السحاب وأغمر، هو الأجدى بضيافة المعوزين إذا خطب شديد وجماعة عمت لا سبق للناس بها، هذا المعنى تناصٌ فيه مع المتّبني الذي يصف مدوحه بأنه البحر في عطایاه وأن لا مجال للمقارنة ما بين كرمه وما تتذكر به السحب من العطاء.

يقول باكثير مادحاً عبد الله بن عمر الكثيري⁽³⁾:

جاد الربوع من الوسيي هطال
يحيى به الشيع والقيصوم والغال

إلى أن قال:

نواهُها أبداً في الناس هطال
حتى كأن لديه المال أنفال

هذا الذي كفَّه كالغيث راحتها
يجود قبل سؤال السائلين له

وفي هذا المعنى يقول المتّبني⁽¹⁾:

(1) الألزم: القاطع المستأصل

(2) ديوانه: 63

(3) نفسه: 174

(1) نفسه: 15

يعطيك مبتداً فإن أعملته
أعطيك مبتداً كمن قد أجرما
ولم يكن باكثير بداعاً من الشعراء الذين اخذوا من المبالغة في الوصف والتكرار طريراً ينفذون من
خلاله للحذوة بمكانة لدى المدحوه، فقد سبقه في ذلك كبار الشعراء من قبله فهذا المتنبي مثلاً يقول
^(١): مادحاً:

في بحر البحور ولا أواري ويا ملك الملوك ولا أحاشي
مبالغة تعافها النفس ويعجها الذوق السليم، ولكن تجد بين ثنايا القصيدة الواحدة على ما فيها من
إسفاف مواضع يجيد فيها الشاعر إجاده رائعة بميزان الشعر من ذلك قول عبد الصمد في القصيدة
^(٢): السابقة نفسها قوله :

كرم غريزي ورفعه همة قذفت به نحو المقام الأفضل
بذل اللجين أحب شيء عندك فيجود مبتداً إذا لم يُسأل
ويكثر باكثير في قصائده من استخدامه للتقسيم والتجنيس والتصریع فمن ذلك قوله^(٣) :
صب تذكر أيام الصبا فصبا وحن لما كواه الوجد وانتجبا
إلى أن قال:

أوفاهم ذمأً أسنفهم همما أنداهم كرماً أزكاهم حسنا
الضيغم الأربع الصممصام خير فتى يرى كرام المساعي خير ما اكتسبا
تقسيم بديعي يحمل الروعة والإجاده والتجانس والارتباط فاللوفاء للذمم والارتفاع للهمم والندي
للكرم وأزكاهم حسنا.

^(١) يقول المتنبي في هذا المعنى :

.243 (١) ديوانه:

.183 (٢) نفسه:

.47 (٣) نفسه:

ولمست منصله فسال نفوسا
أبداً ونطرد باسمه إبليس
ولعبد الصمد باكثير هذه القصيدة التي تسيل رقة، وتزخر بالمعاني يمدح بها عمر بن بدر:
واعنم زمان الرضى بالأنس والجذل
شاهد جمال الحيا غاية الأمل

(2): يقول

جود وحلم وإقدام بلا فشل
واختاره ملة من أكرم الملل
سامٌ رحيب العنا بالوفد والنُّزل
فهم على ثقة من مبلغ الأمل
يبحثون كرام الخيل والإبل
نيطت بسُؤددده بيض الفعائل من
أفديه من ملك أجرى الندى كرما
عالى الجناب طوبل الباع في شرف
بسوجه يم العافون حاجتهم
أما تراهم أتوا من كل ناحية
قوله جود وحلم وإقدام بلا فشل من أبلغ الاحتراسات فهو يحترس من الإقدام القاتل كما قال

(3): المتنبي

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفتر والإقدام قتال
فباكثير احترس فقال، وإقدام بلا فشل. وقول باكثير⁽⁴⁾:

بسوجه يم العافون حاجتهم فهم على ثقة من مبلغ الأمل

(1) ديوانه: 46.

(2) نفسه: 185. الرعديد: الجبان.

(3) نفسه: 490.

(4) نفسه: ص 185.

معنى رائع وعذب ناسبت الألفاظ المعاني المرحومة فالثقة دفعت الوفود إلى أن تفتدى إلى ابن بدر متجمشمة الفلوات والسباسب تذيب ظهور البزّل العظيمة وتخلط الليل بالنهار حتى أناخوها بمحبوب السماح وينبوع النجاح وملجاً الخائف الوحل.

وبأكثر كما سبق أن حدثت في هذا اللون من الشعر يدخل مباشرة إلى صلب الموضوع المراد شأنه في ذلك شأن الشعراء الكبار فالمتنبي مثلا يقول من قصيدة له⁽¹⁾:

<p>أعلا الممالك ما يبني على الأسل ومنتقر سيف في مالكهـا</p> <p>والطعن عند محبيهـن كالقبل⁽²⁾ حتى تقلـل دهرا قبل في القـلل⁽³⁾</p> <p>الباعـث الجيش قد نالت عجاجـته الجو أضيق ما لاقـاه ساطـعهاـ</p>	<p>ضـوء النـهـار فـصار الصـبـح كـالـطـلـ⁽⁴⁾ وـمـقـلة الشـمـس فـيهـا أـخـير المـقـلـ</p> <p>وـعـبد الصـمـد باـكـثـير يقول في هـذا المـعـنى⁽⁵⁾:</p> <p>جيـش تـغـصـ بهـ الـبـيـداء وـيـشـرقـ مـنـ الـبـرـ يـرـجـفـ مـنـ ثـقـلـ الجـيـوشـ بهـ</p> <p>ويـقـولـ مـنـ قـصـيـدةـ أـخـرى⁽⁶⁾:</p>
<p>منـشا صـبـابـاتـيـ، وـطـيـبـ مـسـامـريـ</p>	<p>بـيـنـ الـأـبـيـقـ وـالـتـقاـ مـنـ حـاجـرـ</p>

إن من أسباب النصر بعد التوكل على الله الثبات في المعركة المنبعث من الروح المعنوية العالية لدى المدوح فيقول باكثر⁽⁷⁾:

(1) ديوانه: 274.

(2) الأسل: الرماح

(3) القـللـ: الرؤوسـ

(4) الطـلـ: آخرـ النـهـارـ

(5) ديوانه: 39

(6) نفسه: .83

(7) نفسه: .84

ثُبِتَ الْجَنَانُ إِذَا الرَّمَاحُ تَشَاجَرَتْ
 إِنَّ الثَّبَاتَ فِي الْمَعْرَكَةِ وَعَدَمُ التَّرَاجِعِ يَدْلَانُ عَلَى أَنَّ الْخَصْمَ فِي الْمَعْرَكَةِ لَيْسَ ضَعِيفًا بَلْ هُوَ فِي مَقَامِ
 النَّدِ لِذَا فَالْحَرْبُ بَيْنَ قَسَّاًوْرَ وَقَسَّاًوْرَ يَقُولُ مِنْ قَصِيدَةِ لَهُ⁽¹⁾:

وَشَبَّتْ لَظَى الْمَيْجَاءِ بِالْبَيْضِ وَالسَّمْرِ
 عَلَى سَبَقِ مُثْلِ السَّعَالِيِّ بَهْمِ تَخْرِيِّ⁽²⁾
 يَخْبَبُ بِهِ عَبْلُ الشَّوَّى وَاسْعُ النَّحْرِ
 عَلَيْهِ فَتَ ثَبَتَ الْجَنَانُ بِلَاكَبِرِ⁽³⁾
 مَجْدُلُ أَبْطَالِ الْفَوَارِسِ فِي الْقَفَرِ
 تَشَقُّ قُلُوبُ الدَّارِعِينَ مِنَ الذَّعْرِ
 وَسَاعَدَهُ التَّأْيِيدُ بِالْفَتْحِ، وَالصَّرِ
 لَقَدْ جَعَلَ عَبْدُ الصَّمْدِ الثَّبَاتَ مِنْ عَوْمَلِ النَّصْرِ فَالْمَدْوُحُ يَلْقَى الْأَعْدَاءَ مِبْتَسِمًا مِتَهَلِلًا عَلَى خَيْلٍ
 وَاسْعُ النَّحْرِ سَرِيعٌ لَهُ فِي الْمَعْرَكَةِ هِيَةً تَمَلُّأُ قُلُوبَ أَعْدَائِهِ فَتَسَاقِطُ هَامَاتُ كَبَارِهِمْ وَتَفَرُّ أَخْرَى مِنَ الذَّعْرِ
 فَهُوَ الْمُؤَيدُ مِنَ اللَّهِ يَصْحِبُهُ التَّأْيِيدُ وَالنَّصْرُ أَيْنَمَا تَوَجَّهُ، فَمَدْوُحٌ بِاَكْثَرِ مَصْدَرِ الشَّجَاعَةِ تَقَاسُسُ بِهِ
 الْأَبْطَالَ وَيَشَبَّهُونَ بِهِ يَقُولُ:

كَمَا قَالَتِ الْخَنْسَاءُ فِي صَنْوُهَا صَخْرٌ
 تَقَاسُسُ بِكَ الْأَبْطَالُ، وَأَنْتَ فِيهِمْ
 يَقُولُ الْمُتَنبِيُّ⁽⁴⁾:

وَوَجْهُكَ وَضَاحٌ وَثَغْرُكَ بِاسْمِ
 إِلَى قَوْلِ قَوْمٍ أَنْتَ بِالْغَيْبِ عَالِمٌ
 تَمَرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كَلْمِي هَزِيمَةٌ
 تَجَاوزُتْ مَقْدَارَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّهَى
 يَقُولُ بِاَكْثَرِ⁽¹⁾:

(1) ديوانه: 106.

(2) السعال: الواحدة سعالاء: ساحرة الجن.

(3) خرشع: الخرشعة: قنة صغيرة من الجبل، والقرآن: الظهر.

(4) ديوانه: 387.

تشق قلوب الدارعين من الذعر
له هيبة ملء القلوب، وصولة
وهو قول البحتري⁽²⁾:

إذا ما أخ جر الرماح انبرى له
تحتهم البيض الرقاق وضمير
وما الموت إلا أن تشاهد ساعة
بطعن يكب الدارعين دراكه

أخ لا بليد في الطعان ولا وغل
عتاق وأحساب بما يدرك التبل
فوارسهم في مآزق وهم رجال
وضرب كما ترغو المخزنة البزل

إن المتأمل في شعر عبد الصمد يتبادر إلى ذهنه شعر السابقين الذين ذكرت منهم، فقد سار على
نحجهم وأخذ عنهم فجاورهم وكأنما عاش عصرهم فالمعاني تقرب من المعاني والألفاظ في قوتها وجماها
ورووعتها هي ألفاظ الشعراء السابقين له جزالةً وقوّةً تأتي متناسبة مع ما يريده من معانٍ.

الخاتمة والتوصيات:

في نهاية هذا البحث رأى الباحث تسجيل أبرز ما يمكن إجماله في الآتي:

- 1- لم يحظ ديوان عبد الصمد باكتشاف بمثل هذه الدراسة التناصية من قبل.
- 2- الديوان غني بما احتوى عليه من أشعار تصلح أن يفرد بدراسة في التناص لمساق الماجستير أو الدكتوراه.
- 3- ديوان عبد الصمد باكتشاف مثل مرحلته الزمنية من حيث حال الشعر والأدب عموماً في تلك الحقبة القرن العاشر والحادي عشر إذ قال شعراً في أغراض العصر التقليدية من مدح وغزل ورثاء ... والأغراض التي اختص بها عصره من مدح وعارضات وموشحات وألغاز وشعر التضمين والتاريخ الشعري ... الخ.

(1) ديوانه: 107.

(2) نفسه: 164.

4- وجد الباحث في شعر عبد الصمد التقليدي بياناً في لغته وفصاحة، وقوه في اللفظ وجذالة، وعزاً إلى البعد الجغرافي لموطنه حضرموت.

5- وقف الباحث على بعض مواطن التوافق والتناسق مع أبرز الشعراء وهم: أبو تمام والبحتري والمتني، منه إمكان تطوير البحث ليشمل آخرين من كل العصور السابقة له.

6- وجد الباحث قرباً جمالياً في عددٍ من أبيات عبد الصمد يفوق في أحايin من جمالية أبيات من سبقوه.

7- تنوع موضوعات وأغراض شعر عبد الصمد دلّ على سعة علمه واطلاعه ومعرفته بشعر من سبقوه.

8- كون عبد الصمد كان شاعر السلطان عمر بن بدر ولسان حاله؛ عزّز ذلك من مشابخته لشعر المتني وأبي تمام على وجه الخصوص سيما في المدح.

9- يأمل الباحث من طلاب الدراسات العليا والباحثين التدقّيق والنظر في كتب التراجم عن أسماء الشعراء المعتمدين، فلا يزال الكثير لم تحظ دواوينهم بدراسات أكاديمية منهجة.

التوصيات:

- أوصي الباحثين بتناول شعر شعراء بيئاتهم، فهم أولى بالدراسة الأكاديمية المنهجية.

- إجلاء الصدأ عن التراث الشعري القديم فلا زال مليئاً بكل ما هو فريد وطريف.

- بوصلة عنوانين الرسائل في الماجستير والدكتوراه نحو ما تم تأليفه من كتب ودواوين إبان العزو التترى للعلم الإسلامي إلى بدايات عصر النهضة.

- عدم الاكتفاء بتحقيق الدواوين المخطوطة، بل يجب إتباعها بدراسات تحليلية وفنية وأسلوبية وتناسقية، وهلم جرا.

المصادر والمراجع:

- ديوان عبد الصمد باكثير، تحقيق: أحمد بابين، رسالة ماجستير، جامعة عدن، إبريل – 2004م.
- ابن الرومي، ديوانه، تحقيق: عبد القادر المازني.
- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، د. ت.
- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، د. ت.
- أبو تمام، ديوانه، شرح الخطيب التبريزى، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف، القاهرة، ط 5.
- الأحمد، نحلة، التفاعل النصي، مجلة كتاب الرياض، د. ط، مؤسسة الإمامية الصحفية، عدد 104، 2002م.
- امرأة القيس، ديوانه، تحقيق حنا الفاخوري، ط 1، دار الجيل، بيروت 1409هـ – 1989م.
- باكثير، محمد بن محمد، البستان المشير إلى علماء وفضلاء آل أبي كثیر، تحقيق: عبد الله بن محمد الحبشي، د. ت. ط.
- البحترى، ديوانه، مطبعة الجوائب، القدسية، 1300هـ.
- الباقاعي، محمد خير، دراسات في النص والتناصية، ط 1، مركز الإنماء الحضاري، حلب، 1998م.
- الخطيئة، ديوانه، رواية وشرح ابن السكريت (186 – 246هـ)، دراسة وتأويل د. مفيض محمد.
- قمية، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط 1، 1413هـ – 1993م.
- حمادة، حسن محمد، تداخل النصوص في الرواية العربية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997م.
- الخشاب، وليد، دراسات في تعدي النص، د. ط، المجلس الأعلى للثقافة.
- طبانة، بدوى، السرقات الأدبية، ط 2، مكتبة الأنجلو، القاهرة – 1969م.
- عبد الله الغذامي، تشريح النص، ط 2، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2006م.
- عزام، محمد، النص الغائب، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م.
- عيد، رجاء، القول الشعري، قراءة في الشعر العربي المعاصر، منشأة المعارف، الإسكندرية.

الفرزدق، ديوانه، شرح وضبط وتقديم الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1407 هـ - 1987 م.

كرستيفا، جوليا، علم النص، ترجمة فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم، ط1، دار توبقال للنشر، المغرب، 1991 م.

المتنبي، ديوانه، تحقيق: عبد الرحمن البرقوقي، مكتبة دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1986 م.
مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشعري، ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992 م.

الدوريات والمحاجات:

زياد، علي عشري، توظيف التراث في شعرنا المعاصر، مجلة فصول، مجلة فصول، 1980 م.
عبد الواحد لؤلؤة، التناسق مع الشعر العربي، مجلة الأقلام، ع1، ديسمبر، 1994 م.

الرسائل العلمية:

دعكون، تهاني حاج، التناسق في شعر ابن هنيمل، رسالة ماجستير، جامعة حضرموت، كلية التربية م/
المهرة 2021 م.

القرشي، هناء فلحان، الاقتباس والتضمين في شعر ابن دراج القسطلي، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1435 هـ.

كتاب ما وراء الفكرة لعبد الله علي عاطي قراءة تحليلية نقدية

د. عبد الله عبد الكريم عبد الله مقبول (*)

الملخص:

هدفت هذه القراءة إلى تقديم تحليل نقدى لكتاب (ما وراء الفكرة) ومن ثم تقييمه على المستوى الشكلي والمضمونى، والإجابة عن سؤال: إلى أي مدى أبدع عبد الله علي عاطي في كتابه هذا، في تقديم مادته إلى القراء بعد أن كان قد نشر موضوعاته في حلقات يومية على حائطه في الـ(فيس بوك)، على مدى عام أو يزيد، ثم قام بجمعها وتنقيحها ومراجعتها وإظهارها للقراء بحلة جديدة وبصورة نشر أخرى تمثلت في الكتاب الورقى، بعد أن كانت عبارة عن نصوصٍ ومقالات تفاعلية على منصات التواصل الاجتماعى.

الكلمات المفتاحية: ما وراء الفكرة، أسلوب، نقد الذات، نقد المجتمع.

Abdullah Ali ‘Aati’s Book ‘Maa Waraa Al-Fikrah’ (*Beyond the Idea*)

A Critical Analytical Reading

Dr. Abdo Abdul Kareem Abdullah Maqbool

Abstract

This reading aimed to provide a critical analysis of the book ‘Maa Waraa Al-Fikrah’ (*Beyond the Idea*) and then evaluate it on the levels of form and content, answering the question: To what extent did Abdullah Ali ‘Aati excelled in this book of his, in presenting his material to the readers after he had published his topics in episodes on his Facebook page for a year or more? The author then collected,

(*) أستاذ الأدب والنقد الحديث المساعد - كلية التربية - المهرة - جامعة حضرموت.

reviewed, revised and presented it to the readers in a new look and in another form of publication, represented in the paper book, after they were mere texts and interactive articles on social media platforms.

Keywords: Maa Waraa Al-Fikrah (Beyond the Idea); Style; Self-criticism; Societal criticism.

مقدمة:

صدر مؤخرًا كتاب (ما وراء الفكرة)، للكاتب عبد الله علي عاطي⁽¹⁾، الكتابعبارة عن تسجيل انطباعات أو ظواهر شاهدها المؤلف بنفسه من واقع التجربة والممارسة اليومية قراءةً وكتابةً ومتابعةً والتي استمرت معه لسنوات عديدة.. ونشرها على حائطه في الفيس بوك، ثم جمعها في كتاب، والذي يقول عنه مؤلفه: "هذه يوميات وانطباعات أريد أن أحافظ بها ضمن أوراقي، إنْ فرأتها مشكورةً وإن أعرضت عنها لعلي أجد لك مبرراً، فوادي المعرفة يسأيل بالمعلومات والكتابات والإنتاج المتنوع، وأقدر اختياراتك ووقتك ولا أفكّر بمن يقرأ أو من يعرض، وأآخر ما أعمل له حساباً، ولك أن تفسر ما أقول على أي وجه تريده"⁽²⁾. فهو يمنح القارئ/ المتلقى الحرية في قراءة كتاباته أو العزوف عنها فأؤدية المعرفة كثيرة ومتعددة وكذلك حرية التأويل والتفسير؛ فهو لا يفرض على المتلقى فهما معيناً مقالاته..

(1) عبد الله علي عاطي رعفيت، من مواليد يوليو سنة 1959 بمديرية حوف، محافظة المهرة، متزوج وله ذرية، يكنى به "أبي سالم"، إماراتي الجنسية، درس القانون والخماماً وتخرج من كلية الشريعة والقانون جامعة العلوم التطبيقية، صناعة، وخريج معهد القضاء في الإمارات، محاماة، دراسة نظرية وتطبيقية، وحاصل على العديد من الدورات القضائية والإدارية التي تتعلق بالعمل، أضف إلى ذلك دورة في الكمبيوتر، فهو محام بارع، وكاتب متميز وأديب ولهم مؤلفات منشورة، منها: كتاب ما وراء الفكرة، وكتاب الرسم على رمال البحر، وكتاب بعنوان: كن ولا تكن، وله صفحة على الفيس بوك ينشر فيها ما يكتب، متمنكاً في غزله للأحرف، ولهم أسلوب رائع في إثبات دحر الكلام، وصاحب ريشة بدعة، وأسلوب عجيب يجعل من القراء يداومون على قراءة كتاباته، تاهيك أنه قارئ متتمرّس، يصل حد النمالة، ومطلع على ما يدور حوله من سياسة وفكر ومنطق ورياضة وتجارة. ينظر:

ما وراء الفكرة: 11.

(2) ما وراء الفكرة: 82.

وهو كما يقول عنه الدكتور عامر فائل: "كتَبَ الأَسْتَاذُ عَبْدُ اللَّهِ عَلَى عَاطِي مُوْضُوعَاتٍ مُتَنَوِّعةٍ وَأَمْلَى مِنْ فَكْرِهِ فِي الْأَدْبُرِ وَالْلُّغَةِ وَالثَّقَافَةِ وَالْفَلْسُفَةِ كَمَا عَرَجَ عَلَى عَدْدٍ مِنْ الْعَادَاتِ الاجتماعية السائدة بعضاً نُصْفَهَا بِالسلبية، وَلَمْ يَقُلْ أَنْ يَجْرِي بعضاً مِنَ الْحَوَارَاتِ التَّوْعُوِيَّةِ فِي السِّيَاسَةِ وَالسِّيَاحَةِ وَالْمَوَاطِنَةِ وَقَدْ بَدَا فِي جَمِيعِ ذَلِكَ حِرْيَاً عَلَى تَحْوِيدِ عَمَلِهِ مُتَفَنِّتاً فِي اخْتِيَارِ الْمُوْضُوعَاتِ الَّتِي تَخْدِمُ الْقَارئَ، وَهُوَ يَكْتُبُ عَنْ قَنَاعَةٍ وَحِيَادٍ، لَا يَتَقْرَبُ مِنْ أَحَدٍ وَلَا يَطْلُبُ وَذَاهِدٍ"⁽¹⁾، وَالْكَاتِبُ نَفْسَهُ يَصْرُحُ بِذَلِكَ فَيَقُولُ: "نَحْنُ وَاقِعِيُونَ وَنَعْرُفُ قَدْرَاتِنَا وَإِمْكَانِيَاتِنَا وَلَا يَضُرُّنَا قَادِحٌ، وَلَا يَغْرِسُ فِينَا كُبْرَا غَرُورٌ مَادِحٌ"⁽²⁾.

وَ"ثُمَّةُ أَمْرَوْنَ تَلَحِظُ عِنْدَ الْكَاتِبِ عَبْدِ اللَّهِ عَاطِي، فَهُوَ أَوْلًا: قَارئٌ جَيِّدٌ يَقْرَأُ فِي عِلْمَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ بِكَثْرَةِ، وَهُوَ ثَانِيًا: مُتَحَرِّرٌ مِنْ قِيَودِ التَّعَصُّبِ بِأَشْكَالِهِ كَافَةً، وَأَبْلَغُ دَلِيلٍ عَلَى ذَلِكَ، تَلَكَ الْمَقَالَاتُ التَّوْعُوِيَّةُ الَّتِي خَصَصَهَا لِلْحَدِيثِ عَنِ الْقَبْيَلَةِ وَالْمَجَمِعِ، إِذْ يَظْهُرُ فِيهَا إِنْسَانٌ مُعْتَدِلٌ الَّذِي يَحْتَرِمُ غَيْرَهُ لَا لِشَيْءٍ إِلَّا لِأَنَّهُ إِنْسَانٌ كَرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَ ثَالِثًا: هُوَ صَاحِبُ تَجْرِيَةٍ صَقْلَتْهَا الْحَيَاةُ بِمَا فِيهَا مِنْ حَلْوٍ وَمَرْ، كُلُّ هَذَا ظَهُورٍ فِي أَسْلُوبِ عَبْدِ اللَّهِ عَاطِيِ الَّذِي كَانَ أَسْلُوبُهَا سَهْلًا مُمْتَنِعًا، يَمْزُجُ فِيهِ الْكِتَابَةَ الْأَدْبَرِيَّةَ بِالْفَكْرِ الْفَلْسُفِيِّ"⁽³⁾.

ويقول عنه الأستاذ عمر نيمر: "هو كاتب متميز وصاحب ريشة بد菊花، له أسلوب عجيب يجعل القراء يداومون على قراءة كتاباته، ناهيك أنه قارئ متعرس، يصل حد الشمالة، ومطلع على ما يدور حوله من سياسة وفکر ومنطق ورياضة وتجارة"⁽⁴⁾.

(1) ما وراء الفكرة: 8، والكلام ما زال للدكتور عامر فائل..

(2) نفسه: 9.

(3) ينظر: كتاب ما وراء الفكرة، كلمة التقديم: 9.

(4) ينظر: كتاب ما وراء الفكرة، (أقلام من المهرة): 11.

وإذا كان لنا من قراءة على هذا الكتاب الموسوم بـ(ما وراء الفكرة) فإننا سنتناظر إليه من أكثر من زاوية؛ ذلك لأن الكتاب متتنوع في موضوعاته وأفكاره، وإن كان يربطها برباط جامع هو النقد الذاتي والاجتماعي والحديث مع النفس الذي جمع بين نقد الذات (ذات الكاتب) بوصفه جزءاً من المجتمع وما يصل إليه قد يصل للمجتمع ككل، ونقد المجتمع الذي هو عنصر فاعل فيه.

وانطلاقاً من ذلك، تهدف هذه القراءة إلى تقديم تحليل نقدي لهذا الكتاب ومن ثم تقييمه على المستوى الشكلي والمضموني، وقد توضعت مشكلة القراءة في الإجابة عن سؤال: إلى أي مدى أبدع عبد الله علي عاطي في كتابه هذا، في تقديم مادته إلى القراء بعد أن كان قد نشر موضوعاته في حلقات يومية على حائطه في الـ(Facebook)، على مدى عام أو يزيد، ثم قام بجمعها وتنقيحها ومراجعتها وإظهارها للقراء بحلة جديدة وبصورة نشر أخرى تمتلت في الكتاب الورقي، بعد أن كانت عبارة عن نصوصٍ ومقالات تفاعلية على منصات التواصل الاجتماعي.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى قراءة كتاب "ما وراء الفكرة" للكاتب عبد الله علي عاطي قراءة تحليلية نقدية، للتعرف على قدرة الكاتب في إبداع مادته وتقديمها إلى القراء.

منهج البحث: عمد البحث إلى توظيف المنهج الوصفي والتحليلي، من خلال انتقاء عدد من الموضوعات وقراءتها وتحليلها بغية الوقوف على أسلوب الشاعر في الكتابة ومعرفة مدى قدرته على توصيل الفكرة إلى القارئ.

أهمية البحث:

تتمثل أهمية البحث في كونه يحاول أن يبرز تجربة جديدة في الكتابة تمثل في أدب تفاعلي منشور على المنصات الالكترونية وتحويلها إلى كتاب ورقي. وكون الكاتب علماً من أعلام المهرة.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن ينقسم بعد هذه المقدمة إلى المحاور الآتية:

- 1- العنوان.
 - 2- تناسق العناوين.
 - 3- الاستهلالات (الاستفتاح).
 - 4- النص بين الاتصال والتواصل.
 - 5- القارئ.
 - 6- تحليل الجوانب الشكلية.
 - 7- خاتمة.
- 1- العنوان:**

يتجلّى العنوان في العمل الأدبي وغيره، بوصفه العتبة الأولى التي يلح منها القارئ إلى النص، إذ غالباً العنوان عُنصراً مُهماً لا تخلو منه النصوص الأدبية الحديثة؛ لأنَّه لم يعد مجرّد إضافة شكلية فارغة من المدلول، وإنما أصبح يشكّلُ واحداً من مفاتيح النص التي تُساعد على كشف مدلولاته، واستكناه أسراره⁽¹⁾، مما جعله "في نظر الدارسين عتبة الولوج إلى النص والمفتاح الأهم لمقارنته"⁽²⁾، فضلاً عن أنه يمثل طاقة دلالية رامزة تقدم لنا المعونة لتفكيك النص ودراسته وفهم ما غمض منه، غير أنَّ هذا لا يعني أنَّ العناوين تتساوى في فاعليتها وفي قيمتها التعبيرية أو الدلالية، فنَّمة تفاوتُ من عنوانٍ لأخر، فإذا كان دور بعضها يقتصر على الإشارة إلى موضوع النص فحسب، فإنَّ هناك من العناوين ما تتسم بقدرتها على تكثيف دلالة النص والابتعاد عن مدلولاته القراءية حتى أنَّ القارئ ليقف عنده في حيرة

(1) ينظر: العنوان وسيميويطقياً الاتصال الأدبي: 40.

(2) دينامية النص (تنظير وإنجاز): 72.

من أمره، كما أن هناك من العناوين ما يشكل عنصرا في تأويل النصوص وكشف مكتوناته منذ الولهة الأولى، إذ يغدو الوصول إلى دلالة النص مرتبطا به⁽¹⁾.

أما الوظائف التي يمكن أن ينسحب فيها العنوان نحو المتلقى، فأبرزها الوظيفة التأويلية التي يسهم فيها القارئ، ويغدو شريكا مهما للكاتب في منح العنوان مجموعة من القراءات الممكنة⁽²⁾، وهو ما سيظهر لنا لاحقا.

وعند النظر إلى عنوان الكتاب قيد الدراسة (ما وراء الفكرة) نجد أنه يختزل في بنائه مجموعة من الدوال التي توحى أو تشير إلى أشياء كثيرة، هذا فضلا عن عناوين النصوص والمقالات داخل الكتاب نفسه، والتي تمثل عنصرا لافتا عند الكاتب.. فلو تأملنا في البدء ببنية العنوان الخارجي للكتاب سنجد أنه يحتمل تأويلين؛ الأول: أن تكون (ما) في بداية العنوان، موصولة بمعنى (الذى)، وهي في محل رفع مبتدأ، وشبه الجملة (وراء الفكرة) المكون من: (وراء) ظرف المكان، وهو مضaf، و(الفكرة) مضaf إليه، خبر للمبتدأ.

والتأويل الثاني: أن تكون (ما) استفهامية، وهي خبر مقدم، وشبه الجملة مبتدأ مؤخر، غير أن الكاتب ترك العنوان مشفرا من غير أن يضع أيّة عالمة من علامات الترقيم كالاستفهام —مثلاً— أو التعجب أو غيرها ليعطي انطباعاً أولياً إن كانت الجملة استفهامية أو خبرية، ولعل الكاتب أراده هكذا، حتى يكون أكثر إيحاء واحتمالاً للتأويل إلى أكثر من معنى.. فإن كان المقصود هو الاستفهام؛ فإن فيه دعوة للتأمل والعمق وعدم السطحية، وأنَّ شيئاً ما وراء الفكرة يحتاج إلى النظر والتأمل، وأن استجلاءه سيكون من جواب الاستفهام الذي سيجده القارئ/ المتلقى من قراءته للكتاب. وإنْ كان

(1) ينظر: دراسات في نقد الرواية: 40.

(2) ينظر: العنوان وتحولات الخطاب في الرواية اليمينية: 367.

المقصود هو الأول؛ أي أن (ما) موصولة، فلعل مدلول العنوان يشير إلى أن هناك أفكاراً كثيرة تدور في الذهن، وأن لكل فكرة مدلولاً، وهذا ما سينبع عنه مضمون الكتاب.

وأياً كان المدلول الذي يُشير أو يوحى به عنوان الكتاب، إلا أنه خلق جملة من التساؤلات، واستطاع الكاتب من خلاله أن يلفت نظر المتلقى إليه، فهو عنوان ملفت، ويحمل في طياته دلالة معينة. والكاتب قد استجلبه من المضمون العام للكتاب، ولم يأتِ به من الخارج؛ لأن كل مقال يحمل فكرة معينة، ويدور حول موضوع معين، بالرغم من أن جميع الموضوعات متراقبة دلائياً من حيث الجو العام الذي يدور حوله الكتاب؛ وهو النقد الذاتي والموضوعي للواقع المعاش بما فيه من تناقضات وتغيرات، مع العلم أن العنوان لم يرد بنصه أو قريباً منه في أثناء الكتاب. ونستطيع القول: إن الكاتب كان يستحضر في نفسه لحظة المكاشفة عند كتابة كل مقال ليوح لنا هامساً عن سر الكتابة وعشقها بوصفها رحلة مغمورة بالأسئلة والأجوبة والسر والبوج، فهو يكتب من أجل الكتابة، ولعل ما يدلل على ذلك أن لديه مجموعة مقالات تُشير إلى ذلك؛ وهي: (الكتابة لأجل الكتابة)⁽¹⁾، (وقت الكتابة)⁽²⁾، و(إدمان الكتابة)⁽³⁾، (وهل أكتب مذكراتي؟)⁽⁴⁾، وعنوان آخر يشير أو يرمز إليها أو يضادها، وهو (من تقرأ؟)⁽⁵⁾، فالكتاب عنده عشق، قبل أن تكون هواية، ولعله يوح لنا من خلالها أن وراءها عشقاً معيناً أو عشقاً من نوع خاص لا يوح به لأحد وإنما يحتفظ به لنفسه..

(1) ما وراء الفكرة: 55

(2) نفسه: .87

(3) نفسه: .248

(4) نفسه: .242

(5) نفسه: .151

أما إذا نظرنا إلى عناوين النصوص والمقالات داخل الكتاب، فإننا نجد أن الكتاب قد احتوى على (90) عنواناً، لخصت كلها بجريدة الكاتب في الكتابة، وقد بُنيت من حيث التركيب اللغوي على أربعة أشكال، وهي على النحو الآتي:

فالتركيب الأول: الاسم المفرد؛ وهذا لم يرد إلا مرة واحدة في مقال بعنوان: (المتسّع)، وقد خصه بـ(التعريف؛ وكأنه يريد للمتلقي أن يتعرف عليه).

التركيب الثاني: الجملة؛ وقد توزع هذا التركيب بين الجملة الاسمية والجملة الفعلية، فمن الاسمية، نحو: (المهرية آمال وطلعات، الصورة ليست قائمة. الكتابة لأجل الكتابة، الصراحة المفقودة)⁽¹⁾. وهذا التركيب تكرر في (24) عنواناً. ومن تركيب سياق الجملة الفعلية، نحو (وسقط الزيف، سقط الكلام، الزم بيتك)⁽²⁾، في (4) مقالات فقط.

التركيب الثالث: شبه الجملة، وقد توزع بين الجار والمجرور، والمضاف والمضاف إليه. فمن الجار والمجرور، نحو: (على الصامت، على عجل)⁽³⁾، والظرف، نحو: (مع محرف)⁽⁴⁾. ومن المضاف ومضاف إليه، نحو: (هوس السياسة، ضباب القاء، عقلاء شوبنهاور، راقص البرعة)⁽⁵⁾. وهذه التراكيب الثلاثة يمكن جمعها في سياق الأسلوب الخبري. وقد كان هذا الأسلوب هو الغالب على عناوين الموضوعات في الكتاب.

(1) ما وراء الفكرة: 24، 52، 55، 104.

(2) نفسه: 114، 224، 310.

(3) نفسه: 102، 172.

(4) نفسه: 144.

(5) نفسه: 315، 325، 46، 328.

التركيب الرابع: الإنثائي، والمتمثل في الاستفهام، والنهي، فقد وردت (أربعة عنوانين) على صيغة الاستفهام، هي: (لماذا سافرت؟ من تقرأ؟، تأدبا أم خوفاً؟ هل أكتب مذكراتي؟)^(١). وعنوان واحد في صيغة النهي، هو: (لا تجرب)^(٢). وأما أسلوب النداء، فقد جاء في عنوان واحد: (يا جدي دعني)^(٣).

في حين وردت (ثلاثة) عنوانين في صيغة النفي، هي: (لا احتكار، لست مخولاً، لا يرى إلا نفسه)^(٤). وهي لا تدخل في الإنثائية؛ لأنها خبرية.

ولعل الملاحظ على عنوانين الموضوعات أنها جاءت متوسطة من حيث طول العنوان وقصره، وكما ذكرنا آنفاً، أنه لم يرد إلا عنوان واحد في الكلمة واحدة، فالأغلب في عنوانين الموضوعات أنها لم تزد عن ثلاث كلمات، في حين أن كثيرة منها اقتصر على كلمتين (التركيب الإضافي)؛ ولعل ذلك من أجل أن يكون العنوان أكثر إيحاء، لا أن يفصح عن المضمون مباشرة، فالعنوان كما يقول محمد مفتاح: "إما أن يكون طويلاً فيساعد على توقيع المضمون الذي يتلوه، وإما أن يكون قصيراً وحينئذ فإنه لابد من قرائين فوق لغوية توحى بما يتبعه"^(٥).

ولأن العنوان يُحيل على مرجعية النص ويحتوي العمل الأدبي في كليته وعموميته^(٦)، كما أنه يُعين طبيعة النص ويعلن نوايا الكاتب قبل اللوج في صلب الموضوع، وعليه، فإن الملاحظات التي نستطيع أن نسجلها على تلك العنوانين، هي ما يأتي:

(١) ما وراء الفكرة: 72، 151، 157، 242.

(٢) نفسه: 100.

(٣) نفسه: 126.

(٤) نفسه: 49، 75، 164.

(٥) دينامية النص: (تنظير وإنجاز): 72.

(٦) السيميوطيقا والعنونة: 108.

الملاحظة الأولى: أن أغلب تلك العناوين – كما يبدو – جاءت في سياق النكرة والإبهام، "إذ يدلنا العنوان المبهم على شيء يكتنفه من الداخل، وهو لا يفصح عنه وإنما يشير إليه على صفة العموم، ومن ثم كان الإبهام أو التعميم أخف على الذوق العربي السليم من الوضوح وال مباشرة"⁽¹⁾. ولعل الكاتب جاء بها هكذا مبهمة رمزية حتى يتسع مدلولها؛ فلا تعني شخصاً بعينه أو فئة بعينها، ما عدا عنواناً واحداً جاء مباشراً ومحصوصاً بالاسم والشخصية، وهو (الأديب محسن علي ياسر)، ولعل الكاتب قد خصّ بهذه الخصيصة للعلاقة الحميمة التي تربط بينهما والاعتراف بفضل الرجل، حسب ما ورد في المقال: "كان ابن ياسر حالة استثنائية، والكل يقر له بذلك، ولن يتحسّن أحد من ذكري له وإشادتي به"⁽²⁾.

والملاحظة الثانية؛ هي غلبة التركيب الإضافي على العناوين التي وردت في الكتاب؛ بالرغم من أن الكاتب عمد إلى استخدام أنساق وسياقات مختلفة في تركيب العناوين؛ كسياق الجملة الاسمية والفعالية وشبه الجملة من (الجار والمجرور، والظرف)، فضلاً عن سياق النفي والنهي والاستفهام، ولا أدرى إن كان هذا التنويع في سياقات العناوين مقصوداً أم جاء عفو الخاطر، والأغلب عندي أنه جاء عفواً، إذ لم يقصد الكاتب لحد ذاته، وإنما الذي يبدو من مدلولات تلك العناوين وما فيها من تعميم وإيهام أن ذلك كان مقصوداً. أما من حيث غلبة التركيب الإضافي على تلك العناوين؛ فهو كما يبدو سهولة هذا التركيب وسهولة توظيفه للمعنى المراد..

2- تناسق العناوين الداخلية:

بما أن من أهم وظائف العنوان هي المطابقة، والمقصود بها – هنا – أن يتطابق العنوان مع النص⁽³⁾، فإن ما يمكن أن يلاحظه القارئ لكتاب (ما وراء الفكرة) هو أن العناوين الداخلية عنوانين

(1) علم العنونة (دراسة تطبيقية): 181.

(2) ما وراء الفكرة: 19.

(3) ينظر: عتبات (جبار جينيت، من النص إلى المناص): 12.

مرافقة أو مصاحبة للنصوص داخل الكتاب، وإن الوظيفة الرئيسة التي تتخذها هي الوظيفة الوصفية غالباً؛ إلا أنها تتمكن القارئ من ربط العلاقة بين العنوان والنص المكتوب، من جهة، ومن جهة أخرى ربط عنوان المقال / النص بالعنوان الرئيس للكتاب، فكل عنوان من عناوين المقالات لا يتنافر مع مضمون المقال أو النص وإنما يتطابق معه ويدل عليه، وهو ما يمكن أن يعد خصيصة أسلوبية من خصائص الكاتب.

3- الاستهلالات (الاستفتاح):

هي ما يطلق عليها المقدمة النصية للمهيئة للسرد⁽¹⁾، أو للكتابة، وتكون أهميتها في النص "أنَّ الكاتب يُحاول من خلالها أنْ يُدخل القارئ في العالم التخييلي للنص بكل أبعاده، وذلك من خلال إعطاءهخلفية العامة للنص، والخلفية الخاصة لكل شخصية ليستطيع ربط الخيوط والأحداث التي ستُتَسَسَّجُ فيما بعد"⁽²⁾. وهو ما يمكن أنْ يُسمَّى بالتمهيد للنص، والدخول في أحدهاته. فضلاً عن أنَّ لهذه الافتتاحيات سلطة توجيه القراءة؛ لأنَّها تقترح على المتلقى تعليقاً مسبقاً على النص الذي لا يعرف عنه أي شيء، وتقديم له معلومات عن النص وما يتعلّق به.

وغالباً ما تكون هذه الافتتاحيات مأخوذة من سير الأحداث وغير خارجة عن زمن النص العام، وهنا تكمن براءة الكاتب في طرح افتتاحيته التي ينبغي أن تُشير فضول القارئ وتحفِّزه على المضي في القراءة ومتابعة سير الأحداث حتى النهاية⁽³⁾. ولذلك يمكن أن تمثل تلك الافتتاحيات تهيئة لصناعة الأحداث وتنميتها أو زيادة نمو الحدث في النص.

(1) ينظر: بناء الشخصية الرئيسة في رواية اليقطينة، محمد مسعد: 9.

(2) بناء الرواية: 44.

(3) ينظر: تحليات الزمن في الرواية اليمنية المعاصرة، عزيزة عبد الله فوذجا: 54.

وفي كتاب (ما وراء الفكرة) يبدو أنَّ الكاتب قد اختار الوصف غالباً في معظم نصوصه ليمهَّد به في الدخول للأحداث في الاستهلاك.. ولنتأمل بعضاً من تلك الاستهلاكات، والتي منها، قوله: "جميلة جداً، ولم يستطع العُذَال اكتشاف عيبٍ حُلُقِي أو أخلاقي فيها، بالرغم من أنهم تحروا بعناء، وكأنَّها بضاعة معروضة وهم المشترون، وعندما عجزوا.. قالوا: جدتها كانت قاسية وسلطة اللسان، وهي قد ماتت والكلام يقبل الصواب والخطأ؛ وكانت جدتها فعلاً هكذا أم هو افتراء وتحصيل حاصل.."⁽¹⁾. فهو يستفتح النص بخلاف رمزي ولا تدرك كنه المقصود إلا بعد أن تتجاوز أسطراً عديدة، إذ يأتي التوضيح والتبيين عن المُتَحدَث عنها بأنَّها أنتي (فتاة) جميلة ولها جدَّة قاسية وشريرة وسلطة اللسان.. غير أنه لا يقف عند هذا الحد.. فهذه الأنتي (الفتاة) الجميلة - حد وصفه - هل هي على حقيقتها؟! أم أنها مجرد رمز لشيء آخر يريد الكاتب ويرمز إليه، ولا يرى وسيلة للحديث عنه إلا عبر الحديث عن هذه الأنتي؟! ولذلك نجده يطرح تساؤلاً مفاده: "ولو كان لها جدة تلك صفاتها؛ فهل يا ترى يعيي الفتاة الجميلة التي تتائق وتكرر مساحة محبيها وعشاقها؟!"⁽²⁾. وهنا يتوجه بخطابه إلى القراء: "أن يجهدوا ولا يجعلوا خاطرة تمُّرُ بسلام دون تحوير أو إسقاط أمور أخرى عليها.."⁽³⁾. وذلك حتى لا يقف التأويل عند حدٍ معين.

وفي نص آخر نجده يستفتح النص بقوله:

"قال: أنا إنسان ملتزم ونظمي وأحترم الأنظمة والقوانين بالسلقة، لا أفعل شيئاً يخالفها، ولا أطلب من أحد أن يعطيوني استثناء حتى لو كان بمقدوري.."⁽⁴⁾. فالرغم من أن الكاتب صَدَّر الفقرة بضمير المتكلم (أنا) الدال على المتكلِّم الحاضر أو السارد نفسه، إلا أنه ظل مجھولاً فلم يفصح عنه

(1) ما وراء الفكرة: 88.

(2) نفسه: .88.

(3) نفسه: .88.

(4) نفسه: .96.

الكاتب إلا بعد فقرتين، أو عدة أسطر، وهي سمة أسلوبية مسيطرة على الخطاب في أغلب النصوص، فتره يفتح النص بضمير المتكلم أو المخاطب أو الغائب ولا يفصح عن المقصود ومن يكون يا ترى، فهو السارد نفسه!، أم هو الكاتب أم هو شخص آخر غيرهما؟، مع أنه قد يكون هناك أكثر من شخصية، والحوار يدور بينهم، إلا أن الخطاب يبدأ هكذا بطريقة الإيهام أو الغموض، والكاتب بهذه الطريقة لا ينحوك المضمون مباشرة، بل لا بدّ أن تكَدُّ و تستمر في القراءة حتى تصل إلى المدلول من النص، ويتبين لك المتحاورين والسارد والمخاطب..، أو لنقل إنه نوع من التحفيز على المتابعة والاستمرار، وهو طريقة فنية داخل العمل الأدبي ترتيباً، وصياغةً، وبناءً⁽¹⁾؛ وفيه "أنَّ كُلَّ جملةٍ تتضمن في العميق تحفيزًا خاصًا بها"⁽²⁾.

وع肯 القول: إن التَّحْفِيز في العمل الأدبي؛ هو كل حدثٍ في النص يؤدي إلى دفع ومواصلة القراءة، بسبب الإثارة التي يُحدثها، سواءً أكانَ هذا التَّحْفِيز لغةً، أم شخصًا، أم حدثًا، وسواءً وُجد في متن النص، أو في مبنيِّ الحكاية⁽³⁾.

وهو فن لا يجيده إلا قليل من الكتاب، ولتأمل هذا الاستفتاح، في مقال آخر، بعنوان: "كاريزما الإقدام والإحجام"⁽⁴⁾، إذ يقول:

"الخائف من المغامرات لا مكان له، حتى لو كان في البيع والشراء، ولا يمكن بحال من الأحوال أن يكبر ويتطور؛ لأنَّه يعيق التفكير ويحسب الأرقام، ويضع للاعتبارات الصغيرة أهمية في اتخاذ القرار ثم لا يتخذ ويتراجع..."⁽⁵⁾. و تستمر الفقرة ثمانية أسطر، وما زال الخطاب مسجّى بالتعيم لم يتحدد.

(1) بوريس توماشفسكي، رائد علم السرد، مقال، في ناظور: 24.

(2) بنية النص السردي: 21.

(3) ينظر: آليات المهرن الشكلي في نقد الرواية العربية المعاصرة، (التحفيز غوذجاً تطبيقياً): 47.

(4) ما وراء الفكرة: 116.

(5) نفسه: 116.

وقد يستفتح بالخطاب الجمعي (نحن) أو ما يحمل معناه، وبالأسلوب المبطن نفسه، فيقول: "نريد الحقيقة، الكل تواق إلى الشفافية والصراحة، عالم اليوم تغير، نحن في الألفية الثالثة أو الرابعة لم نعد نلاحق المراحل وانتقاها المتسارع بسرعة البرق، ليست أعداداً تحسب، ولكن شروط ومقومات وإنجازات وعلاقات معقدة مع بعضها.."⁽¹⁾. إن مثل هذا الاستفتاح يذكرنا باللقدمة التي تسبق المسرحية، (الجوقة)⁽²⁾، والتي يستفتح بها مخرج المسرحية مسرحيته، وذلك حين ينزاح الستار عن المسرح، فإذا بأصوات تتردد من الخارج وصياح يعلو، لمدة دقيقة أو دقيقتين، ثم يتلوه ظهور الشخصيات ويببدأ الحوار ومن ثم ينمو الحدث،.. إذ نجد الفقرة التالية مباشرة تبدأ بدخول الشخصيات في الحوار الآتي:

- "طيب.. وما لي أنا؟ وأنت تصوّب نظرك إلىَّ من بين كل الناس! هل أنا منهم في نظرك، أما أنا الوحيد لم أستوعب ولم أنتقل معكم وظللت في مكان؟!".
- لا هذا ولا ذاك، ولكن رأيتكم مهموماً وشارد الذهن وتفكر بعيداً خلافاً للآخرين..
- إذن من هنا تم التركيز علىَّ! أنا أعرف أنك تتكلم بحقائق وأرقام..

فالفقرة تفصح عن أن هناك حواراً يدور بين متحاورين أو أكثر..، بدليل قوله: "تصوّب نظرك إلىَّ من بين كل الناس!". وهكذا يبدأ النص يفصح عن مضمونه، ولعل مثل هذا الأسلوب الذي يستفتح به الكاتب نصوصه يضمن أن يواصل المتكلّي أو القارئ النص ليقف على عتباته ومدلولاته ومقصديّة الكاتب منه، وهو ما نسميه التحفيز على المواصلة والاستمرار..

(1) ما وراء الفكرة: 104.

(2) الجوقة: في المسرح اليوناني مجموعة من الممثلين يقومون بالتمهيد للمسرحية من وراء الستار بالأناشيد والغناء قبل ظهور الشخصيات على خشبة المسرح، وأحياناً يشتراكون في الأحداث. ينظر: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: 141.

ولعل ما يمكن أن نلاحظه على مثل تلك الاستهلاكات جدّتها وخروجها عن الاستهلاكات التقليدية التي تُحاكي كتابات الثّراث، فيكون للكاتب فيها بصمةُ الخاصة وطابعةُ الميّز.

٤- النص بين الاتصال والتواصل:

لأن اللغة بوصفها خطابا اتصاليا تمثل منظومة من الدوال والمدليل فإن النص عند عبدالله عاطي يمثل فضاء داليا من خلال لغة الاتصال والتواصل التي هي لغته الخاصة، إنه غارق فيها كلية ولا يمكن فصله عنها؛ لأنّه يفید من كل كلمة وشكل وتعبير قرأه أو سمع به أو عَبَرَ عليه أو مرّ به وهو يتّصف بجريدة الصباحية أو صفحاته على (الفيس) أو (التويتر) أو أي موقع من موقع التواصل، ولذلك فإن هذه الاستفادة قد يوظفها في التعبير عن غرض من أغراضه المقصودة عند كتابة أية مقال أو منشور، بشكل مقصود، أو عَقْوِي بناء على التراكم المعرفي أو اللغوي الذي يظل الإنسان يكتسبه مدى حياته، وذلك على نحو ما نراه في قوله: "الحق يُتنزع ولا يُطلب في هذا العالم المتصارع في كل الأشياء وفي كل مكان منه، ربما هؤلاء لديهم بعض الحق ومن واقع المشاهدة الطبيعية التنافس والتصارع، ولكن ليس كل مغامرة تتحقق النجاح، أحياناً تسبب كوارث وضياعاً كبيراً، إعمال العقل ودراسة الأمور قبل القرار شيء مهم جداً، وعدم السير والتقديم أفضل من فقدان الموجود، أو الحفاظ على الموجود"^(١).

ولعل الناظر للوهلة الأولى إلى هذه الفقرة، سيذهب بذهنه مباشرة إلى ما يحصل الآن من أزمة وحرب في أوكرانيا وروسيا، وبما يظن أو يعتقد أن الكاتب يقرأ الصفحات من وراء الغيب، إذ من واقع المشاهدة والمعطيات الماثلة يستطيع المتابع للأحداث أن يقرأ أحداث الواقع ويحللها وما ستؤول إليه من نتائج، وهذه فائدة التراكم الثقافي والمعرفي الذي يظل الإنسان يكتسبه مدى حياته.

(١) ما وراء الفكرة: 116، 117.

ولأن "الرسالة الاتصالية تتطلب الواضحة والدقة والاختصار في المعلومات التي يُراد نقلها، فإذا كانت الرسالة طويلة جدًا أو غير منظمة أو تحتوى على أخطاء فلابد أن تتوقع أن يُساء تفسيرها كما أن التعبير غير лفظي الضعيف يمكن أن يشوش على الرسالة"⁽¹⁾، ومن ثم يهدف المرسل لأي رسالة إلى تحقيق نوع من الاشتراك والعمومية بينه وبين مستقبل الرسالة لتحقيق هدف محدد ولنقرأ هذه الفقرة:

"الفيس بوك عالم شديد التمايز والاختلاف، قد ترى القمة ومن هم عليها فيه، وقد ترى الوادي وأهله، وعليك أن تكون مع من تحب، ولكن قد لا تسلم من الآخر الذي لا تحب أن تكون معه، وفي هذه الحالة قم بإدارة علاقاتك وتصرفاتهم معك ببرونة وذكاء، وحاول ألا تتعمق أكثر حتى لو كانت البداية مغيرة"⁽²⁾، فالكلام نوع من توجيه الذات وإرشادها، وإن كان بصيغة الخطاب للآخر، إلا أنه حديث النفس للنفس، وفيه إشارة للآخر أن يستوعبه ويسترشد به، والكلمات فيه منتقاة بعناية بحيث تمنح القارئ/ المتلقى ما يريد أن يعبر به نفسه، أو أنها تقع في النفس وكأنها هي ما كنت تريد أن تقوله، غير أن الكاتب سبقك وأعطاك الكلمات والتعبير جاهزا فأحسست معه وكأنه يحاكي ما في نفسك. فكلمات وتعبيرات من مثل: (شديد التمايز والاختلاف، القمة، الوادي، أن تكون مع من تحب، قم بإدارة تصرفاتك ببرونة وذكاء)، كلمات منتقاة وبعناية ولم تأت محض الصدفة أو عفوا، وإنما من تجربة وترانيم خبرة.

وعلى اعتبار أن كتاب (ما وراء الفكرة) نصوص تفاعلية تم نشرها على حائط الفيس بوك، وكان المتغير منها الاتصال والتواصل مع المتابعين والقراء والتفاعل معهم من خلال التعليقات والمداخلات

(1) مهارات الاتصال (سلام): 9.

(2) ما وراء الفكرة: 41.

التي يوظفها الكاتب لتوسيع رقعة النص وتوسيع مساحته، وهو ما يلاحظ من تذليل كثير من المقالات بداخلات المتابعين والمعلقين على منشوراته في صفحته⁽¹⁾.

ولعل هذا ما يجعل لغة الكاتب تبدو لغة صافية خالية من الإيغال الرمزي أو التعقيد اللغظي، وإن كان يُسجّلها بأغلفة رمزية مسطحة إلا أنها تظل في متناول القارئ المدرك والعارف بفنون القول، لذلك نجد تعبيرات من مثل قوله: "الأحظ حالة من التفاعل من قبل الشباب صغاراً وكباراً في النقاشات السياسية والمحادلات، ربما لأنهم جزء من الوسط الاجتماعي ومن المعاناة ومن المسرح الذي يقع فيه الصراع والانقسام بين الأطراف المحلية بكل أطيافها الفكرية والسياسية"⁽²⁾.

فالألفاظ - كما يbedo - تأتي سهلة وبسيطة وفي متناول القاريء/ المتلقى الذي يدركها ويستطيع التعامل معها أو التفاعل من خلال تلك المداخلات.

ولئن كان التداخل المنطقي بين اللغة والاتصال يمنحنا الفرصة للقول بأن النص فنٌ لغوی والرسالة الاتصالية حصيلة لغة وشكل صائب يرتبط بظاهرة اتصالية ملموسة؛ لذا فإن هذا التداخل يشمل مظهرين: الأول: دلالي، والثاني: جمالي؛ لأن النصوص إذا لم تتميز بالجمال فلا داعي أن تسمى فكراً أو مقالات..⁽³⁾، وبعد الاهتمام بهاذين المظهرين دراستهما وتحديد خصائصهما من أسس الاتصال والتلقى الجمالي. ولنتأمل قوله في الفقرة الآتية:

"عذراً أيتها الحجارة الصماء، عذراً فهمتك بالخطأ، كنت أعتقد أنك مختلفة عن بيئتك ومجتمعك، وأن تفكيرك مختلف قد تجاوز العصبيات والإطار الضيق، وقد غرّدت في آفاق أعلى ولحقت بالمجتمعات التي تعددت وتجاوزت ذلك الزمان، والأغلب في تعدادك قد تجاوز، وبنبت حكمي

(1) ينظر: على سبيل المثال المقالات الآتية: (لا تحرب): 100، (الصراحة المفقودة): 104، (في مجلس الإدارة فيل): 133، (مشاهد وتعليقات): 167، (فلسفة العقل والنقد): 181، وغيرها من المقالات التي ذيلها في النهاية بداخلات المتابعين.

(2) ما وراء الفكرة: 153.

(3) النظرية البنائية في النقد الأدبي: 393.

على شهاداتك وكتاباتك، وتناولك لقضايا أخرى، ومع أني لم أر عليك موقفاً وطراً يدين الممارسات الموجودة ويدعو إلى نقضها، رأيت السكوت فقط!⁽¹⁾.

لأول وهلة سيظن المتلقى أن الكلام عن أنتي رمز لها بالحجارة الصماء، وسيسأل نفسه أو غيره: ولكن ما دلالة الحجارة الصماء على الأنثى؟! وماذا تمنع المتلقى من تأويل؟ غير أن من يقرأ السياق الذي وردت فيه هذه الفقرة سيتضح ما يعنيه الكاتب، فالكاتب يوجه الخطاب إلى أولئك الفساة الذين لا تحركهم المشاعر وقدروا معانٍ إنسانية على الرغم من أنهم من بنية المجتمع نفسه فهم لا يحزنون لما يحزن له أفراده ولا يتألمون شعور الخجل، بالرغم من أن المجتمع متجانس وما زال يحمل علامات الاتساق ولا تمايز ظاهر بين أفراده. وقد يكون المعنى متوجهًا إلى الأرض (المكان) الذي ما زال محتفظاً بطابعه الغليظ مثل تلك الحجارة، وكلها تأويلات، والمعنى في بطن الشاعر كما يقولون.

وثمة وظيفة لغوية تقابل كل عنصر من العناصر اللغوية، فمثلاً حين يتم التركيز على المرسل تهيمن الوظيفة التعبيرية أو الانفعالية، وحين يتم التركيز على المتلقى تهيمن الوظيفة الإيحائية⁽²⁾، فهو حين ركز على الوظيفة التعبيرية الانفعالية في قوله: "عذراً أيتها الحجارة الصماء، عذراً فهمتك بالخطأ.."، بدت عليها أو فيها علامات الانفعال والاعتذار، وهو موقف انفعالي شبيه بالتبني وإن صحة التأويل، غير أنه حينما ركز على الوظيفة التعبيرية جعل من الحجارة الصماء صورة دلالية للتعبير عمّا يريد، على المتلقى يفهم المقصود منها.

ومن هنا، يتضح لنا أن مهمة الكاتب هي "ليست تعرية اللغة، وإنما اكتشاف القيم التعبيرية في كل أجزائها التي تغطيها عادات الاستعمال اليومي وإبراز العناصر الجمالية فيها من خلال الجمل

(1) ما وراء الفكرة: 110.

(2) اللغة والخطاب الأدبي: 56.

والتراتكيب التي يصنعها⁽¹⁾، بل وجعلها تحتمل أكثر من تأويل بحيث لا تطرح الألفاظ نفسها مباشرة، ولكن لا بد من التفكير والتأمل والوقوف، وهذه هي وظيفة الفن.

ولئن كان النص الاتصالي لا يُطيق سوى ما أريد له أن يكون بوصفه فيضًا تلقائياً للمشارع الشفيفية المتجسدة عبر اللغة المناسبة بعدوبة إذا ما عرفنا أن الترتيب التقليدي المجاور للمعنى المادي يُصَدِّع الوظيفة الاتصالية فيحل محل اللغة التقريرية المقترنة بالمعنى المباشر⁽²⁾، فإنَّ الكاتب عبدالله علي عاطي لا يفتَّا يسعى لتطوير لغته وتوجيهها للغرض الذي يريد، ولتنأمل الكاتب عاطي وهو يسوغ لغته من الحكى واليومي بلغة راقية واستعمال هادف منظم ومرتب فيقول بشيء من التواضع: "نحن نشعر بوجود فوارق كبيرة موضوعية وفنية، نحن أقل قدرة على التعامل مع التكنولوجيا وحتى الكتابة، وكثير من كتاباتنا تحصل فيها أغلاط نتيجة السرعة ونتيجة عدم المهارة، غير أنها نحاول أن نواكب الآخرين، ربما نستطيع من حيث التفاعل وفي الحوارات معهم بحكم التجربة لكن العيب يظل في الأمور الفنية...".⁽³⁾

فضلاً عن ذلك، فإنَّ النص الاتصالي ينطوي على منظومة من الشفرات التي تُساهم في إيضاح المعنى الاتصالي أو توصيله للقارئ أو إمتعاه وإدهاشه، وليس المعنى الحرفي التعليمي الذي يقوم بتوصيل المعنى دون ارتباط بقيمة الفن والجمال؛ لأنَّ ذلك كما ذكرنا آنفاً يرتبط بالتسجيل والتوثيق المكتبي أو التاريخي الخالي من التعبيرات الجمالية، فالنص الاتصالي ليس وثيقة تاريخية أو وثيقة تسجيلية للأحداث وحسب، وإنما هو جمال وفن، ولنقرأ هذه الفقرة: "أريد أن أخلق حراكاً وحواراً هادئاً يعرف التراجع والعودة وتغييب الاعتبارات الأهم"⁽⁴⁾. فهذه العبارة وراءها من الشفرات التي لا

(1) النظرية البنائية في النقد الأدبي: 399.

(2) فن الشعر البنوي وعلم اللغة: 214.

(3) ما وراء الفكرة: 202.

(4) نفسه: 141.

تقول مباشرة وإنما توحّي بما يريد الشيء الكثير، فالحركة المقصود هنا هو الحراك الثقافي في أواسط الشباب، والحوار الهدائى هو الذي يوصل إلى نتيجة وأن نقبل بالآخر بعيداً عن التشنج، ويعرف التراجع والعودة بمعنى ألا يتغىّب المخاور لرأيه وأن يقوم هذا الحوار على تغليب بعض الاعتبارات التي يراها البعض مهمة، وهكذا فالعبارة رغم قصرها إلا أنها حملت دلالات ومعانٍ كثيرة، وكما يقال: "كلما ضاقت العبارة اتسع المعنى"⁽¹⁾.

ولما كانت اللغة تعد المعيار النبدي الأساس الذي على ضوئه يتم تقويم منجز الكاتب ولذلك تم تقسيم الكتاب على أقسام بحسب ما يرى (جان فاري جوير) إذ يقول: "فالكتاب فريكان: فريق يحس بإحساساً قوياً ويفكر في تفكيراً ضعيفاً فيرون الحقيقة رؤية خاطئة، وفريق يحسون بإحساساً قوياً ويفكرون تفكيراً قوياً فيرون الحقيقة رؤية صحيحة، وهؤلاء هم كتاب الطبقة الأولى"⁽²⁾، ولذلك كانت العملية الكتابية عند عاطي تقوم على بناءات لغوية متتماسكة زاخرة بالمعاني والإيحاءات التي تومي بالشيء ولا تقول، تعبّر ولا تسجل أو توثق، ولتأمل قوله: "هذا الربيع الذي عظمه الكثير وزينته وسائل الإعلام، وسبقتها الآلاف من الناس، أحدث تيزقاً وانقساماً كبيراً في الصف العربي والموقف العربي الذي كان أفضل حالاً وأفضل استقراراً من اليوم"⁽³⁾. فالربيع فصلٌ من فصول السنة وأجملها، غير أنَّ الكاتب يومئ به – هنا – إلى ثورات الربيع العربي وما أحدثته من حلحلة في كثير من الأنظمة العربية، وكأنَّ الشعوب العربية لم تكن مهيأة بعد للقيام بتلك الثورات..

ولعلنا نلاحظ في كثير من المواقف أو العبارات أو الصور التي يرسمها الكاتب أنه لا يعول على قصصية النص كثيراً لاسيما تلك القصصية المتمثلة في أدلة الخطاب وجعله يتوجه إيجاداً معيناً سياسياً أو اجتماعياً أو ثقافياً، وإنما قد يستعين بالموقف السياسي من أجل أن يشير إلى فكرة معينة أو أن

(1) الإيمام في شعر الحداثة: 69.

(2) ينظر: مستقبل الشعر وقضايا نقدية: 6.

(3) ما وراء الفكرة: 161.

يوصل من خلاله رسالة معينة يومئ بها ويشير من بعيد حتى لا يفهم الملتقي أنها تعني فلاناً أو علاناً من الناس، وهذه هي مهمة المبدع أن يجعل الملتقي يستشعر إيحاءات النص لا مقولاته، وأن يعي ما يعبر عنه النص لا ما يقوله، ولنتأمل هذه الفقرة التي يتحدث فيها عاطي عن الفيس بوك وما يعج فيه من عوالم، فيقول: "عالم الفيس بوك عالم غريب، هو عالم ممتع وفيه تنوع كبير؛ ومستويات من التفكير، والأعمار، ومهارات واهتمامات مختلفة، كأنك دخلت سوقاً كبيراً بضائمه متنوعة وأسعاره مختلفة، وأشكال بعضها مغربية ولكن دون مواصفات السلامة، البعض منها عالية الجودة دون أغلفة الدعاية والتقديم... ولكن في كل الأحوال مغري، والإقبال عليه لا ينقطع"⁽¹⁾.

وفي عبارة أخرى يقول: "لا تسألي ملئ أقرأ؟ إذا كان الفيس بوك خليطاً من منشورات قصيرة ومقالات طويلة، وأعجبها وليدة اللحظة، توّاكب المتغيرات والأوضاع التي تحصل هنا وهناك، ولتكن سؤالك: أي المواضيع تقرأها وأيها تتنزع عن قراءتها؟ هذا هو السؤال الأقرب للواقع.." ⁽²⁾. ولعل قوله: (وليدة اللحظة)، مما يعزز قولنا بأنَّ أغلب النصوص تفاعلية. وهو ما أشرنا إليه آنفاً.

ولما كان للتخصص دور في التأثير على لغة الفرد وتصرفاته وحالاته التي يمر بها في الحياة لاسيما إنَّ كان التخصص دقيقاً؛ لذلك فإننا نجد الأستاذ عبد الله علي عاطي يتأثر كثيراً من تخصصه الذي درسه وقضى معظم حياته العملية فيه، وهو تخصص المحاماة والشريعة والقانون، ولعل المتتبع لكتابات عبداللطيف عاطي يلاحظ تلك المفردات (القانونية) التي لا تفتَّ نظيرها في نصوصه بشكل عفوي أو لا إرادي، وربما هو نفسه لا يدرك أنه استقاها من حقل المحاماة الذي تخصص فيه. ولنتأمل هذه الطائفة من المقولات التي يأتي بها:

(1) ما وراء الفكرة: 29.

(2) نفسه: 151.

- "هم الذين يعتقدون الأمور في أي نزاع قبلي ويرفضون الاحتكام للقوانين والجهات الرسمية"⁽¹⁾.
- "ما دام أنت لا نعترف بالواقع وبمواقفنا من القضايا.."⁽²⁾.
- "أم تريدين أن أنشر صورة لك أيها المتنفس الكبير وأنت تحمل رشاشاً لمواجهة أخيك من قبيلة أخرى على نزاع وهو.."⁽³⁾.

وفي مقال آخر نجد مثل قوله: "بل شرعتُ تشريعاتٍ وقوانين على حساب الأعراف وسوابق التحاكم، وأقامت المحاكم لفض المنازعات وخلقت هيبة جبرية.." ⁽⁴⁾. أو كقوله: "وتحجيم الأوضاع ليس بالرغبات أو الطموحات أو حتى بالقرارات القهرية.." ⁽⁵⁾.

وهذا في مقالين فقط، وفي صفحات متقاربة، غير أنها عندما نتصفح بقية الكتاب نجد الكثير من تلك المصطلحات القانونية والقضائية المنتشرة في أنسنة الكتاب، ومصطلحات المحاكم والدفاع، والقضية والجبرية والأحكام والتمييز، إلخ، وهذا لا يعيّب الكاتب أو يقدح في لغته، غير أنها نقول: إنه من تأثير التخصص على لغة الفرد وتصرفاته، وهو أيضاً مما يلفت نظر القارئ، غير أن الأهم في الأمر هو أن الكاتب استطاع توظيف مثل تلك المصطلحات في لغة اتصالية واضحة ومفهومة وفي أفعال الكلام التي بني لغته عليها، ولنتوقف عند أحد تلك التوظيفات وننظر كيف أدى ذلك اللغة المدلول التام في اللغة الاتصالية للكاتب، في مثل قوله: "أم تريدين أن أنشر صورة لك أيها

(1) ما وراء الفكرة: 32.

(2) نفسه: 33.

(3) نفسه: 33.

(4) نفسه: 34.

(5) نفسه: 36.

المثقف الكبير، وأنت تحمل رشاشاً مواجهة أخيك من قبيلة أخرى على نزاع وهي ..⁽¹⁾. قوله: "لا تحكم عليه بدليل أو قرينة واحدة، مشكلتنا أنها مستعجلون على الإدانة بدليل واحد".⁽²⁾.

فال موقف يصور لنا صورة الدفاع أثناء المafاعات وهو يخاطب الخصم بنبرة ساخرة غير أنها في حدود القانون، ويؤنبه من جهة أخرى بأنه رغم ثقافته إلا أنه ما زال يحمل رشاشاً ويقف في مواجهة أخيه القبلي، وعلى ماذا؟! على نزاع وهي غير حقيقي ..، فاللغة التعبيرية الاتصالية تمنحنا مدلولاً مفاده أن المتحدث يعرف حيّيات القضية وقرائتها ودلائلها، ولذلك فهو قد صبَّ جام غضبه على الخصم ولكن بلغة تعبيرية هادئة غير أنها تحمل أكثر من مدلول.

ولئن كان التعارض شديداً بين دعاة المذهب الواقعي في اللغة وبين أنصار المنهج البنوي وهو ما حدا بالناقد البنوي (رولان بارت)⁽³⁾، وأن يعتقد بأن المذهب الواقعي يحطُّ من شأن اللغة بينما يعدها أداة توصيلية شفافة وحسب، ولذا فهو يدعو إلى التمرُّد على الفهم الآلي للغة والنزوع إلى النفعي منها في الآن نفسه؛ لأن اللغة الاتصالية ليست لغة نفعية، دائماً، فهي لغة أدبية وتعبيرية وغنائية... إلخ، وهذا فهي تعد دعوة إلى انتشال النص من ثقل المفاهيم التقليدية والخطابات التقريرية في محاولة لإزاحتهم بما يصعد من اللغة التعبيرية ويخفظ لها مكانتها⁽⁴⁾.

(1) ما وراء الفكر: 33.

(2) نفسه: 97.

(3) رولان بارت، (1915 - 1980م)، فيلسوف فرنسي، وناقد لغوی ودلالي ومنظر اجتماعي، داع صيته فسافر إلى اليابان لقاء محاضرات، ثم إلى المغرب للتدریس في جامعة الرباط، وعاد بعد ذلك إلى المدرسة التطبيقية للدراسات العليا ثم سافر إلى الصين. وعمل مدرساً في بوخارست ومصر، وفي عام 1976م وباقتراح من ميشال فوكو تم انتخاب بارت عضواً في الكوليج دي فرانس، ليشغل أستاذ كرسى السيميولوجيا الأدبية، قبل وفاته بأربع سنوات فقط وفي آخر أيامه تعرض حادث توفي على إثره. جاءت كتابات بارت في أغلب الأحيان مقالات، منها ما جمع في كتب في أثناء حياته ومنها ما جمع بعد وفاته. ينظر: رولان

بارت مغامرة في مواجهة النص: 12.

(4) ينظر: الخطاب النقدي عند رولان بارت: 13.

ولغة الكاتب رغم تقريريتها في بعض المواقف، كقوله مثلاً: "إن هذه الحرية غير منضبطة ومضررة في المجتمعات وثقافة الناس، وأي أمر لا يكون له سقف ونهاية هو أمر فوضوي.." ⁽¹⁾. إلا أنها لا تجافي اللغة الاتصالية العالية، فلو تأملنا العبارة السابقة والتي بدأت بـ(إن) التي تفيد التقرير المباشر، إلا أن من يقرأ الفقرة إلى نهايتها يجد أن الكاتب لا يستمر في تلك التقريرية المباشرة، وإنما ينざح بلغته إلى التعميم العام والتعبير غير المباشر الذي لا يتوجه إلى شخص عينه، ولا يقترب من التحديد الذي يتوجه إلى فئة أو مجموعة بعينها بحيث يغدو الخطاب مفهوماً بأنه يقصد تلك الفئة أو تلك الجماعة.. وهذا ما تشي به أغلب المقالات التي أرسلها الكاتب إلى متلقيه بلغة اتصالية تعبيرية تنبع عن خبرة في هذا المجال.

ولعل من خصائص علم اللغة الحديث عدم اختزال اللغة إلى الإشارة الحضرة أو المعنى الأساس، وهذا مصدره الفكر البنيوي، فقد اقترح "موكاروفسكي" ⁽²⁾ في المؤتمر الدولي الرابع لعلماء اللغة (1938) التوسيع في النموذج اللغوي الذي قدمه "بوهлер" ⁽³⁾؛ الذي ضم الوظيفة الإشارية والتعبيرية والنداية فطلب إضافة وظيفة رابعة هي الوظيفة الجمالية، التي تولّف اللغة الفوقية (ميتا لغة Meta Language)؛ ولأن فعل الكتابة يتيح للكاتب فرصة سانحة للّعب بالكلمات والألفاظ بقصد

(1) ما وراء الفكرة: 65

(2) ينظر: فن الشعر البنيوي وعلم اللغة: 10.

(3) بوهлер كارل عالم نفسي ولغوی ألماني، (1879 - 1963م) تكلم عن وظائف اللغة في الثقافة الغربية سنة 1918م، وحدّدها بثلاث وظائف: الوظيفة التعبيرية الانفعالية، المرتبطة بالمرسل، والوظيفة التأثيرية الانتباهية، المرتبطة بالمحاطب، والوظيفة التمثيلية المرتبطة بالمرجع، وتبعه في ذلك كارل بوير سنة 1953م، وأضاف وظيفة رابعة لغة وهي: اللغة الحاججية. ينظر: ويكيبيديا.

(4) ينظر: فن الشعر البنيوي وعلم اللغة: 205. ميّتا لغة: هي مجموعة من الأساليب اللغوية التي تؤدي إلى تركيز المفهوم وتوضيح المعنى أكثر وتؤدي إلى تعزيز المعتقدات الإيجابية وزعزعة المعتقدات السلبية. وببساطة شديدة يتكون ميّتا لغة من حل مشاكل اللغة الثلاثة من خلال ربط الحوار بمجموعة من الأسئلة والأجوبة غير المباشرة مع إضافة عدد من الكلمات التكميلية. ينظر: ويكيبيديا.

إدامة التواصل مع المتلقي باتجاه تحقيق الاستجابة الجمالية بإشاعة العلامات الدالة على المعنى؛ أي الكودات^(١)، أو الإشارات التي تقود إلى المعنى وليس العكس، ولنقرأ ما يأتي:

"لست في خصام مع التاريخ والماضي والأمجاد، ولكن مبالغات مَن يروي القصص والأمجاد والتاريخ الشخصي أبعدتني عنه، الكل يرسم صورة لنفسه ولماضيه كما يحلو له، وكأنه لوحة بيضاء يرسم فيها ما يريد ولا يحترم عقل المستمع ولا فهم القارئ"^(٢).

فمثل هذه الإشارات النقدية تعد وخذات يرسلها الكاتب لأولئك المدعين عليهم يعون أو يفهمون المقصود منها، فلا أحد في خصام مع الماضي إلا إذا كان هذا الماضي يخالف الواقع بل ويعمل عليه.

إن تلك العملية مشروطة كما يقول (رولان بارت)، بالنص في احتمالاته وإجراءات النص في القراءة أو التتحقق الذي يمارسه المتلقي عندما تتحول المنظورات المختلفة التي يقدمها النص للقارئ إلى علاقة ديناميكية بين ما يمارسه النص من إيحاءات ووجهات نظر القارئ التي يفهمها أو يرسمها من فهمه^(٣). والكاتب عبدالله عاطي حين يكتب ليس خصماً لأحد، وليس خصماً لما يكتب عنه أو يشير إليه، وإنما يكتب عشقًا للكتابة، ومن خلال ما يكتب يرسل تلك الإشارات النقدية التي قد يعدها البعض وخذات، في حين ينظر إليها الكاتب من جهة تصحيح المسار، بمعنى أنها نقد للبناء والتوصيب.

ولأن فعل الكتابة يستوجب البحث عن آليات غير تقليدية مدعاة بلغة راقية سامية تمنح الكاتب فرصة اقتحام الآفاق غير المرئية باتجاه البحث عن اللفظ الأدبي والمستوى الدلالي اللذين يخاطبان

(١) الكود: نظام رمزي يستعمل في تمثيل ونقل الخبر بشكل سري، أو هو الرمز السري أو الإشارة السرية، ينظر: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة: 192.

(٢) ما وراء الفكرة: 91.

(٣) الأصول المعرفية لنظرية التلقي: ص 74.

القوى العاطفية والوجدانية عند المتلقي⁽¹⁾، فإن الخطاب الاتصالي عند عبدالله عاطي يرمي إلى مخاطبة القوة الوجدانية الانفعالية بحيث تؤثر تجربته في المتلقي لتحدث استجابة أو مشاركة وجدانية تقترب من الصياغة الكلية لتجربة الكاتب، بمعنى أن الفهم القائم على أساس أن لغة الكتابة لغة تعبير جمالي أو انفعالي يولد القدرة الفاعلة في عملية الاتصال والتواصل مع المتلقي⁽²⁾، ولذلك فقد رأينا أن الكاتب عبدالله عاطي يمنح لعنه تلك العاطفة الوجدانية التي يتفاعل معها المتلقي بل وينتداخل معه في مدخلات حين يمنحه تلك المساحة ليضيف شيئاً على ما كتب.

5- القارئ:

لأن وظيفة الكتابة ليست إظهار الحقائق فقط، بل استحضارها لإثارة العواطف وتوجيه الأحساس بقصد الاستحواذ على حواس وأفهام المتلقين، وعندئذ تتحقق الكتابة بوصفها خطاباً إرسالياً أقصى مراتب الاتصال. ويتضاعف الأثر النفسي للكتابه عندما تبلغ الألفاظ مراتب متقدمة من الدقة والوضوح من دون أن يكون ذلك على حساب المعنى وجمالية الأسلوب⁽³⁾.

ولأن إيصال الخطاب للآخرين يعتبر متطلباً للكتابة والكاتب على حد سواء، ولكي يتحقق هذا لابد للكاتب أن يفهم أولاً ما هي رسالته، ومن هم المستهدفون الذين يستقبلون أو يتلقون هذا الخطاب، وكيف سيتم استقباله؟. كذلك لابد أن يضع في الاعتبار الظروف المحيطة بهذا الخطاب، مثل ظروف الموقف والسياق الثقافي الذي يتم فيه التواصل⁽⁴⁾. ويقودنا هذا للتعرف على العناصر التي تتكون منها دائرة الاتصال الفعال؛ وهذه الدائرة تتم وفقاً لثلاثة عناصر، هي: المرسل (بوصفه الكاتب) أو مبدع النص (الخطاب). والرسالة (الخطاب) وما تتضمنه من معلومات وحقائق ونقد.

(1) ينظر: الشاعر واللغة: 49.

(2) الشاعر واللغة: 49.

(3) ينظر: اللغة والخطاب الأدبي: 57.

(4) ينظر: اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي: 10.

والمستقبل (القارئ) الذي يستقبل الخطاب (الرسالة) ويقوم بفهمها وتحليلها وتفسيرها والإعجاب بها أو رفضها⁽¹⁾.

وقد سبق وأن تم الحديث عن العنصرين الأولين من عناصر الرسالة (الخطاب) فيما مضى من محاور. ولعلنا هنا سنتحدث عن القارئ، بشيء من الاختصار.

فالقارئ في نظر الكاتب عبد الله عاطي شيء مهم لا بد من وجوده، والكتابة بدون قارئ لا معنى لها، فالقارئ مشارك وفاعل في الكتابة والإبداع، بل وعله الملهم والباعث في بعض الأحيان، ولذلك نجده يخصص مقالاً بعنوان: "من تقرأ؟"⁽²⁾ . فيقول: "لا تسألني من تقرأ؟ ول يكن سؤالك؟ أي الموضع تقرأها، وأيها تمتنع عن قراءتها؟"⁽³⁾ .

ولا تختلف أهمية القارئ في الخطاب الاتصالي عند عبد الله عاطي عن أهمية الكتابة نفسها، فالقارئ في نظره سواء أكان قارئاً عادياً أم ناقداً متخصصاً، هو في المقام الأول قارئ ولو خصوصيات واهتمامات وذوق، وينبغي مراعاة اهتماماته وذوقه، فضلاً عن ذلك ينبغي مراعاة مشاغله بعدم تطويل النص المكتوب حتى لا يشعر بالملل، وينفر من القراءة، حيث يقول: "حقيقة، المنطق أنك تكتب وتريد أن تخاطب القارئ في أمور معينة، ومع الجماليات يفترض أن خطابك يفهم أو تفهمه لو طلب منك أحد ذلك"⁽⁴⁾ . فالعناية بالقارئ والاهتمام به شيء واضح عند الكاتب عبد الله عاطي، وما قيمة الكتابة إن لم تجد لها قارئاً يقومها ويطلع عليها!

(1) ينظر: مهارات الاتصال (المسعودي): 6.

(2) ما وراء الفكره: 151.

(3) نفسه: 151.

(4) نفسه: 218.

ويوجه خطابه لأحد المتداخلين معه في أحد المقالات فيقول: "نوع قراءاتك ومعلوماتك، ولا تعتقد أن العلم والاهتمام محصور في مكان واحد، فهذه نظرة قاصرة وأحادية الجانب"⁽¹⁾؛ لأن القارئ النهم هو من ينبع قراءاته ولا يقف محصوراً في موضوع واحد.

كما يوجه خطابه للقراء الشباب فيقول: "يلاحظ أمر الخفة في القراءة والتحليل، ويمكن أن يكون سببه نقصان التجربة والمعلومات والأدوات التي يعتمدون عليها في الوصول إلى الاستنتاجات"⁽²⁾.

ويقول عن بعض القراء من تجاوز المرحلة: "يشعر القارئ وهو يقرأ منشوراتهم وتعليقاتهم ثم يقارنها بالوجود بجدها مختلفة وأكثر عمقاً ونضجاً بحكم التجربة والعمر والاهتمام المتراكم ولكنها بعيدة عن الواقع ومفرداته، ثنائية عجيبة"⁽³⁾. فالقارئ مرتبط بالحياة، وتبدل أذواق الناس في القراءة فانصرفوا عن طلب الجمال والأناقة إلى السياسة والرديء من الكتابة والبحث عن المتعة والضحك.

وفي موضع آخر، يقول: "وهناك آخرون ليست لديهم قناعات مستقلة أو حتى فهم مستقل"⁽⁴⁾، وهو بذلك يشير إلى القارئ الرديء - إن صح التعبير - الذي لا يمتلك شخصية فكرية يستوعب بها ما يقرأ، وإنما هو مقلد أو إمّعة لا يفقه إلا ما يملّى به الآخرون.

وفي مقال آخر يقول: "الخوف من تفسيرات البعض قد يعني من التعبير عن بعض الظواهر أو الآراء أو نقد سلوكيات، وهي ليست مقصودة أو موجهة ضد أحد"⁽⁵⁾، وهذا يعد من باب مراعاة ذوق القارئ والحرص أن تظل علاقة الكاتب بالقارئ قائمة، ولذلك فهو يراعي فهمه ويخشى أن يكون استيعابه خارج حدود الموضوع. فيلجمأ إلى الصمت خوفاً من أن يفهم القارئ فهما خاططاً.

(1) ما وراء الفكرة: 134

(2) نفسه: 154

(3) نفسه: 47

(4) نفسه: 48

(5) نفسه: 58

6- تحليل الجوانب الشكلية:

لئن كان كتاب عبد الله علي عاطي في مبتدأه عبارة عن منشورات تفاعلية على صفحاته على الفيس بوك، إلا أنه وقد صدر بوسيلة نشر أخرى تمثلت في الكتاب الورقي، لذا كان من تكميله هذه القراءة أن ننظر إلى تحليل بعض الجوانب الشكلية.

ومع أن بعض الباحثين يري أنه لا تأثير للجوانب الشكلية للكتاب في الجانب الموضوعي، إلا أن هناك دورا هاما ومحوريا للشكل، وهذا الدور يكمن في إثارة اهتمام وانتباه القارئ، ويعود أحد العوامل الهامة في سيميائية النص الأدبي⁽¹⁾.

ولعل الناظر في كتاب (ما وراء الفكرة) يجد أنه قد تمتع بجماليات سيميائية تميزه سواء أكان ذلك على الغلاف أو داخل صفحات الكتاب، ولعل جودة الطباعة، ومن حيث رسم الحروف والصفحات والبنط الجيد ونمط الخط مما يعطي للكتاب صورة واضحة ومحسومة تسهل على القارئ قراءة الكتاب والاستمتاع بالجلوس معه، إذ مع نفور القراء أو تباعدهم عن الكتاب الورقي نتيجة طغيان الكتاب الإلكتروني والنشر الرقمي الذي جعل كثيرا من القراء يعرفون عن الكتاب الورقي ويميلون إلى الكتاب الإلكتروني لتمتعه بكثير من الصفات والمميزات؛ لعل أهمها سهولة الحصول عليه وسهولة الاحتفاظ به واستدعائه وقت الحاجة إليه، ومن هنا كان على الكاتب أن يُحسن من عملية إنتاج كتابه (الورقي) حتى يستطيع أن يُغري به القارئ المعاصر، أضف إلى ذلك تجوييد المادة المكتوبة داخل الكتاب والابتعاد بالنصوص عن التطويل الممل والخشوع الزائد الذي ينفر القارئ ويجعله يعزف عن القراءة؛ ولعل المتأمل في النصوص والمقالات المنشورة في الكتاب يجد أنها لا تزيد عن صفحتين ونصف إلى ثلاث صفحات في أغلبها، إلا إذا استثنينا تلك النصوص التي جعلها الكاتب في حلقات، لكن.. ومع ذلك، كانت تلك الحلقات لا تتعدي فيها الحلقة الواحدة الصفحتين أو الثلاث صفحات في

(1) النظرية الشكلانية في الأدب والنقد: 13.

الحد الأعلى، ولعل هذا يعطي دلالة مفادها قدرة الكاتب على اختزال النصوص وتكييفها في صفحات محدودة حتى لا يخرج بالنص أو المقال إلى تشعبات أخرى تطيله أو استطرادات تخرج به عمّا يؤمله الكاتب لنصه من إشارات يومئ بحثها بحيث تشير إلى أكثر من معنى..

ولنتأمل تنظيم الفقرات وقصرها وابتعادها عن الإسهاب والتطويل، في ما يأتي:

- "لفت نظري ظاهرة غريبة وإن كانت ليست جديدة، أعرفها منذ زمن ولكن ضمن مسار واحد وبعد واحد، تكرار وترديد للكلمات والشعارات نفسها في مناسبات وخطب روتينية ليس فيها أي جديد. فقط فيها إشادة ووعود ولعن الاستعمار وأعوانه دون فهم أو قناعة"⁽¹⁾.

- "الصواب هو ضرورة الإشادة بكل ما هو إيجابي، والمسارعة في الثناء عليه في غير مبالغة، حتى يكون حافراً للاستمرار والديمومة.." ⁽²⁾.

- "ليست الصورة كلها قائمة، لو كانت كذلك لم يكن لنا أن نستمر، ولكن هناك مساحات خضراء كثيرة، هناك أناس كثُر فِكْرُهُمْ نَيِّرٌ، وأخلاقهم عالية ومعلوماً لهم ثرية ونافعة"⁽³⁾.

إذ ما يلاحظ على تلك الفقرات أنها قصيرة لا تتعدى الفقرة الواحدة منها السطرين أو الثلاثة، وقلما تجد فقرة طويلة، وهذا ما يتبع للقارئ سرعة التنقل في الفقرات وتنوعها فضلاً عن إبعاد الملل؛ لأن طول الفقرات قد يبعث على الملل للقارئ.

أضف إلى ذلك أنه يبني معظم نصوصه على لغة الحوار، وإن لم يكن هناك متحاور في الأصل فإنه يجبر من نفسه شخصا آخر ليدير الحوار معه، ولنتأمل في أحد مقالاته، ولتكن المقال الذي وسمه بـ(أصدقاء الافتراض)⁽¹⁾، إذ يفتحه بهذه الفقرة:

(1) ما وراء الفكرة: 69

(2) نفسه: 38

(3) نفسه: 52

"قال: ما أسهل الكلام وأصعب تحميشه على الواقع العملي، الآن أنت تقول: اشتقت إلى الواقع الحقيقي الملموس بدون افتراض وزيف، ألا تلاحظ أن أقوالك فيها اختلاف وتضارب؟!".

والملاحظ أن الفقرة حوارية وهو يفتحها بالفعل (قال)، ويردفها في السطر نفسه بالفعل (تقول)، وهو حوار تقليدي، بين الكاتب ذاته، وقد يكون شخصا آخر غير ذات الكاتب، غير أنه في فقرتين تاليتين ينتقل إلى أسلوب السرد، متبعدا عن الحوار، ولتأمل الفقرة التالية:

"قرأت لك أكثر من منشور وأكثر من تعليق في صفحتك، وأستطيع أن أثبت بالدليل المسطر والمكتوب أنك تقول إنني ومنذ صغرى أعيش في عالم افتراضي أكثر من الواقع، إنني أتخيل بطولة وسعادة لا أعيشها، وأستمتع وأعيش الدور وأنقن فن التمثيل على نفسي"⁽²⁾.

ولغة السارد – هنا – تغوص عميقا في المعنى، فالكاتب استخدم كثيرا من الألفاظ الموحية والمعبرة، غير أن ألفاظاً وعبارات من مثل قوله: (عالم افتراضي، أتخيل بطولة وسعادة لا أعيشها، أستمتع وأعيش الدور، وأنقن فن التمثيل على نفسي)، كانت أكثر إيحاء، بل تعد ألفاظاً وعبارات مبطنة بالمعاني العميقة، والتي تعمل على أن تجعل المتلقي يلتفت إليها ويتأملها.

وإذا انتقلنا إلى فقرة تالية من المقال نفسه، فإننا سنجد أن الكاتب يعود إلى لغة الحوار، ولكن بأسلوب أعمق وهو ما يشبه الحوار الداخلي (المونولوج)⁽³⁾، ليوضح لنا من خلاله أن الذات الداخلية عنده تقف ندّاً في الحوار، ويعرف أمامها بأنه فعلا يستخدم عادة التخييل وصنع الشخصية من عنده وأنها تأتي حسب الرغبة وال موقف الذي يود أن يكون فيه، ولنقرأ:

(1) ما وراء الفكرة: 227

(2) نفسه: 227

(3) المونولوج، هو الحوار الداخلي الذي يدور بين الفرد ذاته، وهو ما يشبه حديث النفس. ينظر: معجم المصطلحات الأدبية: 205

"قلت: فعلاً، لديك ذاكرة أو أنك تعتمد على البحث والاستقصاء، بحيث لا ترك لي مجالاً إلا أن أكون واحداً وليس اثنين، كل ما قلتهعني صحيح، وأمارس هذه العادة؛ عادة التخييل وصنع الشخصية من عندي وحسب الرغبة والموقف الذي أود أن أكون فيه، وسائل الآخرين، لن يعترف أحد منهم بذلك، بل قال لي أحدهم: أنت فيك جنون، إن صدقت في قولك، وأقسمت له إني صادق، رأيته بعد ذلك يتبعه عني ويغير قناعاته فيّ، ولكن لم أحاول أن أغير من طبعي التخييل والافتراض والتمثيل، بل أصبح ملازماً لشخصيتي منهجاً وسلوكاً"⁽¹⁾.

ومثل هذا يعد نوعاً من الحوار الداخلي بين الكاتب وذاته وإن كان يسقطه على الآخر، لكنها طريقة لبث المشاعر وإفرازها بصورة شيقة وحوارية تبعث التحفيز في المتلقى لمواصلة القراءة والاستمرار في التخييل والتأنويل.

ومن ينظر في الكتاب سيجد أن مثل هذه الحوارات أخذت جزءاً كبيراً من الكتاب، بل إنه خصصها بذلك، فجعل لها جزءاً من الكتاب وسمه بعنوان: (حوارات)، وقسمها على مجموعة من المقالات؛ فجعل لكل مقال منها عنواناً خاصاً به، فجاء المقال الأول بعنوان: (دردشة في المتناقضات)⁽²⁾، وهو يعد أطوفهم، إذ جاء في حلقتين؛ استغرقت الأولى (18) صفحة، والحلقة الثانية (ثلاث صفحات) فقط، وجاء المقال الثاني بعنوان: (السياسة حيث لا مبادئ)⁽³⁾، فاستغرق خمس صفحات، والمقال الثالث: (بين الرمزية والواقعية)⁽⁴⁾، والمقال الرابع (ظاهرة الاستعارة)⁽⁵⁾، وهكذا، ولعل المؤمل في تلك الحوارات أنها في معظمها تفتتح بالفعل: (قال)، أو: (قلت)، حتى تمثل مثيراً

(1) ما وراء الفكرة: 228

(2) نفسه: 193

(3) نفسه: 214

(4) نفسه: 219

(5) نفسه: 222

شرطياً للالتفاتات إليها، ومن ثم يستمر في إدارة الحوار سواء صرخ بالمحاجة أو لم يصرح به حتى يصل به إلى نتيجة..

ولغة الكاتب وعباراته بأجمعها سلسة وقريبة للفهم ولا يجد القارئ صعوبة في فهم الجمل والتعبيرات، ولعل هذا مما يمكن أن يعد خصيصة أسلوبية عند الكاتب عبد الله عاطي ..

وثمة حقيقة مؤداتها؛ أن الكاتب إذ استطاع أن يشع على ما عنده من معانٍ وحقائق حرارة من عاطفته وحيوية من خياله كانت كتابته راقية ومؤثرة ومحيرة وقوية، وإذا عدم الكاتب هذه المقدرة خرجت كتابته وكأنها سرد للحقائق وتكون كأنها تقويم أو أخبار أو مجرد توثيق وتسجيل كتابي لا غير^(١). وما لوحظ عند الكاتب عبد الله عاطي أن همه الإبداعي بالدرجة الأولى هو إنتاج كلام جميل يتتوفر على أبعاد تمكّنه من القيام بدور فعال في الثقافة؛ ويطمح إلى تقديم عالمه بقدر كبير من الشفافية والصدق وتوليد الإحساس بالجمال، أضف إلى ذلك أنه كان يسعى إلى القيام بوظيفة أكبر وهي محاولته تجميع عناصر ثقافية عديدة عن مجتمعه وبيئته واحتزامها في فضاء محدود هو النص.

خاتمة:

- كشفت القراءة أن العناوين الداخلية لكتاب (ما وراء الفكرة) كانت مرافقة أو مصاحبة للنصوص داخل الكتاب، وإن الوظيفة الرئيسة التي تتخذها هي الوظيفة الوصفية غالباً، وأن العنوان لا يتنافر مع مضمون المقال أو النص وإنما يتطابق معه وبدل عليه.

- بدا الكاتب متأثراً كثيراً بلغة تخصصه الذي درسه وقضى معظم حياته العملية فيه، ولعل المتتبع يلاحظ تلك المفردات (القانونية) التي لا تفتّأ تظهر في نصوصه بشكل عفوي أو لا إرادي، وربما هو نفسه لا يدرك أنه استقاها من حقل المحاماة الذي تخصص فيه.

(١) ينظر: النقد الأدبي: 63.

- مثل النص عند عبد الله عاطي فضاء دلاليا من خلال لغة الاتصال والتواصل التي هي لغته الخاصة.

- لم يعول الكاتب على قصدية النص كثيرا لاسيما تلك القصدية المتمثلة في أدلة الخطاب وجعله يتوجه اتجاهها معينا سياسيا أو اجتماعيا أو ثقافيا، وإنما قد يستعين بال موقف السياسي من أجل أن يشير إلى فكرة معينة أو أن يوصل من خلاله رسالة معينة يومئ بها ويشير من بعيد حتى لا يفهم المترقب أنها تعني فلانا من الناس.

- الخطاب الاتصالي عند عبدالله عاطي يرمي إلى مخاطبة القوة الوجدانية الانفعالية ومؤثرا في المترقب بحيث يحدث استجابة أو مشاركة وجدانية تقترب من الصياغة الكلية لتجربة الكاتب.

- القارئ في نظر الكاتب عبدالله عاطي شيء مهم لا بد من وجوده، والكتابة بدون قارئ لا معنى لها، فالقارئ مشارك وفاعل في الكتابة والإبداع، بل ولعله الملهم والباعث في بعض الأحيان.

- بني معظم نصوصه على لغة الحوار، وإن لم يكن هناك متحاور في الأصل.

- كثيرا ما يجرد من ذاته شخصا آخر ويحاورها، ويقيم معها علاقة متجادلة بين التقارب والتباعد.

- بدت لغة الكاتب وعباراته في نصوصه ومقالاته سلسة وقريبة للفهم ولا يجد القارئ صعوبة في فهم الجمل والعبارات، ولعل هذا يعد خصيصة أسلوبية عند الكاتب عبد الله عاطي.

- لوحظ عند الكاتب عبدالله عاطي أن همه الإبداعي بالدرجة الأولى هو إنتاج كلام جميل يتتوفر على أبعاد تمكنه من القيام بدور فعال في الثقافة؛ ويطمح إلى تقديم عالمه بقدر كبير من الشفافية والصدق وتوليد الإحساس بالجمال.

- أنه كان يسعى إلى القيام بوظيفة أكبر وهي محاولته تجميع عناصر ثقافية عديدة عن مجتمعه وبيئته واحتزتها في فضاء محدود هو النص.

المصادر والمراجع:

أولاً: الكتب:

- أمين، أحمد، (1967): النقد الأدبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط.1.
- إيغرار، فرانك، رولان بارت معاصرة في مواجهة النص، ترجمة: غسان السيد، دار الينابيع، الدار البيضاء، المغرب، 2009
- بلعابد، عبدالحق، (2008): عتبات (جيير جينيت، من النص إلى المناص)، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت.
- الجزار، محمد فكري، (1998): العنوان وسموطيقيا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط.1.
- رحيم، عبد القادر، (2014): علم العنونة (دراسة تطبيقية)، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط.1.
- سلام، عازة محمد، (2007): مهارات الاتصال، مركز تطوير الدراسات العليا والبحوث، جامعة القاهرة، مصر، ط.1.
- عاطي، عبدالله علي، (2021): ما وراء الفكرة، صناعة، ط.1.
- علوش، سعد، (1985): معجم المصطلحات الأدبية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، وسوشبريس، الدار البيضاء المغرب، ط.1.
- الغاني، سعيد، (1993): اللغة والخطاب الأدبي، مطبعة الدار البيضاء، المغرب، ط.1.
- غزوان، عناد، (1994): مستقبل الشعر وقضايا نقدية أخرى، دار الشئون الثقافية، بغداد: ط.1.
- فضل، صلاح، (1987): النظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، ط.1.
- قاسم، سيزا أحمد، (1985): بناء الرواية، دار التنوير، بيروت، ط.1.
- القعود، عبد الرحمن محمد، (2002): الإيمان في شعر الحداثة، سلسلة عالم المعرفة، العدد (279)، المجلس الوطني للثقافة والعلوم، الكويت.
- لحمداي، حميد، (1991): بنية النص السردي، المركز الثقافي، المغرب، ط.1.

مبارك، محمد رضا، (1993): اللغة الشعرية في الخطاب النصي العربي، بغداد، دار الشئون الثقافية العامة، د. ط.

م BROOK، مراد عبد الرحمن، (2002): آليات المنهج الشكلي في نقد الرواية العربية المعاصرة، التحفيز نموذجاً تطبيقياً، دار الوفاء، بيروت، ط 1.

مفتاح، محمد، (2006): دينامية النص (تنظيم وإنجاز)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 3.
وادي، طه، (1989): دراسات في نقد الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط 1.
وهبة، مجدي، والمهندس، كامل، (1984): معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط 2.

ثانياً: الرسائل العلمية:

شنيني، زهيرة، (2012): الخطاب النصي عند رولان بارت، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب واللغات، جامعة العربي بن مهيدي -أم البواقي- الجزائر.

ثانياً: البحوث العلمية:

إدوارد ستاكيفينج، (1993): فن الشعر البنوي وعلم اللغة، ترجمة: نصيف الجنابي، مجلة الأقلام، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، العدد 11، 12، تشرين الثاني - كانون أول.

باقيس، عبد الحكيم محمد صالح (2009): العنوان وتحولات الخطاب في الرواية اليمينية، علامات في النقد، الرواية في الجزيرة العربية، النادي الأدبي الثقافي بجدة، مجل 17، الجزء 68، فبراير.

ععفر، عبد الكريم راضي، (1997): الشاعر واللغة، آفاق عربية، عدد 20 آذار مارس، بغداد، العراق.

حمداوي، جميل، (1997): السيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد الثالث.

عودة، ناعم، (1993): الأصول المعرفية لنظرية التلقى، مجلة الأقلام بغداد، ع 11-12، تشرين الثاني، كانون أول.

الفَرَّان، سَمَاحُ عَبْدُ اللَّهِ أَحْمَدُ، (2014): تَحْلِيلَاتُ الزَّمْنِ فِي الرَّوَايَةِ الْيَمِنِيَّةِ الْمُعاصرَةِ، عَزِيزَةُ عَبْدُ اللَّهِ نُوْذِجَا، مَجْلِسُ جَامِعَةِ الْأَنْدَلُسِ لِلْعُلُومِ وَالْتَّقْنِيَّةِ، صُنْعَاءُ، الْعَدْدُ الْأَوَّلُ، الْمَجْلِدُ السَّادُسُ، يَنَابِيرُ.

الْيَزِيدِي، أَمِينُ عَبْدُ اللَّهِ مُحَمَّدُ، (2020): بَنَاءُ الشَّخْصِيَّةِ الرَّئِيسِيَّةِ فِي رَوَايَةِ "الْيَقْطِينَةِ" لِمُحَمَّدِ مُسَعِّدِ، مَجْلِسُ الْآدَابِ جَامِعَةِ ذِمَّارِ، الْعَدْدُ الرَّابِعُ، مَارْسُ.

الموقع الالكترونية:

حمداوي، جميل، النظرية الشكلانية في الأدب والنقد، شبكة الألوكة، مرفوع على الرابط:
www.alukah.net.

حمداوي، جمیل، (2014): بوریس توماشفسکی، رائد علم السرد، مقال، في ناظور، منشور بتاريخ 21/7/2014. على الرابط:

<https://www.maghress.com/nador24/13098>

[بوهلر](https://ar.m.wikipedia.org/wiki/%D9%83%D8%A7%D8%AA): ويكيبيديا. على الرابط: [متا لغة](https://ar.m.wikipedia.org/wi/%D8%AE%D8%A7%D8%AA): ويكسديا، على الرابط:

تصويرية المكان الموسعة في رواية (ظلال الجفر)

أميرة شايف علي الكولي^(*)

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى ضبط مفهوم (الصورة السردية) في رواية (ظلال الجفر) من خلال دراسة صورة المكان بوصفه مكوناً أساسياً يجمع بين حدوده عناصر العمارة السردية للصورة. وقد عرض هذا البحث لجملة من المطالب توزعت في فصل واحد، عرض المطلب الأول منها لأيقونتي القرية والمدينة، أما الثاني فقد تناول الصورة الأيقونية في كل من المنزل والبيت، في حين تناول المطلب الثالث: التصوير الأيقوني في الغرفة والمعترض. وقد كشفت هذه الأيقونات عن أن أهمية المكان بوصفه عنصراً لازماً في تكوين الصورة السردية في رواية (ظلال الجفر)، وثبت الرواية من خلاله صوراً دقيقة لتفاصيل كثيرة ألمت بها، خاصة وأن التصوير المكاني قد احتل مساحة واسعة من السرد يمكن لها أن تشكل الحدود الملمسة له في صورة فنية مستقلة. وتوصل البحث من خلال ذلك إلى استقلالية التصوير السردي عن التصوير البلاغي الضيق، إضافة إلى أن (المكان) في الرواية كان صورة حية تنبض من خلال علائق الأشخاص، وتولى الأحداث في تفاعل تصويري متتابع استطاع الوصول بـ(الصورة السردية) إلى شط آخر يتحرر من سданة البلاغة القديمة وسلطتها ويحط في عتبة المصطلح بمفهومه الموسع.

الكلمات المفتاحية: الصورة السردية، المكان، المدينة، البيت، الغرفة.

Abstract

This study aims to control the concept of (narrative image) in novel (Shadows of Jafr) by studying the image of the place as an essential component whose limits

(*) باحثة دكتوراه، قسم اللغة العربية، كلية اللغات، جامعة صنعاء، الجمهورية اليمنية.

combine the elements of the narrative architecture of the image. This research presented a number of demands distributed in one chapter, the first requirement presented the icons of the village and the city, while the second dealt with the iconic image in both the house and the house, while the third demand: the iconic depiction in the room and the retreat. These icons revealed that the importance of place as a necessary element in the formation of the narrative image in the novel (*Shadows of Jafr*), and the novel transmitted through it accurate images of many details that touched it, especially since spatial photography has occupied a wide area of the narration that can form tangible borders. him in an independent artistic image. Through this, the research reached the independence of narrative photography from narrow rhetorical photography, in addition to the fact that (the place) in the novel was a vivid image that pulsates through people's relationships, and the sequence of events in a successive photographic interaction that was able to reach the (narrative image) to another shore liberated from a dam. The ancient rhetoric and its authority and degrades the threshold of the term in its expanded sense.

keywords: House, Room, City, Place, Narrative image

مقدمة:

يعد المكان عنصراً من عناصر الصورة السردية، وسيحاول البحث الكشف عن كيفية الإلقاء بظلاله التكوينية على هيئة الصورة ودلائلها في السرد، إضافة إلى اكتساب الصورة المكانية أهمية نقدية تنقلها من خانة التهميش إلى مركزية البناء والتأثير المتبادل، من خلال استكشاف ملامحه في رواية (*ظلال الجفر*).

إن سيراً جاداً لمفهوم (*الصورة السردية*) في رواية (*ظلال الجفر*) من خلال عنصر المكان أمر يقتضي افتاحاً على (*الصورة*) في مفهومها الموسع، وفي ذلك احتراز عن الوقوع في المفهوم البلاغي

الضيق المخصوص في التجليلات البينانية لها، وهي بمفهومها الموسع يمكن أن تطوي البلاغة فيها، إلا أنها لا يمكن أن تنضوي تحت أسر الصورة البلاغية، وهذه حقيقة تفرضها الطبيعة اللغوية للأجناس السردية.

وهذا البحث ينظر إلى (الصورة) بوصفها اصطلاحاً متسمًا بالانفتاح على كافة العلوم والميدانين الأدبية وغير الأدبية، ويعمل على كرزاًها ضمن لغة السرد في أجناسها المختلفة، راغباً من خلال ذلك إلى استنتاج إمكانية سبر أغوار صورة المكان الموسعة في السرد.

ولعل الحديث عن الصورة السردية سيتطرق إلى استكشاف تحلياتها من خلال عنصر المكان في رواية (ظلال الجفر)، وهي منجز إبداعي تصدر المشهد الروائي اليمني في العقد الثاني من الألفية الثالثة، وهو عقد اقتضى صدور العديد من الأعمال الروائية المكتظة بهموم الوطن والإنسان في اليمن، متصدراً التوثيق الفكري والتاريخي لماضي اليمنيين، ونقالاً لتفاصيل حياتهم اليومية، ونشاطهم السياسي، إضافة إلى قضايا أخرى كالرحيل والاختراق.

و(الصورة السردية) مصطلح نceği واسع الدلالات متعدد المعاني، وقد أثبتت حضوره المغاير في رواية (ظلال الجفر)، وهنا تكمن مشكلة البحث في الأسئلة الآتية: كيف كانت هيئة الحضور للصورة السردية في رواية (ظلال الجفر)? وكيف أسهم المكان بوصفه عنصراً من عناصر الرواية في تشكيل هذه الصورة؟ هل يمكن للصورة السردية الموسعة أن تتحرر من قيود البلاغة لتتجلى في مفهوم تصويري يتاسب مع فنية الحكي ولغة السرد الواسعة؟ وفي ضوء الاختلاف المتداول بين الباحثين حول مصطلح (الصورة) في الجنس الواحد، ومحاولة إيجاد حالة من التوازن والتوافق بينهما استعداداً لصهرهما من أجل الوصول إلى مسمى جديد تتضافر فيه جملة من العناصر والمكونات السردية القائمة على تحديد معناه في هذا البحث.

وهذا البحث محاولة تجذرية وتطبيقية لمصطلح الصورة السردية الموسعة من خلال عنصر المكان في رواية (ظلال الجفر)، كما أنه يسعى إلى الاختلاف في تناوله لهذا العنصر، مضيفاً بذلك

شيئاً من التجديد في تحليله، ومفصلاً عن إمكانية خلق نوع من الانسجام بين الصورة السردية الموسعة وعناصر التكوين والبناء في السرد.

إن تناول الصورة السردية الموسعة من خلال عنصر المكان في رواية (**ظلال الجفر**) سيحرر المفهوم من تقليدية التداول، ويفتح به على جرأة التناول، إيماناً بأن اتساع المكان في الرواية سيفرض آلية تصوير معايرة للمألف البلايلي والنقيدي، وأن الصورة مصطلح متترجم يتسع جداً، ويتجذر في أداب وعلوم مختلفة فكيف له ألا يتجسد مع المكان في هيئة متكاملة.

ويروم هذا البحث تحقيق الأهداف الآتية:

- 1_ الكشف عن هيئة الصورة السردية الموسعة في رواية (**ظلال الجفر**).
- 2_ الكشف عن دور المكان في تكوين الصورة السردية الموسعة في رواية (**ظلال الجفر**).
- 3_ تكوين التوأمة الفنية بين الجنس والمصطلح، فالصورة السردية الموسعة تتجرد في هيئتها عن حدود البلاغة، وتتجاوزها، لتصبح البلاغة جزءاً منها إلا أنها لا يمكن أن تكون الكل.
في حين تتجلى حدود التصوير المكاني ضمن رواية (**ظلال الجفر**)، وهي رواية يمنية صدرت في العام 2013م.

وقد رأت الدراسة مناسبة السيميائية في دراستها لتصويرية المكان ضمن رواية (**ظلال الجفر**)، فالسيميائية هي المنهج الأكثر حضوراً في ضوء تنوع المناهج النقدية النصية الحديثة، يمتاز بتنوعه، وتعمقه في سبر أغوار النص علمياً وأدبياً، وهي إجراء يقوم على جملة من المعطيات النصية، والعلامات الكامنة بين داخل النص وخارجه. وقد جاء هذا العمل في تمهيد وثلاثة مباحث على النحو الآتي:

- أ_ المبحث الأول: أيقونة القرية والمدينة.
- ب_ المبحث الثاني: أيقونة المنزل.
- ج_ المبحث الثالث: أيقونة الغرفة والمعزل.

التمهيد:

هذا البحث استكمال لجملة من الأبحاث، والدراسات السابقة التي أثبتت لاستقلالية **(الصورة السردية)** عن أجناس البلاغة التقليدية، وافتتاحها على آفاق أكثر سعة من المألوف، وفي هذا المضمار يقر الدارسون أن (الصور) البلاغية الخاصة بالحكى ليست هي تلك الخاضعة لسلطة الاستعارة⁽¹⁾، وهم يندرجون بقولهم هذا في سياق بلاغة جديدة لفهم الخطاب السردي، وعلى ذات الرؤية سيمضي هنري متران (Henri) الذي يؤسس فصلاً كاملاً في كتابه (خطاب الحكاية) لدراسة (الصور) في رواية (Germinal) للروائي (zola)، الذي يعتقد أن (الصورة) "مكون لغوي في الحكاية"⁽²⁾، في حين يجعل (بيرسي لوبوك) من (الصورة) في الرواية رسمًا بالفرشاة، ويرى أن "التشابه بين فن الرسام وفن الروائي تشابه تام، فمصدر الوحي فيهما واحد، وعملية الإبداع في كل منها هي العملية نفسها مع اختلاف الوسائل، ونجاحهما واحد"⁽³⁾. ويرى "أن هناك أشياء أكثر من أن تنطوي عليها المشاهدة"⁽⁴⁾، كما يلفت الأنظار إلى الأسلوب في "الشكل، والتصميم، والتكونين كلها أشياء نبحث عنها في الرواية"⁽⁵⁾. أما (ستيفن أومان) فقد كان يسعى إلى "فحص أنظمة من الواقع تثير أسئلة منهجية مهمة، وهي البنية الشكلية لـ(الصور)، وطبيعة العلاقات التي تقوم عليها، والدور الذي تضطلع به في تنظيم عمل أدبي ما"⁽⁶⁾، وكان يقصد توازي صورة النثر بالشعر، ويهدف إلى فرض أسلوبية موقعة وسياقية للجنس الأدبي، وقد استنبط (أولمان) ماهية (الصورة) انطلاقاً من منهجية تستنبط الخصائص اللغوية المعجمية، والتراكيب البلاغية في العمل السردي، حيث سعى إلى

(1) ينظر: أسلوبية الرواية: 80.

(2) نظرية الرواية: 72.

(3) صنعة الرواية: 20.

(4) نفسه: 20.

(5) نفسه: 227.

(6) الصورة الإنسان والرواية: 55.

دمج اللسانيات في المناهج الأدبية ليكسر الحاجز، ويزيل المعوقات القائمة بين كل من (الصورة)، و(السرد). غير أن (أولمان) لم يلتفت إلى تفاوت مستويات الإنتاج في (الصورة) بين المعقول واللامعقول، كما أن غياب الضوابط المقيدة التي تعمل على تغذية (الصورة) بالفن، والإبداع، سيغرقها في حالة من الفوضى، ويسمها بالارتباك، فضلاً عن حصول صورة مشوهة المعنى والدلالة. أما عن اعتبار (الصورة) رمزاً جوهرياً في النص، فسيترتب عليه أن تكون الرواية بأكملها (صورة)، في حين كان قصر (الصورة) على الشخصيات فقط، وإقصاء بقية العناصر السردية يضع (الصورة) أمام قصور واضح يحد من صلاحيتها.

والحاصل عنده أن (الصورة الروائية) إشكال بحثي في الرواية، وأن منظوره النبدي لن ينفصل عن الرؤية البلاغية التي سيقوم بحصرها تحت هيمنة (التشبيه، والاستعارة، والكتابية)، وهذا سيولد إشكالاً جديداً يقلل من حجم (الصورة الروائية)، وهو افتراض التحليل الشكلي للصور الروائية المأثر بين أنواع التشبيهين الضمني والصريح في سياقها، وبين الاستعارة والتتشبيه من سياق آخر. إنه يرى وجود تمايز واختلاف بين التشبيه بأنواعه التصويرية وصورة الاستعارة. ولم يغفل (أولمان) الوجود التصويري للتتشبيه، وقد كان يركز في نقاشاته على التشبيه، والاستعارة، والكتابية مما يؤكد أنتناوله للصورة الروائية لم يخرج عن حدود البلاغة لا غير، وأن (السرد) لم يكن سوى مسرح لإسقاط الحاصل في الأصل. ولعل أهم دراسة شرعت لهذا الموضوع كانت دراسة الباحث المغربي أ. د. محمد أنقار مؤسس الحلقة التطوانية التي قدم فيها جهداً لازماً في التأسيس لمصطلح (الصورة السردية) بمفهومها الأكثر اتساعاً، وفيها قدم رؤية دقيقة ومؤسسة لمشروع الصورة السردية الموسعة في كتابه (بناء الصورة في الرواية الاستعمارية: صورة المغرب في الرواية الإسبانية) الصادر في (1994م)، حيث قام بتجدير مصطلح (الصورة) وتحنيسه في (السرد) من خلال تطبيقه على نوع معاير هو الرواية.

وعلى الرغم من التناقضات المعيبة في الوصول السريع إلى تعريف مباشر، وصريح لـ(الصورة الروائية) حيث تكون تارة نقىضاً للصورة الشعرية، وأخرى تتناقض مع (الصورة التشكيلية)، ومرة مع (الفنية الدرامية، والسينمائية) إلا أن أنقار كان على يقين بأن (الصورة الروائية) هي صورة تخيلية، وإبداعية، وإنسانية، تتشكل من تفاعل حقيقي لمجموع التكوينات السردية ضمن سياقات متغيرة، ولذلك يمكن للناقد في السرد الروائي أن يدرس صورة الموضوع، وصورة اللغة، وصور الفضاء، والشخصية، والراوي، والإيقاع، والامتداد، والتوتر، وغيرها، وعلى ذلك يؤكد (أنقار) أن (الصورة الروائية) ليست "تكويننا متحققاً خارج بنية النص، ومكوناته، بما فيه البنية الذهنية، بل هي وجود ممتوج عضوياً بالفقرة، المشهد، والمقطوعة، والمحوار، والحوادث، والفضاء، والشخصية، والموضوع، وكذا بالانطباعين الذهني، والنفسي اللذين يثيرهما ذلك الجموع في المتلقي"⁽¹⁾. كما يؤكد دينامية (الصورة الروائية)، ومساهمتها في "ضممان دينامية النص الروائي، وهي توتر، وامتداد، وتفاعل بين مختلف أنماط الصور الكثيفة، وال المباشرة، والجزئية، والكلية. وهذا الطابع التكعيبي الداخلي لا يلغى قيام جدل، وتعارض بين (الصورة)، وما هو خارجي عنها عندما تنخرط في لعبة تداولية غير متكافئة مع الخبر، والواقع، والتاريخ. كل هذه المعطيات تثبت أن (الصورة الروائية) ليست اعتباطية، بل خاضعة لمطْقَي يتحكم بدقة في مظاهر ترابط المكونات، وبذلك تتشكل أية صورة فنية في نسق يصبح هو كونها، ونسغ وجودها، ويغدو أي نقل، أو تحرير، أو فحص للصورة بعيداً عن نسق التشكيل هدراً لكنهها"⁽²⁾. وعلى الرغم من إقراره بصعوبة الوصول إلى تعريف دقيق للصورة الروائية حيث تتواءز في ذلك صعوبتها مع الصورة الشعرية إلا أنه يمكن استشفاف ذلك من نتائج سياقاته التحليلية، فهي "نقل لغوي لمعطيات الواقع، وهي هيئة، وشكل، ونوع، وصفة، وهي ذات مظهر عقلي، ووظيفة تمثيلية، ثرية في قوالبها ثراء فنون الرسم، والحرف، والتصوير الشمسي، موغلة في

(1) بناء الصورة في الرواية الاستعمارية: 16.

(2) نفسه: 16.

امتدادها إيغال الرموز، والصور النفسية، والاجتماعية، والأنثروبولوجية، والإثنية، جمالية في وظائفها، مثلما هي سائر صور البلاغة، ومحسناها، ثم هي حسية، وقبل كل شيء هي إفراز خيالي⁽¹⁾ كما أنها "إجراء لغوي، ووسيلة فنية، وغاية، ونسق من بلاغة النثر، كما هي مستند إنساني يتعاونه كل من مبدع الرواية ونادها"⁽²⁾.

ولربما كان عنصر (المكان) هو الأكثر ضعفاً في السرد مقارنة ببقية العناصر التكوينية الأخرى، ولعل ذلك يرجع إلى تجاهل نظريات السرد الكبرى عن التنظير الفكري له مقارنة ببقية العناصر البنائية كالزمان، والشخصيات، والرواة، والأحداث. إلا أن الأمر لم يخل من محاولات جادة لفت الأنظار إلى أهمية الدور الذي يؤديه هذا العنصر في السرد، فقد تقدم (غاستون باشلار) بدراسة أوضح فيها القيمة التي يمكن أن يحظى بها (المكان) من خلال الدور الذي يتمثله في السرد، إذ قام بدراسة "القيم الرمزية المرتبطة بالمناظر التي تناح لرؤيه السارد، أو الشخصيات سواء في أماكن إقامتهم كالبيت، والغرف المغلقة، أو في الأماكن المفتوحة الخفية، أو الظاهرة المركزية، أو الهامشية، وغيرها من التعارضات التي تعمل كمسار يتضح فيه تخيل الكاتب و القارئ معا"⁽³⁾.

كما أن هناك جهوداً أخرى تذكر في سياق التأصيل لدراسة عنصر (المكان) في السرد، وهي الجهود التي قدمها الباحثون الألمان، فقد ميزوا في سبيل ذلك بين مكابين متعارضين الأول منها هو المحدد، في حين كان الثاني فضاء دلالياً تشكله جملة من علاقات الشخصيات، ومشاعرها، وأفعالها. وقد استنتج (هيرمان) أهمية الدور الذي يلعبه المكان في صناعة التخييل الروائي. أما الفرنسيان (جورج بولي)، و (جيلىير دوران) فقد اقتصرا في دراستهما على تحليل فضاء الرواية خارج أنساقها الفنية، وعلاقتها مع بقية المكونات الحكائية في العمل الفني الإبداعي. وقد أسهم (جورج

(1) بناء الصورة في الرواية الاستعمارية: 15.

(2) نفسه: 15.

(3) بنية الشكل الروائي: 25.

بولييه) في دراسة الفضاء الروائي لذاته دون تحليل الروابط التي تجمع بينه وبين الأنماط الطوبولوجية الأخرى، في حين تساءل (رولان بارث) عن الضرورات الداخلية التي يخضع لها تنظيم (المكان) في الرواية، ماضيا في وضع اقتراحه بوصف الحدث وصفا دقيقا، ودراسة العلاقة بينه وبين مكونات الحكاية، إضافة إلى الاهتمام بوظائفه وكثافته السردية لأجل الوصول إلى مفهوم، ومعنى أكثر نضجا في دراسة (المكان). أما (يوري لوغان) فقد كانت جهوده مائرة في دراسة (المكان)، حيث قدم تحليلا للتقاطبات المكانية، ضمن ضدياتها الثنائية التي ستجمع بين المتعارضات في علاقات انعكاسية متحركة، والتوترات الحاصلة عنها، وقد مثلت دراساته تطورا منهجيا ضمن مسيرة الدراسات التي وقع عليها الاهتمام بهذا العنصر. وإذا كان (باشلار) قد درس جدلية الداخل والخارج معارضًا بين القبو والعلية، وبين البيت، وغيره البيت، فإن (لوغان) قدم نظرية متكاملة للتقاطبات المكانية انطلاقا من فرضية تفيد أن (المكان) حاصل تجاهسي، وتفاعلية للأشياء الكامنة فيه. أما (جان فيسجر) فقد قدم في (الفضاء الروائي) البناء النظري الذي استندت إليه التقاطبات المكانية في اشتغالاتها النصية، وذلك بعودتها إلى المفاهيم الأولى. ولربما سيعتبر (المكان) موقعًا بارزا في الرواية الحديثة، فيحظى بناء على ذلك بموقع نقيدي يوازي غيره من التكوينات السردية الأخرى التي تشكل وجودها من خلال اللغة المطبوعة، والألفاظ المنتشرة في الورق، وهو ما سيدفع به لأن يحتوي المشاعر، والتصورات، وهذا ما سيميزه عن غيره من الأمكنة، وقد يدعم (الراوي) صورة المكان بإضافة فضاء جديد يعتمد على الفراغات البيضاء، وعلامات الترقيم، والعنوانين، والأغلفة، وفهرس الموضوعات... الخ، وهو ما يطلق عليه الفضاء النصي، أو الفضاء الظباعي، وهي فضاءات شكلية جافة، قد تصنع وجودها الخاص إلا أنها ستفتقر إلى خصائص الفضاء، ومظاهره التخييلية. ولقد تتشكل الأمكنة من خلال جملة الأحداث التي يقدمها الشخصوص في إقامتهم، ورحيلهم،

وعلاقتهم مع بقية العناصر، وانتفاء أهتمام إلية. ووفقاً لـ(غالب هلسا)⁽¹⁾ فإن المكان في الرواية العربية إما أن يكون مجازياً، أو هندسياً، أو تجربة معاشرة، إضافة إلى المكان المعادي، ويقصد به السجن، والمنفى، والطبيعة الخالية من البشر.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن التعريفات الإجرائية في هذا الطرح وردت كالتالي:

1_ الصورة السردية: كل لفظي، وكون تتناغم فيه كل مؤشرات البنية السردية، وتترابط فيما بينها في علاقات داخلية دون الإعراض عن البيئة الخارجية للنص، شاغلة بذلك حيزاً من اللفظ الجسم، ومؤثرة في دلالاته المتنامية.

2_ المكان: وهو الحيز المتعدد، المحصور بحدود لغوية فنية.

وفي (ظلال الجفر) يتجلّى المكان بوصفه عنصراً تكوينياً في (الصورة السردية) في جملة من المسارات يمكن استجلاؤها في الآتي:

أ_ المبحث الأول: أيقونة التصوير في القرية والمدينة

المكان هو الحيز الذي يتتامي فيه الحدث⁽²⁾، وفيه تتحرك الشخصيات لتنسج علاقتها الفنية التصويرية، وهو أيقونة تضم بين حدودها مجموعة من الأيقونات الدالة، وهو حيز إقامة العلاقات بين الشخصيات، وفي هذه الرواية ستغرق الأيقونات المكانية في القدمية حتى تجعل القارئ أمام عزلة حقيقة عن العالم، و تتوزع بين جملة من القرى القاطنة في أماكن نائية في جبال بعيدة عن المدينة، في حين ستتفرع عن هذه القرى جملة من الأماكن القائمة الغامضة في فكر العامة، إلا أنها أيقونات تنويرية لملائكتها، وحينما آخر ستتدرج هذه الأيقونات في الحداثة ليتم التعاطي مع الصورة بحد ذاتها، ويمكن عرض تفاصيل ذلك في الآتي:

(1) المكان في الرواية العربية: 8_9.

(2) إشكالية المصطلح في الخطاب النصي العربي الجديد: 22,23.

١_ المطلب الأول القرية أيقونة تصويرية دالة:

ما هي القرية؟ وكيف أصبحت عالمة دالة تحدد مسارات ومدلولات الصورة السردية في رواية (طلال الجفر)؟

لغويا تحيل أيقونة (قرى) إلى كثير من الدلالات، ولها أن تخفي على الذهن أو تبدو، غير أن ما يقترب من القصد الدلالي لها في هذا البحث ما أشار إليه لسان العرب^(١) إذ وردت في أيقونة (ق رو) لتحمل دلالة المساكن، والبيت، والضياع، وقد أطلقـت وقصد بها المدن. ولعل ابن فارس^(٢) يؤكـد المعنى فيطلقـها على المكان الذي اتصلـت به الأبنـية، واتخـذـت منه مقرا وقرارـا. في الحين نفسه استعملـت هذه الأيقـونة في الاصـطلاح للدلـالة على "المـكان الذي يعيشـ فيه مجـتمع قـليل من الناس في منـازـل مـركـبة من الجـدرـان والـسـقـف غـير مـسـورـة، أـهـلـها ذـو زـرـوع وـخـيل وـفـواـكه وـخـيل وـشـاء كـثـير، وـإـبـل، ويـكـونـ فيها قـرـى مـنـ يـمـرـ بـهـا"^(٣).

ولعل القرية كانت أيقـونة التصـوير الأولى في المـكان، وهي أـيقـونة دـالة، فقد ظـهرـت قـرـية (المـحـجـوبة) باـسمـها الـذـي سـيـطـابـق وـاقـعـها دـالـلة وـمـعـنـى، وـهـذا الـاسـم سـيـلـقـي عـزـلـته فـلن يـطالـ المـكـان فـقطـ، بل سـيـتـفـرـد بـحـجـبـ إـنـسـانـ هـذـهـ قـرـيةـ عنـ كـلـ الـمـتـغـيرـاتـ الزـمـنـيةـ الـحـيـطةـ، وـقـدـ منـعـتـ قـرـيةـ (المـحـجـوبةـ) عـقـولـ قـاطـنـيهـاـ عـنـ كـافـةـ الـمـعـارـفـ الـحـيـاتـيةـ وـالـعـلـمـيـةـ. كـمـاـ أـنـ إـنـسـانـ هـذـهـ قـرـيةـ كـانـ الـأـقـبـ إـلـىـ إـيمـانـ بـالـخـرـافـةـ مـنـ الـحـقـيقـةـ، إـضـافـةـ إـلـىـ إـيمـانـ بـالـمـأـورـائـيـاتـ الـمـجـهـولةـ. وـبـسـهـمـ مـوـقـعـ قـرـيةـ (المـحـجـوبةـ)ـ فـيـ عـزـلـتـهـاـ، حـيـثـ تـوـجـدـ بـيـنـ خـمـسـةـ تـلـلـ تـحـيـطـ بـهـاـ مـنـ كـلـ الـاتـجـاهـاتـ، الـأـمـرـ الـذـيـ يـؤـكـدـ وـعـورـةـ طـرـيقـهـ وـصـعـوبـةـ الـوـصـولـ إـلـيـهـاـ، وـمـنـ يـخـرـجـ عـنـهـاـ لـنـ يـعـودـ إـلـيـهـاـ إـلـاـ إـذـاـ كـانـ عـوـدـاـ أـخـيـراـ لـأـخـرـوـجـ بـعـدـهـ، فـقـدـ جـاءـ فـيـ وـصـفـهـاـ قـوـلـ الـرـاوـيـ: "بـلـغـنـاـ قـرـيةـ تـامـ الثـامـنـةـ صـبـاحـاـ، رـكـنـاـ السـيـارـةـ فـيـ سـاحـةـ".

(١) لـسانـ الـعـربـ مـادـةـ (قـ روـ).

(٢) مقـايـيسـ الـلـغـةـ: 75/5.

(٣) مـفـهـومـ الـقـرـيةـ وـدـلـالـتـهـ فـيـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ: 3.

عند المدخل، ترجلت أتلفت في كل الاتجاهات متأملاً تللاً خمسة تطوق القرية كوحوش أسطورية ليس لها من شيء سوى حماية هذه المحجوبة النائية، وإخفائها عن الأنظار⁽¹⁾. هذه القرية أيقونة موغلة في التوحش، فهدوؤها القاتل يترك المجال مفتوحاً أمام إنسانها ليؤمن بالخرافة، وقد يسم بركرة السباحة فيها بالمسكونة، وهو اسم يتوااءم مع المخاوف التي تسكنه في هذه الأماكن الأشبه ما تكون بالملهمة، والمنكفة على ذاك كما يتضح ذلك في الصورة الآتية: "قررت أن ألقى بنفسي في إحدى تلك البرك التي كان لها أسماء كما هي للبشر، كان اسمها المسكونة، أما لماذا سميت هكذا فلأن أهل قريتنا يدعون أنها البركة المفضلة للجن، بل وأنها قلب مواههم. كنت وحيداً لا من أحد ينتشلي إن نهشني الخوف، وداهمي العجز، نزلتها بملابسي حتى إذا ما أدركتني الغرق شعرت بشيء ما يدفعني للأعلى، والطفو، أربعني ذلك الشيء أكثر مما كان سيرعني الغرق نفسه، فاندفعت مجدفاً بكل ما أوتيت من خوف مولياً الأدبار"⁽²⁾.

وتختلي أيقونة القرية بالأضحة وقبور الأولياء، ومقاماتهم المقدسة، ولقدرات معينة يتوجه الناس بقداسة شخص ما من الأموات فيها، وهي في الأغلب خرافات خادعة، يتحول فيها القبر إلى مزار يتقرّبون من خلاله إلى الله، ويتركون بدفن موتاهم إلى جانبه، كما يتضح في الصورة الآتية: "دفن الوالدان في ضريح الجد "الجنة" حيث مقام جده الولي على "أكمة الريح"، ودفن أخوه في مقبرة القرية جوار داره الحالية، كان يؤكّد باستمرار أن لعنة الظلام وراء تلك المأساة"⁽³⁾.

والتعليم في القرية ليس على ذلك الرقي الذي يسمح للإنسان بالخروج عن الإطار العام للجهل فيها، وقد "تظهر بضعة علوم يتاح للقلة بالتعرف عليها ويعتنى الكثير عنها، غير أن كل ذلك سيكون على يد معلم واحد لا عن طريق المدرسة كان قد حفظ القرآن، وتعلم أصول

(1) ظلال الجفر: 64.

(2) نفسه: 159.

(3) نفسه: 47.

القراءة والكتابة، وقسطاً لا يأس به من علوم الدين على يد أبيه في القرية⁽¹⁾. وقرية المحجوبة أيضاً أيقونة تصويرية لحياة الإنسان المعتمد على جهده الذاتي في الرعي والزراعة، وأحياناً يعتمد على مهارته في الدجل، والشعوذة لتذليل سبل العيش فيها، وهذه الموروثات الثقافية سمة لازمة للكثير من القرى النائية جداً في اليمن. إن عجز هذه الأيقونة عن مواكبة الحداثة العالمية، وما يحيطها من متغيرات زمنية فكرية وثقافية جعل منها بيئة طاردة للكثير من البشر، خاصة من كان لديه تطلع في الوصول إلى معارف أخرى مختلفة "لم يكن ثمة شيء يجبرني على مغادرة القرية، فأنا أعتمد في معيشتي على ما ورثه، ولم أكلف نفسي عناء البحث عن عمل لم يكن ذاك نقطة ضعف، بل إنني أعددت من نقاط القوة، إذ سيساعدني في عدم الخضوع لسيطرة أحد، إنما لم يكن لي من شيء أفعله هنا، فقررت مغادرتها ولو إلى الأبد"⁽²⁾.

2_المطلب الثاني: المدينة أيقونة تصويرية دالة:

وتحتفل أيقونة المدينة عن القرية، فهي إن تشابهت معها في كونها تجمع سكاني لعدد من البشر فإنها ستغايرها في النهضة والتقدم، ويمكن لهذا البحث أن ينطلق في قراءة هذه الأيقونة في الرواية من تعريف ابن خلدون للمدن حيث وصفها بقوله: "أمسار قمتك أبنية كبيرة وأجرام وهياكل عظيمة، وهي عامة حيث تحتاج إلى التعاون واجتماع الأيدي من أجل احتطاط المدن وتصييرها"⁽³⁾. والمدينة في (ظلال الجفر) أيقونة فنية، صورت أشكال التجمعات البشرية المتقدمة، وأساليبها العمرانية، والاقتصادية، وأيديولوجيتها المتغيرة. وتحظى أيقونة المدينة بحضور خافت في الرواية، إلا أنها النافذة الأكثر انفتاحاً على العالم، وهي ملاذ الإنسان المغادر لقريته، ووجهة الباحث عن المعرفة. وتذكر المدن في (ظلال الجفر) بصفاتها لا أسمائها، وهي مدن مؤثثة بمحتوياتها البشرية المكتظة،

(1) ظلال الجفر: 47.

(2) نفسه: 22.

(3) تحطيط المدن في العمارة الإسلامية _ فكر وفنون: 36.

وموجوداتها المادية المتشابكة. والمدينة أكثر حيوية من القرية، فهي مركز الاقتصاد، وتحتوي على البنك كما يشير إلى ذلك في قوله: "كان المساء قد خيم حين بلغنا إحدى المدن الصغيرة، ما كان بحوزتي من المال أودعته صاحبة شيختي لتصدق به، فكان لابد من المبيت حتى يفتح البنك أبوابه، فأنقد صاحبِي أجرة سيارته، وأدفع تكاليف المبيت، وأخذ مبلغاً على سبيل الاحتياط لغضيبة ما يطأ من احتياجات"^(١). هذا الموقف يؤكد الفجوة في المسافة النفسية، والفكريّة بين القرية والمدينة، ففي المدينة يضطر الإنسان إلى التعامل مع البنوك، في حين لا يزال في القرية غير محتاج لحمل النقود، بل إن نقهـة تتمثل في الموجودات الزراعية، والحيوانية في حالة ما إذا تمت المقارنة بين الوضعين الاقتصاديـين للمكان. وإذا كانت المدينة " المجتمعات سكانية كبيرة وغير متـجـانـسـة تعيش على قطعة أرض محدودة نسبيـاً"^(٢)، فإنـها المكان الأنـسب للهـجرـةـ. وهي ملاـذ منـاسبـ للـبحثـ عنـ الرـزـقـ، حيثـ "اضـطـرـ بـسـبـبـ الفـقـرـ إـلـىـ الـهـجـرـةـ، واجـتـياـزـ الـبـحـرـ لـلـبـحـثـ عـنـ عـمـلـ فيـ بـلـدـانـ شـرـقـ وـوـسـطـ أـفـرـيـقيـاـ، وـتـحـديـداـ أـثـيـوـبـياـ، وـكـينـياـ، وـتنـزـانـياـ"^(٣)، وجـمـيعـهاـ مـدـنـ تـكـظـ بالـبـشـرـ، وـتـمـتـىـ بالـحـيـاةـ منـ خـلـالـ الـعـلـاقـاتـ الـقـائـمـةـ بـيـنـهـمـ.

وـعـقـدـارـ التـفاـوتـ الـاـقـتـصـاديـ لـلـإـنـسـانـ فيـ المـدـنـ، وـماـ يـمـتـلكـهـ منـ مـالـ سـيـحـظـىـ بـالـخـدـمـاتـ الـتـيـ يـرـيدـهـاـ فـإـنـ كـانـ غـنـيـاـ سـيـأـخـذـ فـنـدـقـاـ نـظـيفـاـ، فيـ حـيـنـ إـنـ كـانـ لـاـ يـمـلـكـ المـالـ فـسـيـنـزـلـ فيـ فـنـادـقـ ذاتـ وـضـعـ رـدـيـءـ كـمـاـ يـصـورـ ذـلـكـ الـآـتـيـ: "عـدـنـاـ لـنـعـثـرـ عـلـىـ فـنـدـقـ صـغـيرـ، بـعـدـ مـسـيرـ سـاعـةـ عـنـ المـفـرـقـ مـعـ الطـرـيقـ الـعـامـ، قـبـلـنـاهـ مـضـطـرـينـ رـغـمـ رـداءـتـهـ عـشـاءـ خـفـيفـ، وـانـكـفـاءـ عـلـىـ سـرـيرـينـ مـتـعـفـفينـ"^(٤).

(١) تحطيط المدن في العمارة الإسلامية_ فكر وفنون: 18.

(٢) ظلال الجفر: 23.

(٣) نفسه: 48.

(٤) ظلال الجفر: 62.

وقد يوجد نزل شعبي أو ما يطلق عليه (لوكندة)، وفيها الكثير من العمال والمحاجين، فهي نزل عادي لا تبدو عليه مظاهر الأناقة والثراء لذلك كان قاطنه من البسطاء جداً، وتظهر الألفة بين نزلائه، وقد جاء في صورته "نزلت نزلاً شعبياً يقطنه العمال والمعوزون، (...)" كل من ينزل هكذا نزلاً يعدونه منهم، يزجون أوقاتهم في أحاديث فيها من المتعة والتلقائية مالا تحظى به عليه القوم، مزيج فيه كل شيء، شدّي كثيراً شخص خمسيني يعمل منجد كتب يرکن عادة إلى السرير المجاور لسريري (لابد من الإشارة هنا إلى أن النزل هنا كان عبارة عن حجرة واسعة مزدحمة بأسرة مرصوصة دون فواصل) ⁽¹⁾. وقد امتألاً المكان البسيط ذو المسافات المتقاربة بالألفة بين النازلين فيه على العكس من سابقه.

والمدينة أيضاً مركز للعلم والمعرفة، وتحتوي على الكثير من المكتبات النفيسة كما هو الحال في الصورة الآتية: "وها هي مدينة أحمد أباد، حيث واحدة من أكبر مكتبات المخطوطات والتي قد تصاهي مكتبة الفاتيكان، وداري المخطوطات في كل من مصر وتركيا، يقال إن مكتبة جامع أحمد أباد العملاقة هي من موروثات ساللة أمراء عرب من أصول يمنية تحديداً، ومن أتباع المذهب الإسماعيلي" ⁽²⁾، ويمكن للشخصية أن تجد فيها ما تبحث عنه من معارف خاصة فيما يتعلق بفكرة الطلال. وأحياناً تكون المدينة مذهلة، فـ(إسلام أباد) "بلد تلاقحت فيه الكثير من الثقافات، واللغات والأديان والرؤى، والأفكار، حتى تلك التي اندرت في بقية الأصقاع، مئات اللغات والقوميات والأجناس، الكثير من الأفراح والأتراح في هذه الهند المكتظة بالظلال، الإله هنا حاضر بكل صورة، يربو للجميع بود، فيتجلى ذلك الود مساجد وكنائس وبيعاً ومعابداً وبشراً وحجر أو كائنات، الهنودسي، والبوذى، والسيخي والوثني واليهودي

(1) طلال الجفر: 188.

(2) نفسه: 152.

والمسحي والمسلم، بل وحتى ذلك الذي ينكر كل شيء ولا يؤمن بشيء إنما الأرض والسماء بأجنبى وأشنع صورهما وأكثرها كثافة، إنما الشرق والغرب، الجنوب والشمال، خليط متجانس متناقض، يخلق تنوعاً ساحراً تترنح فيه رواح التوابل بعقب الزهور، وأذخنة البخور والعود. بلد مآل الوئام وإن أرهقته نiyوب مغالين ودماء أرباء^(١).

غير أن المدينة ستتشكل علاقتها مع الناس من خلال المنفعة، وتتنوع الخدمات، وفيها قد يجد الشخص طعامه وما عليه فقط إلا أن يحمل النقود معه "ألفيتني وسط المدينة أمام تجمع للمطاعم، يلسعني بعض الجوع إذ أشتمن ما ينبعث من رواح مع أنهم كانوا على وشك الإغلاق، ودونما اختيار مدروس، دخلت أحدها^(٢)، وفيها أيضاً سيجد العلاج الصحي المناسب الذي لا يمكن له أن يجده في غيرها، يقول الراوي وهو في الهند "استحال كل ذلك مرضًا أقعدني الفراش، زادت وطأته باطراد، نقلت إلى المستشفى بعدما لم تُجد مهاراتي في طب الأعشاب نفعاً^(٣)، وتوجد فيها المدرسة والجامعة، وهذا القطبان الرئيسيان في صناعة، وتوجيه الفكر البشري، غير أن التعليم تسوده جملة من المشكلات التي يمكن أن تحطم الحلم، والأمنية كما أشار إلى ذلك الراوي في قوله "زادت قدرتي على الاستيعاب بدرجة لم تكن أثناء دراستي في المدرسة، أو الجامعة طبعاً لم أخبركم أني مثل كثيرين – لم أدرس في الجامعة إلا مالم أرحب به، وهو ما فرضته درجتي المنخفضة في الثانوية العامة، لأجد نفسي هكذا ومن دون تفكير أدرس الفلسفة – ولأنها بعد عناء ومشقة – كيما اتفق"^(٤) والذي يبدو أن أيقونة المدينة قد توسيع في الرواية فتجاوزت اليمن إلى مدينة

(1) ظلال الجفر: 153

(2) نفسه: 220

(3) نفسه: 155

(4) ظلال الجفر: 220

إسلام أباد في الهند، واللاحظ وجود فارق كبير في المستوى الاقتصادي والتنظيمي بين المدينتين على الرغم من وجود رابط دقيق بينهما .

بـ المبحث الثاني: الأيقونة التصويرية المنزل والبيت

المنزل أيقونة مفتوحة يمكن لأي من البشر الوصول إليها، فهو ذو رحابة اجتماعية كبيرة لا خصوصية فيها، إنما أعراف واحترام متداول بين القائمين فيه، ويتوافق هذا المقصود مع المعنى الوارد له في معاجم اللغة، وقد ورد في لسان العرب، أن "المنزل والمنزلة، موضع النزول"⁽¹⁾، وهو في ذلك على العكس من البيت الذي ستكتمن فيه حياة الإنسان، وخصوصيته المعيشية التي ينبغي ألا يطلع عليها الآخرون، فكيف كانت صورة هذه الأيقونة في الرواية؟ وكيف تصورت أيقونة البيت فيها؟

1_ المنزل أيقونة تصويرية دالة:

و الحقيقة أن المنزل لا يكاد يفرغ من الناس خاصة في استحواده المناسبات المختلفة، فهو مكان واسع يجتمع فيه شخصوص كثثر من خارج الأسرة كالجيران _مثلاً_، ففي مناسبة من مناسبات العزاء ظهرت صورتهم وهم يحملون المريض إلى المشفى، وكان المنزل أيقونة كثيبة يخيم عليها الصمت، والخوف "صمت ثقيل خيم على منزلي، ذلك الصمت الذي ينذر بال العاصفة، كان طبيب من الجيران يساعده على المشي إلى سيارته، أزاحت الطبيب، وأمسكته، أجلسته على المقعد الخلفي للسيارة، وجلست جواره، طلب مني أن أضع يدي على صدره من الجهة اليسرى.." ⁽²⁾، وهو أيقونة تملئ ضجيجاً وعوياً، وقد ظهر مرة أخرى بوصفه حاوٍ لخلط من النسوة في أداء واجب العزاء "وَجَدَ الْمَنْزِلَ يُضْجِعُ بَعْوِيلَ النَّسْوَةِ، أَحْسَنَ بَخِيَّةً، لَمْ يَكُنْ هَذَا مَا يَأْمُلُ، لَابِدَ أَنْ أَحَدًا قَدْ مَاتَ" ⁽³⁾.

(1) لسان العرب: مادة (ن ز ل).

(2) طلال الجفر: 17.

(3) طلال الجفر: 32.

وقد يكون المنزل أيقونة عتيقة، مهجورة، خاصة في مكان بدائي كالقرية، ومن شأنه هنا أن يعمل على تكوين التهبيات لدى الناس، فيعتقدون بالجن فيه وفقاً لبدائية الفكر المسيطر عليهم، فقد جاء في سطور الرواية "توقفوا وسط القرية أمام منزل عتيق من طابقين يبدو مهجوراً، بعيداً عن منزل المتوفى، أشار إليه أن ينتظر خارج المنزل حتى يستدعيه، تقدم الرجل من الباب الخشبي العتيق، لينفتح من تلقاء نفسه، دهش (أ.ح) للأمر، لكنه ظنها كهيبات جائع"⁽¹⁾.

وقد يكون المنزل أيقونة تصويرية موصوفة، حيث يتكون من طابقين أو ثلاثة، وهذه سمة ملزمة للبناء اليمني القديم، وتتوزع طوابقه فيما يمكن أن يطلق عليه مكاتب عمل، ففي منزل شيخه، أو معلمه، كان الطابقان الأول والثاني لاستقبال الناس الراغبين في العلاج بالرقية عند الشيخ، وهي تتمم بحد طبقها بين الناس خاصة في بيئه بدائية يسيطر عليها الجهل، كما يتضح في الصورة الآتية: "كان منزله يكتظ طوال اليوم بالمرضى وطالبي قدراته المتنوعة، ما أتاح لي مخالطة أطياف مختلفة من البشر، والتعرف على الكثيرين وعلى الكثيرات، كان الكثير من الزبائن يسترضوني بالمديح والإطراء، والذي لم يعد بعد فترة بسيطة يؤثر علي، المال وحده بقي الوسيلة الأنجع لتسريع دخولهم، وعرض حالاتهم على الشيخ. الاسم الجامع الذي يعن للناس إطلاقه على الدجالين، والمشعوذين، والفقهاء، ورؤساء القبائل الذين يشتراك معظمهم في خداع الناس، واستغلالهم، وتضليلهم، وإن اختلفت الأساليب، والصور"⁽²⁾.

وتتسع هذه الأيقونة فتضم داخلها أيقونة أخرى هي البيت، ففي منزل الشيخ ذو الثلاثة طوابق كان بيته الذي لا يصل إليه أحد، والمغلق على زوجته فقط، وكان الطابق الثالث بيته خاصاً تعيش فيه زوجته، ولا يصل إليه أحد من الناس "رتبته في منزله العتيق ذي الأدوار الثلاثة،

(1) ظلال الجفر: 33

(2) نفسه: 36

والمنزوي في إحدى الضواحي العشوائية لمدينة ما، الطابقان الأول والثاني للعمل، والثالث للسكن".⁽¹⁾

أما منزل شيخ القرية فهو على طقوس مغايرة في ذلك، إنه أكثر أهمية من غيره كونه الواجهة السياسية والاجتماعية في القرية، ويحتوي على ديوان متخصص لنزل الضيوف كما جاء في الصورة الآتية: "انفتح الباب الخشبي الكبير، (...) قادنا بعد الاستفسار عن بغيتنا إلى الدور الثاني حيث يقع الديوان، كما تسمى غرفة استقبال الضيوف، واستأذن من صرفا لإخبار سيده".⁽²⁾

وهو أيقونة لا تختلف عن المنزل في مدينة أخرى كالهند، حيث يتسم بالهدوء الجارف، والسكنون المبالغ فيه، وهذه سمة الأماكن التي تعيش في عالم الماورائيات، وتحتل مساحة من تفكير العامة هي مساحة الغيبوبة، والمقصود بها خروج الناس عن العلم إلى دائرة الوهم والدجل والشعوذة. "بلغنا المنزل، كان كل شيء يشي بالخوف والحزن، ما الذي جرى ليتحول كل ما كان يتراقص جذلا إلى سكون جازم".⁽³⁾

والمنزل أيضا قد يكون مكاناً لممارسة الجريمة فقد تلتقي فيه عصابة ما بعيداً عن أعين الناس لتفق على سرقة مقصودة لتاريخ ومحظوظات الجامع الكبير "اتفق مع رئيس عصابة من معارفه على نهبها، استأجرروا منزلًا يطل على باحة الجامع، تم الإعداد لكل شيء".⁽⁴⁾ وفيه أيضاً يمكن أن يتلتقي الأشخاص الجرمون مع محظياتهم في علاقات غير شرعية، إضافة إلى تنفيذ جرائم عده في القتل لا يعلم عنها أحد "أخذاه إلى المنزل حيث يلتقيان ومحظياتهما، صودف أن كانت إحدى المحظيات في المنزل بناء على وعد أبرم معها الليلة السابقة، كانت قد انتظرت طويلاً حتى

(1) طلال الجفر: 28.

(2) نفسه: 65.

(3) نفسه: 36.

(4) نفسه: 221.

هاجمها النعاس فاستلقت غائبة في نوم عميق، وها هي تستيقظ على صرخ وعويل لتخرس
مكانها يملؤها الذعر".⁽¹⁾

2_ البيت أيقونة تصويرية دالة

البيت أيقونة أكثر ضيقاً، وخصوصية من المنزل، وفيه يكون المبيت بعيداً عن تدخلات الآخرين من لا يرتبطون مع قاطنيه بعلاقة دم أو غيرها، ولا يمكن لأحد من خارج المكان الوصول إليه دون إذن من قاطنيه، أما إن وصل غريب إليه فإنه يكون قد وصل إلى مرتبة عالية في القرب بينه وبين شخص هذا البيت فلا يعد غريباً عن أهله. فالفعل بات جاء للدلالة على المبيت والإقامة، وقد ورد في الذكر الحكيم قوله تعالى "ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة"⁽²⁾، وقد أطلقه نوح عليه السلام على سفيته فقد جاء في قوله تعالى: "رب اغفر لي ولوالدي وملن دخل بيتي مؤمناً"⁽³⁾، وقد يطلق على القبر في إشارة إلى أنه أيقونة خاصة جداً، حيث جاء في حديث أبي ذر: "فكيف نصنع إذا مات الناس حتى يكون البيت بالوصيف"⁽⁴⁾ ويريد بالوصيف هنا القبر.

وقد يظهر البيت مقبراً لا حياة فيه، فهو كالبيوت المهجورة منذ أزمنة طويلة، وهو مظلم بشدة حتى في أوج النهار، ويكون من أكثر من طابق، وسلام وغرف كما يصور ذلك الآتي: "سيذهب إليه وليتراك هذا العجوز الخرف، وهذا البيت المفتر، الذي يبدو مهجوراً منذ زمن طويل، وبهذا يكون قد حظي بجزء من أجرته على الأقل، مشى خطوتين... ثلاثاً، قبل أن يتوقف على صوت يناديء من إحدى نوافذ الطابق الثاني، شعر بشيء ما يشده للاستجابة للنداء، كان الظلام كثيفاً داخل المنزل، مع أن النهار كان في أوج شمسه. تحسس طريقه بصعوبة، مسترشداً

(1) ظلال الجفر: 221

(2) النور: 29

(3) نوح: 28

(4) لسان العرب: مادة (ب ي ت).

بعهمهات غامضة قادمة من الطابق العلوي، كانت كأن حشدا من الناس يتحادثون بأصوات خافية⁽¹⁾.

ولعل البيت يكون جزءا من المنزل الكبير في مكان واحد، فحين كان الدوران الأول، والثاني في المنزل مكانا لممارسة العمل، واحتواء الناس من كل مكان كان الدور الثالث خاصا بسكن الرجل مع زوجته، الأمر الذي منع التلميذ من دخوله لاحتوائه على خصوصيات شيخه، وظل واقفا على الباب ينتظر ليفعل ما يؤمر به إذ لا يمكن له الدخول إلا إن أمر بذلك أو أذن له "حملناه صاعدين به إلى الدور الثالث، وهناك تركاني أمام الباب، ترددت قليلا في طرق الباب، كنت أعرف حساسيته المفرطة تجاه زوجته، لكنني كنت قريبه الوحيد في تلك الأثناء، كما أن حالته كانت تستلزم تفكيرا على غير ذلك النحو، فأنا لا أعمل بذلك سوى ما يتوجب عمله. اضطربت قليلا إذ فتحت الباب، لم يند عنها أي اضطراب، ولا حتى المتوقع من زوجها"⁽²⁾. وفي البيت توجد السكينة، والطمأنينة، وحين يقترب الأشخاص من القلب يسمح لهم بالعيش في البيت دون حرج كما توضح الصورة الآتية: "وبعد أقل من ساعة وبطريقة ما، ربما بما أظنه لديه من نفوذ كبير، أخرجني من المستشفى، ليس إلى المنزل، بل إلى بيته"⁽³⁾.

ج_ المبحث الثالث: أيقونة الغرفة والمُعْتَزل التصویریة

1_ الغرفة أيقونة تصویریة دالة:

تردد خصوصية الإنسان في غرفته، فهو يختلي فيها بنفسه حتى عن أهل بيته، وهي حيز من المكان تتفاوت الأغراض والفوائد من وجوده، وقد استخدم القرآن الكريم هذه الأيقونة بإفرادها

(1) طلال الجفر: .34

(2) نفسه: .38

(3) نفسه: .38

وجمعها للدلالة على المكانة العالية والجزاء الوافر قال تعالى: "أولئك يجرون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما" (سورة الفرقان 75).

وقد احتفى المكان في (ظلال الجفر) بالغرفة احتفاء قويا، كيف لا وجوه الرواية ينطلق من الخاص جدا إلى العام، وتتصور الغرفة على أنها مكان للسكن، والمبيت المؤقت، وغير الدائم، يتضح ذلك من قوله: "خصص لي شيخي إحدى غرف الطابق الثاني، في الأيام الخمسة الأولى، اقتصر عملي على مراقبته"⁽¹⁾، وفي الوقت نفسه تكون الغرفة مكان إقامة دائم وخاصة لكل فرد من أفراد الأسرة كالزوجة، وفي هذه الحالة ستتأثر بالسرير، وسيشاركتها الزوج فيها "جلت بنظري في أرجاء الغرفة، رأيتها تحوم في السقف، بدأ الجسد المسجى على السرير يرتعش بقوه، وقسمات وجهه تتقلص في الغياب"⁽²⁾. وتحتوي الغرفة على بعض الأشياء المهمة في حياة قاطنها كالمكتبة الخاصة _مثلا_ وفيها مجموعة من الكتب، والعلوم المحتكرة التي لا يمكن لأحد أن يصل إليها سوى أشخاص معينين، ومقصودين لذاهم "عدنا مع الزوج إلى منزله لأجد ذلك الصبي القنفدي وقد هيأ لي مكاناً منفرداً ليس سوى فراش رتب بعناية وسط تلك الغرفة المكتبة، هل كنت لأنام وبين يدي هذان اللذان لم ييارحا ذراعي معانقا إياهما، كما لو كنت طفلاً حصل على هدية لم يكن يتوقعها، وهذا هو يتثبت بها خوف أن يسلبها أحد منه"⁽³⁾.

وللغرفة مستلزمات ومرافق خاصة، فكل غرفة لها حمام خاص يعزّلها عن الغرف الأخرى، وتقع مقصورة في أعلى الدار ليصل قاطنها إلى خصوصية الخلوة " صعد بي إلى غرفة منفردة مع حمام أعلى الدار، قال إنه يستخدمها مكتباً ومكتبة، طلبت منه بنيرة آمرة خرجت دون إرادة مني، عدم

(1) ظلال الجفر: 36.

(2) نفسه: 23.

(3) نفسه: 96.

السماح لأي كان يزعاجي، وأيا كانت الأسباب، حتى أخرج من تلقاء نفسي⁽¹⁾. وأحياناً تظهر الغرفة هشة، فهي متغنية في القدم حتى أنها أصبحت سريعة الهدم فتنهار أرضيتها ليموت جميع من فيها "مضى الأب لإنقاذ البقية إلا أن أرضية الغرفة انهارت لتبتلعهم جميعاً"⁽²⁾.

وقد تأتي الغرفة موصوفة، فهي بلا ضوء سوى نافذة واحدة، كما أنها تملئ بالرفوف والكتب، إضافة إلى مفروشاتها من سجاجيد حمراء مطرزة، وسوداء، وهي ألوان ذات دلالة نفسية عاملة في ذكر الغرفة، حيث تضفي حالة من القلق والتوتر على قاطنها "وها هي الغرفة تتبدى أمامي، كأني حين دخلتها لم أكن أنا، أو كأنها لم تكن هذه التي أراها الآن، كانت بلا نوافذ عدا واحدة في الجهة الجنوبية إلى يسار المكتب، بينما تحيط بباقي جوانبها رفوف خشبية رص عليها المئات من الكتب، يا لهذا الكتز الدفين، في هذا المنزل الدفين، في هذه القرية الدفينة! سجاجيد حمراء مطرزة الحواف بخيوط سوداء ثخينة تعطي للغرفة منظراً مهيباً ومفزعاً في آن، خصوصاً مع تلك الإضاءة الخافتة التي تغمرها حتى في مثل هذا الوقت"⁽³⁾.

وكلما صغر حجم الغرفة زادت خصوصيتها، ففي الغرفة الصغيرة سيكون الاختلاء الذي سيتم فيه تبادل الأسرار، ويتم فيه أيضاً التحرش الجنسي الذي لا يمكن له أن يكون في غيرها "قادتني إلى غرفة صغيرة، مشيرة لزوجها وصاحبي بالانتظار في غرفة الاستقبال ريثما ننهي حديثنا. أحسست بالخوف حين جال بخاطري أنا سنكون وحدينا، سأركز كل قدراتي وحواسي على تجاهلهما، على الأقل تحيد مشاعري عازماً على عدم الخضوع لجمالتها المدهش. (...) جلسنا متقابلين كما كنا قبل العشاء في غرفة الاستقبال صحيح أني كنت قد انتهيت من فك الشيفرة، إلا أني لم أكن أدرى إلى أي شيء انتهيت (...) بابتسمة ساحرة نهضت إلى جواري كأنما تود مكافأتي على ما التزمت

(1) طلال الجفر: 71

(2) نفسه: 47

(3) نفسه: 71

من صمت، حرارة جسدها المتقد تلسعني، رغبة كاسحة تصاعدت حتى رأسي، (...) أحسستني مستسلماً، طويتها بين ذراعي، أدنى فمي من فهمها، وإذا بالباب يقع فجأة، انتفضنا جسدين قبل أن تدب واقفة باززعاج لتفتح⁽¹⁾.

كما أن غرفة النوم تظهر شاحبة السرير والجدران لا رغبة فيها، وفي ذلك تلميح إلى ضعف العلاقات الزوجية بين الأزواج وربما ضعف الرغبة الذي سيؤدي إلى هشاشة العلاقة الأسرية، فتبشق عن ذلك مشكلات أخرى هي في صميمها أدوار حقيقة تحكم في صناعة الحدث في الرواية، فـ"غرفة نومها توحى بانقطاع اللذة عنها منذ أمد طويل، كل شيء يسكنه الشحوب، سريرها مختار بعناية، وهي مسجاة عليه، يبدو معشياً عليه مثلها، بل وشاحباً أيضاً حتى الجدران كانت كذلك"⁽²⁾.

ولقد تختص الغرفة بشخص واحد فقط، ولا يمكن للقارئ الوصول إلى محتواها، أو وصفها حتى يأذن له القائمون عليها، وكذلك هي غرفة الحد، فهي "غرفة مغلقة منذ فترة طويلة فالأنزية تعطيها وكل محتواها، بيوت العنكبوت تتناثر هنا وهناك، ولا شيء أوحى لي بالرهبة أكثر من تلك الصورة"⁽³⁾.

ولربما كان هذا الإهمال متعمداً لصرف الناس عنها، وهي غرفة تحكر الموروث الفكري، والعلمي الخاص بالجد، حيث لا يمكن أن يخرج إلا لأشخاص مقصودين بذاхم، ولعل الصورة الآتية تبين صفة هذه الغرفة، وخصوصيتها فـ" هي غرفة جداً إذا، هكذا أوحى لي رهبة المكان، لا أدرى إن كان شيئاً قد حكى لي عنها أم لا، لكنني شعرت كأنني أعرفها تماماً، كانت واسعة نوعاً ما، غير أن ذلك الاكتظاظ الذي تعيشه أبداهها صغيرة ضيقة، الكثير من الكتب وأشياء أخرى

(1) ظلال الجفر: 89.

(2) نفسه: 108.

(3) نفسه: 92.

غريبة، أقماع وأنابيب زجاجية متعددة الأشكال والأحجام متصلة بعضها بعض، وغير متصلة تشبه تلك المستخدمة في المعامل الكيميائية والفيزيائية. ستقول لي بتلك الل肯ة التي كانت لها وهي تقرأ المتن، والتي مازال صداتها يرتعج بداخلني إلى الآن إنه كان يستخدمها في إجراء بعض تجارب في تحنيط الحيوانات، وتحضير الأعشاب، اشتهر وذاع صيته بها وبكثير من الأمور الأخرى الخاصة به، كما ستشير مزهوة إلى عدة دوائر فلكلية، وخرائط جلدية، ييدو عليها القدم معلقة على الجدران، وإلى عدد من رؤوس محنطة لحيوانات مفترسة، وإلى بعض قطع خشبية، ومعدنية عتيقة كان على ما ييدو يهوى اقتناها. ها هنا عيناي تحولان كل ذاك لتسقرا أخيرا على صورة كبيرة تتتصدر الغرفة، تتوسط جدارا خشبيا زخرفة النحت، أسفل منها مكتبة خشبية تضم كمية لا بأس بها من كتب متنوعة تتعلق بعلوم وفنون شتى من فلك وحيل وتنجيم وسحر وشعوذة وعطارة وبصريات وكيمياء وميكنة، بل وحتى علم نفس، واجتماع وفلسفة وإيحاءات وإشارات وحروف وتصور وأديان... الغريب أن كان ثمة أيضا بعض كتب رياضية وهندسية بحثة، لا أدرى أهميتها لشخص مثل معلمي⁽¹⁾.

وقد تدفع هذه الصورة إلى التساؤل عن جدوى هذا المعمل الفيزيائي الكيميائي في مثل هذا المكان، فهل كان يبحث عن إكسير الحياة مثلا؟ وهل ستقود إليه الظلال ؟ ! أم أنه كان يبحث في التحنيط وتجاربه محاولا تخليد الطين، أما الروح فهو لم يصل إلى تخليدها أو سرها بعد، ولعل الموت أدركه قبل أن يصل إلى المعنى لذلك سيورث عمله هذا لتلميذه. وفي وجود الخرائط المعلقة في الجدران إشارة إلى الواقع، والبلدان التي سينشر معتقداته من خلالها إلى أماكن أخرى في العالم يعرفها جيدا.

(1) ظلال الجفر: 91

وقد تتحول الغرفة إلى مدى منبسط، واسع، ومفتوح، وهو مكان مفتوح لا حدود له، يتجاوز سقف الغرفة، وجدرانها، تجاوزا تخيليا، يتتطور فيه الحدث، وتتعدد فيه أفعال الشخصية كما يظهر في الصورة الآتية: " خفق ضوء في سماء الغرفة، لم تعد غرفة بل صارت مدى فسيحا من ليل، بل هي ذاتها وأنت أنت، وهذا الكرسي وهذه الطاولة، فلا تستسلم لهذا الإغواء، وبينما غرفت في تساؤلاتها تلك إذا بخنق آخر يضيء لي كل ذلك المدى الفسيح لأقف منهولاً كأنما أستعد لصعق شديد سينزل بي الآن، كان ما توقعته، فرأيتها بعدها جسدا معتما يهوي في دوامة ظلال لا يخرج منها. يلفني من الظلام ما يلفني. نقطة ضوء تخفق في الأعمق وأوغل في اتجاهها. إنه هو ينظر إلي وقد أصبحنا قريين جدا بعضا من بعض لكنه يتلبسي! أو لعلي أتلبسه، العتمة ذاتها، والدوامة صارت مدى منبسطا، وأنا فيه ذاك الجسد، جسد فحسب، وإنما مضاء. المدى المنبسط يتتحول فجأة إلى تلك الغرفة الشحيحة التي كما أخبرت كان معتزلاً أواخر حياته فيها، أراني واقفا على عتبتها، ذلك الممسوس يبدأ أدعيته، (...). المدى المنبسط ذاته أذرعه بخطى منتشرة إلى حيث لا أدرى. (...). لا أدرى كم من الوقت مضى، وأنا على تلك الحال.." ⁽¹⁾.

2 _ أيقونة المعتزل وتصوريتها الدالة:

والمعزل اسم مكان من الفعل عزل، وهو مقصد ينحو إلى التنجي، والابتعاد عن كل نشاط حياتي مشترك، ويؤكد ذلك ما جاء على لسان نوح - عليه السلام - في نداء ابنه: ﴿وَنَادَى نُوحُ أَبْنَهُ، وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنُى أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ هود: ٤٢ ويشير بذلك إلى خلو المعتزل وخصوصيته من كل الوجود المغاير للشخص. وفي رواية (ظلال الجفر) تتحول الغرفة إلى معتزل، فتصبح أيقونة شديد الخصوصية، تمارس فيها الشخصية طقوسا اعتكافية إلا أنها مع الظلال لا مع الله، وفي المعتزل يمنع كل ما يمكن له أن يشتت الفكر من الزاد، أو الناس، فتقيم

(1) ظلال الجفر: 224, 225

الشخصية صلاًها الروحية مع النهج الذي اختارته لذاتها، لذلك ليس من الغريب أن يكون بعيداً عن أماكن الضجيج كما يظهر في الصورة الآتية: "عاد من تشرده الطويل يا بني منهكاً موهناً ساكناً، كان على رأسه الطير، مكث شهرين يسترد عافيته، ويعوضنا عن ذلك الكثير والكثير الذي حرمناه، ليشرع في بناء مبني صغير في الفناء الخلفي، محولاً إياه إلى معزّل يدون فيه كل ذاك الذي مر به، أو الكتاب الأخير للظل كما كان يقول"⁽¹⁾.

وهو أيقونة هادئة إلى الحد الذي يمكن أن تتم فيه جريمة قتل دون أن يشعر بها أحد "في الصباح الباكر التمس معزّله قائلاً إنه سيلقي عليه النظرة الأخيرة، قبل أن يودعه ويتحرر من كل ما كان له من حياة، ويعود بعدها إلينا، تأخر كثيراً، ذهبت لتفقده، مقتولاً شر قتلة كان"⁽²⁾.

وقد يأتي المعزّل موصوفاً، فهو عبارة عن غرفتين وحمام، إحدى الغرفتين لاستقبال الزوار، في حين تكون الثانية خاصة وكلاهما لا شبّاك فيه أو نافذة لدخول الضوء الأمر الذي سيحكم سيطرة الظل عليه "ها نحن نخترق كل ذلك الغموض، أصدااء خطانا، أصوات باب منذ دهر لم تفتح، ضوء المصباحين، وهوام الغبار المحتفية به، كل ذلك زاد من رهبة المكان، غرفة ليس فيها ما يستحق الذكر سوى أنه حسب قوله كان يستقبل فيها زواره القليلين، سجادة كبيرة لم تُأْتِين لونها، تتتوسط أرضية الغرفة، محاطة بثلاث أخرىات أصغر منها، وبعض وسائل ومتاكيٍ ومخذات من تلك المستخدمة في جلسات القات، غرفة أخرى لاشك أنها غرفته الخاصة، فالمعزّل عبارة عن غرفتين وحمام، ولا شيء آخر، وجدتها أكثر اتساعاً، ومكتظة بأدوات معملية وكتب وأشياء لا سبيل لحصرها، كانت ستكون غرفة عادية لشخص في مثل غرابة الرجل، لو لا أنها مصممة بلا

(1) طلال الجفر: 219.

(2) نفسه: 219.

شبابيك، الهواء نقيل كأن أنفاسه ماتزال حاضرة، ستشير إلى طاولة وكرسي صغيرين أسفل الغرفة قائلة إنه كان ينكب لساعات وساعات عليهما"⁽¹⁾.

وأخيراً.. فإن هذا البحث قد خلص من دراسة التصويرية المكانية في رواية (ظلال الجفر)

إلى جملة من النتائج يمكن إيجازها في الآتي:

1. احترز البحث بمفهوم الصورة السردية من المفهوم البلاغي التقليدي للصورة، وقد تجلت الصورة بمفهومها الموسع في رواية (ظلال الجفر) من خلال عنصر المكان، محيلة بذلك إلى قناعات جديدة تخالف المألوف التقليدي إلى غير التقليدي. وقد اختلفت الصورة السردية في المكان في رواية (ظلال الجفر)، عن الصورة البلاغية التقليدية، وتمثلت تجلياتها في كونها جملة من الإجراءات اللغوية، والوسائل الفنية، والغايات، إضافة إلى كونها نسق من البلاغة التثريبة، والأنساق المتبادلة بين المبدع والناقد.
2. المكان عنصر تكويبي ملزم في الصورة السردية في رواية (ظلال الجفر)، وقد اختلفت صوره ما بين مكان قديم غارق في الريفية وآخر حديث يتوجل في المدينة، وقد يكون صورة لخصوصية الإنسان في البيت، وأحياناً أخرى يكون عاماً مشتركاً كما في المنزل، وقد يضيق فيصبح غرفة، كما أنه يصبح أكثر خصوصية وقدسية فيصبح معتلاً.
3. القرية صورة للمكان المنعزل في رواية (ظلال الجفر)، فهي مكان بعيد عن كل شيء وتكبر فيها الخرافات، ويكثر الدجل، أما المدينة فهي على الضد من ذلك، فهي المكان المنفتح على مختلف أنواع العلوم، والمعارف، وهي مستويات عدة بين أن تكون مدينة بسيطة صغيرة، وأخرى أكثر تطوراً وحداثة.
4. البيت كان صورة للحياة المتقاربة بين أفراده، أما المنزل فقد كان يشاركه الناس مع أهله.

(1) ظلال الجفر: 224، 225

5. كلما ازداد المکان ضيقا ازدادت خصوصيته، فالغرفة خاصة بالفرد، وقد تتحول إلى مدى منبسط

مفتوح، أما المعتزل فهو مکان ينغلق الإنسان فيه على ذاته انغلاقا تاما.

ويوصي البحث بإعادة النظر في مفهوم الصورة السردية، ودراسته بما يتواهم وخصوصية الجنس المتداول، كما يوصي بضرورة الالتفات إلى صورة المکان ودوره في إحاطة المعمار الروائي للصورة في الرواية، إضافة إلى المغايرة النقدية في دراسة عنصر المکان، وتسلیط الضوء بجدية على الروایة اليمینیة.

كما تقترح الباحثة تنبیه الباحثین إلى دراسة الصورة المکانیة في الروایة الیمنیة انطلاقا من المفهوم الموسع للصورة السردية.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

ابن فارس. أبو الحسين أحمد. مقاييس اللغة. تج: عبد السلام هارون. دار الفكر. 1979م.
أنقار، محمد، بناء الصورة في الرواية الاستعمارية: صورة المغرب في الرواية الإسبانية، مكتبة الإدريسي،
تطوان، المغرب، ط 1994م، 1994م.

أولمان، ستيفن، الصورة في الرواية الفرنسية، تر: رضوان العبادي، ومحمد مشبال، رؤيا للنشر والتوزيع،
القاهرة، ط 1، 2016م.

بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 2009م.
جييمس، هنري، نظرية الرواية في الأدب الانجليزي الحديث مع باحثين، تر: أنجيل بطرس سمعان، الهيئة
العامة المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، (د، ط)، 1971م.

حاج، سمير فوزي، مارايا جبرا، إبراهيم جبرا وفن الروائي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،
لبنان، ط 1، 2005م.

دماج، وليد، ظلال الجفر، مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر، القاهرة، ط 1، 2015م.

شوفي، عبد المنعم مجتمع المدينة (الاجتماع الحضري)، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1981، 2.

محمد، عمرو إسماعيل. تحطيط المدن في العمارة الإسلامية _ فكر وفنون_. وكالة الصحافة العربية ناشرون، مصر، ط 1، 2019.

العمري، محمد، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، (د، ط) 2005.

القاديلي عزيز، الصورة الإنسان والرواية عبد الرحمن المنيف أو شرق المتوسط مرة أخرى، لندن إي كتب (د، ط)، 2018.

لوبوك، بيرسي، صنعة الرواية، تر: عبد الستار جواد، دار الرشيد، سلسلة الكتب المترجمة. 1981م.
لوغان، يوري، بنية النص الفني، التكوين للطباعة والنشر والترجمة، سوريا، ط 1، 2019.

هلسا، غالب، المكان في الرواية العربية، دار ابن هانئ، دمشق، (د، ط) 1989.

الوريعالي، مصطفى، الصورة الروائية، مكتبة دار الأمان. الرباط، المغرب، ط 2012، 1م،
وغليسي، يوسف، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر، الجزائر، ط 2009، 1م.

الكولي، أميرة، الصورة السردية في الرواية اليمنية من (1990_2017)، أطروحة دكتوراه، كلية اللغات، جامعة صنعاء، 2022.

الدوريات والمجلاط:

زيود. حازم حسني. مفهوم القرية ودلائلها في القرآن الكريم: دراسة موضوعية، مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث: مجل 2، ع 2016.

تقييم أبعاد الأمن التربوي لدى طلبة كلية التربية والعلوم بجامعة إقليم سبا

د. بدر الدين حسين لطف الله البكولي^(*)

ملخص:

سعى البحث إلى تقييم أبعاد الأمن التربوي لدى طلبة كلية التربية والعلوم بجامعة إقليم سبا، واعتمد على المنهج الوصفي، واستخدم أداة للبحث استبيان مكونة من (32) فقرة موزعة بالتساوي على محورين: درجةوعي الطلبة لأبعاد الأمن التربوي، ودرجة ممارستهم لها، وطبقت على عينة عشوائية طبقية بلغ حجمها (170) طالباً وطالبة، وتوصل البحث إلى أن وعي الطلبة لأبعاد الأمن التربوي جاء بدرجة عالية، ومتوسط حسابي (2.49)، حيث جاء البعد الديني في المرتبة الأولى، والبعد السياسي في المرتبة الثانية، والبعد الاجتماعي في المرتبة الثالثة، والبعد الثقافي في المرتبة الرابعة، كما أن ممارسة الطلبة لأبعاد الأمن التربوي جاء بدرجة عالية، ومتوسط حسابي (2.53)، حيث جاء البعد الديني في المرتبة الأولى، والبعد السياسي في المرتبة الثانية، والبعد الاجتماعي في المرتبة الثالثة، والبعد الثقافي في المرتبة الرابعة، ووجود فروق دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.05) بين متسط الاستجابات حسب متغير الجنس، والفروق جاءت لصالح الإناث، في حين لا توجد فروق دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.05) حسب متغير التخصص، والمستوى الدراسي، وفي ضوء هذه النتائج قدم البحث مجموعة من التوصيات والمقترحات التي من شأنها أن تُسهم في تنمية أبعاد الأمن التربوي لدى الطلبة.

الكلمات المفتاحية: تقييم - أبعاد - الأمن التربوي.

(*) أستاذ أصول التربية المساعد بكلية التربية والعلوم جامعة إقليم سبا

Assessing the Dimensions of Educational Security among Students of the Faculty of Education and Science at University of Saba Region

Dr. Badr Al-Deen Hussein Lotf Allah Al-Bakooli

Abstract

The research sought to assess the dimensions of educational security among students at the University of Saba Region. It adopted the descriptive approach, and as its research tool, used a questionnaire consisting of (32) items distributed evenly on two main focal points: the degree of the students' awareness of educational security and the degree of their practice of those dimensions. The study was conducted on a stratified random sample of (170) male and female students. The research found that the degree of students' awareness of educational security was high, with a mean of (2.49). The religious dimension came in the first place, the political dimension came in second place, the social dimension came in third place, and the cultural dimension came fourth. Further, the degree of practice by the students of the dimensions of educational security was high, with a mean of (2.53), where the religious dimension ranked first, followed by the political dimension as second, then thirdly came social dimension and finally, the cultural dimension in the fourth place. It has been also found that there are statistically significant differences at the level of significance (0.05) between the mean of responses according to gender variable in favor of females. While there are no statistically significant differences at the level of significance (0.05) as per the specialization variable and the academic level. In the light of these results, the research provided a set of recommendations and suggestions that would contribute to the development of the dimensions of educational security among students.

Keywords: Assessing; Dimensions; Educational security

مقدمة:

تسعى الجامعة إلى بناء شخصية الطلبة، وتنمية مهاراتهم، وإطلاق إمكاناتهم، ونشر المعرفة وتطويرها وتوظيفها في مواجهة تحديات المجتمع وحل مشكلاته، وإن ترجمة غايياتها وأهدافها يحتاج إلى بيئة آمنة، ومناخ تعليمي واجتماعي يشجع على تعليم وتنقيف الطلبة كونهم أدوات التغيير ونخضة المجتمع في المستقبل.

وتعود الجامعة جزءاً لا يتجزأ من مؤسسات المجتمع، ولا يمكن عزلها عنه، حيث تتأثر بما يحدث في المجتمع من ظواهر سلبية كالعنف والإرهاب، والاضطرابات الأمنية، وهي في ظل هذا الواقع تمثل إحدى المؤسسات التعليمية المعنية بتنمية الأمن التربوي لدى الطلبة انطلاقاً من التسليم بأن الجامعات لا يقتصر دورها على تعليم المعرفة والمهارات العلمية والمهنية، وإنما يشمل العمل على تربية وتعليم الطلبة بكل ما يساعدهم على بناء شخصياتهم المتكاملة والمترنة، ويعينهم على تحمل أعباء الحياة.

والأمن التربوي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمؤسسات التربوية والتعليمية؛ ولهذا لجأ المجتمع إليها لتحمي أبناءه من الانحراف والفساد، وتحمي لهم جواً مشبعاً بالحب والاحترام، كما "يُنظر إليها كمؤسسات تربوية وتعليمية قادرة على الإصلاح، والتوجيه، والبناء من خلال ما تبث في نفوس الطلبة من قيم، وما تنشر بينهم من معارف تكسبهم المرونة والانفتاح الشفافي، والاستعداد لقبول الأفكار والتصورات التي لا تتعارض مع الثوابت الدينية والوطنية" (سالم، 2006، 7).

وتقع كليات التربية في الجامعات اليمنية ضمن المؤسسات المجتمعية المنوط بها تحقيق الأمن التربوي، وذلك لدورها الاستراتيجي القائم على إعداد المواطن الصالح، والعناية بعقله بتحصينه من الغلو والتطرف، وتحذيب سلوكه بحمايته من الانحراف والشذوذ الأخلاقي، وذلك من خلال وضع الخطط المدروسة، والبرامج الرامية لتنمية الأمن التربوي لدى الطلبة عن طريق أعضاء هيئة التدريس، والمقررات الدراسية، والأنشطة الجامعية.

ويظهر إسهام التعليم الجامعي في الجمهورية اليمنية في تحقيق الأمن التربوي لدى الطلبة من خلال أهدافه التي قصّدت بناء جميع جوانب شخصية الطلبة بصورة متكاملة خصوصاً في مجال الأمن التربوي، وهذا ما أكدّه الهدف العام الأول من أهداف التعليم الجامعي في اليمن والذي نصّ على: "تعزيز العقيدة الإسلامية، وتأكيد الهوية الوطنية، وتنمية القيم الروحية والأخلاقية والإنسانية" (القانون رقم (13) لسنة 2010م بشأن التعليم العالي، المادة رقم (5)).

"ويأتي الأمن التربوي كأحد أهم أنواع الأمن الشامل، ومن الأعمدة المحورية الحقيقة للأمن القومي، فهو مطلب إنساني، وضرورة تربوية ملحة بفعل ما أفرزته نداءات العولمة من تبادل الثقافات وحوار الحضارات والأمن والسلام العالميين، ودعوات الانفتاح والاندماج الثقافي، مما جعل المجتمعات العربية في أشد الحاجة إلى تأمين ذاتها وثوابتها وهويتها في مواجهة تلك المستجدات". (يونس، 2019، .(246)

ويدل على أهمية تنمية الأمن التربوي ما توصلت إليه نتائج دراسة حسيني (2013) بأن هناك أهمية مرتفعة لدور كليات التربية في تحقيق الأمن التربوي للطلبة، كما كشفت دراسة راهي، وأخرين (2015)، وآل زاهر (2019) بأن المؤسسات التربوية والتعليمية تقوم بدرجة عالية في تحقيق الأمن التربوي للطلبة، في حين أكدت دراسة بارشيد (2016) على التنوع في استخدام الأساليب التربوية وإقامة الأنشطة التي تعزز الأمن التربوي، ودعت دراسة (Call, 2004) لإيجاد آلية تكاملية بين مؤسسات التعليم الجامعي من أجل رفع مستوى الأمن التربوي لدى الطلبة.

بناء على ما سبق، فإن موضوع الأمن التربوي، وتنمية أبعاده لدى الطلبة يُعد من الأمور المهمة التي تقع على عاتق الجامعات اليمنية خاصة في ظل التنوع الثقافي الذي يتعرض لها الطلبة في العصر الراهن، وميلهم للتخلص من السلطة للتعبير المطلق عن الذات، وبالتالي تعاضدت الحيثيات لإجراء

هذا البحث الذي من المتوقع أن تستفيد من نتائجه وتوصياته جميع الجامعات اليمنية وفي مقدمتها جامعة إقليم سباء.

مشكلة البحث:

يواجه طلبة الجامعات اليمنية العديد من التحديات التي تؤثر على أفكارهم وتوجهاتهم، وواقع الحال تجاه ذلك يقتضي ضرورة الاهتمام بتعزيز الأمن التربوي لديهم، وهذا ما بدأ بالفعل في بعض الجامعات اليمنية، حيث شهدت اهتماماً بإقامة بعض الأنشطة والبرامج التي تعزز الأمن التربوي لدى الطلبة.

ومما يؤكد ضرورة دراسة مشكلة هذا البحث ما توصلت إليه نتائج دراسة رشوان (2011) بأن هناك ضرورات تربوية واجتماعية وسياسية دعت إلى تحقيق الأمن التربوي للطلبة، أما دراسة أدنوف (2011) فكشفت نتائجها بأن ممارسة أبعاد الأمن التربوي جاءت بنسبة متدنية، وأفادت دراسة (Elda & Mary, 2014) بأن الممارسات التدريسية لم تتوافق مع متطلبات تحقيق الأمن التربوي للطلبة، وأكدت دراسة الخلوف (2017) على ضرورة دراسة حالات الطلبة لتحقيق الأمن التربوي لديهم، كما أظهرت نتائج دراسة يونس (2019) بأن توفر متطلبات تحقيق الأمن التربوي للطلبة جاءت بدرجة متوسطة، وفي المقابل توصلت دراسة المعigel (1440هـ) بالموافقة بدرجة عالية على متطلبات تحقيق الأمن التربوي للطلبة، ورصدت دراسة (البكولي، 2018) جملة من معوقات التربية الأمنية لدى الطلبة كالتساهل، وقلة المتابعة، وضعف الفهم.

وبفعل تنامي العوامل المؤثرة سلباً على الأمن التربوي، كانتشار الأفكار المنحرفة، والانفتاح غير المنضبط على الثقافات الأجنبية، وظهور الجماعات الخارجة عن النظام والقانون التي شكلت تحديداً للأمن الوطني، واستناداً إلى ما أسفرت عنه نتائج الدراسات السابقة صار الأمر لزاماً معرفة أبعاد

الأمن التربوي لدى الطلبة، ولكي يتم بصورة علمية جاءت الحاجة لإجراء هذه البحث الذي تتحدد مشكلته في السؤال الرئيس الآتي:

ما تقييم أبعاد الأمن التربوي لدى طلبة كلية التربية والعلوم بجامعة إقليم سبأ؟

أسئلة البحث:

يتفرع من السؤال الرئيس لمشكلة البحث الأسئلة الآتية:

- 1- ما درجة وعي طلبة كلية التربية والعلوم بجامعة إقليم سبأ لأبعاد الأمن التربوي؟
- 2- ما درجة ممارسة طلبة كلية التربية والعلوم بجامعة إقليم سبأ لأبعاد الأمن التربوي؟
- 3- هل توجد فروق دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.05) بين متوسط استجابات أفراد العينة لتحديد درجة وعي ومارسة الطلبة لأبعاد الأمن التربوي وفقاً لمتغير الجنس، والتخصص، والمستوى الدراسي؟

أهداف البحث:

سعى البحث الحالي للوصول إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- 1- معرفة درجة وعي طلبة كلية التربية والعلوم بجامعة إقليم سبأ لأبعاد الأمن التربوي.
- 2- معرفة درجة ممارسة طلبة كلية التربية والعلوم بجامعة إقليم سبأ لأبعاد الأمن التربوي.
- 3- معرفة مدى وجود فروق دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.05) بين متوسط استجابات أفراد العينة لتحديد درجة وعي ومارسة الطلبة لأبعاد الأمن التربوي وفقاً لمتغير الجنس، والتخصص، والمستوى الدراسي.

أهمية البحث:

تبعد الأهمية النظرية والعلمية للبحث الحالي من خلال المعاور الآتية:

- 1- تناوله لأحد الموضوعات المعاصرة في ظل اهتمام دول العالم لإيجاد إطار تربوية من أجل تحقيق الأمن التربوي لدى أفراد المجتمع بصورة عامة وطلبة الجامعات بصورة خاصة.
- 2- حاجة الميداني التربوي إلى معرفة أبعاد الأمن التربوي، وتنميتها لدى الطلبة خاصة في ظل الأوضاع الجارية في اليمن.
- 3- الفئة العمرية المستهدفة، وهم طلبة كلية التربية والعلوم بجامعة إقليم سبأ، فهم يمثلون مرحلة الشباب التي يتمتعون فيها بنمو الأفكار والاتجاهات، وبالتالي تزداد فيها الحاجة للأمن التربوي.
- 4- إمكانية إسهام نتائج ووصيات هذا البحث في مساعدة الجامعات اليمنية في رسم السياسة التعليمية التي تساعد على رفع مستوى أبعاد الأمن التربوي لدى الطلبة.

حدود البحث:

تمثل حدود البحث الحالي في المعاور الآتية:

- 1- الحدود الموضوعية: اقتصرت على تقييم وعي ومارسة طلبة كلية التربية والعلوم بجامعة إقليم سبأ لأبعاد الأمن التربوي المتمثلة في: **البعد الديني، والبعد الاجتماعي، والبعد السياسي، والبعد الثقافي**، باعتبارها من أبرز الأبعاد.
- 2- الحدود البشرية: عينة مختارة من طلبة كلية التربية والعلوم بجامعة إقليم سبأ، كون تخصصاتهم منها أدبية وعلمية.

3- الحدود المكانية: شملت كلية التربية والعلوم بجامعة إقليم سباء، بحكم أنها أول كلية في الجامعة، وتشتمل أقساماً مختلفة.

4- الحدود الرمانية: اخضعت في الفترة التي استغرقتها إجراء هذا البحث خلال العام الجامعي 2021-2022م.

مصطلحات البحث:

تتمثل أبرز مصطلحات هذا البحث في الآتي:

1- تقييم: جاء تعريف هذا المصطلح بأنه يعني: "تقدير قيمة أي عنصر من عناصر أية منظومة تربوية، وإصدار الحكم على مدى جودة تلك المنظومة". (شحاته، وأخرون، 2003، 149).

ويُعرف مصطلح "تقييم" إجرائياً بأنه: عملية منهجية يتم من خلالها تقدير مستوىوعي ومارسة الطلبة لأبعاد الأمن التربوي على مقياس ليكارت الثلاثي وفق الأداة التي تم إعدادها لهذا الغرض.

2- أبعاد: يُعرف مصطلح "أبعاد" بأنه: "المدى الواسع الذي تتحرك فيه العملية التربوية بمفهومها ومضمونها قياساً بالمذاهب الفلسفية قدماً وحديثاً". (سعيد، 2004، 52).

يُعرف مصطلح "أبعاد" إجرائياً بأنه: جملة الجوانب التربوية المرتبطة بكل ما له علاقة بالأمن التربوي في المجال الديني والاجتماعي والسياسي والثقافي، وتأثيرها الناتج عندوعي ومارسة الطلبة لها.

3- الأمن التربوي: يقصد بهذا المصطلح بأنه: "قدرة الأمة من خلال نظامها التربوي على حماية كيانها الذاتي، ونظامها القيمي من خلال منظومة من الوسائل التربوية والثقافية من خطر التهديد الداخلي والمخارجي، وتوفير المناخ الفكري والاجتماعي السليم تشريعياً وتنظيمياً ومارسة في إيجاد الإنسان القادر على الإبداع". (علي، 1989، 9).

ويُعرَّف مصطلح "الأمن التربوي" إجرائياً بأنه: مجموعة من المعارف والمهارات التي توفر أعلى مستوى من الحماية التربوية لطلبة كلية التربية والعلوم بجامعة إقليم سباء من كل فكر ومعتقد يتعارض مع مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، وفلسفة التربية والتعليم في اليمن.

الإطار النظري والدراسات السابقة:

يحتوي الإطار النظري للبحث على مفهوم الأمن التربوي وأبعاده، وأهميته، وأساليب تنمويته، وذلك من خلال الرجوع للأدب النظري للاستفادة منه بالقدر الذي يتناسب مع طبيعة هذا البحث، ويختتم هذا الإطار بسرد بعض الدراسات السابقة ذات العلاقة بموضوع هذا البحث.

مفهوم الأمن التربوي:

يُعد مصطلح الأمن التربوي من المصطلحات الحديثة في الفكر التربوي، فقد بدأ تداوله بعد أن ظهر في بعض الدول العربية والإسلامية نوع من الاضطراب الفكري نتيجة الغلو والتطرف، وتنوع الثقافات الوافدة، حيث ورد تعريفه في المراجع المعاصرة من وجهات نظر مختلفة سيتم إظهار ما أمكن منها.

فقد جاء تعريف الأمن التربوي بأنه: "عملية إحاطة المتعلم بكل أسباب الرعاية والحماية والتنمية من جميع الجوانب العقدية، والفكريّة، والاجتماعية، والنفسية، وغيرها من جوانب الشخصية الإنسانية". (صغرى، 2013، 17).

ويُعرَّف الأمن التربوي في الاصطلاح بأنه: "تأمين التربية ضد أية أخطار تهددها داخلياً أو خارجياً وضمان الحفاظة على استقرارها وتطورها بما يمكنها من تحقيق أهدافها على صعيد الفرد والمجتمع". (صافي، 2009، 7).

ويُعرَّف الأمن التربوي بأنه: "تحرر الإنسان من كافة التهديدات والمعوقات التي تحول دون اكتسابه للقيم الإيجابية وأساليب التربية والأخلاقية، وطرق التفكير العلمي، وكافة الأفكار الإيجابية الحاكمة

للفعل التربوي والتعليمي التي تشكل في مجموعها الهوية التربوية المتمايزة عن غيرها والمنبثقة من عمق الهوية والثوابت الدينية والوطنية". (زياد، 2018، 32).

بينما يرى الشريف، ونبيل (2011، 5) أن الأمان التربوي يقصد به: "البعد المعنى بضبط منظومة العملية التربوية، وجعلها قادرة على مواجهة التحديات التنموية الداخلية والخارجية".

في حين يقصد بالأمان التربوي: "تأمين التربية ضد أية أخطار تهددها داخلياً أو خارجياً، وضمان المحافظة على استقرارها وتطورها بما يمكنها من تحقيق أهدافها على مستوى الفرد والمجتمع". (أدنوف، 2011، 185).

ومن خلال استقراء وتحليل التعريفات السابقة يمكن تعريف الأمان التربوي بأنه: حماية الطلبة من الأفكار المتطرفة، والانحرافات السلوكية غير المعتادة من خلال وضع التدابير التربوية الوقائية والعلاجية المنوطة بجميع مؤسسات المجتمع التربوية والتعليمية من أجل إكسابهم مناعة تربوية منبثقة من الدين الإسلامي الحنيف.

أبعاد الأمان التربوي في التربية الإسلامية:

يرتبط الأمان التربوي بالفرد من خلال علاقته بربه، وعلاقته بالآخرين، وما له من حقوق وما عليه من واجبات، وهذا يكون من خلال مجموعة من الأبعاد الدينية والاجتماعية والسياسية والثقافية التي تُكسب الطالب الحصانة الفكرية، والقدرة على التفكير السليم، والتكييف الاجتماعي الإيجابي، واحترام الحقوق العامة والخاصة.

ويتمثل البعد الأول للأمان التربوي في البعد الديني المرتبط بالتمسك بكتاب الله تعالى، وسنة نبيه محمد - ﷺ ، فالتمسك بهما يجعل الطالب متحرراً من الجهل والغلو والتطرف، ويكون لديه من العلم ما يؤمن فكره، قال الرسول - ﷺ : "تركتُ فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة

نبهه". (الأصبهي، د. ت، ج 2، 564)، كما يشمل البعد الديني للأمن التربوي الوسطية والاعتدال، "وهي سمة من سمات التربية الإسلامية توازن بين طاقة الجسم والعقل والروح، وبين الماديات والمعنويات، وتوازن بين النزعة الفردية والنزعه الجماعية، وتوازن بين العمل للأخره والعمل للدنيا". (قطب، 1988، 37)، فالوسطية تبني العقيدة السليمة، وتنمي المبادئ والمفاهيم الصحيحة، وتجعل الفرد يرجع في التنازع والخلاف إلى ثوابت الدين الإسلامي المتفق عليها.

والبعد الاجتماعي للأمن التربوي قائم على أساس التنشئة الاجتماعية الصالحة التي تنبذ التقليد الأعمى، وتحذر من العصبية والتبعية التي تؤدي إلى الانحراف، وكذلك استخدام وسائل الضبط الاجتماعي التي تجعل "الطلبة صالحين على التكيف والتعايش مع الواقع الذي يعيشون فيه" (علي، 2001، 122)، "وملتزمين بالأفكار والعادات والتقاليد الحسنة، ويختضنهم المجتمع، ويتمتعون فيه بكامل حقوقهم وواجباتهم (الأسر، 1997، 390)، وهذا البعد يبني لدى الطلبة التصور الشامل للحياة الاجتماعية بتنظيماتها المختلفة، وينمي لديهم القدرة على التفسير الصحيح للأحداث الجارية في الوطن، والتماس الحلول الإيجابية لها.

والبعد السياسي للأمن التربوي يتناول علاقة الفرد بالأنظمة السياسية، وقبل الرأي والرأي الآخر، والشوري والديمقراطية باعتبار ذلك "وسيلة لتحقيق حياة أفضل للجميع، فالمجتمع اليمني بدون الشوري والديمقراطية، والعدالة الاجتماعية غير قادر على تحقيق وحدته، واستغلال ثروته البشرية والمادية، والحفاظ على السيادة الوطنية" (الميثاق الوطني، د. ت، 20)، وهذه الجوانب تركز عليها التربية الإسلامية حتى يتحقق للطالب الأمان التربوي، "حيث تقوم بتزويده بخبرات تعليمية، كما تحرص على تحقيق الاستقرار السياسي في المجتمع". (البكولي، 2020، 40).

ويأتي البعد الثقافي للأمن التربوي القائم على أساس العلم والمعرفة المؤدية إلى إدراك الشيء بحقيقته بالقدر الممكن لقدرة الطالب، وإلى معرفة الله تعالى، وتركيبة النفس، وتحذب السلوك والمشاعر، وتنمية التفكير السليم، وهذه المجالات المعرفية تجعل الطالب يميز الحق من الباطل، والخير من الشر، ويتحرر من كل فكر فاسد، ويكون لديه فكر سوي، وثقافة مستنيرة تجمع بين الأصالة والمعاصرة، ويتحقق بوجهاً للأمن التربوي.

أهمية وعي ومارسة الطلبة لأبعاد الأمان التربوي:

يأخذ الوعي الإنساني صوراً وأشكالاً مختلفة تبعاً لاختلاف موضوع و مجال الوعي ، ومن أشكال الوعي: الوعي الديني، والاجتماعي، والسياسي، والثقافي، ومن هذا المنطلق يمكن القول: إن الوعي بأبعاد الأمان التربوي يقصد بها: المعرفة والفهم والادراك والشعور بالجوانب الدينية، والاجتماعية، والسياسية التي تؤدي بدورها إلى تأمين فكر الإنسان وحمايته من الانحرافات الفكرية، والغلو والتطرف.

وتكمّن أهمية وعي طلبة كلية التربية والعلوم بجامعة إقليم سبأ لأبعاد الأمان التربوي في أن مفهوم الوعي عادة يرتبط بالتحرك نحو سلوك إيجابي يستهدف تغيير اتجاهات وآراء وأفكار الطلبة لقضية من القضايا، ويرشدهم إلى حقيقة المواقف والظواهر الحبيطة بهم والتفاعل والتعامل معها بيقظة وفهم كاملين.

وتطهّر أهمية وعي ومارسة طلبة كلية التربية والعلوم بجامعة إقليم سبأ لأبعاد الأمان التربوي في أنه يُساعد الطلبة في هذه المرحلة الجامعية على فهم التحدّيات الفكرية، وتوسيع مداركهم، وفهم الحقائق والمفاهيم والاتجاهات الفكرية المعتدلة، والمنطلقات الفكرية التي تتوافق مع منهج الوسطية والاعتدال؛ مما يمكنهم من الإسهام الإيجابي في إحداث تغيير تربوي وفكري يحقق أهداف التربية الإسلامية والوطنية المتواقة مع الدين الإسلامي الحنيف.

والأمن التربوي يُحصن الطلبة من الانحرافات الفكرية التي تؤثر سلباً على الثوابت الدينية والوطنية، والأخلاقية، والاجتماعية، "كما يُسهم في حمايتهم من الانحراف في صفوف الجماعات المتطرفة والخارجية عن النظام والقانون، وبهذا صارت الحاجة للأمن التربوي تتزايد يوماً بعد يوم". (البكولي، 2014، 51).

وما لا شك فيه فإن الأمن التربوي "يتحقق للفرد المسلم توازناً في حياته الخاصة وال العامة، ويعده عن دواعي القلق والتناقض، كما يتحقق أمن المجتمع وأمن الدولة، حيث أن تناسق الفكر لدى الأفراد، وتوحيد مشاعرهم، وتوجهاتهم الفكرية يخدم المصلحة العامة التي بدورها تحقق الأمن والاستقرار". (آل عياش، 2007، 111).

والأمن التربوي "يتحقق تلقائياً الأمان في الجوانب الأخرى كافة؛ لأن العقل هو مناط القيادة العليا الوعية المميزة لدى الإنسان، وهو الجهة القيادية الموكولة بكل أصناف الأمان الأخرى، وإذا صلحت هذه القيادة صلح كل أنواع الأمان، وإذا فسدت فسد كل أنواع الأمان". (الطلاع، 1999، 20).

وتأسيساً على ما تقدم يتوجب على الجامعات اليمنية تأكيد أهمية الأمن التربوي للطلبة وعيها وممارسة، ووضع ذلك في قائمة الأولويات التربوية والتعليمية، خاصة في ظل هذا العصر الذي سهلت تقنياته الحديثة والمتقدمة سرعة انتشار الأفكار المختلفة، وتنامي حالات اضطراب الأفكار والتصورات، وسرعة التأثر بما يطرح من أفكار وآراء دون الفحص والتمييز بين الصحيح منها والمنحرف.

أساليب تنمية وعي ومارسة الطلبة لأبعاد الأمن التربوي:

يرى أصحاب نظرية الضبط الاجتماعي (Social Control) أن جميع البشر معرضون للانحراف وارتكاب الجريمة، ولكن الضبط الديني والاجتماعي، والقوانين التي تحكم حياة الإنسان هي التي تساعده على التخفيف من الانحرافات من خلال دافع الفرد إلى الامتثال للفكر والسلوك المعدل، وعدم الانحراف، حيث يظهر هذا الوعي والممارسة والامتثال، كما يرى (الشريوفي، 2009، 71)

من خلال ارتباط الفرد بالآخرين، حيث يجعله يمتثل للقيم والقوانين التي يؤمن بها أفراد المجتمع، وكذلك الالتزام بالواجبات التي عليه، حيث تقلل من عملية الاندفاع لممارسة الأفكار والسلوكيات المنحرفة والمتطรفة، بالإضافة إلى الانغماس في أنشطة المجتمع، كما يجعله أكثر تقبلاً للأفكار المثالية، أما الاعتقاد بالأفكار والقيم والحقوق والواجبات التي يؤمن بها أفراد المجتمع؛ فتعمل على التقليل من التوجه نحو الأفكار والسلوكيات المنحرفة.

في حين يرى (Gaustad, 1990) أن من الإجراءات التي يمكن اتباعها لتنمية الوعي والممارسة العملية للأمن التربوي للطلبة في المؤسسات التعليمية يكون من خلال التطبيق الفعلي للقوانين والسياسات الوقائية للانضباط الطلابي، وإشراك العديد من الهيئات والمؤسسات المجتمعية في التخطيط لتوفير الأمن التربوي، وتأهيل وتدريب أعضاء هيئة التدريس والطلبة على الجوانب الأمنية التي تضمن إيجاد بيئة تعليمية آمنة، والتواصل الدائم مع الطلبة وتعليمهم المهارات الاجتماعية والسلوكية كإجراء وقائي لهم.

وتحقيق الأمن التربوي لدى الطلبة يتطلب توافر الضوابط والمتطلبات الأساسية لتهيئة المناخ التربوي لبناء شخصياتهم، وذلك من خلال "تكمينة نفسية واجتماعية للتكيف مع قيم وأعمال وتطورات المجتمع الذي ينشد السلوكيات المثالية التي تتحقق الأمان والأمان". (الحوشان، 1425هـ، 20)، "كما يجب على المؤسسات التربوية والتعليمية أن تقوم بمسؤولياتها تجاه تحقيق الأمن التربوي لدى الطلبة من خلال بناء فلسفة تربوية متكاملة تقوم على أسس ومرجعيات تنبثق من المصدر العقدي والثقافي والاجتماعي الإسلامي الذي يستوحى منه المجتمع معتقداته وأهدافه". (البكولي، 2018، 38).

وبفعل التطور العلمي وتوسيع مجالات المعرفة أصبحت تنمية الأمن التربوي لدى طلبة في الوقت الحاضر جهداً تشاركيًّا تقوم به مختلف المؤسسات التربوية والتعليمية، "وبما أن التربية أداة تأثير في

أساليب الحياة والتفكير، فقد أوضح التطور التاريخي أهمية هذه الأداة في تحصين الطلبة من الانحرافات الفكرية والسلوكية" (موسى، 2003، 97).

وعن طريق التربية والتعليم تُنقل الأفكار والمعتقدات والاتجاهات من جيل إلى آخر، كما تحافظ على النتاج الثقافي، وفي ضوء هذه الوظائف التي تقوم بها التربية ينبغي على التعليم الجامعي في اليمن أن يقوم بدوره في تحقيق الأمان التربوي لدى الطلبة، واتخاذ كافة التدابير التي تمكّنهم من وعيه وممارسته في الواقع العملي.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث والاطلاع تم الحصول على بعض الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع البحث الحالي، وهذه الدراسات سيتم بيان أبرز أهدافها، والمنهج المتبّع، والأدوات المستخدمة، وأهم النتائج التي توصلت لها، وعرضها حسب علاقتها المباشرة بموضوع البحث الحالي، ومرتبة وفق التسلسل الزمني لإجرائها من الأحدث إلى الأقدم.

تناولت دراسة راهي، وآخرين (2019) قياس مستوى مساهمة أعضاء الهيئة التدريسية في جامعة الكوفة في توفير الأمن التربوي لطلبتهم، واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي، وأعدت لهذا الغرض استبياناً أدلة لجمع البيانات الميدانية بلغ عدد فقراتها (20) فقرة، وتكونت عينة الدراسة من (200) عضو هيئة تدريس في جامعة الكوفة تم اختيارهم بطريقة عشوائية بسيطة، وتوصلت نتائج الدراسة إلى أن أعضاء الهيئة التدريسية في جامعة الكوفة يسهمون بشكل عام في توفير الأمن التربوي لطلبتهم بدرجة عالية، كما أفادت النتائج عدم وجود فروق دالة إحصائياً بين متوسطات استجابات أفراد العينة حول مستوى مساهمة أعضاء الهيئة التدريسية في جامعة الكوفة في توفير الأمن التربوي لطلبتهم حسب متغير الجنس، والتخصص العلمي.

في حين سعت دراسة يونس (2019) إلى الكشف عن متطلبات تحقيق الأمن التربوي لدى طلاب التعليم الثانوي العام دراسة ميدانية بمحافظة المنيا، ومعرفة الآليات المقترحة لتوفير متطلبات تحقيق الأمن التربوي لدى الطلاب، واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي، واستخدمت الاستبانة أداة لجمع البيانات الميدانية تألفت من (42) فقرة، وطبقت الدراسة على عينة عشوائية بلغ حجمها (1671) طالباً وطالبة، وكذلك (257) معلماً ومعلمة من الطلبة، وانتهت الدراسة بالتوصل إلى نتائج من أهمها: أن درجة توافر متطلبات تحقيق الأمن التربوي جاءت بدرجة متوسطة، وكان أكثر المحاور توافراً التربية على الانتماء والحوار، وأقلها التربية على التسامح والوسطية، وأن الآليات المقترحة لتوفير متطلبات تحقيق الأمن التربوي تضمين مفاهيمه في برامج إعداد المعلمين، وتفعيل الأنشطة المدرسية.

وأجرى المعicل (1440هـ) دراسة سعت إلى الكشف عن متطلبات الأمن التربوي للمجتمع في وسائل التواصل الاجتماعي، ومعرفة عمّا إذا كان هناك فروق دالة إحصائياً بين متطلبات استجابات أفراد العينة حول بيان متطلبات الأمن التربوي للمجتمع، وفقاً لمتغير عضو هيئة تدريس، معلم تعليم عام، ولي أمر، واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي، وصممت الباحث استبانة مكونة من (40) فقرة موزعة على ثلاثة محاور: الأمن الفكري، والاجتماعي، والصحي، وتم تطبيقها على عينة عشوائية طبقية بلغ حجمها (537) من أعضاء هيئة التدريس، ومعلم تعليم عام، وولي أمر في مدينة الرياض، وتوصلت نتائج الدراسة إلى أن أفراد العينة وافقوا على متطلبات تحقيق الأمن التربوي للمجتمع في وسائل التواصل الاجتماعي بدرجة كبيرة جداً، كما أظهرت النتائج وجود فروق دالة إحصائياً بين متطلبات استجابات أفراد العينة حول متطلبات الأمن التربوي، وجاءت الفروق لصالح معلمي التعليم العام.

وهدفت دراسة الخلوف (2017) إلى التعرف على واقع دور قائدات المدارس في تنمية الأمن التربوي لدى طالبات المرحلة الثانوية بمدارس التعليم العام بمحافظة الأحساء، والكشف عما إذا كانت توجد فروق دالة إحصائياً بين متواسطات استجابات أفراد العينة وفقاً لمتغير طبيعة العمل، وعدد سنوات الخبرة، والدورات التدريبية، واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي، وأعدت استبانة مكونة من (42) فقرة موزعة على ثلاثة محاور: الأمن الفكري، والنفسي، والاجتماعي، وطبقت الدراسة على (40) قائدة باستخدام الحصر الشامل، وعينة عشوائية طبقية قوامها (437) معلمة، وتوصلت نتائج الدراسة إلى أن واقع دور القائدات في تنمية الأمن الفكري والنفسي والاجتماعي لدى طالبات المرحلة الثانوية جاء بدرجة عالية، كما توجد فروق دالة إحصائياً بين متواسطات الاستجابات تعزى لمتغير طبيعة العمل لصالح القائدات، والدورات التدريبية لصالح الحصول على دورات في مجال الأمن التربوي.

وقد صدرت دراسة بارشيد (2016) التعرف على مستوى تحقيق المعلم للأمن التربوي من وجهة نظر طلاب المرحلة المتوسطة والثانوية بمدينة تبوك، والكشف عما إذا كان هناك فروق دالة إحصائياً بين متواسطات استجابات أفراد العينة تجاه تحديد مستوى تحقيق المعلم للأمن التربوي حسب متغير نوع المدرسة وطبيعة المرحلة الدراسية، واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي، واستخدمت الاستبانة أدلة لجمع البيانات الميدانية مكونة من أربعة محاور: الأمن العقدي، والفكري، والأخلاقي، والنفسي، وطبقت الدراسة على عينة عشوائية طبقية بلغ حجمها (1341) من طلاب المرحلة المتوسطة والثانوية بمدينة تبوك، وكشفت النتائج أن مستوى تحقيق المعلم للأمن التربوي جاء بدرجة مرتفعة، حيث احتل محور الأمن العقدي المرتبة الأولى يليه الأمن الأخلاقي، ثم الأمن الفكري، ثم الأمن النفسي، وأن دور المعلم في تحقيق الأمن التربوي بالمدارس الحكومية أعلى من الأهلية، وفي المرحلة المتوسطة أعلى من الثانوية.

وقدم آل زاهر (2015) دراسة سعت إلى التعرف على درجة إسهام مديرى المدارس الابتدائية الحكومية في تحقيق الأمن التربوي لدى طلابهم بشرق مدينة الرياض ممثلاً في: الأمن الفكري، والنفسى، والاجتماعي، ومعرفة اختلاف آراء أفراد العينة حول درجة إسهام مديرى المدارس الابتدائية في تحقيق الأمن التربوي باختلاف متغير: المؤهل العلمي، والتخصص، واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي، وعلى الاستبيانة أداة لجمع البيانات الميدانية، حيث تم تطبيقها على عينة عشوائية بسيطة بلغ حجمها (100) مدير مدرسة ابتدائية، وتوصلت الدراسة إلى أن درجة إسهام مديرى المدارس الابتدائية الحكومية في تحقيق الأمن التربوي جاء بدرجة عالية، كما لا توجد فروق دالة إحصائياً بين متوسطات الاستجابات وفقاً لمتغير المؤهل العلمي، والتخصص.

وهدفت دراسة (Elda & Mary, 2014) إلى بيان مدى توافق الممارسات التدريسية للمعلمين مع الاحتياجات التربوية والحقوق الأساسية للمتعلمين من الأمن التربوي، واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي، واستخدمت الاستبيانة أداة لجمع البيانات الميدانية، وطبقت الدراسة على عينة عشوائية بلغ حجمها (244) معلماً، وكذلك (520) طالباً وطالبة من المدارس الابتدائية والثانوية بجنوب أفريقيا، وتوصلت الدراسة إلى أن ممارسات المعلمين واستراتيجيات التدريس لم تتوافق مع الاحتياجات التربوية للمعلمين، وقد وصفت بالسلبية والصعبة بالنسبة للمتعلمين من وجهة نظر أفراد عينة الدراسة.

وسعـت دراسة حسـينـي (2013) إلى تقديم تصوـر مقتـرح لتفعـيل دور كـليـات التـربية بمـصرـ في تـحـقيقـ الأمـنـ التـربـويـ لـطلـابـهاـ عـلـىـ ضـوءـ ثـورـاتـ الـرـبيعـ الـعـرـيـ،ـ وـتـبـنـتـ المـنـهـجـ الـوـصـفـيـ،ـ وـاستـخـدـمـتـ الـاـسـتـبـانـةـ أـداـةـ لـجـمـعـ الـبـيـانـاتـ الـمـيـدـانـيـةـ،ـ وـكـانـتـ عـيـنـةـ الـدـرـاسـةـ عـمـدـيـةـ بـلـغـ حـجـمـهاـ (30)ـ مـنـ أـعـضـاءـ هـيـئـةـ التـدـرـيسـ التـرـبـويـ الـمـصـرـيـنـ الـمـعـارـيـنـ فـيـ بـعـضـ الـجـامـعـاتـ السـعـودـيـةـ،ـ وـخـلـصـتـ الـدـرـاسـةـ إـلـىـ أـنـ هـنـاكـ أـهـمـيـةـ

مرتفعة لدور أعضاء هيئة التدريس بكليات التربية لتحقيق الأمن التربوي لدى الطلبة، كما أن هناك أهمية مرتفعة لدور الأنشطة التربوية في تحقيق الأمن التربوي لدى الطلبة.

في حين سعت دراسة أدنوف (2011) إلى التعرف على مفهوم الأمن التربوي، وأبعاده، وآليات تحقيقه للطفل دراسة ميدانية في محافظة الحسكة بسوريا، كما قدمت الدراسة تصوراً مقترحاً لإعداد معلم الصف في ضوء أبعاد الأمن التربوي، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي، واعتمدت على اختبار الموقف، حيث تكون الاختبار من (20) موقفاً صيفياً يواجه المعلم أثناء التدريس، وطبقت الدراسة على عينة قصدية بلغ قوامها (30) معلماً ومعلمة يعملون في المدارس التابعة لمديرية التربية والتعليم بالحسكة، وتوصلت نتائج الدراسة إلى أن نسبة (72%) من العينة لم تكن واعية لمفهوم الأمن التربوي، ولا لأبعاده، كما أنها لا تمارس سوى (15%) من أبعاد الأمن التربوي في الصف الدراسي، وكانت هذه لعينة المعلمين الذين لديهم عدد سنوات خبرة من 15 إلى 20 سنة، كما أظهرت النتائج أن نسبة (26%) من العينة لم تكن واعية لمفهوم الأمن التربوي إلا أنها تمارس (50%) من أبعاد الأمن التربوي في الصف الدراسي، وكانت هذه لعينة المعلمين الذين لديهم سنوات خبرة أقل من (10) سنوات.

وتناولت دراسة رشوان (2011) استقصاء أهمية الأمن التربوي، والعوامل المؤثرة فيه، والأسس التربوية التي يعتمد عليها، كما سعت لمعرفة واقع التطبيقات التربوية التي انتهت إليها فلسفة التربية في جمهورية مصر لتحقيق الأمن التربوي، واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، وككون الدراسة نظرية اعتمدت على جمع المعلومات وتحليلها من المصادر والمراجع ذات العلاقة بموضوع الدراسة، وأشارت نتائج الدراسة إلى أن الأمن التربوي يرتبط بقضايا الفكر التربوي، وأن هناك مجموعة من العوامل المؤثرة على الأمن التربوي منها: العوامل الدينية، والاقتصادية، والتكنولوجية، والأيدلوجية، وأن الأسس التي يعتمد عليها الأمن التربوي تمثلت في: الأسس السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية،

والنفسية، وأن أهم التطبيقات التربوية التي انتهت إليها فلسفة التربية المعاصرة لتحقيق الأمن التربوي هي: التنمية المهنية المستدامة للمعلمين، والمدرسة الفعالة، والمدرسة المنتجة.

بينما سعت دراسة (coll, 2004) إلى معرفة مستوى إدراك طلبة الجامعات لمعنى الأمن الفكري، وبيان مدى تأثير مفاهيم الأمن الفكري على الجوانب التربوية لدى الطلبة، واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي، واستخدمت الاستبانة أداة لجمع البيانات الميدانية، وطبقت الدراسة على عينة عشوائية بسيطة من الطلبة، وأظهرت نتائج الدراسة أن الطلبة المدركين لمعنى الأمن الفكري التربوي الذين يدرسون في الكليات الدينية، وخلفية الدراسة في هذه الكليات أثرت على معرفتهم بذلك، كما أن الطلبة يدركون الأمان الفكري التربوي بمستوى متوسط.

التعليق على الدراسات السابقة:

من خلال استعراض الدراسات السابقة تبين أن هناك إجماعاً على أهمية الأمن التربوي رغم تنوع أهدافها، واختلاف عيناتها، وال المجال الذي طبقت فيه، وهذه الدراسات السابقة تتلخص مقارنتها بالبحث الحالي في الآتي:

1- اتفق هذا البحث مع دراسة راهي، وآخرين (2019)، ويونس (2019)، والمعيقيل (1440هـ)، والخلوف (2017)، وبارشيد (2016)، وآل زاهر (2015)، وحسيني (2013)، وأدنوف (2011)، ورشوان (2011) في تناول الأمن التربوي كمتغير تابع، وبشكل جزئي مع دراسة (coll, 2004)، ودراسة (Elda & Mary, 2014).

2- اتفق هذا البحث من حيث الاعتماد على المنهج الوصفي المسحي مع دراسة راهي، وآخرين (2019)، ويونس (2019)، والمعيقيل (1440هـ)، والخلوف (2017)، وبارشيد (2016)، وآل زاهر (2015)، ودراسة (Elda & Mary, 2014)، وحسيني (2013)، وأدنوف (2011)،

ورشوان (2011)، ودراسة (coll, 2004)، في حين اختلف مع دراسة رشوان (2011) حيث استخدمت المنهج الوصفي التحليلي كونها دراسة نظرية.

3- اتفق البحث الحالي مع عدد من الدراسات السابقة من حيث التطبيق على عينة عشوائية طبقية كدراسة المعicel (1440هـ)، والخلوف (2017)، وبارشيد (2016)، بينما اختلف عن دراسة راهي، وآخرين (2019)، ويونس (2019)، آل زاهر (2015)، ودراسة (coll, 2004) حيث طبقة على عينة عشوائية بسيطة، كما اختلف مع دراسة حسني (2013)، وأدنوف (2011) اللتين اعتمدتا على العينة القصدية.

4- اتفق البحث الحالي مع دراسة راهي، وآخرين (2019)، ويونس (2019)، والمعيقل (1440هـ)، والخلوف (2017)، وبارشيد (2016)، آل زاهر (2015)، ومع دراسة (Elda, 2014) من حيث استخدام الاستبانة، بينما اختلف عن دراسة أدنوف (2011) التي استخدمت الاختبار والملاحظة، ومع دراسة رشوان (2011) التي لم تستخدم الاستبانة كونها دراسة نظرية.

5- تفرد البحث الحالي على جميع الدراسات السابقة من حيث المدفء، وهو تقييم وعي ومارسة الطلبة لأبعاد الأمن التربوي، وهذا لم تتناولها جميع الدراسات السابقة، كما تفرد عليها بمكان إجرائه، وهو في كلية التربية والعلوم بجامعة إقليم سباء، كما تفرد بنتائجه التي توصل إليها مع أغلب نتائج الدراسات السابقة.

6- استرشد البحث الحالي من الدراسات السابقة في بناء إطاره النظري، وفي تصميم الاستبانة، وكذلك في مقارنة نتائجه مع بعض النتائج التي توصلت إليها الدراسات السابقة.

منهج وإجراءات البحث الميداني:

تضمن هذا المجال عرضاً مفصلاً لمنهج البحث المستخدم، ومجتمع البحث وعيته، وأداة البحث وإجراءات تصميمها واختبار صدقها وثباتها، ومعامل الإحصائية المستخدمة في هذا البحث.

منهج البحث:

وفقاً لمشكلة البحث وأهدافه تم استخدام المنهج الوصفي بشقيه التحليلي والمسحي الذي يقوم "بوصف الظواهر والممارسات السائدة للوصول إلى استنتاجات وعمليات تُسهم في تفسير الظواهر بما يسمح بتغييرها وتوجيهها نحو أهداف متغيرة" (عمر، 2009، 69)، واعتماداً على هذا المنهج تم تقييم أبعاد الأمن التربوي لدى الطلبة.

مجتمع البحث:

تألف مجتمع البحث من جميع طلبة كلية التربية والعلوم بجامعة إقليم سباء الملتحقين بالدراسة، وباللغة عددهم (1557) طالباً وطالبة. (إحصائية الطلبة للعام 2021-2022م، إدارة شؤون الطلاب بكلية التربية والعلوم، جامعة إقليم سباء).

عينة البحث:

نظراً لكثرة الأقسام العلمية بالكلية تم استخدام العينة العشوائية الطبقية، حيث تم تقسيم الأقسام البالغ عددها عشرة أقسام، وأربعة مستويات دراسية إلى طبقات، وبالقرعة وقع الاختيار على قسم اللغة العربية، والدراسات الإسلامية المستوى الأول والرابع، وعددهم (170) طالباً وطالبة؛ لتمثيل الأقسام الأدبية، كما وقع الاختيار على قسم الرياضيات، وعلوم الحياة المستوى الأول والرابع،

وعددتهم (122) طالباً وطالبة؛ لتمثيل الأقسام العلمية، ومن هذه الأقسام والمستويات تم اختيار عينة عشوائية يبلغ حجمها (170) طالباً وطالبة بنسبة مماثلة لكل قسم ومستوى.

جدول رقم (1) يبين توزيع أفراد العينة حسب متغير الجنس والتخصص والمستوى الدراسي

المتغير	مستويات المتغير	العدد	النسبة المئوية
الجنس	ذكر	91	53.53
	أنثى	79	46.47
	الإجمالي	170	100.00
التخصص	دراسات أدبية	87	51.18
	دراسات علمية	83	48.82
	الإجمالي	170	100.00
المستوى الدراسي	المستوى الأول	89	52.35
	المستوى الرابع	81	47.65
	الإجمالي	170	100.00

يبين الجدول رقم (1) أن عدد أفراد العينة الذكور (91) طالباً بنسبة (53.53)، والإإناث (79) طالبة بنسبة (46.47)، وحسب التخصص بلغ عدد دراسات أدبية (87) طالباً وطالبة بنسبة (51.18)، ودراسات علمية (83) طالباً وطالبة بنسبة (48.82)، وحسب المستوى الدراسي بلغ عدد المستوى الأول (89) طالباً وطالبة بنسبة (52.35)، والمستوى الرابع (81) طالباً وطالبة بنسبة (47.65)، وهذا يدل على أن هناك توزيعاً طبيعياً للعينة.

أدوات البحث:

فرضت طبيعة البحث وأهدافه استخدام الاستبانة أداة لجمع البيانات الميدانية، حيث تم تصميمها بعد الرجوع للدراسات السابقة والمراجع ذات العلاقة بموضوع الأمن التربوي للاستفادة منها في بناء

فقرات الاستبانة بالقدر الذي يتناسب مع طبيعة هذا البحث، وتكونت من (32) فقرة موزعة

بالتساوي على محورين هما:

المحور الأول: درجة وعي الطلبة لأبعاد الأمان التربوي، وتألف من (16) فقرة موزعة بالتساوي على (4) أبعاد للأمن التربوي، وتقاس وفق مقياس ليكرت (Likert) الثلاثي: عالية، متوسطة، منخفضة؛ نظراً لسهولة استخدامه.

والمحور الثاني: درجة ممارسة الطلبة لأبعاد الأمان التربوي، وتألف من (16) فقرة موزعة بالتساوي على (4) أبعاد للأمن التربوي، وتقاس وفق مقياس ليكرت (Likert) الثلاثي: عالية، متوسطة، منخفضة، وهذا المحور يمثلان المتغيرات التابعة للبحث، أما المتغيرات المستقل، فقد اقتصرت على: الجنس، والتخصص، والمستوى الدراسي.

صدق وثبات أدلة البحث:

معرفة صدق وثبات الاستبانة تم اختبار صدق محتواها الظاهري، واتساقها الداخلي، وذلك على النحو الآتي:

1- صدق محتوى الأداة

للحتحقق من صدق محتوى الأداة تم استخدام صدق المحكمين من خلال عرض أدلة البحث على مجموعة من أعضاء هيئة التدريس المتخصصين في العلوم التربوية من جامعات يمنية مختلفة بلغ عددهم (12) محكماً، وبعد تحليل ملاحظاتهم، تم إعادة صياغة الفقرة الرابعة، والحادية عشر، والرابعة عشر في المحور الأول، والفقرة السادسة في المحور الثاني، وذلك من أصل (32) فقرة، وكان الاتفاق عليها بعد التحكيم بنسبة (98%)، وهي نسبة تؤكد الصدق الظاهري للأداة وصلاحية تطبيقها على العينة الاستطلاعية.

2- صدق بناء الأداة

تم تطبيق الاستبيانة على عينة استطلاعية مكونة من (34) طالباً وطالبة من كلية التربية والعلوم بجامعة إقليم سبا من خارج عينة البحث بهدف اختبار الصدق البنائي من خلال حساب معامل الارتباط للمحاور الرئيسية للاستبيانة مدموجاً في كل محور الفقرات الخاصة بأبعاد الأمن التربوي المتمثلة في: البعد الديني، والاجتماعي، والسياسي، والثقافي، ومقارنة المحاور الرئيسية بالدرجة الكلية للاستبيانة، والجدول التالي يوضح بيانات ذلك.

جدول رقم (2) يبين قيم ارتباط كل محور بالدرجة الكلية للاستبيانة

مستوى الدلالة	معامل الارتباط	المحور	m
0.00	0.85**	درجة وعي الطلبة لأبعاد الأمن التربوي	1
0.00	0.87**	درجة ممارسة الطلبة لأبعاد الأمن التربوي	2

يتضح من الجدول رقم (2) أن قيم معاملات الارتباط بين كل محور والدرجة الكلية للاستبيانة موجبة، وتتراوح ما بين ($0.85^{**} - 0.87^{**}$)، وهي قيم دالة إحصائيةً عند مستوى دلالة (0.01)، مما يؤكد أن أدلة البحث تتمتع بدرجة صدق عالية، وإمكانية الوثوق في البيانات التي يتوصل إليها من خلال تطبيقها على أفراد عينة البحث.

3- ثبات الأداة

معرفة مدى ثبات أدلة البحث تم حساب معامل الثبات بطريقة الاتساق الداخلي، والجدول التالي يبيّن ذلك.

جدول رقم (3) يبين قيم ثبات كل محور من محاور الاستبيانة

معامل الثبات	عدد الفقرات	المحور	m
0.89	16	درجة وعي الطلبة لأبعاد الأمن التربوي	1
0.91	16	درجة ممارسة الطلبة لأبعاد الأمن التربوي	2
0.92	32	معامل الثبات الكلي للاستبيانة	

يتضح من الجدول رقم (3) أن معامل الثبات للأداة ككل بلغ (0.92)، وهو ثبات عالٍ، في حين تتراوح معاملات الثبات للمحاور الرئيسية للأداة ما بين (0.89 - 0.91) لكل من على التوالي: درجة وعي الطلبة لأبعاد الأمن التربوي، ودرجة ممارسة الطلبة لأبعاد الأمن التربوي، وهذا يدل على وجود درجة عالية من الاتساق الداخلي يعكس ثبات أداة البحث، ويضمن صلاحية تطبيقها في صورتها النهائية على أفراد عينة البحث.

أساليب المعالجة الإحصائية:

تم استخدام برنامج (SPSS) لتحليل بيانات البحث وفق أساليب الإحصاء الوصفي والاستدلالي الآتية:

- 1- النسب المئوية؛ لوصف خصائص العينة.
- 2- المتوسط الحسابي؛ لتحديد متوسط الاستجابات.
- 3- الانحراف المعياري؛ لمعرفة انحراف القيم عن متوسطها الحسابي.
- 4- معامل ارتباط بيرسون؛ لمعرفة صدق الاتساق الداخلي بين المحاور الرئيسية والدرجة الكلية للأداة البحث.
- 5- معامل ألفا كرونباخ؛ للتحقق من ثبات أداة البحث.
- 6- اختبار (T-test) لمجموعتين مستقلتين؛ لمعرفة دلالة الفروق ومقارنتها حسب متغيرات البحث المستقلة.

تفسير ومناقشة البيانات الميدانية للبحث:

يتناول هذا المخور عرض ومناقشة البيانات الميدانية للبحث بصورة مفصلة، ومقارنتها مع ما توصلت إليه نتائج الدراسات السابقة ذات العلاقة بهذا البحث.

1- عرض وتفسير البيانات المتعلقة بالسؤال الأول: ما درجة وعي طلبة كلية التربية والعلوم

للجاًءة عن هذا السؤال تم حساب المتوسطات الحسالية والانحرافات المعيارية لكل فقرة، وللمحور

بشكل كلي، والمجدول التالي يوضح ذلك.

جدول رقم (4) يبين درجة وعي طلبة كلية التربية والعلوم لأبعاد الأمن التربوي

الرتبة	الدرجة	الانحراف المعياري	المتوسط الحساسي	الفقرات	م	نوع
2	عالية	0.49	2.83	أعرف منهج الوسطية والاعتدال.	1	بعد الدين التربوي
12	متوسطة	0.80	2.30	أفهم منهج الإسلامي في التعامل مع الفتن.	2	
1	عالية	0.46	2.87	أعرف حرمة الاعتداء على النفس البريئة.	3	
10	عالية	0.59	2.75	أعي مخاطر التبعية والتقليل الأعمى.	4	
1	عالية	0.59	2.69	مجموع البعد الديني		
5	عالية	0.53	2.79	أستوعب حقيقة التعايش السلمي.	5	
13	متوسطة	0.81	2.28	أستوعب ضوابط الحوار البناء.	6	
9	عالية	0.58	2.76	أعي الآثار السلبية الناتجة عن الإرهاب.	7	
3	عالية	0.48	2.82	أدرك نعمة الأمن والاستقرار في المجتمع.	8	
3	عالية	0.60	2.66	مجموع البعد الاجتماعي		
6	عالية	0.53	2.78	أعرف فقه العلاقة بين الحاكم والمحكوم.	9	
7	عالية	0.58	2.77	أعرف أبعاد حرية الرأي والرأي الآخر.	10	
4	عالية	0.51	2.81	أعي أهمية حب الوطن والدفاع عنه.	11	
11	متوسطة	0.80	2.32	أعرف جهود الدولة تجاه خدمة المواطن.	12	

الرتبة	الدرجة	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الفقرات	م	%
2	عالية	0.61	2.67	مجموع البعد السياسي		
8	عالية	0.57	2.76	أدرك أهمية السلام العالمي بين الشعوب.	13	
15	منخفضة	0.70	1.64	أعرف مقومات بناء الشخصية المعتدلة.	14	
14	منخفضة	0.69	1.65	أعرف كيفية مقاومة مؤثرات الحياة السلبية.	15	
16	منخفضة	0.68	1.63	أنهم أهداف وأساليب الغزو الفكري.	16	
4	متوسطة	0.66	1.92	مجموع البعد الثقافي		
-	عالية	0.62	2.49	المجموع الكلي للمحور		

يتضح من البيانات المتضمنة في الجدول رقم (4) أن تقديرات أفراد العينة لوعي طلبة كلية التربية والعلوم لأبعاد الأمن التربوي كانت بدرجة عالية على الترتيب للفقرات رقم: (3، 1، 8، 5، 11، 9، 10، 13، 7، 4)، وترواحت متوسطاتها الحسابية ما بين (2.75 - 2.87)، وكانت التقديرات بدرجة متوسطة على الترتيب للفقرات رقم: (12، 2، 6)، وترواحت متوسطاتها ما بين (2.32 - 2.28)، بينما كانت التقديرات بدرجة منخفضة على الترتيب للفقرات رقم: (15، 16)، وترواحت متوسطاتها ما بين (1.63 - 1.65)، وللمحور ككل بدرجة عالية، وبمتوسط حسابي (2.49)، وهذا يدل على وجود وعي لدى الطلبة بأبعاد الأمن التربوي.

ويتبين من الجدول السابق أن وعي الطلبة للبعد الديني جاء في المرتبة الأولى بدرجة عالية، وبمتوسط (2.69) كون الطلبة لديهم معرفة بحرمة الاعتداء على النفس البشرية، ومعرفة بمنهج الوسطية والاعتدال، ووعي بمخاطر التبعية والتقليد الأعمى، وفهم لمنهج الدين الإسلامي في التعامل مع الفتن، ووعي الطلبة بهذه المفاهيم جاء نتيجة فلسفة التعليم في اليمن التي أسهمت في إيجاد تعليم جامعي يعزز الأمن التربوي للطلبة، وهذه النتيجة تتفق مع دراسة بارشيد (2016)، وأل زاهر

(2015) حيث توصلتا إلى أن محور الأمن الدیني احتل المرتبة الأولى بدرجة عالية، بينما تختلف مع دراسة أدنوف (2011) التي أفادت أن أبعاد الأمن التربوي جاءت بمستوى منخفض. ويلاحظ من الجدول أن وعي الطلبة للبعد السياسي حاز المرتبة الثانية بدرجة عالية، وبمتوسط (2.67)، ومؤشرات هذا البعد تمثل في الوعي بأهمية حب الوطن والدفاع عنه، ومعرفة فقه العلاقة بين الحاكم والحكومة، وأبعاد حرية الرأي والرأي الآخر، وجميعها جاءت الموافقة عليها بدرجة عالية، أما معرفة جهود الدولة تجاه خدمة المواطن فجاءت الموافقة عليه بدرجة متوسطة، وجميع هذه المؤشرات توجب على الجامعة تنفيذ أنشطة تبصر الطلبة بالصالح الوطنية التي ينعم بها الوطن، وعقد دورات وندوات سياسية تعزز الأمن التربوي للطلبة، وهذه النتيجة تختلف مع دراسة يونس (2019) التي أشارت بأن المحور السياسي المرتبط بالأمن التربوي جاء تتحققه بدرجة متوسطة.

ويتضح من الجدول أن وعي الطلبة للبعد الاجتماعي حصل على المرتبة الثالثة بدرجة عالية، وبمتوسط حسابي (2.66)، ومؤشرات هذا البعد في إدراك نعمة الأمن، واستيعاب حقيقة التعايش السلمي، والوعي بالآثار السلبية الناتجة عن الإرهاب، وقد حصلت على موافقة بدرجة عالية، أما مؤشر استيعاب ضوابط الحوار البناء، فقد جاءت الموافقة عليه بدرجة متوسطة، وهذا الأمر يستدعي تبني الجامعة استراتيجية تربية تمكن الطلبة من التمتع بالأبعاد الاجتماعية المعززة للأمن التربوي، وهذه النتيجة تفرد بها البحث الحالي على بقية نتائج الدراسات السابقة.

ويتضح من الجدول أن وعي الطلبة للبعد الثقافي جاء في المرتبة الرابعة بدرجة متوسطة، وبمتوسط (1.92)، حيث جاء الوعي بدرجة عالية في إدراك أهمية السلام العالمي، وبدرجة منخفضة في معرفة كيفية مقاومة مؤثرات الحياة السلبية، وبناء الشخصية المعتدلة، وفهم أساليب الغزو الفكري، وهذه النتيجة تدعو إلى ضرورة تحديث مضامين مقرر الثقافة الإسلامية؛ لترسخ الأمن التربوي، وتتفق هذه النتيجة مع دراسة (coll, 2004) التي بينت أن الطلبة يدركون معانٍ للأمن الفكري التربوي

بمستوى متوسط، بينما تختلف مع دراسة المعicel (1440) في أن متطلبات الأمان التربوي للمجتمع متحقق بدرجة كبيرة جداً.

-2- عرض وتفسير البيانات المتعلقة بالسؤال الثاني: ما درجة ممارسة طلبة كلية التربية والعلوم بجامعة إقليم سبا لأبعاد الأمان التربوي؟

للإجابة عن هذا السؤال تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لكل فقرة، وللمحور بشكل كلي، والمجدول الآتي يوضح ذلك.

جدول رقم (5) يبين درجة ممارسة طلبة كلية التربية والعلوم لأبعاد الأمان التربوي

الرتبة	الدرجة	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الفقرات	M	نسبة (%)
1	عالية	0.11	2.99	أنبذ جميع الأفكار المنحرفة والمتطرفة.	1	
10	متوسطة	0.81	2.31	أرجع إلى العلماء لمعرفة القضايا الشرعية.	2	
5	عالية	0.33	2.94	أبتعد عن الانشغال بالمسائل الخلافية في الدين.	3	
6	عالية	0.34	2.92	أفندي الشبه المثارة ضد الدين الإسلامي.	4	
1	عالية	0.40	2.79	مجموع البعد الديني		
3	عالية	0.24	2.96	احافظ على مصالح ومتicsيات الوطن.	5	
4	عالية	0.27	2.95	أكره العصبية بمختلف أشكالها.	6	
13	متوسطة	0.77	2.25	أتقبل النقد الموجه من الأصدقاء.	7	
11	متوسطة	0.81	2.30	أردُّ بعنف على كل من أختلف معه.	8	
3	عالية	0.52	2.62	مجموع البعد الاجتماعي		
2	عالية	0.19	2.98	أبتعد عن الولاءات التي تضر بالوطن.	9	
9	عالية	0.47	2.86	أراعي حقوق الآخرين التي كفلتها الدستور.	10	
8	عالية	0.44	2.87	أشارك في انتخابات الجمعيات الطلابية.	11	
12	متوسطة	0.80	2.29	أفضل ممارسة التعددية السياسية.	12	
2	عالية	0.48	2.75	مجموع البعد السياسي		

الرتبة	الدرجة	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الفقرات	M	%
16	منخفضة	0.69	1.62	أشاهد الأفلام التي تحاكي تاريخ الوطن.	13	بعض التفاوت القليل
7	عالية	0.42	2.88	أتلقى المعلومات من المصادر الموثقة.	14	
14	منخفضة	0.71	1.65	أتعامل بإيجابية مع معطيات العولمة.	15	
15	منخفضة	0.70	1.64	أحضر الجلسات الحوارية مع الطلبة.	16	
4	متوسطة	0.63	1.95	مجموع البعد الثقافي		
-	عالية	0.51	2.53	المجموع الكلي للمحور		

يشير الجدول رقم (5) أن تقديرات أفراد العينة لممارسة طلبة كلية التربية والعلوم لأبعاد الأمن التربوي كانت بدرجة عالية على الترتيب للفقرات رقم: (1، 9، 14، 4، 3، 6، 5، 11، 10)، وترواحت متوسطاتها الحسابية ما بين (2.99 - 2.86)، وكانت التقديرات بدرجة متوسطة على الترتيب للفقرات رقم: (2، 8، 12، 7)، وترواحت متوسطاتها الحسابية ما بين (2.31 - 2.25)، بينما كانت التقديرات بدرجة منخفضة على الترتيب للفقرات رقم: (15، 16، 13)، وترواحت متوسطاتها الحسابية ما بين (1.65 - 1.62)، وبالنسبة للتقدير الكلي للمحور فكان بدرجة عالية، ومتوسط حسابي بلغ (2.53)، وهذه النتيجة تُشير إلى أن وعي الطلبة بأبعاد الأمن التربوي الذي جاء بدرجة عالية له انعكاساته الإيجابية جعل الطلبة يمارسون الأمن التربوي بدرجة عالية.

ويتضح من بيانات الجدول السابق أن مستوى ممارسة الطلبة للبعد الديني حصل على المرتبة الأولى بدرجة عالية، وبمتوسط (2.79)، وكانت بدرجة عالية من خلال نبذ الأفكار المنحرفة، وعدم الانشغال بالمسائل الخلافية في فروع الدين، والقيام بتفنييد الشبه المثارة ضد الدين الإسلامي، وبدرجة متوسطة فيما يخص الرجوع للعلماء لمعرفة القضايا الشرعية، وهذه النتيجة تتفق مع دراسة الخلوف (2017) التي توصلت إلى أن الأمن التربوي المرتبط بالبعد الديني متتحقق لدى الطلبة بدرجة عالية،

في حين تختلف مع دراسة أدنوف (2011) التي أفادت أن الوعي بأبعاد الأمن التربوي جاء بمستوى منخفض.

ويتبين من الجدول السابق أن ممارسة الطلبة للبعد السياسي حاز المرتبة الثانية بدرجة عالية، وبمتوسط (2.75)، وقد كانت الموافقة بدرجة عالية على الابتعاد عن الولايات التي تضر بالوطن، والمشاركة في انتخاب الجمعيات الطلابية، ومراعاة حقوق الآخرين التي كفلها الدستور، في حين كانت الموافقة بدرجة متوسطة على تفضيل ممارسة التعددية السياسية، وهذه النتيجة تدعوا إلى تبني الجامعة لبرامج تربوية تستهدف تعريف الطلبة بأبعاد السياسية المعززة للأمن التربوي، وهذه النتيجة تفرد بها البحث الحالي عن جميع نتائج الدراسات السابقة.

ويظهر من الجدول أن ممارسة الطلبة للبعد الاجتماعي جاء في المرتبة الثالثة بدرجة عالية، وبمتوسط (2.62)، حيث جاءت الموافقة بدرجة عالية على المحافظة على مصالح ومكتسبات الوطن، وكراه العصبية، بينما كانت الموافقة بدرجة متوسطة على الرد بعنف على كل من أختلف معه، وتقبل النقد الموجه من الأصدقاء، وهذه النتيجة يمكن عزوها إلى أن الطلبة يعيشون أوضاع صعبة جعلتهم يمارسون ذلك بدرجة متوسطة، وهذه النتيجة تختلف مع دراسة الخلوف (2017) التي توصلت إلى أن الأمن التربوي المرتبط بالبعد الاجتماعي متتحقق بدرجة عالية.

ويتبين من الجدول أن ممارسة الطلبة للبعد الثقافي جاء في المرتبة الرابعة بدرجة متوسطة، وبمتوسط (1.95)، حيث جاءت الموافقة بدرجة عالية على تلقي المعلومات من المصادر الموثوقة، في حين جاءت الموافقة بدرجة منخفضة على التعامل بيايجائية مع معطيات العولمة، وحضور الجلسات الحوارية مع الطلبة، ومشاهدة الأفلام التي تحاكي تاريخ الوطن، وتختلف هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسة راهي وآخرين (2019) بأن أعضاء هيئة التدريس يسهمون بدرجة عالية في توفير الأمن التربوي بعده الثقافى لدى الطلبة، بينما تختلف مع دراسة (Elda & Mary, 2014) التي أفادت بأن ممارسة الأمن التربوي بشقه الثقافى جاء بمستوى منخفض وسلبي.

3- عرض وتفسير البيانات المتعلقة بالسؤال الثالث: هل توجد فروق دالة إحصائياً عند مستوى دالة (0.05) بين متوسط استجابات أفراد العينة لتحديد درجةوعي ومارسة الطلبة لأبعاد الأمن التربوي وفقاً لمتغير الجنس، والتخصص، والمستوى الدراسي؟

للإجابة عن هذا السؤال تم استخدام اختبار (t-test) لمعرفة دالة الفروق الإحصائية بين متوسط استجابات أفراد العينة، حسب متغير الجنس، والتخصص، والمستوى الدراسي.

1- متغير الجنس

جدول رقم (6) يبين اختبار (T) لدالة الفروق الإحصائية بين متوسط الاستجابات لتحديد درجةوعي ومارسة الطلبة لأبعاد الأمن التربوي وفقاً لمتغير الجنس

مستوى الدلالة	قيمة (T)	درجة الحرية	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العدد	الجنس	المحور
0.000	4.051	168	0.679	2.377	79	ذكر	درجة وعي الطلبة لأبعاد الأمن التربوي
			0.241	2.686	91	أنثى	
0.022	2.307	168	0.479	2.513	79	ذكر	درجة ممارسة الطلبة لأبعاد الأمن التربوي
			0.274	2.649	91	أنثى	
0.001	3.326	168	0.575	2.445	79	ذكر	المجموع الكلي
			0.257	2.667	91	أنثى	

توضح بيانات الجدول رقم (6) وجود فروق دالة إحصائياً عند مستوى دالة (0.05) بين متوسطات استجابات أفراد العينة تبعاً لمتغير الجنس، حيث جاءت الفروق لصالح الإناث، مما يدل على وجود تباين في وجهات النظر بين الطلبة الذكور والإإناث في تحديد درجةوعيهم لأبعاد الأمن التربوي، ومارستهم لها، وهذا يشير إلى أن متغير الجنس له أثر في تباين استجابات الطلبة، ومن خلال مقارنة هذه النتيجة مع نتائج الدراسات السابقة تبين أنها تختلف مع ما توصلت إليه دراسة راهي

وآخرين (2019)، ودراسة سبمحان (2019) اللتين توصلتا إلى عدم وجود فروق دالة إحصائياً بين متطلبات استجابات أفراد العينة وفقاً لمتغير الجنس.

2- متغير التخصص

جدول رقم (7) يبين اختبار (T) لدالة الفروق الإحصائية بين متوسط الاستجابات لتحديد درجة وعي وممارسة الطلبة لأبعاد الأمن التربوي وفقاً لمتغير التخصص

مستوى الدلالة	قيمة (T)	درجة الحرية	الاخراف المعياري	المتوسط الحسابي	العدد	التخصص	المور
0.154	1.433	168	0.505	2.598	87	دراسات أدبية	درجة وعي الطلبة لأبعاد الأمن التربوي
			0.526	2.484	83	دراسات علمية	
0.131	1.519	168	0.389	2.630	87	دراسات أدبية	درجة ممارسة الطلبة لأبعاد الأمن التربوي
			0.383	2.539	83	دراسات علمية	
0.139	1.488	168	0.443	2.614	87	دراسات أدبية	المجموع الكلي
			0.449	2.512	83	دراسات علمية	

يتضح من الجدول رقم (7) عدم وجود فروق دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.05) بين متوسط استجابات أفراد العينة تبعاً لمتغير التخصص، مما يدل على وجود تشابه في وجهات نظر أفراد العينة في تحديد درجة وعيهم وممارستهم لأبعاد الأمن التربوي، وهذه النتيجة يمكن عزوها إلى أن التخصص الدراسي ليس له تأثير في الاستجابات، ومن خلال مقارنة هذه النتيجة مع نتائج الدراسات السابقة تبين أنها تتفق مع دراسة راهي، وآخرين (2019)، وآل زاهر (2015) اللتين أظهرتا عدم وجود فروق دالة إحصائياً بين الاستجابات تبعاً لمتغير التخصص.

3- متغير المستوى الدراسي.

جدول رقم (8) يبين اختبار (T) لدالة الفروق الإحصائية بين متوسط الاستجابات لتحديد درجة وعي ومارسة الطلبة لأبعاد الأمن التربوي وفقاً لمتغير المستوى الدراسي

المتغير	المستوى الدراسي	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة (T)	مستوى الدلالة
درجة وعي الطلبة لأبعاد الأمن التربوي	المستوى الأول	89	2.587	0.572	168	1.188	0.237
	المستوى الثاني	81	2.493	0.448	168	1.188	0.237
درجة ممارسة الطلبة لأبعاد الأمن التربوي	المستوى الأول	89	2.625	0.445	168	1.397	0.164
	المستوى الثاني	81	2.542	0.311	168	1.397	0.164
المجموع الكلي	المستوى الأول	89	2.606	0.504	168	1.293	0.198
	المستوى الثاني	81	2.518	0.373	168	1.293	0.198

يتضح من الجدول رقم (8) عدم وجود فروق دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.05) بين متوسط استجابات أفراد العينة تبعاً لمتغير المستوى الدراسي، مما يدل على وجود تجانس في وجهة نظر أفراد العينة في تحديد درجة وعيهم ومارستهم لأبعاد الأمن التربوي، وهذه النتيجة يمكن عزوها إلى أن المستوى الدراسي لم يؤثر في استجابات أفراد العينة، ومن مقارنة هذه النتيجة مع نتائج الدراسات السابقة تبين أنها تتفق على بقية الدراسات السابقة.

نتائج البحث:

توصيل البحث إلى مجموعة من النتائج العامة، وهي على النحو الآتي:

- 1- جاء وعي الطلبة لأبعاد الأمن التربوي بدرجة عالية، وبمتوسط حسابي (2.49)، حيث جاء البعد الديني في المرتبة الأولى بدرجة عالية، وبمتوسط (2.69)، والبعد السياسي في المرتبة الثانية بدرجة

عالية، وبمتوسط (2.67)، والبعد الاجتماعي في المرتبة الثالثة بدرجة عالية، وبمتوسط (2.66)، والبعد الثقافي في المرتبة الرابعة بدرجة متوسطة، وبمتوسط (1.92).

2- جاءت ممارسة الطلبة لأبعاد الأمن التربوي بدرجة عالية، وبمتوسط حسابي (2.53)، حيث جاء البعد الديني في المرتبة الأولى بدرجة عالية، وبمتوسط (2.79)، والبعد السياسي في المرتبة الثانية بدرجة عالية، وبمتوسط (2.75)، والبعد الاجتماعي في المرتبة الثالثة بدرجة عالية، وبمتوسط (2.62)، والبعد الثقافي في المرتبة الرابعة بدرجة متوسطة، وبمتوسط (1.95).

3- وجود فروق دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.05) بين متوسط استجابات أفراد عينة الدراسة لتحديد درجةوعي ومارسة كلية التربية والعلوم لأبعاد الأمن التربوي وفقاً لمتغير الجنس، حيث جاءت الفروق لصالح الإناث، وأما بحسب متغير التخصص ومتغير المستوى الدراسي فلا توجد فروق دالة إحصائياً.

توصيات البحث:

في ضوء نتائج البحث يمكن تقديم التوصيات الآتية:

- 1- إعداد استراتيجية وطنية شاملة لتحقيق الأمان التربوي لدى الطلبة، وتطبيقها في أقرب وقت ممكن.
- 2- الاهتمام بالبرامج والتطبيقات التربوية التي من شأنها رفع مستوى أبعاد الأمان التربوي لدى الطلبة.
- 3- تضمين مقررات وأنشطة الجامعة مفاهيم تدفع الطلبة لمارسة أبعاد الأمان التربوي في الواقع العملي.
- 4- تبني الجامعة إنشاء كرسى للأمن التربوي كما في أغلب الجامعات بدول مجلس التعاون الخليجي.

5- الاستفادة من تجارب بعض الجامعات في الدول العربية والإسلامية في عملية تنمية الأمن

التربوي للطلبة.

مقتراحات البحث:

يمكن اقتراح إجراء بحوث لم يغطها البحث الحالي، وهي على النحو الآتي:

1- إجراء بحث مماثل لتقدير أبعاد الأمن التربوي لدى طلبة بقية الكليات التابعة لجامعة إقليم سباء.

2- إجراء بحث يتناول أبعاداً أخرى للأمن التربوي مثل: البعد النفسي، والبعد الاقتصادي، والبعد التكنولوجي.

3- إجراء بحث يقدم رؤية مقترحية لتنمية الأمن التربوي لدى طلبة كلية التربية والعلوم بجامعة إقليم سباء.

4- إجراء بحث مماثل لتقدير أبعاد الأمن التربوي لدى طلبة التعليم العام بالجمهورية اليمنية.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً- الكتب والبحوث العلمية

آل زاهر، عبدالله مفلح عبد الرحمن. (2015). درجة إسهام مديرى المدارس الابتدائية الحكومية في تحقيق الأمن التربوي لدى طلابهم بشرق مدينة الرياض. رسالة ماجستير غير منشورة، كليات الشرق العربي، الرياض.

آل عياش، عبدالله حلفان. (2007). التربية الأمنية في الإسلام الحل الأمثل للفتن. ط 1، دار الحبة، دمشق.

إحصائية الطلبة للعام 2021م-2022م، إدارة شؤون الطلاب بكلية التربية والعلوم، جامعة إقليم سباء.

أدنوف، جنان. (2011). دور معلم الصف في تحقيق الأمن التربوي للطفل دراسة ميدانية في محافظة الحسكة بسوريا. مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، العدد (2)، 182 – 202.

- الأسم، أحمد. (1997). فلسفة التربية في الإسلام- انتماء وارتقاء. ط١، دار الفرقان، عَمَّان.
- الأصبهي، مالك بن أنس. (د. ت). الموطأ. تحقيق: فؤاد عبدالباقي، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت.
- بارشيد، عبدالله محمد. (2016). دور المعلم في تحقيق الأمن التربوي من وجهة نظر طلاب المرحلة المتوسطة والثانوية بمدينة تبوك. المجلة التربوية، جامعة الكويت، المجلد (31)، العدد (121)، الجزء الثاني، 313 - 361.
- البكولي، بدر الدين حسين لطف الله. (2014). دور المدرسة في تعزيز الأمن الفكري لدى طلبة المرحلة الثانوية في محافظة صنعاء. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة صنعاء.
- البكولي، بدر الدين حسين لطف الله. (2018). تصور مقترح للتربية الأمنية لطلبة الجامعات اليمنية في ضوء تحديات القرن الحادي والعشرين. أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، الخرطوم.
- البكولي، بدر الدين حسين لطف الله. (2020). التربية الإسلامية وروادها في العالم العربي والإسلامي. مكتبة بنيان، مأرب.
- حسيني، صلاح الدين محمد. (2013). تفعيل دور كليات التربية بمصر في تحقيق الأمن التربوي لطلابها على ضوء ثورات الربيع العربي إطار تصوري مقترح. مجلة دراسات في التعليم الجامعي، القاهرة، العدد (25)، 166-231.
- الحوشان، بركة زامل. (1425هـ). أهمية المؤسسة التعليمية في تنمية الوعي الأمني. ورقة عمل مقدمة لندوة المجتمع والأمن المنعقدة بكلية الملك فهد الأمنية بالرياض خلال الفترة 21-24/2/1425هـ.
- الخلوف، نوره خليفة فهد. (2017). دور قائدات المدارس في تنمية الأمن التربوي لدى طالبات المرحلة الثانوية بمدارس التعليم العام بمحافظة الأحساء. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الملك فيصل.

راهي، قحطان فضل، آخرون. (2019). مستوى مساهمة أعضاء الهيئة التدريسية في جامعة الكوفة في توفير الأمن التربوي لطلبهم. مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد (42)، 1103-1121.

رشوان، عبدالغنى السمان عبدالغنى. (2011). اتجاهات فلسفة التربية المعاصرة في مصر وتحقيق الأمن التربوي. أطروحة دكتوراة غير منشورة، كلية التربية، جامعة سوهاج.

زايد، أميرة عبدالسلام. (2018). المدرسة وتحقيق الأمن التربوي. ط 1، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، القاهرة.

سالم، رائدة خليل. (2006). المدرسة والمجتمع. ط 1، مكتبة المجتمع العربي، عمّان.
سعيد، جلال الدين. (2004). معجم المصطلحات وال Shawahid الفلسفية. دار الجنوب للنشر، تونس.
شحاته، حسن، آخرون. (2003). معجم المصطلحات التربوية والنفسية. ط 1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.

الشريفي، محمد ياسين، ونبيل، موفق محمد. (2011). الأمن الثقافي ودور الأمن التربوي كبعد استراتيжи في تحقيقه من وجهة نظر أعضاء الهيئة التدريسية في كليات العلوم التربوية في الجامعات الأردنية. أطروحة دكتوراة غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمّان.

الشريوفي، عمر. (2009). التحول إلى مجتمع المعرفة وأثره في تعزيز الأمن الفكري. بحث علمي مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري "المفاهيم والتحديات"، جامعة الملك سعود، الرياض.
صافي، يوسف حسن. (2009). تعزيز الأمن التربوي كركيزة لأمن وطني وقومي مستدام. ورقة عمل مقدمة للأمن التربوي الفلسطيني في ظل العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، جامعة الأقصى، غزة.

صغير، أحمد حسين. (2013). الأمن التربوي للأطفال بين التحديات والطموحات دراسة ميدانية في مجتمع الإمارات. مركز الأبحاث بجامعة الشارقة، الشارقة.

الطلع، رضوان ظافر. (1999). نحو أمن فكري إسلامي. مطبع السفراء، الرياض.
علي، سعيد إسماعيل. (1989). الأمن التربوي العربي. ط 3، عالم الكتب، القاهرة.

علي، سعيد إسماعيل. (2001). فقه التربية مدخل إلى العلوم التربوية. ط١، دار الفكر العربي، القاهرة.

عمر، سيف الإسلام سعد. (2009). الموجز في منهج البحث العلمي في التربية والعلوم الإنسانية. ط١، دار الفكر، دمشق.

القانون رقم (١٣) لسنة ٢٠١٠م بشأن التعليم العالي، صنعاء.

قطب، محمد. (1988). منهج التربية الإسلامية. ج١، ط١١، دار الشروق، القاهرة.

المؤتمر الشعبي العام. (د. ت). الميثاق الوطني. اليمن.

المعيقل، عبدالله عبدالعزيز. (١٤٤٠هـ). متطلبات الأمان التربوي في وسائل التواصل الاجتماعي. مجلة العلوم التربوية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، العدد (٢٦)، ١٩ - ١٠٤.

موسى، محمد أحمد. (2003). التربية وقضايا المجتمع المعاصر. ط٢، دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربية المتحدة.

يونس، أسماء محمد أحمد. (2019). متطلبات تحقيق الأمان التربوي لدى طلاب التعليم الثانوي العام دراسة ميدانية بمحافظة المنيا. مجلة البحث في التربية وعلم النفس، كلية التربية، جامعة المنيا، المجلد (٣٤)، العدد (٢)، ٢٢٩ - ٢٩٩.

ثانيًا- المراجع الأجنبية

Call, Carolyne Mary. (2004). Intellectual Safety and Epistemological Position in the college classroom. PHD. Dissertation, United States, NEW YORK, Comell university.

De Waal. Elda & Grosser. Mary. (2014). On safety and security in education Pedagogical needs and fundamental rights of learners Educar, Vol (50), No (2).

Gaustad, Joan. (1990). School Security ERIC Digest Series Number EA (46), ERIC Clearinghouse on Educational Management Eugene OR, ERIC Identifier, ED 321- 343.

أثر استراتيجية التدريس المصغر على تنمية الأداء التدريسي في التربية العملية لدى طلبة كلية التربية بمحافظة المهرة

علي عبد العزيز باعشن^(*)

الملخص:

هدفت الدراسة إلى التعرف على أثر استراتيجية التدريس المصغر على تنمية الأداء التدريسي في التربية العملية لدى الطلبة المعلمين في كلية التربية بمحافظة المهرة التابع لجامعة حضرموت، وقد استخدم الباحث المنهج شبه التجريبي (تصميم المجموعة الواحدة). وتكون مجتمع الدراسة من طلبة المستوى الثالث في الكلية، واختيرت عينة مكونة من (35) طالبًا وطالبة بطريقة قصدية. وتكونت أداة الدراسة من بطاقة ملاحظة لقياس الأداء التدريسي من (30) فقرة بطريقة ليكرت للتقديرات المتجمعة وفق خمسة بدائل.

وتوصلت الدراسة إلى مجموعة نتائج كان أبرزها: وجود فروق دالة إحصائيا عند مستوى دلالة (0.05) بين المتوسطات الحسابية لدرجات أداء الطلاب المعلمين في القياسين القبلي والبعدي للأداء التدريسي لمصلحة القياس البعدى وأن حجم التأثير للتدريس المصغر على تنمية الأداء التدريسي كان متوسطا، كما أظهرت وجود فروق دالة إحصائيا عند مستوى دلالة (0.05) بين المتوسطات الحسابية لدرجات أداء الطلاب المعلمين في القياس البعدى للأداء التدريسي يعزى لمتغير الجنس ولمصلحة الإناث. وعليه أوصى الباحث بتطبيق استراتيجية التدريس المصغر في برامج الإعداد قبل الخدمة لطلبة كليات التربية.

الكلمات المفتاحية: التدريس المصغر، الأداء التدريسي، التربية العملية، الطالب المعلم.

(*) باحث دكتوراه. قسم العلوم التربوية - كلية التربية - المكلا - جامعة حضرموت.

The Impact of Micro-Teaching Strategy on the Development of Teaching Performance in Practical Education among Students of the Faculty of Education in Al-Mahrah Governorate

Ali Abdul Azeez Ba'shen

Abstract

The study aimed to identify the impact of micro-teaching strategy on the development of teaching performance in practical education among student-teachers at the Faculty of Education in Al-Mahrah governorate, affiliated to Hadhramout University. The researcher used the quasi-experimental method of a single group design. The study population consisted of third-level students in the college, from which a purposive sample of (35) male and female students was chosen. As its instrument to measure teaching performance, the study used an observation card consisting of (30) items using a five-point Likert rating scale of aggregated estimates.

There were a set of findings in the study, most notably of which was the presence of statistically significant differences at the level of significance (0.05) between the mean scores of student-teacher performances in the two measurements of teaching performance in the pre and post measurements for the benefit of the post-measurement. Further, the impact of micro-teaching in developing teaching performance was average. There were also statistically significant differences at the level of significance (0.05) between the mean scores for students' performance in the post measurement of the teaching performance attributed to gender in favor of females. Accordingly, the researcher recommended the application of micro-teaching strategy in preparation programs for students of faculties of education prior to employment.

Keywords: Micro-teaching; Teaching performance; Practical education; Student-teacher.

مقدمة:

يعد إعداد الطالب المعلم ناتجاً تربوياً مهماً تسعى إلى تحقيقه معظم الأنظمة التعليمية التي تعني أهميته وقيمتها في بناء وتطور المجتمعات ورقابها باعتباره العمود الفقري في العملية التربوية، وعليه تنافست الجامعات مثلية بكليات التربية في بناء برامج إعداده إعداداً شاملـاً تقوم على معايير مهنية حديثة و بما تتفق مع متغيرات العصر وتواكب التطور العلمي والتكنولوجي.

وتشير الآراء الحالية بشأن طبيعة عمل المعلمين إلى أهمية رؤية المعلم في إطار عملية مستمرة من التطوير المهني ابتداءً من التدريب التمهيدي قبل الالتحاق بالعمل في المهنة، وتقديم الدعم اللازم للمعلم خلال السنوات المبكرة من التدريس، إضافة إلى الاستمرار في عملية التطوير طوال سنوات الخدمة، فضلاً عن حاجة المعلمين إلى برامج وأنشطة مختلفة للتطوير المهني في سياق التغييرات في البيئة التعليمية (هارولد وقسم البحث التربوية، 2002، 2003، 2002، 2003).

وما لا شك فيه أن التربية العملية من المراحل المهمة في إعداد المعلم قبل الخدمة حيث تترجم فيها النظريات التربوية والنفسية إلى مهارات ملموسة تنفذ على أرض الواقع والتي تسمح فيها للطالب المعلم بتطبيق ما تعلمه نظرياً بتطبيقه فعلياً في حجرات الدراسة (عبد الرسول، 2021).

ونظراً لتلك الأهمية الحيوية تستخدم استراتيجيات عديدة وطرق في التربية العملية؛ لعل من أبرزها استراتيجية التدريس المصغر التي تقوم على فكرة مفادها تبسيط الموقف التدرسي المعقد إلى مواقف مجزأة وميسرة والتدريب على المهارات التدريسية المتنوعة في بيئة تدريس مصغرة قابل للتطبيق بسهولة لأجل تنمية الأداء التدرسي.

ومن هذا المنطلق، عقدت كلية التربية بجامعة حضرموت في فرعها بالمهرة ورشة عمل خاصة بتقييم برنامج التربية العملية (2) بهدف تحسين وتطوير البرنامج في المستقبل والوقوف على إمكانية وضع

الحلول والمعالجات للمشاكل والصعوبات التي واجهتها في التطبيق وذلك لتطوير وتحسين الأداء ودراسة المقترنات التي تهدف لرفع فاعلية التطبيق الميداني وتحسين أدائه مستقبلاً؛ إذ خرجت الورشة بمجموعة من التوصيات أبرزها تكليف أعضاء هيئة التدريس والتدريس المساعدة بتدريب الطلبة على التدريس المصغر، وعمل أنشطة تطبيقية للمتدربين في الكلية قبل الخروج للمدارس (قسم التربية وعلم النفس، 2019).

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

تؤكد الدراسات السابقة جملة على ضرورة الاهتمام وتطوير التربية العملية بوصفها الناتج النهائي لما تعلمه الطالب المعلم في كليات التربية خلال سنوات دراسته الأكاديمية وفق ضوابط ومقاييس معيارية تضمن تحقيق المستويات المهنية المنشودة، كما اتفقت الكثير من الدراسات على أهمية التربية العملية الميدانية للطالب المعلم قبل الخدمة وأن التدريب الميداني يعد عصب الإعداد التربوي والمهني لإكسابه المهارات الأساسية للتدريس الفعال مثل دراسة كل من (نجم، 2010؛ شريف، 2014؛ الشريدة وعز الدين 2018).

كذلك ما لمسه الباحث أثناء الإشراف على الطلاب المعلمين المتدربيين قبل الخدمة بالتحديد في كلية التربية بمحافظة المهرة ومناقشتهم حول ما يلاقونه من مشكلات متعلقة بالجانب المهني والتدرسي والتعرف على أهم الصعوبات التي تواجههم أثناء التنفيذ داخل الصفوف الدراسية، فضلاً عن المعايشة الشخصية والملاحظة المستمرة للواقع المهني – بوصفه طالبا سابقاً وعضو هيئة تدريسية مساعدة حالياً، بدأ له أن هناك قصوراً في الأداء التدرسي في التطبيق الميداني؛ الأمر الذي يشكل فجوة ما بين الإعداد النظري والجانب المهني التطبيقي.

وبناء عليه، فقد تحسدت مشكلة الدراسة في التصدي لذلك القصور بين جانب الإعداد النظري لبرامج كليات التربية بجامعة حضرموت خاصة؛ وبين الجانب التطبيقي الميداني لإكساب وتنمية

مهارات الأداء التدريسي الفعال أثناء تنفيذ برنامج التربية العملية القائمة على معايير محددة ومقننة في حجرات الدراسة داخل المدارس فعلياً، ومن ثم تحسين الفجوة بين الجانب النظري والجانب التطبيقي.
وعليه تصاغ مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس الآتي:

ما أثر استراتيجية التدريس المصغر على تنمية الأداء التدريسي أثناء التطبيق الميداني لدى طلبة كلية التربية بالمهلة؟

ويتفرع عن السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية الآتية:

1. هل يوجد اختلاف في المتوسطات الحسابية لدرجات الأداء التدريسي للطلاب المعلمين في القياسين القبلي والبعدي عند مستوى الدلالة (0.05)؟

2. هل يوجد اختلاف في المتوسطات الحسابية لدرجات الأداء التدريسي للطلاب المعلمين في القياس البعدى يعزى إلى متغير رقم الدفعه (دفعه 2019 / 2020) عند مستوى الدلالة (0.05)؟

3. هل يوجد اختلاف في المتوسطات الحسابية لدرجات الأداء التدريسي للطلاب المعلمين في القياس القبلي يعزى إلى متغير الجنس (ذكور / إناث) عند مستوى الدلالة (0.05)؟

4. هل يوجد اختلاف في المتوسطات الحسابية لدرجات الأداء التدريسي للطلاب المعلمين في القياس البعدى يعزى إلى متغير الجنس (ذكور / إناث) عند مستوى الدلالة (0.05)؟

هدف الدراسة:

تحدد الدراسة إلى الآتي:

1. التعرف على أثر استراتيجية التدريس المصغر على تنمية الأداء التدريسي أثناء تنفيذ برنامج التطبيق الميداني لمقرر التربية العملية (2) لدى طلبة كلية التربية بمحافظة المهرة.

2. الكشف عن اختلافات مهارات الأداء التدريسي الناجمة عن متغيرات الدراسة

المستقلة وهي: الجنس ورقم الدفعه.

حدود الدراسة:

تقتصر الدراسة الحالية على المحددات الآتية:

1. حدود مكانية: طلبة كلية التربية بمحافظة المهرة التابعة لجامعة حضرموت.

2. حدود زمنية: طلاب المستوى الثالث للأعوام الجامعية (2018/2019 و 2019/2020).

3. حدود موضوعية: بطاقة ملاحظة قياس مهارات الأداء التدريسي التي أعدها الباحث في ضوء إجراءات بنائها وصدقها وثباتها، وكذلك إجراءات الدراسة التطبيقية.

أهمية الدراسة:

الدراسة الحالية تتركز أهميتها فيما يأتي:

1. من الناحية النظرية؛ يقدم إطاراً نظرياً لمفهوم التدريس المصغر وربطه بالتطبيق الميداني أثناء تنفيذ برنامج التربية العملية في المدارس مما يفتح المجال أمام المهتمين بالاستفادة منه والتوسيع فيه مستقبلاً، وكما يلي الاهتمام المتزايد على إيجاد معايير مقتنة تتضمنها مجتمعة في بطاقة ملاحظة واحدة لقياس مهارات الأداء التدريسي ميدانياً.

2. من الناحية التطبيقية؛ تقدم الدراسة بطاقة ملاحظة مقتنة لقياس الأداء التدريسي، علاوة على أنها ستقدم بيانات يمكن أن يستفيد منها متخدو القرار والأساتذة في جامعة حضرموت خاصة، كما يمكن أن تفتح الدراسة آفاقاً أخرى لتجربة أثر استراتيجيات أخرى كالتعلم التعاوني أو

دراسة ببرامج مقترحة مبنية وفق التدريس المصغر يمكن أن تسهم في رفع مهارات الأداء التدريسي لدى طلبة الجامعة حيث تعد سمة مرغوبة في خريجيها للمنافسة في سوق العمل المحلي والإقليمي.

مصطلحات الدراسة:

التدريس المصغر Micro-Teaching

يُعرَّف التدريس المصغر بأنه: "تدريس يعتمد على تجزئة مواقف التدريس إلى مراحل أو مهارات في فترات زمنية صغيرة ويتم التدريب عليها فرديا وبعد الانتهاء من التدريب على كل جزئية يتم العرض الكلي لموقف التدريس عرضاً ملحاً، وسواء كان التدريب جزئياً أو ملحاً يعتمد الملاحظون على بطاقات ملاحظة لتسجيل نواحي القوة ونواحي الضعف ومناقشتها" (اللقاني والجمل، 1996، 53).

وإيجارياً هو: موقف يحاكي الواقع يقوم على تجزئة الموقف التدريسي الكلي إلى مهارات تدريسية فرعية للتدريب عليها ويتم تنفيذها أمام بقية زملائه في القاعة في مدة زمنية ما بين 10 – 15 دقيقة للطالب الواحد يتم فيها تقييم الأداء التدريسي للطالب المعلم ثم تقدم التغذية الراجعة المناسبة له.

الأداء التدريسي Teaching Performance

يشير "مصطلح أداء المعلم Teacher Performance" إلى سلوك المعلم أثناء مواقف تدريس سواء داخل الفصل أو خارجه، ويلاحظ أن هذا الأداء هو الترجمة الإجرائية لما يقوم به المعلم من أفعال أو استراتيجية في التدريس أو في إدارته للفصل أو مساحته في الأنشطة المدرسية أو غيرها من الأفعال أو الأفعال التي يمكن أن تسهم في تحقيق تقدم في تعلم الطلاب" (شحاته والنجار، 2003، 29).

وإجرائياً هي مجموعة من المهارات التدريسية التي يحتاجها الطالب المعلم للقيام بالعملية التدريسية بإتقان وكفاءة أثناء تفريذه الدرس في الحصص المدرسية؛ ويقاس بمتوسط الدرجة الجمجمة التي يحصل عليها الطالب المعلم من بطاقة الملاحظة المقنتة.

التربية العملية Practical Education

"ويطلق عليها أيضا التربية الميدانية وهي جزء من برنامج إعداد المعلم ويتم خلاله تدريب الطالب المعلم تدريجياً على التطبيق العملي لما تعلمه نظرياً في برنامج الإعداد من خلال التدريس المصغر داخل الكلية والتدريب الميداني في مدارس التدريب بهدف إكسابه كفايات التدريس اللازم لمارسة مهنة التعليم" (علي، 2011، 105).

"وتسمى أيضا التطبيق الميداني وهي مجموعة الأنشطة التي يقوم بها طلاب / طالبات كلية التربية وغيرهم من كليات ومعاهد إعداد المعلمين من خلال احتكاكهم المباشر بالطلاب في المدارس وقاعات الدرس والجو المدرسي، حيث يتدرّبون على تنفيذ المناهج الدراسية ويكسبون المهارات الازمة مهنة التدريس، وحيث يطبقون ما تعلموه أثناء إعدادهم في الكليات الجامعية، وحيث يعيشون الخبرة الواقعية الحقيقة للتدريس، وهم يمارسون كل الأدوار المنوطه بعمل المعلم" (شحاته والنجار، 2003، 98). وإجرائياً هو عبارة عن برنامج ضمن المقررات التدريسية الأكاديمية في جامعة حضرموت يدرس نظرياً في الفصل الأول من المستوى الرابع بواقع (4) ساعات وعا يوازي (3) ساعات معتمدة، وينفذ عملياً خلال الفصل الثاني في المستوى الرابع أيضاً بواقع (12) ساعة عملي بما يوازي (6) ساعات معتمدة.

الطالب المعلم Student Teacher

"هو الطالب الذي يعد في إحدى كليات التربية لزاولة مهنة التعليم مستقبلاً بالمراحل التعليمية المختلفة، وقد يكون معلم صف أو معلم مادة" (علي، 2011، 106).

وإجرائياً: هم طلبة المستوى الثالث من كلية التربية بالمهلة الذين طبقت عليهم التجربة.

الخلفية النظرية والدراسات السابقة:

المبحث الأول: التدريس المصغر الأهمية والخلفية

ظهر التدريس المصغر في أوائل ستينيات القرن العشرين، عندما كانت تطبيقات الاتجاه السلوكى في علم النفس هي المسيطرة على مناهج التعليم، حيث قامت مجموعة من كبار المربين في جامعة ستانفورد (Stanford) الأمريكية مثل دوايت آلن (Dwight Allen) وزملائه وأول ما بدأ التدريس المصغر في العلوم التطبيقية وعرف بمذهب ستانفورد (Stanford Approach) ثم بعد ذلك طبق في جامعة بركلي في كاليفورنيا (University of Berkely California)، وقد عرف هذا النمط من التدريس آنذاك بنموذج العلم التطبيقي (الجهمي، د.ت، 19؛ نبار، 2010، 2010). (247)

كانت طريقة التدريب المتبعة آنذاك هو اعطائهم دروساً نظرية وعملية وبعد الدرس مباشرةً كانت تعقد جلسة مناقشة، ثم يقوم المتدربون بإعادة هذه المهارات؛ مهارة، أمام مجموعة أخرى من الطلاب ثم يتبع ذلك جلسة مناقشة أخرى يتم فيها تحليل ما حدث في الجلسة الأولى وهكذا (الفرا وحران، 1994).

وشايع استخدام هذا النمط من التدريس في برامج التربية العملية للمعلمين في التعليم العام في الجامعات الأمريكية منذ ذلك التاريخ، ثم استخدم في بعض الجامعات الأوروبية وبخاصة البريطانية، ومع بداية السبعينيات استحدثت أنماط وأساليب جديدة؛ بل أن الجامعات البريطانية أقرت التدريس المصغر واعتمدته جزءاً أساسياً في عمليات إعداد المعلمين، ثم بعد ذلك انتقل إلى جامعات وكليات العالم العربي في حوالي منتصف السبعينيات (البغدادي المشار إليه في المالكي، 2009، 4).

وعليه نشأت فكرة التدريس المصغر على فكرة مؤداها أن عملية التعليم أو التدريس عملية مركبة ومعقدة في فصول مزدحمة بالתלמיד، وأن الطالب المعلم والمعلم المبتدئ يواجهه مواقف صعبة ومن ثم لا يعرف كيفية التصدي لها وكيفية السبيل للتحسين والتطوير في أدائه التدريسي، لذا كانت فكرة التدريس المصغر لتلافي العديد من معضلات الإعداد المهني للطالب المعلم، ومنها ما يلي (السيد آخرون، 2007، 69):

1. التقليل والتبسيط من تعقيدات الموقف التعليمي.
2. اختصار زمن الموقف التعليمي.
3. تقليل عدد التلاميذ الذين يواجههم المعلم.
4. التدريب على المهارات في بيئة واضحة للتغييرات يسهل التحكم فيها.
5. تقديم التغذية الراجعة الفورية للطالب المعلم.

ويراه آلين (Allen , 1967) بأنه عبارة عن لقاء تعليمي مصغر تم تطويره في جامعة ستانفورد ليخدم ثلاثة أغراض: (1) الخبرة التعليمية المبدئية في التدريس، (2) كأداة بحثية لاستكشاف آثار التدريب في ظروف تحت السيطرة، (3) كأداة تدريب أثناء الخدمة للمعلمين وقد يتعرض المتدربون لمتغيرات عديدة في التدريس داخل الصنف لكن دون أن يعرضوا الموقف للتعقيد.

وفي الحقيقة فإن التدريس المصغر ظهر ليكون أفضل جهاز للتبؤ بالأداء داخل حجرات الدراسة، والارتباطات تدلنا أن طلاب التدريب الذين يجيدون بالتدريس المصغر يجيدون أيضا التدريس بأسلوب تدريس حجرات الدراسة الواقعية، حيث توصل براون (1973) أن الأثر التراكمي للخبرة المدرسية من جراء التدريس والتغذية الراجعة وإعادة التدريس بأسلوب التدريس المصغر له أثره على نوعية أداء طالب التدريب داخل حجرات الدراسة (براون، 2005، 29).

وعليه؛ فهو تعليم يصغر الموقف التعليمي التعليمي وييسره للمتدرب من حيث كم عدد الطلبة وحجم المشكلة، وزمن الموقف التعليمي؛ حتى تجعل من المتدرب متمكناً من مادته العلمية واستراتيجيته التدريسية؛ حتى يقبل على مهنة التدريس بكل ثقة واطمئنان.

إذاً هو أسلوب تقني حديث. و مجالات استخدام التعليم المصغر هي: أولاً: لتدريب الطلبة المعلمين قبل الخدمة لإكسابهم المهارات التدريسية الأساسية، وثانياً: في تدريب المعلمين أثناء الخدمة وخاصة المدرسين المستجدين في مهنة التعليم يكشف لهم الجوانب السلبية والإيجابية التي رافق تدريبيهم وفعالياتهم النظرية أو العملية بعد انتهاء المحاضرة مباشرة بقصد التحسين من مستويات الأداء في غرفة الدرس في المرات القادمة. وثالثاً: في إعداد أساتذة الجامعة وخاصة أن معظم أساتذة الجامعات لم يدرسوا أية مقررات تربوية أو يتلقوا أي دورات تدريبية في مجال التدريس (الفتلاوي، 2004).

أسس التدريس المصغر:

يكمن التدريس المصغر في مجموعة أفكار تمثل في:

1. أنه تدريس فعلي و حقيقي؛ فهناك المعلم والطلاب والصف والمادة العلمية وطريقة التدريس (جميع أركان العملية التعليمية التعليمية).
2. التدريس المصغر يعطي فرصة لعدد أكبر من الطلبة المعلمين لممارسة التدريس حيث إن زمن الحصة أقل (مقارنة بالزمن للحصة الحقيقية) مما يتيح الاستفادة لعدد أكبر.
3. يعتمد التدريس المصغر في تدريب الطالب المعلم على مهارات التدريس على مبدأ التعلم للإتقان (Master Learning) أي أن الطالب يتقن مهارات التدريس بالتدريب؛ مهارة تلو الأخرى قبل أن يمارس التدريس الصفي الحقيقي.
4. الموقف التعليمي في حصة التدريس؛ يكون موقفاً محدداً للخطوات والإجراءات.

5. التدريس المصغر يهتم بالتدريب على المهارات الأساسية في التدريس؛ وذلك بالخطيط المسيق والتنسيق لكل مهارة مستقلة.

6. التدريس المصغر يتتيح للطالب المعلم فرصة التغذية الراجعة الفورية وذلك بعد المناقشة، أما في التدريس الحقيقي فقد لا يحصل على تلك الفرصة فوراً (العمري والمساد، 1996؛ الفرا وحمran، 1994).

عناصر التدريس المصغر:

أهم عناصر التدريس المصغر هي: أولاً: الطلبة المعلمون. ثانياً: المشرف التدريسي. ثالثاً: المهارات التدريسية. رابعاً: التسجيل المرئي أو بطاقة الملاحظة. خامساً: التغذية الراجعة. سادساً: التقويم ومتابعة الأداء (الفرا وحمان، 1994).

المهارات التي ينميها التدريس المصغر:

بالرغم من أن التدريس المصغر يصلح لمعظم المهارات التدريسية إلا أنه قد يبدو أكثر ملائمة للاتي (الفرا وحمان، 1994؛ الحيلة، 2002؛ عطية والهاشمي، 2008):

أولاً: مهارة تنوع المثيرات والمنبهات

تركز هذه المهارة على تعليم الطالب المعلم كيفية التنويع في الدرس، وذلك لتلافي مشكلة ملل الطلاب، والعمل على زيادة انتباهم إليه، وقد تم تحليل هذه المهارة إلى المهارات الفرعية الآتية:

1. حركة المعلم؛ ويقصد به تحرك المعلم من مكان آخر داخل غرفة الصف.
2. إشارة المعلم؛ ويقصد به الإشارات التي يستعملها المعلم للتعبير عن انفعالاته.
3. التغير في نبرات الصوت؛ ويقصد به التحكم في استخدام الصوت من حيث القوة والسرعة.

4. تغيير النشاط الحسي؛ ويقصد به الانتقال من نشاط محسوس لآخر مثل إخراج طالب إلى السبورة أو إعطاء الطالب بعض الملاحظات والتمارين والواجبات ليسجلوها في كراسهم.

5. كلام الطالب؛ ويقصد به المناقشة والمشاركة مع المدرس.

6. حركة الطالب؛ ويقصد بها متابعة الطالب للمعلم أثناء عمل التجارب أو النشاطات.

ثانياً: مهارة طرح الأسئلة، وتركتز على:

1. الطلاقة في إلقاء الأسئلة؛ وخاصة مهارة الأسئلة الشفهية المصاغة بدقة واختصار.

2. التعمق في إلقاء الأسئلة؛ بالتركيز على نوعية الأسئلة التي تستحث تفكير الطالب وتجعله يفكر بعمق.

3. التنوع في مستوى الأسئلة؛ مثل أسئلة التذكرة والفهم والتطبيق والتحليل والتركيب والتقويم.

4. الأسئلة المتشعبة؛ وهي الأسئلة المتتابعة والمترابطة والتي يمكن تجزئتها إلى أسئلة أصغر للتيسير.

5. إلقاء أسئلة ابتكارية؛ وهي أسئلة حرفة مفتوحة مثل أسئلة وجهات النظر وإبداء الرأي.

ثالثاً: مهارة التعزيز

بعد التعزيز ركناً أساسياً في التدريس الجيد، وهناك طرق عديدة منها:

استخدام وسائل أو إشارات إيجابية لفظية؛ مثل: أحسنت، بارك الله فيك، جيد، وكذلك هرّ الرأس بالإيجاب، أو علامات الإيجاب والإعجاب المرسومة على الوجه.

رابعاً: وضوح الشرح والتفسير

ويقتضي هذا أن يقوم المعلم / المتدرب بالخطيط الجيد المسبق للمواضيع التي ينوي شرحها، ويبين العلاقات الموجودة بواسطة ألفاظ واضحة والتقنيات المناسبة لها. كذلك ينبغي إتاحة الفرصة للطلاب في المشاركة بالنقاش وإبداء أفكارهم حول موضوع الدرس.

ما سبق عرضه يتضح أن التدريس المصغر من الأساليب الحديثة في إعداد المعلمين وتدريبهم ويمكن أن يسد النقص في مجال تدريب المعلمين، ويكون مكملاً للتدرис الميداني، وهو يناسب تنمية المهارات التدريسية في التربية العملية للوصول بها إلى أداء تدريسي متقن.

كما يمكن القول: إن استراتيجية التدريس المصغر سوف تساعده على صقل وتحسين تدريس المهارات، كما أنها ستساعده على التخلص من الأخطاء الجسيمة، وسوف تقوى الجرأة وتدعيم الثقة بالنفس (براؤن، 2005).

ويتضح أيضاً أن التدريس المصغر أسلوب للتدريب على أداء المهام والكافئات التدريسية من خلال موقف تدريسي حقيقي ولكنه مصغر في كل جوانبه من حيث الزمن: (5 – 15 دقيقة)، ومن حيث عدد الطلاب، ومن حيث المهام والكافئات التي يتدرُّب عليها الطالب المعلم؛ مع تقديم تغذية راجعة من خلال بطاقات الملاحظة.

كما يعد التعليم المصغر طريقة تدريب عملي متخصصة في أداء المدرس داخل غرفة الصف تعمل على إكسابه المعرفة المهنية والعلمية والمهارات، وكذلك تزوده بالقدرة على كيفية إدارة الصف وخلق فرص التعليم المرغوب فيها.

كذلك يتضح أن هناك أهمية كبيرة للتدرِّيس المصغر في إعداد المعلمين؛ فهو يسمح باكتساب العديد من مهارات التدريس كما يسمح بالتعايش مع العديد من المواقف التعليمية؛ مما يدعم ثقة الطالب المعلم المتدرِّب بنفسه ويساعده على التخلص من الأخطاء التدريسية لاحقاً أثناء الخدمة.

والتدريس المصغر في أبسط معانيه: "عبارة عن موقف يتدرُّب فيه الطلبة المعلمون على مواقف تعليمية حقيقة في إطار مبسط يشبه غرفة الفصل العادي، ولكنه لا يشمل على العوامل المعقدة التي تدخل عادة في عملية التدريس" (الفرا وحران، 1994، 78-79).

المبحث الثاني: دراسات سابقة

يتناول هذا المبحث بعضاً من الدراسات السابقة سواء تلك التي تناولت التدريس المصغر؛ أم تلك التي تناولت التربية العملية، إذ تم التركيز في أثناء مراجعة الأدب التربوي السابق على مجموعة الدراسات الأكثر ارتباطاً بموضوع الدراسة، ويعرض لأهم ما جاء في الأهداف والعينة والأداة والمنهج والنتائج. وسيتم تصنيفها وترتيبها من الأحدث إلى الأقدم، كما يلي:

هدفت دراسة لقمان وعبد الله (2021) إلى تعرف فاعلية توظيف التدريس المصغر في إكساب مهارات التدريس للطلاب/المعلم بكلية التربية جامعة الخرطوم، وتكونت عينة الدراسة من أربعين طالباً وطالبة اختيرت بطريقة قصدية من طلاب المستوى الرابع تخصص الكيمياء، وتمثلت أداة الدراسة في بطاقة الملاحظة المكونة من عشر مهارات رئيسية تفرع منها ثلاثون مهارة فرعية وفق سلم ليكرت ذو التقدير الخماسي، في حين استخدم المنهج شبه التجريبي لمجموعة واحدة، وأظهرت النتائج وجود فروق دالة إحصائياً بين المتوسطات الحسابية لدرجات أداء الطلاب المعلمين في القياسين القبلي والبعدي لمهارات التدريس لصالح القياس البعدى، كما أظهرت عدم وجود فروق دالة إحصائياً بين المتوسطات الحسابية لدرجات أداء الطلاب المعلمين في القياس البعدى لمهارات التدريس يعزى لمتغير الجنس.

أما دراسة غالب (2020) فقد هدفت أيضاً إلى التعرف على أثر التدريس المصغر في تنمية مهارات التدريس لدى طلبة ملجمي علوم التعليم الأساسي بكلية التربية جامعة تعز، حيث أجريت الدراسة على عينة مكونة من (32) طالباً وطالبة، ولتحقيق هدف الدراسة أعدت الباحثة بطاقة ملاحظة مكونة من (38) مهارة فرعية ضمن ثلات مهارات رئيسية هي (الخطيط والتنفيذ والتقويم)، واستخدمت الباحثة المنهج التجريبي ذات المجموعتين الضابطة والتجريبية، موزعة بالتساوي على عينة الدراسة، وأظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات الأداء البعدى

لصالح المجموعة التجريبية مع كل مهارات التدريس، ومع المهارات مجتمعة، وأن حجم التأثير للتدريس المصغر كان كبيراً في تربية مهارات التدريس.

وهدفت دراسة جبار (2020) إلى معرفة فاعلية برنامج قائم على تطبيقات تكنولوجيا التلفونات الذكية باستخدام برنامج المنصة التعليمية لتنمية مهارات التربية العملية لدى معلمي الرياضيات قبل الخدمة واتجاهاتهم نحو التعلم النقال، واستخدم الباحث المنهج شبه التجريبي على عينة تبلغ (26) معلماً ومعلمة تم اختيارها بطريقة قصدية من معلمي الرياضيات قبل الخدمة من المستوى الرابع بكلية التربية في جامعة صناعة، وتم جمع البيانات عبر أدوات البحث المتمثلة في اختبار التحصيل المعرفي للبرنامج التدريجي وبطاقة الملاحظة لقياس الأداء المهاري ومقاييس الاتجاه نحو التعلم النقال، وقد أسفرت النتائج عن وجود فروق دالة إحصائياً بين متوسطي التطبيقين القبلي والبعدي في كل من اختبار التحصيل المعرفي وبطاقة الملاحظة ومقاييس الاتجاه لصالح التطبيق البعدي، في حين لا توجد فروق بين متوسطات درجات التطبيق البعدي في كل من اختبار التحصيل المعرفي وبطاقة الملاحظة يعزى لمتغير النوع.

في حين هدفت دراسة كل من عيد وشرف ومحمود (2020) إلى تنمية كفايات تكنولوجيا التعليم لدى أخصائي صعوبات التعلم من خلال برنامج تدريجي مقترن قائم على اختلاف بيئه التعلم المصغر، وتم اختيار عينة البحث بطريقة قصدية بلغ عددها (30) طالباً من طلاب الدبلوم المهني بكلية التربية جامعة كفر الشيخ، ومستخدمة أداتين هما الاختبار التحصيلي وبطاقة الملاحظة، وقسمت العينة إلى مجموعتين تجريبتين (مجموعة (1) درست باستخدام التدريب الالكتروني – مجموعة (2) درست باستخدام التدريب المدمج)، وقد توصلت النتائج إلى فاعلية البرنامج التدريجي المقترن القائم على توظيف التعلم المصغر بيئتي التدريب الالكتروني والمدمج في تنمية التحصيل المعرفي والأداء العملي المرتبط بكفايات تكنولوجيا التعليم، ووجود فرق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي

درجات أفراد المجموعة التجريبية الأولى والجموعة التجريبية الثانية في التطبيق البعدى لبطاقة ملاحظة الأداء العملي المرتبط بكفايات تكنولوجيا التعليم لصالح المجموعة التجريبية الثانية؛ أي مجموعة التدريب المدمج.

وقد هدفت دراسة رقية نبار (2019) إلى التعرف على دور التدريس المصغر في إكساب وتنمية مهارات الكفايات التدريسية لدى المعلمين المتدرسين بوصفه واحداً من الأساليب التدريسية الأساسية في إكساب وتنمية الكفايات التعليمية للمعلم المتدرس، وسعت الباحثة لتحقيق أهداف دراستها عبر تقنيات المنهج الكيفي واستعراض الأدب التربوي النظري السابق وتحليله واستنباط الدور الذي يقوم به التدريس المصغر؛ إذ توصلت إلى وجود علاقة وطيدة وارتباطية بين التدريس المصغر والكفايات التدريسية، فالتدريس المصغر ينمّي كفiciات المعلم التدريسية، وكذلك يوفر فرصة التدريب العملي لكل طالب معلم بشكل مستقل.

وفي اتجاه آخر هدفت دراسة الشريدة وعز الدين (2018) التعرف على معوقات تطبيق التربية الميدانية من وجهة نظر الطلاب والطالبات بكلية التربية جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز بمحافظة وادي الدواسر، وتكونت عينة الدراسة من (50) طالباً و(81) طالبة بالمستوى الثامن بكل من قسمي الدراسات الإسلامية والتربية الخاصة، واستخدمت الدراسة استبياناً تضمن أربعة محاور، وبعد استخدام المنهج الوصفي، وتوصلت الدراسة إلى أن طلاب وطالبات التربية الميدانية يواجهون عدة معوقات أولاً الإعداد والتدريب، كما أشارت النتائج لوجود أثر ذي دلالة إحصائية بالنسبة لمعوقات الإعداد والتدريب تعزى إلى النوع (طالب، طالبة) بينما لا يوجد أثر للنوع على باقي المعوقات الأخرى، كما يوجد أثر أيضاً ذو دلالة إحصائية بين نوع التخصص ومعوقات الإعداد والتدريب والمعوقات التدريسية والمعوقات الإدارية والتنظيمية بينما لا يوجد فروق بين نوع التخصص والمعوقات الإدارية بالمدرسة.

أما هدف دراسة كل من دحلان وجودة (2017) التعرف إلى فاعلية توظيف التدريس المصغر في إكساب مهارات التدريس لطلبة تعليم المرحلة الأساسية في جامعة الأقصى، وتكونت عينة الدراسة من مجموعة واحدة بلغت (80) طالبًا وطالبة اختيرت بطريقة حصصية موزعة على فرعى الجامعة في غزة وخان يونس وعلى الذكور والإناث بالتساوي، وعلى أربعة مساقات تدريسية، وتمثلت أداة الدراسة في بطاقة ملاحظة، في حين استخدم الباحثان المنهج التجاربي ذو تصميم المجموعة الواحدة، وقد أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين مستوى جميع مهارات التدريس وبين النسبة المعيارية (75%) لصالح مهارات التدريس، كما أظهرت فروقًا لمتغير فرع الجامعة لصالح فرع خان يونس، وفروقًا لمتغير الجنس لصالح الإناث، وفروقًا لمتغير نوع المساق لصالح الرياضيات.

وجاءت دراسة الثوباني (2015) لمعرفة أثر التدريس المصغر في تنمية المهارات التدريسية لدى طلبة التربية الميدانية في جامعة حائل واتجاهاتهم نحوه، وتم اختيار عينة الدراسة بطريقة عشوائية بلغت (50) طالبًا من كلية التربية بجامعة حائل في مختلف التخصصات، واستخدم الباحث ثلاثة أدوات هي: استبيان لقياس المهارات التدريسية من وجهة نظر المشرفين الأكاديميين، وبطاقة ملاحظة لقياس المهارات التدريسية، واستبيان لقياس الاتجاه نحو التدريس المصغر. واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي والمنهج شبه التجاربي. وقد توصلت الدراسة إلى ضعف أداء الطلاب المعلمين للمهارات التدريسية حيث جاء المتوسط الحسابي الكلي متدينياً، كما أظهرت وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي التطبيقي القبلي والبعدي لصالح التطبيقي البعدي، بينما كان عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغيرات المعدل التراكمي ونوع التخصص، أما اتجاهات الطلاب فكانت إيجابية نحو استخدام التدريس المصغر.

وفي غزة هدفت دراسة منال نجم (2010) إلى تحديد مهارات التربية العملية ومدى فاعلية برنامج مقترن في تنمية مهارات التربية العملية، واقتصرت الدراسة على عينة من طلبة كلية التربية بجامعة

الأزهر في غزة، وقد استخدمت الباحثة ثلاثة أدوات هي استبيان للاحتياجات التدريبية وبطاقة ملاحظة لقياس أداء الطلبة المعلمين واختبار تحصيلي معرفي، واستخدم المنهج شبه التجريبي لمجموعة واحدة بإجراء قياس قبلي وبعدي. وقد توصلت الدراسة إلى وجود فروق دالة إحصائياً في بطاقة ملاحظة الأداء لمهارات التربية العملية لصالح التطبيق البعدى، في حين لا يوجد للجنس أي أثر.

أما دراسة المالكي (2009) فقد هدفت إلى معرفة فاعلية التدريس المصغر في إكساب الطلاب معلمي الرياضيات بعض المهارات التدريبية؛ كمهارات التهيئة، واستخدام السبورة، وتوجيه الأسئلة الصحفية، وإدارة الصف. وتم اختيار عينة عشوائية بسيطة عددها (20) طالباً وتم تقسيمهم إلى مجموعتين متكافئتين، واستخدم الباحث بطاقة الملاحظة لقياس المهارات التدريبية المكتسبة، واستخدم المنهج شبه التجريبي الذي يعتمد على طريقة المجموعات المترافقه التجريبية والضابطة. وكانت نتيجة الدراسة هي فاعلية استخدام أسلوب التدريس المصغر في إكساب الطلاب المعلمين بعض مهارات التدريس حيث بلغ المتوسط الحسابي (86,5) لصالح المجموعة التجريبية مقابل (56,1) للمجموعة الضابطة.

ما سبق عرضه من دراسات سابقة نستنتج الآتي:

1. مدى الحاجة إلى تطبيق استراتيجية التدريس المصغر من خلال الاتفاق الواضح في أهدافها جيئاً، وعليه تتفق الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة في موضوعها نظراً لأهمية استراتيجية التدريس المصغر، في حين تختلف في زمان ومكان بيئه إجراء الدراسة.

2. تم الاستفادة من الدراسات السابقة أثناء إعداد أداة الدراسة المتمثلة في بطاقة الملاحظة، وكذلك في مناقشة وتفسير نتائج الدراسة اتفاقاً واحتلافاً.

3. تميزت هذه الدراسة عن سابقاتها في مجتمعها المتنوع الذي شمل الأداء التدرسي لجميع تخصصات طيبة كلية التربية بالمهلة، وكذلك باعتبارها بيئه ريفية يصعب فيها تطبيق استراتيجيات حديثة تتطلب إمكانات فنية خاصة، وأيضاً تميزت الدراسة الحالية في بعض متغيراتها المستقلة لا

سيما المقارنة بين دفترين مختلفتين، الأمر الذي يمكن أن يعطي نتائج جديدة ومختلفة عن ما سبقها.

الطريقة والإجراءات:

منهجية الدراسة:

استخدمت الدراسة المنهج شبه التجريبي / المجموعة الواحدة؛ كونه يتناسب مع موضوع الدراسة ومشكلتها ويحقق أهدافها وأسئلتها.

المجتمع والعينة:

تكون مجتمع الدراسة من جميع طلاب وطالبات المستوى الثالث الدارسين في كلية التربية بجامعة حضرموت في محافظة المهرة باليمين، المقيدين في كشوفات نيابة شئون الطلاب للأعوام الجامعية: (2018/2019) و(2019/2020) وتم استثناء فرع مركز التعليم المفتوح بالكلية لعدم توافر شروط الدراسة فيها. وقد بلغ عدد أفراد مجتمع الدراسة الإجمالي (217)، منهم (78) طالبًا و(139) طالبة.

أما عينة الدراسة فتم اختيارها بالطريقة القصدية، وبهذا يكون حجم العينة الإجمالي (35) بنسبة 16.13% من المجتمع الأصلي؛ منهم (14) طالبًا و(21) طالبة. كما يوضح ذلك جدول رقم (1).

جدول (1) التوزيعات الديموغرافية لعينة الدراسة حسب المتغيرات المستقلة

النسبة المئوية	مجموع العينة	رقم الدفعة		الجنس
		2020	2019	
%40	14	5	9	ذكور
%60	21	11	10	إناث
%100	35	16	19	مجموع العينة
		%45.7	%54.3	النسبة المئوية

إجراءات بناء بطاقة الملاحظة وتطبيقاتها:

نظراً لعدم وجود أداة قياس جاهزة تحقق أهداف الدراسة في معرفة الأداء التدريسي تتناسب مع البيئة المحلية لمجتمع الدراسة المتمثل في جامعة حضرموت، فقد اقتضت الحاجة صياغة فقرات لبطاقة ملاحظة تقيس الأداء التدريسي متبعاً الخطوات الآتية:

1. تحديد سمة الأداء التدريسي و مجالاته بناء على الخلفية النظرية، وكذا الدراسات السابقة،

وقد تحدد في مجال أداء الممارسة المهنية (الأداء التدريسي).

2. تقديم سؤال استطلاعي لمجموعة من الأكاديميين والباحثين، وكان الغرض من ذلك

الاستعانة بآرائهم في مضمون الفقرات الواجب توافقها في أداة الدراسة.

3. تقديم سؤال استطلاعي للطلبة المعلمين عن أبرز احتياجاتهم المهنية والمهارات التي

تنقصهم.

4. صيغت الفقرات لتعبر عن المواقف بطريقة ليكرت (Likert) وتكونت من عبارات

تقريرية، واستخدم التدرج الخماسي لتقدير مستوى الأداء التدريسي.

5. بلغت فقرات الأداء في صورتها الأولية (36) فقرة، موزعة على المجالين، حيث يحتوي

مجال الأول على (20) فقرة، والمجال الثاني على (16) فقرة.

6. اعتمد نظام تقييم الدرجات على طريقة ليكرت للتقييمات المجمعة (Likert's

Method of Summated Ratings)، واستخدم تدرج من خمسة مستويات،

ولأغراض الحسابات والتحليل الإحصائي تم تحويلها إلى درجات على النحو الآتي: (5، 4،

3، 2، 1). ثم تحسب درجات البديل للمستجيب لتكون في مجموعها الدرجة الكلية

بطاقة الملاحظة.

7. تم تطبيق بطاقة الملاحظة على عينة استطلاعية بلغت (13) طالباً وطالبه من غير عينة الدراسة النهاية.

8. تم تدريس استراتيجية التدريس المصغر من قبل الباحث ضمن مقرر التربية العملية (1) نظري.

9. تم تطبيق بطاقة الملاحظة على عينة الدراسة من قبل الباحث في التطبيقين القبلي والبعدي.

الخصائص السيكومترية:

الصدق:

تم التتحقق من صدق بطاقة الملاحظة باستخدام الصدق الظاهري على النحو الآتي:
للغرض التأكد من مدى صدق الأداة وصلاحتتها في قياس الأداء التدريسي لدى الطلبة المعلمين في كلية التربية بجامعة حضرموت، فقد عرضت الأداة على (5) من ذوي الاختصاص وذلك بعد أن حددت لهم الدلالة الإجرائية للمصطلح بالنسبة للدراسة وطلب منهم إبداء وجهة نظرهم من حيث:

1. مدى صلاحية فقرات بطاقة الملاحظة لقياس الأداء التدريسي.

2. ملائمة الفقرات لمستوى أداء الطلبة المعلمين.

3. الاطلاع على نظام تقدير الدرجات.

الثبات:

للتأكد من ثبات بطاقة ملاحظة الأداء التدريسي تم احتساب معامل ثبات التجانس باستخدام معادلة كرونباخ ألفا (Cronbach Alpha) لكونه يشترط أن تقيس بنود الاختبار سمة واحدة فقط (مراد و سليمان، 2002، 366)، وعليه جاءت معاملات الثبات لفقرات الأداء التدريسي

الكلي (0.895)، وتعود هذه القيمة من ثبات التجانس مقبولة لأغراض الدراسة الحالية وتدعى إلى الثقة في استخدام البطاقة.

عرض النتائج ومناقشتها:

أولاً: نتائج السؤال الأول الذي ينص على: "هل يوجد اختلاف في المتوسطات الحسابية لدرجات الأداء التدريسي للطلاب المعلمين في القياسين القبلي والبعدي عند مستوى الدلالة (0.05)؟" للإجابة على هذا السؤال استخدم الباحث الاختبار (التائي) لعينتين مرتبطتين لمعرفة دلالة الفروق بين متوسطات علامات الأداء التدريسي للطلاب المعلمين في القياسين القبلي والبعدي، ويظهر نتائج ذلك جدول رقم (2).

جدول (2) نتائج الاختبار التائي للفروق بين متوسطات علامات الأداء التدريسي القبلي والبعدي

مستوى الدلالة	درجة الحرية	قيمة ت	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	أفراد العينة	قياس المقارنة
.000	34	8.641	.68354	2.6571	35	القبلي
			.42950	3.6752		البعدي

يتبيّن من جدول (2) أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) بين المتوسطات الحسابية للأداء التدريسي لمجموعتي الطلاب والطالبات على بطاقة الملاحظة بعد تطبيق استراتيجية التدريس المصغر في القياسين القبلي والبعدي، وجاءت الفروق لمصلحة القياس البعدى. الأمر الذي يؤكّد أثر استراتيجية التدريس المصغر على تنمية الأداء التدريسي في أثناء تنفيذ برامج التربية العملية لدى طلبة كلية التربية بجامعة حضرموت.

وأجل التحقق من حساب حجم ذلك الأثر تم حساب قيمة مربع إيتا (η^2) وقد بلغ (122)، واعتمد الباحث مستويات حجم التأثير كما يلي (الكاف 2021، 120):

حجم التأثير			المعادلة المستخدمة
كبير	متوسط	صغير	
0.14	0.06	0.01	η^2

ويعکن أن تفسر هذه النتيجة إلى حدوث تحسن واضح وملموس في أداء المجموعة بعد تطبيق استراتيجية التدريس المصغر، أي أن هناك أثراً إيجابياً متوسطاً لاستراتيجية التدريس المصغر على تنمية الأداء التدريسي في أثناء تنفيذ التربية العملية (2) ميدانياً لجميع الطلاب ذكوراً وإناثاً من أفراد عينة الدراسة، الأمر الذي يدل على نجاعة الاستراتيجية التدريسية.

وعزى هذه النتيجة إلى مجموعة أسباب لعل أبرزها تميز وريادة استراتيجية التدريس المصغر عن الطرق التقليدية المألوفة والمعتادة الاستخدام لدى الطلبة، كما كان للتغذية الراجعة الفورية دور مساعد في تصحيح مسار الأداء وتقويمه أولاً بأول، كما أنها كانت تقدم فرصاً متنوعة لزيادة التدريب وزيادة الممارسة حتى إتقان الأداء التدريسي.

وعليه تتفق هذه النتيجة مع جميع الدراسات السابقة التي تم استعراضها نظراً لحداثة استراتيجية التدريس المصغر، وكونها تدخل ضمن استراتيجيات التعلم النشط؛ فإنه من الطبيعي أن يكون هناك أثراً ملحوظاً ذا دلالة إحصائية لها.

ثانياً: نتائج السؤال الثاني الذي ينص على: "هل يوجد اختلاف في المتوسطات الحسابية لدرجات الأداء التدريسي للطلاب المعلمين في القياس البعدى يعزى إلى متغير رقم الدفعة (دفعه 2019 / دفعه 2020) عند مستوى الدلالة (0.05)؟" وللإجابة عن هذا السؤال تم احتساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدفعه 2019 ودفعه 2020، وأجري الاختبار (التائي) لعينتين مستقلتين لمعرفة دلالة الفروق بين متوسطات علامات العينتين، والجدول الآتي يظهر نتائج ذلك.

جدول (3) نتائج الاختبار (التائي) للفروق في المتوسطات الحسابية لمتغير رقم الدفعه

مستوى الدلالة	درجة الحرية	قيمة ت	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	أفراد العينة	درجتا المقارنة
.332	33	-.985	.52427	2.5526	19	2019 دفعه
			.83604	2.7813	16	2020 دفعه

يتبيّن من جدول (3) أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) بين المتوسطات الحسابية للأداء التدريسي لدفعه (2019)، والمتوسطات الحسابية للأداء التدريسي لدفعه (2020) على بطاقة الملاحظة بعد تطبيق استراتيجية التدريس المصغر تبعاً لمتغير رقم الدفعه.

ويمكن أن تفسر هذه النتيجة إلى مجموعة عوامل منها الخلفية التعليمية المتشابهة، والخبرات التعليمية والتدربيّة المتكافئة التي تعرض لها كلتا الدفعتين سواء أكانت دفعه (2019)، أم دفعه (2020) في مرحلة الإعداد الأولى وتكوين المعلمين؛ حيث أتيحت لهما فرص المشاركة والانخراط في مختلف الأنشطة الجامعية بنفس القدر.

كما أن مصادر اكتساب المعرفة التي يمكن أن يكون لها تأثير في إثاء الأداء التدريسي أصبحت هي الأخرى متساوية ومتقاربة كون الدفعتين من بيئه واحدة ويستنهجان برنامج الإعداد ذاته في قسم علمي واحد وتقرّبا بالطاقم التدريسي نفسه، الذي هو قسم التربية وعلم النفس بكلية التربية بمحافظة المهرة.

ثالثاً: نتائج السؤال الثالث الذي ينص على: "هل يوجد اختلاف في المتوسطات الحسابية لدرجات الأداء التدريسي للطلاب المعلمين في القياس القبلي يعزى إلى متغير الجنس (ذكوراً/ إناثاً) عند مستوى الدلالة (0.05)" وللإجابة عن هذا السؤال حسبت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للذكور والإإناث، أجري الاختبار (التائي) لعينتين مستقلتين لمعرفة دلالة الفروق بين متوسطات علامات العينتين، ويظهر نتائج ذلك جدول رقم (4).

جدول (4) نتائج الاختبار (التائي) للفروق في المتوسطات الحسابية لمتغير الجنس للقياس القبلي

مستوى الدلالة	درجة الحرية	قيمة ت	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	أفراد العينة	درجة المقارنة
.207	33	-1.287	.48672	3.5619	14	ذكور
			.38030	3.7508	21	إناث

ويتبين من جدول (4) أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) بين المتوسطات الحسابية للأداء التدريسي لمجموعة الطلاب، والمتوسطات الحسابية للأداء التدريسي لمجموعةطالبات على بطاقة الملاحظة قبل تطبيق استراتيجية التدريس المصغر تبعاً لمتغير الجنس.

وعليه، تعزى هذه النتيجة إلى بعض العوامل لعل أهمها حداثة التجربة التدريسية التي تستخدم استراتيجية التدريس المصغر لأول مرة في كلية التربية بالمهنة، حيث يقوم الطلبة بتنفيذ دروس حقيقية مختارة من الكتاب المدرسي المنهجي للتعليم الأساسي التابع لوزارة التربية والتعليم بالجمهورية اليمنية، كما أن الفرص التعليمية والتدريسية للذكور والإناث في تنفيذ الاستراتيجية داخل قاعات الكلية كانت متساوية، فضلاً عن تقديم تغذية راجعة فورية ومتساوية لجميع أفراد عينة الدراسة، كل ذلك أسهم في عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في التطبيق القبلي لاستراتيجية التدريس المصغر.

رابعاً: نتائج السؤال الرابع الذي ينص على: "هل يوجد اختلاف في المتوسطات الحسابية لدرجات الأداء التدريسي للطلاب المعلمين في القياس البعدى يعزى إلى متغير الجنس (ذكوراً وإناثاً) عند مستوى الدلالة (0.05)؟" وللإجابة عن هذا السؤال حسبت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للذكور والإناث، أجري الاختبار (التائي) لعينتين مستقلتين لمعرفة دلالة الفروق بين متوسطات علامات العينتين، ويظهر نتائج ذلك جدول رقم (5).

جدول (5) نتائج الاختبار (التأيي) للفروق في متوسطات علامات متغير الجنس للقياس البعدى

مستوى الدلالة	درجة الحرية	قيمة ت	الانحراف المعياري	المتوسط الحسائى	أفراد العينة	درجتا المقارنة
.000	33	-4.090	24862.	2.1786	14	ذكور
			.69779	2.9762	21	إناث

ويتبين من جدول (5) أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) بين المتوسطات الحسائية للأداء التدرسي لمجموعة الطلاب، ومتوسطات الأداء التدرسي لمجموعة الطالبات على بطاقة الملاحظة بعد تطبيق استراتيجية التدريس المصغر تبعاً لمتغير الجنس، وجاءت الفروق لمصلحة الإناث.

ويمكن أن تفسر هذه النتيجة لمجموعة من العوامل منها أن جو الحرية وعدم القلق أسهما في الأداء التدرسي للطالبات الإناث أثناء تنفيذ التربية العملية في مدارس للبنات فقط التي تميزت بالهدوء والسكينة، الأمر الذي أعطاهن الطمأنينة والتوجه للأداء التدرسي وتقديم أفضل ما لديهن، وقد لاحظ الباحث التزام متميّز وداعية للتدرّيس أكثر. بينما تعرض الطلاب الذكور لضغوط كبيرة وعدم السيطرة على الصفوف الدراسية وضبط إدارتها أثناء التنفيذ في مدارس الأولاد قد التمسها الباحث أيضاً بنفسه أثناء الأشراف على التربية العملية ميدانياً (2).

الأمر الآخر يعتقد الباحث أنه قد يعود للخلفية الاجتماعية والقبلية المحافظة كون الدراسة طبقت في بيئة أقرب إلى الريفية؛ إذ حدّت تلك الخلفية من الأداء التدرسي للطالبات الإناث أمام زملائهن الطلاب الذكور أثناء تنفيذ استراتيجية التدريس المصغر ضمن مقرر التربية العملية (1) الذي ينفذ في قاعات الكلية المختلطة قبل الخروج للميدان، وهو القياس القبلي لبطاقة الملاحظة؛ وهذا أيضاً يدعم تفسير نتيجة السؤال الثالث.

وعليه تتفق هذه النتيجة مع دراسات كل من جبار (2020) في مقاييس الاتجاه فقط، وأيضاً مع دراسة الشريدة وعز الدين (2018) بالنسبة لمعوقات الإعداد والتدريب، ومع دراسة دحلان وجودة (2017). وتختلف مع دراسات كل من لقمان وعبد الله (2021)، وجبار (2020) في اختبار التحصيل المعرفي وبطاقة الملاحظة، ومع دراسة منال نجم (2010) في عدم وجود أي أثر للجنس.

التوصيات والمقترحات:

في ضوء نتائج الدراسة، ولأجل تفعيل تلك الإمكانيات للتدريس المصغر وتوظيفها بالشكل المطلوب الذي يخدم طلبة كلية التربية بجامعة حضرموت ويعزز من الاستراتيجية وأثيرها على تنمية الأداء التدريسي أثناء تفويض برامج التربية العملية ميدانياً (2) فقد أرتأى الباحث التوصية بما هو آت: أولاًً: التأكيد على التدرب على استراتيجية التدريس المصغر بدءاً من المستوى الثاني في جميع المقررات المهنية المرتبطة بمتطلبات كليات التربية.

ثانياً: التركيز على الجوانب التطبيقية داخل المواد الدراسية حتى لا يتفاجأ بها الطلبة في الميدان.

ثالثاً: التوصية بتدريب الهيئات التدريسية والمساعدة في كليات التربية بجامعة حضرموت على استراتيجيات التدريس المصغر بوصفها إحدى الاستراتيجيات الحديثة.

رابعاً: إنشاء القاعات الحديثة والمختبرات الخاصة بالتدريس المصغر وتزويدها بالتجهيزات والإمكانات المطورة.

خامساً: عمل قاعدة بيانات خاصة بأرشفة إلكترونية لتسجيلات مرئية أثناء التدريب على استراتيجية التدريس المصغر.

سادساً: نقترح قياس أثر استراتيجيات أخرى مثل التعلم التعاوني على تنمية الأداء التدريسي في التربية العملية.

سابعاً: إجراء دراسات تهم بتطوير برامج التربية العملية في جامعة حضرموت قائمة على ثقافة المعايير المهنية الحديثة في التدريس.

المصادر والمراجع:

المراجع العربية:

برانون، جورج. (2005). *التدريس المصغر والتربية العملية الميدانية*. ترجمة: محمد رضا البغدادي وهiam محمد البغدادي. ط2. دار الفكر العربي، القاهرة.

الشوباني، سليمان ناصر. (2015). فاعلية التدريس المصغر في تنمية المهارات التدريسية لطلاب التربية الميدانية في جامعة حائل واتجاهاتهم نحوه. دراسات عربية في التربية وعلم النفس (ASEP)، ع 57، ص ص 173 – 200. جامعة الأزهر. شبكة المعلومات العربية التربوية (شعبة). استرجع بتاريخ 1 ديسمبر 2021: <http://search.shamaa.org/FullRecord?ID=273713>

جبار، يوسف يحيى. (2020). فاعلية برنامج قائم على تكنولوجيا التلفونات الذكية لتنمية مهارات التربية العملية لدى معلمي الرياضيات قبل الخدمة واتجاهاتهم نحو التعلم النقال. [رسالة ماجستير غير منشورة]، جامعة صنعاء.

الجهمي، الصافي يوسف. (د.ت.). *التدريس المصغر رؤية معاصرة*. جامعة قناة السويس. الحيلة، محمد محمود. (2002). *مهارات التدريس الصفي*. دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان.

دح LAN، عمر علي وجودة، موسى محمد. (2017). فاعلية توظيف التدريس المصغر في إكساب مهارات التدريس لطلبة تعليم المرحلة الأساسية في جامعة الأقصى – غزة. مجلة البحوث التربوية والنفسية، ع 54، ص ص 495 – 524. استرجع بتاريخ 15 ديسمبر 2020. <https://www.iasj.net/iasj/article/132142>

- السيد، ماجدة مصطفى وخضر، صلاح الدين وفرماوي، محمد فرماوي ولطفي، مدحجة عمر وأبوزيد، عادل حسين. (2007). التدريس المصغر ومهاراته. الدار العربية للنشر والتوزيع، سلسلة العلوم التربوية، العدد الثاني، جامعة حلوان.
- شحاته، حسن و النجار، زينب. (2003). معجم المصطلحات التربوية والنفسية. الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.
- الشريدة، ماجد علي و عز الدين، سحر محمد. (2018). معوقات تطبيق التربية الميدانية من وجهة نظر الطالب والطالبات بكلية التربية جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز. رسالة الخليج العربي، ع 150 ، ص ص 15 - 38 : .
https://library.abegs.org/journal/journal_issues/detail.html?i.d=5656285301178368
- عبد الرسول، شريف عبدالله. (2021). صعوبات تدريس مناهج التربية الفنية التي قد تواجه معلمي ما قبل الخدمة من وجهة نظرهم. مجلة إينياد للعلوم الاجتماعية والإنسانية، 1(1)، ص 1 - 23 .
- عطية، محسن علي و الهاشمي، عبد الرحمن. (2008). التربية العملية وتطبيقاتها في إعداد معلم المستقبل. دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان.
- علي، محمد السيد. (2011). موسوعة المصطلحات التربوية. دار المسيرة، عمان.
- العمري، خالد و المساد، محمود. (1996). التربية العملية " الإطار النظري ". وزارة التربية والتعليم اليمنية، صنعاء.
- عبيد، محمود كامل و شرف، عبدالعزيز محمد و محمود، إبراهيم يوسف. (2020). فاعلية برنامج تدريسي قائم على اختلاف بيئه التعلم المصغر في تنمية كفايات تكنولوجيا التعليم لدى إحصائي صعوبات التعلم. دراسات عربية في التربية وعلم النفس (ASEP) ، ع 127 ، ص ص 227 - 284 .

- غالب، سهام سيف. (2020). التدريس المصغر وأثره في تنمية مهارات التدريس لدى طلبة معلمي علوم التعليم الأساسي بكلية التربية جامعة تعز. دراسات عربية في التربية وعلم النفس، ع 125، ص ص 145 – 178. (ASEP)
- الفتلاوي، سهيلة محسن. (2004). كفايات تدريس المواد الاجتماعية بين النظرية والتطبيق. دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان.
- الفرا، عبدالله عمر و حمران، عبده مسعد. (1994). الدليل في التربية العملية لطلبة الجامعات ومعاهد اعداد المعلمين. دار الندى، صنعاء.
- قسم التربية وعلم النفس. (2019). تصور لمقترح عقد ورشة عمل خاصة بالتربية العملية (2). وثائق غير منشورة. كلية التربية بالمهلة، جامعة حضرموت.
- الكاف، علي محمد. (2021). الأخطاء الإحصائية الشائعة في البحوث التربوية وبناء دليل إرشادي لتفاديها. [أطروحة دكتوراه غير منشورة]، جامعة حضرموت.
- اللقاني، أحمد حسين و الجمل، علي. (1996). معجم المصطلحات التربوية المعرفة في المناهج وطرق التدريس. عالم الكتب، القاهرة.
- لقطان، أبو بكر يعقوب و عبدالله، الصديق اسماعيل. (2021). فاعلية توظيف التدريس المصغر في إكساب مهارات التدريس للطالب/المعلم بكلية التربية جامعة الخرطوم. مركز جيل البحث العلمي، ع 77، ص ص 9 – 25.
- المالكي، سلطان بن سفر. (2009). فاعلية التدريس المصغر في إكساب الطلاب معلمي الرياضيات بعض مهارات التدريس. [رسالة ماجستير غير منشورة]. جامعة أم القرى.
- مراد، صلاح أحمد و سليمان، أمين علي. (2002). الاختبارات والمقياس في العلوم النفسية والتربوية خطوات إعدادها وخصائصها. دار الكتاب الحديث، القاهرة.
- نبار، رقية. (2019). دور التدريس المصغر في إكساب وتنمية مهارات الكفايات التدريسية لدى المعلمين. مجلة العلوم الاجتماعية، ع 10، ص ص 243 – 260.
- نجم، منال إبراهيم. (2010). فاعلية برنامج مقترن في تنمية مهارات التربية العملية لدى طلبة قسم الدراسات الإسلامية في جامعة الأزهر بغزة. [رسالة ماجستير جامعة الأزهر]. شبكة

المعلومات العربية التربوية (شعبة). استرجع بتاريخ 1 ديسمبر 2021.

.<http://search.shamaa.org/FullRecord?ID=75304>

نصر الله، عمر عبد الرحيم. (2001). أساسيات في التربية العملية. دار وائل للنشر، عمان.
هارولد، باربرا وقسم البحوث التربوية. (2003). أساسيات تدريس المواد الأساسية الحلقة الأولى من التعليم الأساسي (1-5) في المدارس الحكومية بدولة الإمارات العربية المتحدة. سلسلة بحوث ودراسات تربوية (1)، وزارة التربية والتعليم، جامعة زائد.

المراجع الأجنبية:

- Allen, Dwight. W. (1967). *Micro-Teaching: A Description*. Stanford University. [On-Line]. <https://files.eric.ed.gov/fulltext/ED019224.pdf>.
- Wonactt , Michael E. (2002). *Teacher Induction Programs for Beginning CTE Teacher*. National Research Center Publications. No 19 , pp 1-4. [On-Line]. <https://eric.ed.gov/?id=ED462623>.

المشاركة المجتمعية في تحديد أولويات التنمية المحلية

دراسة سوسيولوجية في مديريات محافظي عمران وحجة

د. عبد السلام أحمد الدار الحكيمي^(*)

الملخص:

يهدف البحث إلى التعرف على دور المشاركة المجتمعية في عملية التنمية المحلية، وتأثير أهميته كونه يجسد المسئولية الاجتماعية في شراكة حقيقة في مختلف مجالات الحياة، وتم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي من أجل تشخيص الواقع للمجتمعات المستهدفة، وقد خرج البحث بعدد من النتائج أهمها: ضعف المشاركة المجتمعية في الخطة والسياسات والبرامج والمشاريع التنموية، كما أن التدخلات التنموية منقوصة وغير مكتملة، إما بسبب تدني مستوى التجهيزات أو عدم الكادر، وكذا بروز بعض استراتيجيات التعايش من قبل السكان نظراً لغياب تلك الاحتياجات أو ضعفها ورداة وجودها على مستوى الفرد والأسرة مثل الترشيد في المياه أو طرق جلبه وشرائه من قبل البعض، وأيضاً في الصحة والتعليم. ومن أهم توصيات هذا البحث: تعزيز المشاركة المجتمعية في الخطة والسياسات والبرامج التنموية في المراحل المختلفة للخطط التنموية سواءً كان ذلك في الإعداد أو التنفيذ أو الرصد والتقييم.

الكلمات المفتاحية: المشاركة المجتمعية، التخطيط، التنمية، التنمية المحلية.

(*) أستاذ السكان والتنمية المشارك في قسم علم الاجتماع - جامعة تعز - الجمهورية اليمنية.

Community participation in setting local development priorities A sociological study in the governorates of Amran and Hajjah

Dr. Abdul Salam Ahmed Al Dar Al Hakimi

Abstract:

The research aims to identify the role of community participation in the local development process, and the importance of the research comes as it embodies social responsibility in a real partnership in various aspects of life, and the descriptive analytical approach was relied on in order to diagnose the reality of the target communities. The research came out with a number of results, the most important of which is the weakness of community participation in plans, policies, programs and development projects, the development interventions are also incomplete, either due to the low level of equipment or the lack of staff, As well as the emergence of some coexistence strategies on the part of the population due to the absence or weakness of those needs and their poor presence at the level of the individual and the family, such as rationalization of water or methods of bringing it and buying it by some, and also in health and education. Among the most important recommendations of this research: activating community participation in development plans, policies and programs in the different stages of development plans, except in preparation, implementation, monitoring and evaluation.

Keywords: Community participation, Planning, Development, Local development

مقدمة:

منذ منتصف السبعينيات من القرن الماضي اعتمدت الحكومات اليمنية عدداً من الخطط التنموية الثلاثية والخمسية، وهذا فقد ورثت حكومة دولة الوحدة تراكمات وأعباء مالية واقتصادية⁽¹⁾ نتيجة لتلك السياسات التنموية التي لم تحقق الأهداف التنموية المنشودة.

ويعود فشل تلك الخطط التنموية كونها اعتمدت في الأساس على التخطيط المركزي من قبل المختصين والفنين في وزارة التخطيط والتنمية، وهذه الخطط التنموية يتم تقييمها بعد ذلك بناءً على

(1) البشاري، أحمد علي ص54: الإصلاحات الاقتصادية في اليمن (1995-2001)، مجلة الثوابت، العدد السادس عشر إبريل - يونيو 1999.

تقارير الإنجز السنوية المقدمة من مختلف القطاعات والمؤسسات والوحدات الاقتصادية في القطاعين العام والمختلط التابعة للحكومة كل عام، ثم يعقبه تقييم خائي لتقارير الإنجز نهاية كل خطة تنمية وبدون مشاركة مجتمعية.

واليمن من تلك الدول التي قامت على التعددية السياسية والحزبية منذ قيام الوحدة اليمنية عام 1990م، وقد تشكلت بعد الوحدة عدة حكومات وطنية قامت بعده إصلاحات سياسية واقتصادية وإدارية ومالية، وذلك من أجل تحقيق أهداف التنمية الألفية 2015م، حيث استفادت من تجرب عدد من الدول التي سعت إلى تعزيز دور المشاركة المجتمعية في تحديد أولويات التنمية عند وضعها لخططها التنموية ويرز ذلك أثناء وضع الخطة الثالثة والرابعة للتنمية التي أخذت بمبدأ التخطيط الشاركي، وبدأت هذه التجربة وبشكل محتشم بمشاركة عدد من منظمات المجتمع المدني في عدد محدود من المدن الرئيسة في إعداد خطة التنمية الثالثة⁽¹⁾، كما قامت وحدة المراقبة والتقييم التي تم إنشاؤها بوزارة التخطيط والتعاون الدولي بالتشبيك بين تلك المنظمات ومختلف إدارات المراقبة والتقييم بمراكز المحافظات التابعة لها، من أجل تدريب كوادر تلك المنظمات على آلية المراقبة والتقييم لعدد من المؤشرات التنموية، التي تقع ضمن مجال عملها⁽²⁾، وذلك من أجل التوسيع في هذه التجربة في الخطة القادمة لتشمل المجالس المحلية في المحافظات وإشراك الأفراد من تلك المجتمعات المحلية في عملية التخطيط والمراقبة والتقييم للمشروعات والبرامج التنموية.

ويسعى هذا البحث إلى دراسة علاقة التخطيط بالمشاركة المجتمعية في المجتمع اليمني والتي جاءت كضرورة بعد التحولات في البنية الاقتصادية والاجتماعية في اليمن بعد تحقيق دولة الوحدة، باعتبار أن المشاركة المجتمعية تشكل الأساس الموضوعي في عملية التنمية، لاسيما بعد أن فشلت

(1) وزارة التخطيط والتعاون الدولي ص37: خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية الثالثة للتخفيف من الفقر (2006-2010)، صنعاء، (د. ت.ن.).

(2) وحدة المراقبة والتقييم: الدليل التدريبي في المراقبة، وزارة التخطيط والتعاون الدولي، صنعاء، 2010.

الحكومات السابقة قبل الوحدة من تحقيق تنمية لكل المؤشرات التنموية التي وضعتها خلال تلك الخطط.

وهذه التجربة قام بتنفيذها الصندوق الاجتماعي للتنمية في عدد من المديريات بعض المحافظات اليمنية، حيث سعى الصندوق إلى إحياء روح المبادرة الموارثة لدى اليمنيين منذ القِدَم للاعتماد على الذات، عن طريق تعزيز مبدأ مشاركة المجتمع في تنفيذ المشروعات عبر اتباع منهجيات توفر فرصة المشاركة المجتمعية للذكور والإثاث على حد سواء، بدءاً بتحديد الاحتياج ومروراً بالتنفيذ وانتهاءً بالتشغيل والصيانة. ويُعزّز الصندوق الممارسات الديمقراطية من خلال دفع المجتمع لتنظيم نفسه، وانتخاب أعضاء اللجان التنموية التي تمثله⁽¹⁾.

كما أن هذه التجربة تم تطبيقها في كينيا والهند وغيرها⁽²⁾ من الدول، مما شجع بعض الباحثين والمحترفين في عملية التنمية بالدعوة إلى ضرورة تفعيل تلك المشاركة من أجل توفير قدر مشترك من التعاون الإيجابي بين مختلف الجهات المعنية الحكومية وغير الحكومية، خاصة بعد فشل الخطط التنموية المركبة التي كانت تعتمدتها معظم الدول النامية في عملية التنمية.

(1) الصندوق الاجتماعي للتنمية؛ وثائق وبروشورات عن الصندوق الاجتماعي حول المشاركة المجتمعية؛ تم تزويد الباحث بما من قبل الأخ نبيل المعمري متخصص بالشراكة المجتمعية بفرع الصندوق الاجتماعي بمحافظة تعز خلال الدورة التعرفيّة بالصندوق لطلاب قسم علم الاجتماع بجامعة تعز عام 2021م.

(2) قدومي، منال عبد المعطي صالح ص 27: دور المشاركة المجتمعية في تنمية وتطوير المجتمع المحلي، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2006، مأخوذ من الموقع الإلكتروني بتاريخ يوليو 2020، متاح على الرابط:
https://scholar.najah.edu/sites/default/files/all-thesis/community_participation_and_its_role_in_the_development_of_the_local_community_case_study_of_neighborhood_committees_in_the_city_of_nablus.pdf

وبما أن الشراكة المجتمعية كانت غائبة من قبل الحكومات اليمنية في الفترة الماضية، سواءً أكان ذلك بسبب تحييشهما نظراً لعدم توفر القناعة السياسية لدى صناع القرار لعملية التخطيط والتنمية خلال تلك الفترة، أم للتحديات التي واجهتها بسبب انتشار الأمية بين السكان.

ولكن مع التغيير الذي شهدته اليمن سياسياً بعد قيام دولة الوحدة، وتفعيل دور المجالس المحلية بعد عام 2003م أصبح الظرف الراهن يفرض مثل تلك الشراكة، ويؤصل مبدأ التكامل المؤسسي، الأمر الذي يتطلب ضرورة الدراسة العلمية للمشاركة المجتمعية، وهذا ما سوف يقوم به هذا البحث حول دور المشاركة المجتمعية في تنمية المجتمعات المحلية.

وقد تبلور من هذه الإشكالية عدد من التساؤلات وتمثلت في الآتي:

- ما الدور الذي تلعبه المشاركة المجتمعية في تنمية المجتمعات المحلية؟
- ما أولويات التنمية في المجتمعات المحلية المستهدفة بمحافظي عمران وحجة؟
- ما التغير في أولويات واحتياجات التنمية المحلية بين الماضي قبل فترة الستينيات من القرن الماضي واليوم في المجتمعات المحلية المستهدفة؟
- ما استراتيجية وأساليب المعيشة للأفراد والأسر في المجتمعات المحلية المستهدفة؟
- ما الحلول والمعالجات لقضايا التنمية في المجتمعات المحلية المستهدفة من وجهة نظر أفراد العينة المختارة؟

وقد هدف هذا البحث إلى جملة من المسائل لعل من أهمها التعرف على:

- دور المشاركة المجتمعية في عملية التنمية المحلية.
- أولويات واحتياجات التنمية في المجتمعات المحلية ورصد التغير بين تلك الأولويات والاحتياجات في الماضي والحاضر.

- استراتيجيات التعايش مع تلك المتغيرات من قبل الأفراد في المجتمعات المحلية المستهدفة.
- الصعوبات الاجتماعية والاقتصادية للمشاركة المجتمعية في المجتمعات المحلية المستهدفة.
- المعالجات المختلفة للقضايا والمشكلات الاقتصادية والاجتماعية في المجتمعات المحلية المستهدفة والتي تتناسب مع الامكانيات المتوفرة لتلك المجتمعات.

وتأتي أهمية هذا البحث كونه يجسد المسؤولية الاجتماعية في شراكة حقيقية في مختلف مجالات الحياة، وفي المجال التنموي على وجه الخصوص؛ حيث إن القضايا التنموية الحالية تتسم بالتعقيد، كما برزت في اليمن مؤخرًا عدد من القضايا التي تتطلب من كافة المؤسسات في المجتمع تحمل المسؤولية نظرًا للظروف الموضوعية التي تدفعه للمشاركة المجتمعية في العمل التنموي واستمراره فيه، ويتبع للمجتمعات المحلية بكافة شرائحها المشاركة في عملية التخطيط والتنفيذ والمراقبة للمشروعات والبرامج التنموية. ولهذا تأتي أهمية هذا البحث كونه سوف يساهم في ترسیخ المشاركة المجتمعية بوصفها آلية ضمن الاستراتيجيات والخطط التنموية المستقبلية في اليمن بقوانين وتشريعات ملزمة أمام الساسة والمخططين.

وقد اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي لما لهذا المنهج من أهمية في تشخيص الواقع ورصد أبعاد ومعايير مشكلة البحث من أجل تقديم صورة واضحة للمشكلة بشكل كمي أو نوعي؛ ترسم صورة عامة للمشكلة للخروج بنتائج تساهم في التوسيع بالمشاركة المجتمعية في عملية التخطيط التنموي في اليمن واعتمادها ضمن الخطط والاستراتيجيات التنموية في الفترة القادمة.

تم النزول ميدانيًا في شهر ديسمبر من العام 2014م، واستغرق البحث الميداني للدراسة ثمانية أيام بالإضافة إلى يومين لتدريب المجموعات البدوية المركبة والمقابلة الخاصة بالقيادات المجتمعية على استماراة مقابلة؛ العقال والمشايخ وأعضاء المجالس المحلية وغيرها، وقد تم اختيار محافظة عمران وحجة لقررهما من أمانة العاصمة وكذا للتنوع في النشاط السكاني ويتوارد بهما عدد من النازحين من محافظة

صعدة، حيث تم توزيع فريق العمل الميداني إلى (4) فرق؛ كل فريقين في محافظة، وقد جمعت المعلومات من (11) تجمعاً سكانياً في كل محافظة وعلى مستوى الريف والحضر، والذي تم اعتماده بناء على عدد السكان بحسب نتائج تعداد 2004م، والتي تم تحديدها بعدد سكان 5000 نسمة فأكثر⁽¹⁾.

كما اعتمد البحث على أسلوب البحث السريع بالمشاركة برات (PRRAT)، وهو اختصار لـ (Participatory Rapid Rural Appraisal Technique) وهو أسلوب تجمع بواسطته المعلومات والبيانات النوعية والكمية باستخدام أدوات مرنة، ومشاركة فعلية من أفراد المجتمع وتفسيرها وتحليلها⁽²⁾، ويتم ذلك من خلال المقابلات للمجموعات البؤرية للسكان من مختلف الشرائح العمرية؛ لما يتميز بهذا الأسلوب من تنوع في الأدوات والقدرة على استيعاب القضايا المجتمعية، كما يهدف هذا الأسلوب إلى كونه كيفي في أدواته وكمي في بياناته ليعطينا صورة أكثر عمقاً وشولاً لقضايا المجتمع أفضل من استمرارات الاستبانة الفردية، بالإضافة إلى تحفيز المبحوثين على عرض المشاكل والأولويات من وجهة نظرهم، وذلك من خلال استخدام الأدوات التالية:

- مجموعات المناقشة البؤرية: تم تنفيذ 66 مجموعة نقاش بؤري متنوعة للرجال والنساء والشباب توزعت على النحو الآتي: (22 مجموعة نقاش بؤري مع الرجال من الفئات العمرية 25 سنة فأكثر، و22 مجموعة نقاش بؤري مع النساء والشابات من سن 15 سنة فأكثر، و22 مجموعة نقاش بؤري مع الشباب من الفئة العمرية 15 إلى 24 سنة).

(1) الجهاز المركزي للإحصاء ص33: النتائج النهائية للتعداد العام للسكان والمساكن والمنشآت ديسمبر 2004م، صنعاء ديسمبر 2006.

(2) حسنين، حسين محمد ص168: طرق وأدوات جمع المعلومات والبيانات عن المجتمع المحلي، سلسلة أدلة العاملين بتنمية المجتمعات المحلية، السلسلة الرابعة الجزء الأول، مطبعة القدس، الأردن، 1995-1996.

- المقابلات الشخصية المنظمة مع قيادات مجتمعية: أجريت 22 مقابلة مع قيادات السلطة المحلية والقيادات المجتمعية في هذه التجمعات، ويمثلون (سلطة تقليدية؛ شيخ أو عاقل حارة أو منطقة أو مثل للسلطة المحلية).

- المقابلة الجماعية (مجموعة النقاش البؤري) مع عدد من النازحين/ النازحات قسرىًّا جراء حرب صعدة والقاطنين في بعض التجمعات السكانية في محافظة عمران (مديرية خمر، ومديرية ريدة) للتعرف على وجهة نظرهم في تحديد أولوياتهم واحتياجاتهم كونهم جماعات سكانية مستضافة تقيم ضمن التجمعات السكانية المستهدفة بالدراسة.

القسم الأول : المدخل النظري وألفاهيمي

1-المدخل النظري

يعد مجال الدراسات التنموية من المجالات التي بدأ الاهتمام بها في العلوم الاجتماعية والإنسانية، وهذا الاهتمام المتزايد بدراسة القضايا التنموية أدى إلى تراكم التراث النظري والمعرفي، ولقد أدت سيطرة النظريات الاقتصادية الكلاسيكية الحديثة على الفكر التنموي خلال الفترة السابقة إلى اعتماد نمط التحديث في التحليلات التنموية مما أدى إلى الاهتمام بالنتائج أكثر من الاهتمام بعملية التنمية نفسها، مما تسبب في فشل تلك التجارب التي اعتمدته على النموذج الغربي من تحقيق النمو الاقتصادي للدول النامية؛ الأمر الذي أدى إلى بروز اتجاهات جديدة لتحليل الواقع الاجتماعي والاقتصادي للدول النامية، منها نظرية التبعية عند فرنان وكاردسو، وازفالدو سولكل، وفراسو بيرو، وموريس غورييه، وبودفيلي وغيرهم، وهذا الاتجاه لم يتمكن - أيضًا - من تقديم تحليلات تساعد تلك الدول من عملية التنمية مما أدى إلى ظهور نظرية النمو الحديثة في أواخر القرن العشرين والتي أكدت أن عملية التنمية ديناميكية وأنه لا يعتمد على تراكم رأس المال والعمالة فقط، وإنما تركز على عملية التحليل للنمو من الداخل، وإدخال العوامل الخارجية في نماذج النمو ولذلك سميت

بال بال التركيز على دور الوفورات الخارجية في تحديد معدل العائد على استثمارات رأس المال مع الإبقاء على الدور المهم الذي تلعبه التكنولوجيا في هذه النماذج، كما ظهرت بعد ذلك بعض النماذج المعاصرة الأخرى مثل نظرية فشل التنسيق The Theory of Coordination Failure، والتي تعكس ضرورة التدخل الحكومي ومشاكل التوجّه للاقتصاد الحر، و بالرغم من تعدد النظريات المفسرة للتنمية والعوامل المؤدية لها إلا أن العديد من الاقتصاديين أوضحوا ضرورة التكامل بين العديد من العوامل من أجل إحداث وتحقيق تنمية ناجحة وملوّبة وتحقيق أهداف التنمية المتغيرة والمترابطة ولذلك فإن الجزء التالي يعرض التطورات والمستجدات في أهداف التنمية والتي تؤثر في تصميم ورسم السياسات والاستراتيجيات الالزامية لتحقيقها⁽¹⁾.

وقد أدت هذه التطورات النظرية في ميدان التنمية والتحديث إلى تجاوز تحليلات نظرية التحديث، وإلى تقديم معارض لنظرية التبعية، ويعود ذلك إلى فشل نظرية التحديث في تقديم تفسير حقيقي للتخلّف في البلدان النامية، وعدم قدرة نظرية التبعية على اقتراح آليات عملية تساعده على تحقيق النمو؛ مما أسهم في بروز بعض النماذج النظرية التي تركز على طبيعة الإنتاج المحلي السائد معتبرة إياها المؤشر الأساس لدرجة النمو في المجتمع، وعلى المكانة التي يشغلها هذا المجتمع داخل النظام العالمي، وهذه النظرية أهملت العامل السياسي ودوره المميز الذي يطبع به في المجتمعات النامية بشكل عام⁽²⁾، كما أكد ألييجيك في اتجاهات ما بعد الحداثية بأننا نتحرك الآن إلى مرحلة يمكن أن نسميها (الحداثة الثانية) التي تعولت فيها المؤسسات الحديثة فيما انفلتت فيها حياننا اليومية من قبضة التقاليد والعادات، وقد بدأ المجتمع الصناعي القديم بالاندثار، مفسحًا الطريق ليحل مكانه (مجتمع

(1) علي، هدى عبد الحميد : اقتصاد التنمية من النظريات إلى الاستراتيجيات والسياسات التنموية، مجلة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، المجلد 19، العدد 2 - الرقم المسلسل للعدد 75، إبريل 2018، مأخوذ من الموقع الإلكتروني بتاريخ يناير 2022 متاح على الرابط : https://jpsa.journals.ekb.eg/article_128799.html

(2) خمس، مجد الدين ص32: الدولة والتنمية في إطار العولمة- تحليل سوسيولوجي لأزمة التنمية العربية ودور الدولة في تجاوزها، ط1، دار مجد لاوي للنشر والتوزيع، الأردن، 2004.

المخاطرة) أي أننا نعيش - كما يرى بك - عالم المخاطرة وعدم اليقين، وقد تفاقمت المخاطر بالثورات المتجددة في مجال التقانة. فالمخاطر تختلف في أسبابها وأصولها وطبيعتها. فقد كانت الطبيعة المصدر الرئيس للمخاطر التي تعرض لها المجتمع في الماضي. أما المخاطر التي تتعرض لها المجتمعات الحديثة، فإنها تعود إلى أنماط التنمية الاجتماعي، وإلى المراحل المتقدمة التي بلغها التطور العلمي والتقاني. كما يعتقد بك أن مسؤولية إدارة تلك المخاطر يجب أن لا تُترك للسياسيين والعلماء فحسب، بل ينبغي أن تسهم فيها جماعات المواطنين بدور رئيس. ويشتراك بك مع هابرmas في دعوة الجماعات والحركات الاجتماعية إلى الضغط والتأثير على الآليات السياسية التقليدية، ولا سيما في المجالات المتعلقة بحقوق الإنسان، والمحافظة على البيئة، والدفاع عن مصالح المستهلكين⁽¹⁾.

وكلة النظريات التنموية جعلت بعض الباحثين يقول بأن معظم النظريات التنموية، وبمختلف اتجاهاتها كانت وليدة لتزايد الفجوة بين الدول الصناعية الرأسمالية، والدول النامية⁽²⁾.

لهذا ونتيجة لأنّة التّنمية والتخطيط في عدد من البلدان النامية، برزت كتابات في مجال التنمية والتخطيط في بعض الدول مثل: الهند وباكستان والبرازيل ومصر وغيرها؛ وساهمت تلك الكتابات في إثراء الفكر التنموي والتخططي، ولكن قضية التخطيط للتنمية ليست مرتبطة كلياً بالأجهزة الرسمية فحسب، وإنما لها علاقة بالإنسان، وبعد قدرته على المشاركة في تحديد الأهداف العامة للتنمية؛ وهذا يؤكد ضرورة وعي الطبقات الفقيرة بمصالحها الاجتماعية والاقتصادية، وقد نادى أصحاب هذا الاتجاه بعملية تحديد الاستراتيجيات الاقتصادية والاجتماعية المناسبة لعملية التنمية الوطنية وبمحاسب

(1) غلنر، أنتوني ص729: علم الاجتماع، ترجمة فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة - مؤسسة ترجمان - توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، أكتوبر 2005.

(2) المقرمي، عبد الملك ص26: الاتجاهات النظرية لتراث التنمية والتخلّف في نهاية القرن العشرين - رؤية نقدية من العالم الثالث، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت 1991.

موارد المجتمع المتاحة من الحكومات في الدول النامية وإعداد خطط واستراتيجيات تنمية وطنية للنهوض بعملية التنمية.

وتحقيقاً للأهداف السابقة التي اعتمد عليها هذا البحث تم تحديد عدد من المنطقات والموجهات النظرية التي تستند إليها الأدبيات عن المشاركة الاجتماعية، وتشكل بجملها الإطار التحليلي لدراسة العلاقة بين ما يتم في المجتمع من تغيرات اقتصادية واجتماعية وثقافية، وبين سبل ووسائل المعيشة للأفراد في المجتمع ومشاركتهم في عملية التنمية، والمعوقات التي تحول دون ذلك، وتمثل تلك المنطقات في الآتي:

- المشاركة المجتمعية تختلف من مجتمع آخر ومن مرحلة إلى أخرى في المجتمع الواحد، وواقع المجتمعات المحلية لم يصبح على ما هو عليه اليوم إلا نتيجة للتطور التاريخي وتطور النظام الاقتصادي والاجتماعي، فالتغيرات والتحولات الاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها كثير من الدول النامية في بعض المراحل التاريخية انعكست آثارها على نوع تلك المشاركات.
- ترتبط المشاركات المجتمعية بأطر المجتمع ومؤسساته وتنظيماته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، كما أن الأفراد في المجتمعات المحلية أصبح لهم دور إيجابي في تشكيل تلك المؤسسات والمنظمات؛ كونهم فاعلين في المجتمع، ولهم دور في بناء المجتمع وتنميته.
- تشكل التغيرات الهيكيلية في البناء الاقتصادي والتنموي ضرورة لانخراط أفراد المجتمع ومشاركتهم في ميدان الإنتاج الاجتماعي ويفسح المجال للموارد البشرية وقوة العمل للمشاركة بفاعلية في العمل التنموي.
- العلاقة بين المشاركة المجتمعية والتنمية علاقة وثيقة وتكاملية، يعني أن التنمية في أي دولة مرتبطة بمدى المشاركة المجتمعية في عملية التخطيط والتنفيذ والمراقبة والتقييم للسياسات وللإستراتيجيات والخطط التنموية فيها.

- التغير الاجتماعي لا يتم آلياً نتيجة للتحولات في البنية الاقتصادية؛ بل يتطلب الحفاظ على وجهة ذلك التغير لصالح التقدم وخطط التنمية الشاملة والمستدامة من خلال القوانين والتشريعات التي تنظم تلك المشاركات المجتمعية في منظمات اجتماعية ومهنية؛ لتحقيق بذلك أهداف التنمية المنشودة في المجتمع.

2- مفاهيم البحث

2-1- مفهوم المشاركة الاجتماعية:

يعد مفهوم المشاركة من المفاهيم القديمة، كما تعد المشاركة المجتمعية إحدى أدوات تفعيل العمل الديمقراطي في المجتمع وأداة للتغيير الفعال، من أجل الإسهام في بناء مجتمع حر وعادل يعتمد على مبدأ الديمقراطية، تدار فيه الشؤون العامة من خلال الناس ومن أجلهم على أساس احترام الكرامة الإنسانية والديمقراطية، والعدل الاجتماعي، والمساواة بين جميع المواطنين، وبهذه المشاركة يتم استغلال طاقات المواطنين للمساهمة في مواجهة تحديات التنمية البشرية. أما في سياق العمل التنموي على المستوى المحلي فإنه يخضع لعملية التشاور وال الحوار مع المواطنين كون ذلك مكملاً لعمل الإدارة الحديثة وتكرис مبادئ الحكم الرشيد، ولما لذلك من أهمية في تحسيد عملية التواصل بين المجالس المحلية والمجتمع. كما أكد البعض على أن المشاركة من قبل الناس في العمل التنموي في أي مجتمع يعود إلى الحرية السياسية فيها؛ لأن ما يمكن للناس أن ينجزوه إيجائياً يتأثر بالفرص الاقتصادية وبالحرفيات السياسية، وبالقوى الاجتماعية وبالشروط الميسرة لضمان صحة جيدة، وبالتعليم الأساسي وتشجيع ثقافة المبادرات وغرتها⁽¹⁾.

(1) أمارتيا سن ص 17: التنمية حرية، ترجمة شوقي جلال، مجلة عالم المعرفة، العدد 303، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مايو 2004.

وقد تطور مفهوم المشاركة بعد أن أيقنت المؤسسات العاملة في مجال التنمية أن المجتمع هو العنصر الأساس في التنمية انطلاقاً من زيادة قدرة المجتمع على الاستجابة للحاجات الأساسية وال حاجات المتزايدة لأعضائه. وأن التنمية السياسية والاقتصادية والاجتماعية لا تتحقق إلا من خلال تمكين جميع شرائح المجتمع من المشاركة في التعبير عن احتياجاتهم ووضع الخطط والبرامج. كما أنها تساعدهم في الاستخدام الأمثل لطاقات وقدرات أفراده وجماعاته، وتعطي الفرصة لمشاركة الفئات المهمشة⁽¹⁾.

وتعد المشاركة المجتمعية (Community Participation) ركيزة أساسية من ركائز تحقيق الأهداف التنموية للمجتمعات، وتقياس مؤشرات نجاح الخطط التنموية بمدى إشراك المجتمع المحلي في اتخاذ القرار، لأن جميع الخطط والمشاريع التنموية تستهدف أفراد المجتمع بكل شرائحه.

أفراد المجتمع إن لم يشتركوا في وضع الخطط والبرامج التنموية سيصطدمون ب وعدم تجاوب وتفاعل المجتمع مع هذه المشاريع لأسباب متعددة، ومنها أن أفراد المجتمع لم يكونوا شركاء في تحديد هذه المشاريع، أو لأنها لا تلبي حاجاتهم وأولوياتهم .

وتعرف المشاركة بمفهومها التنموي بأنها: اشتراك المجموعات والشرائح السكانية المستهدفة في تحديد وصياغة أهداف خطة التنمية الموجهة لتحسين أوضاعهم، وكذلك المساهمة في تنفيذها وتقديرها .

(1) صندوق تطوير واقراض البلديات ص 5 : المشاركة والمشورة المجتمعية دليل عمل تدريبي، آيار 2009. مأخوذ من الموقع الإلكتروني بتاريخ ديسمبر 2021 متاح على الموقع:
<http://www.baladiyat.ps/CMS/Upload/Admin/Documents/public%20participation%20manual.pdf>

وهي بهذا المعنى تعني انطلاق التنمية من القاعدة باتجاه رأس الهرم أو تنمية من أسفل، والتي تعمل على إلغاء الدور المتعاظم للحكومة، وتحسن من محتوى خطط التنمية وتسهل من تنفيذها وتفعل دورها وتأثيرها⁽¹⁾.

كما عرّف البعض مفهوم الشراكة في العملية التنموية أنها اقتراب تنموي، يتضمن علاقة تكامل، بين قدرات وإمكانات طرفين أو أكثر، تتجه لتحقيق أهداف محددة، وفي إطار من المساواة بين الأطراف، لتعظيم المزايا النسبية التي يتمتع بها كل طرف في إطار احترام كل طرف للآخر، وتوزيع الأدوار وتحمل المسؤوليات بقدر كبير من الشفافية⁽²⁾. وتقع المشاركة المجتمعية ضمن المسؤولية الاجتماعية للأفراد في أي مجتمع لتجسيد شراكة حقيقة مع الحكومة وفي مختلف مجالات الحياة. كما يمكن تعريف المشاركة أنه: مشاركة مختلف فئات الشعب أو هيئات أو جماعات منتظمة مستهدفة للسلطات الحكومية في كل ما يتعلق بالعملية التنموية، ويأخذ هذا النوع من المشاركة أشكالاً عددة⁽³⁾. سواء تمثل ذلك في المشاركة السياسية أو غيرها؛ لما لذلك من أهمية في الإسهام بعملية التغيير الاجتماعي، وتمثل تلك المساهمة من قبل الناس في صنع التغييرات المهمة التي تحرى مجتمعاتهم والسيطرة عليها، كما أن مساهمتهم في العمل المجتمعي تتم عن طريق تكوين التنظيمات التي تعمل على تحقيق أهدافهم المشتركة⁽⁴⁾. من تلك التعريفات يمكن أن نخرج بالتعريف الإجرائي لمفهوم المشاركة المجتمعية أنها: تعبير عن قدرة الأفراد في المجتمع المحلي من فهم طبيعة السياق الاجتماعي والعمل على تغييره نحو الأفضل من خلال تكافف جميع الجهد، واستغلال كافة الموارد البشرية والمادية المتاحة في

(1) مأخوذ من الموقع الإلكتروني بتاريخ يناير 2022، متاح على الرابط:

<https://www.starshams.com/2021/03/educational-community%20participation.html>

(2) الشرجي، عبد الحكيم أحمد ص 10: أهمية الشراكة مع منظمات المجتمع المدني في تحقيق أهداف التنمية الألفية في اليمن، مجلة قضايا اجتماعية العدد 17، المركز اليمني للدراسات الاجتماعية وبحوث العمل، صنعاء، سبتمبر 2008.

(3) غنيم، عثمان ص 187: التخطيط أساس ومبادئ، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2001.

(4) شيخلي، عبد الرزاق ص 83 : الإدارة المحلية دراسة مقارنة، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة مؤتة، ط 1، 2001.

المجتمع، والمبادرة في اتخاذ القرارات التي تتناسب مع إمكانياتهم المتاحة للتغلب على كافة التحديات التي تعترضهم للوصول إلى وضع معالجة حقيقة لقضاياهم ومشكلاتهم الاقتصادية والاجتماعية، ولهذا يمكن القول: بأن المشاركة المجتمعية يقصد بها: مدى مشاركة الأفراد رجالاً ونساء وشباباً وشابات في تلك المجتمعات المحلية من حضور الاجتماعات والفعاليات التي تقام في مجتمعاتهم المحلية ونسبة مشاركتهم فيها، وعدد تواجدهم في المنظمات والنقابات والجمعيات والمنظمات، نسبة مشاركتهم في الانتخابات، ومدى تعبيرهم عن أولوياتهم واحتياجاتهم الاجتماعية والاقتصادية وغيرها.

2-2- مفهوم التنمية و المجتمع المحلي:

قبل أن نعرف مفهوم التنمية المحلية سوف نحاول أن نعرف مفهوم التنمية، حيث تعرف التنمية بأنها "عملية تخطيط اجتماعي واقتصادي يتم على أساسه نقل المجتمع إلى وضع اجتماعي واقتصادي أفضل من خلال إحياء وتنمية القوى والموارد الداخلية لأمة ما واستثمارها"⁽¹⁾.

ومفهوم التنمية والمجتمع المحلي مفهوم حديث ظهر بعد الحرب العالمية الثانية، ويقصد به: عملية اجتماعية تمكّن أفراد المجتمع في أن يصبحوا أكثر قدرة وكفاءة على مواجهة متطلبات المعيشة والتغلب على أوضاعهم غير الملائمة، وهذه العملية تحتاج لمساعدة تكنولوجية من الحكومة والمنظمات⁽²⁾، وقد عرفها أصحاب نظرية التنمية من أسفل بداية السبعينيات من القرن الماضي أمثال جون لويس قيلقو بأنها "تعبير عن تضامن محلي"، هذا التضامن يخلق علاقات اجتماعية ويظهر إرادة سكان منطقة معينة لتشمين الثروات المحلية الذي يخلق بدوره تنمية اقتصادية، وعُرِّفت بأنها "نشاط منتظم لغرض تحسين الأحوال المعيشية في المجتمع وتنمية قدراته على تحقيق التكامل الاجتماعي والتوجيه الذاتي لشؤونه،

(1) العيسى، جهينة سلطان وأخرون ص53: علم اجتماع التنمية، الأهلي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، دمشق، 1999.

(2) Dunham, Arthur, The New Community Organization, Thomas, Crowell Company, New York, 1970.pp22.

ويقوم أسلوب العمل في هذا الحقل على تعبئة وتنسيق النشاط التعاوني والمساعدات الذاتية للمواطنين، ويصاحب ذلك مساعدات فنية من المؤسسات الحكومية والأهلية⁽¹⁾.

إن التنمية المحلية مهمة جدًا في المجتمعات النامية من منطلق أن وظيفة المجتمعات النامية واحتياجاتها إلى مشاريع تنموية تكلف الحكومة كثيراً يجعلها تعجز أن تحقق للقاعدة الشعبية العريضة كل أملها في التقدم والرخاء .

وجملة القول: إن تنمية المجتمع تهدف إلى إدخال تغييرات مقصودة ومحضطة في حياة المجتمع المحلي تتعلق بعض هذه التغييرات بالجانب المادي لحياة المجتمع مثلاً في رفع المستوى الاقتصادي والصحي والتعليمي، ويتعلق ببعضها الآخر بالجانب المعنوي اللامادي، أي تنمية القدرة الذاتية في المجتمع في الاعتماد على القدرات المحلية لحل مشكلاته على أساس ديمقراطي. وقد أثبتت التجارب التنموية التي قامت بها معظم دول العالم الثالث بعد الحرب العالمية الثانية فشل عمليات التنمية في انتشار هذه الدول من الواقع الأليم الذي تعيشه⁽²⁾. بل على العكس فإن ما حصل هو تعميق حالة التبعية والارتباط بمنظومة الاقتصاد العالمي، ويعود ذلك إلى ما ترسم به هذه الدول من ضعف في دور التجمعات السياسية التي تسهم في تزويد المواطن بالمعرف السياسي التي تبلور الرأي العام في المجتمع، وبهذا يفتقر الإنسان في هذه البلدان إلى الاستعداد لتكوين آراء حول المشاكل والقضايا المحاطة به والبعيدة عنه، وهذا يعكس لا مبالغاته، وبالتالي تسليم أمره إلى الآخرين من شيوخ ووجهاء القبيلة أو القرية.

(1) سلاوي، يوسف: مفهوم التنمية المحلية في القانون الجزائري، أطروحة دكتوراه مقدمة لكلية الحقوق جامعة الجزائر 1 - بن يوسف بن خدة، للسنة الجامعية 2017-2018، من ص 25-19. متاح على الرابط الإلكتروني:

http://193.194.83.98/jspui/bitstream/1635/14641/1/sellaoui_yousef.pdf

(2) مشورب، إبراهيم ص 51: التخلف والتنمية. دراسات اقتصادية، دار المنهل اللبناني مكتبة رأس النبع للطباعة والنشر، بيروت، 2002

القسم الثاني: الجانب الميداني

1- خصائص أفراد العينة في التجمعات المستهدفة بمحافظي عمران وحجـة

تبين أن أفراد العينة اختلفت من حيث المستوى التعليمي والنوع كما هي موضحة في الجداول التالية.

جدول (1) يوضح توزيع أفراد العينة بحسب النوع

الإجمالي	عدد الشباب	عدد النساء	عدد الرجال	المحافظة
169	52	56	61	الجماعات السكانية للفريق الأول بعمران
194	62	63	69	الجماعات السكانية للفريق الثاني بعمران
363	114	119	130	إجمالي محافظة عمران
181	56	64	61	الجماعات السكانية للفريق الثالث بمحافظة حـجـة
167	49	65	53	الجماعات السكانية للفريق الرابع بمحافظة حـجـة
348	105	129	114	إجمالي محافظة حـجـة
711	219	248	244	المجموع الكلي لأفراد العينة
%100	%30.80	%34.88	%34.32	النسبة

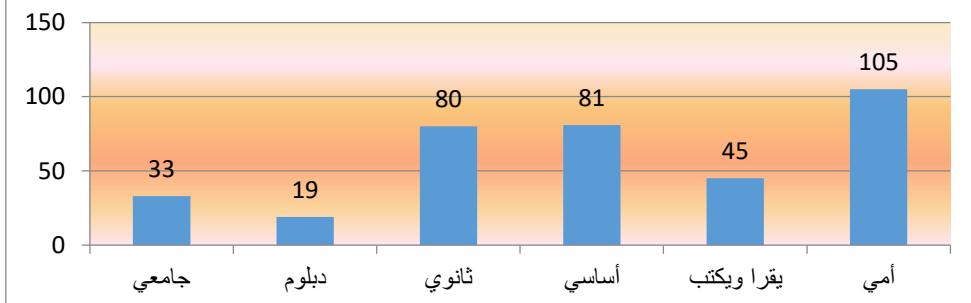
يتبيـن من الجدول (1) أن أفراد العـيـنة من الذكور والإـنـاث في مختلف التجمعـات السـكـانـية التي استـهـدـفـها بالـبـحـثـ المـيدـانـيـ بـمحافظـيـ عمرـانـ وـحجـةـ بلـغـ عـدـدهـمـ 711ـ شـخـصـاـ، مـثـلـتـ النـسـاءـ ما نـسـبـتهـ 34,88ـ%ـ مـنـ يـتـراـوـحـ أـعـمـارـهـنـ مـنـ 15ـ سـنـةـ فـوـقـ؛ـ بـيـنـماـ مـثـلـتـ نـسـبةـ الشـيـابـ حـوـاـيـ 30,52ـ%，ـ كـمـ بـلـغـتـ نـسـبةـ الرـجـالـ حـوـاـيـ 34,32ـ%，ـ وـهـذـاـ يـدـلـ عـلـىـ أـنـ النـسـبةـ تـكـادـ تكونـ مـتـقـارـبـةـ بـيـنـ مـخـتـلـفـ الفـئـاتـ الـثـلـاثـ النـسـاءـ وـالـرـجـالـ وـالـشـيـابـ.

وهذا مما يؤكد أنه قد روعي في اختيار أفراد العينة أن يكونوا ممثلين للشرائح السكانية أولاً ثم مراعاة الجوانب الاجتماعية والمهنية في المجتمع المبحوث ثانياً، إذ روعي عند اختيارهم بأنهم يزاولون الأنشطة الاقتصادية حيث المختلفة في المجتمع من المزارعين والعمال والموظفين والحرفيين، ومحسب طبيعة كل مجتمع ففي التجمعات الساحلية مثلاً روعي اختيار الرجال والشباب من يمارسون مهنة صيد الأسماك كما هو الحال في مديرية ميدي الساحلية.

١-١- الخصائص التعليمية لأفراد المجتمع المبحوث بمحافظة عمران

يتبيّن من الشكل (١) الخاص بالخصائص التعليمية لأفراد المجتمع المبحوث في محافظة عمران؛ أن نسبة الأمية بلغت ٢٨,٩٢% من إجمالي العينة المستهدفة مقابل ٩,١% فقط من الجامعيين وهي بين الإناث أكثر من الذكور، وهذا يدل أن نسب التعليم في المجتمعات المحلية المستهدفة بدأت تشهد تحسيناً مقارنة بما كان عليه الوضع التعليمي طبقاً لنتائج الإحصائيات السابقة في تلك المناطق التي عرفت بارتفاع نسبة الأمية فيها لا سيما بين الإناث.

شكل (١)الخصائص التعليمية لأفراد العينة بمحافظة عمران

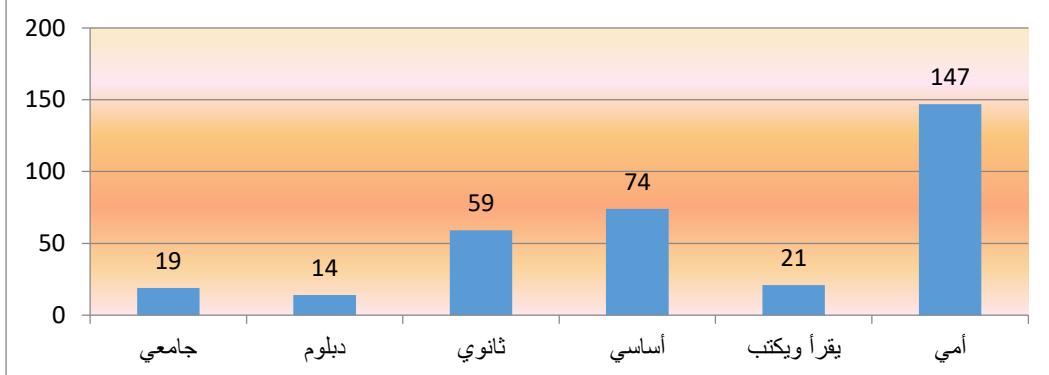


١-٢- الخصائص التعليمية للعينة المستهدفة بمحافظة حجة:

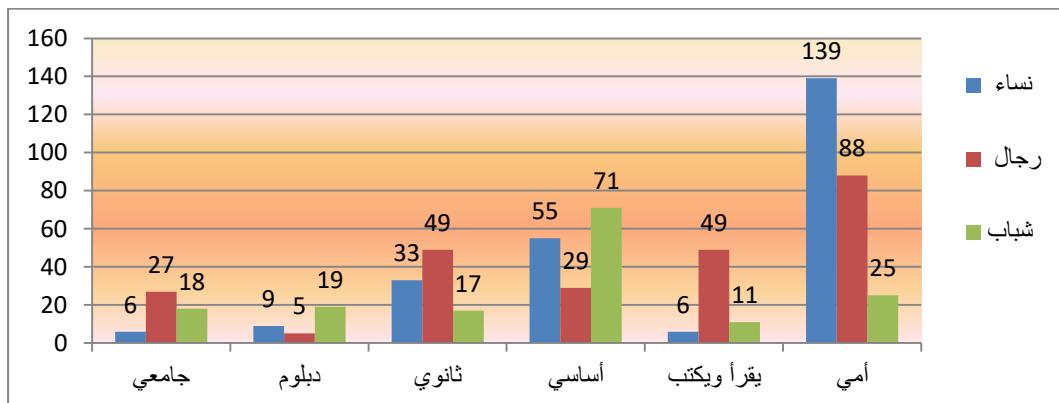
يبرز الشكل (٢) الخصائص التعليمية لأفراد العينة المستهدفة بمحافظة حجة، حيث تبيّن أن نسبة الأمية بلغت ٦٤,٢٤% وهي بين الإناث أكثر من الذكور، وهذه النسبة مرتفعة مقارنة بنسبة الأمية في المجتمعات

المحلية بمحافظة عمران، ويعود ذلك إلى أن المجتمعات المحلية بمحافظة حجة مجتمعات فقيرة مثل ما هو عليه الحال في مديرية ميدي وبكيل المير وعبس..، ومعظم الأطفال فيها يتسربون من التعليم سواء بالزواج المبكر للفتيات، أو بخروج الأطفال الذكور للعمل، ولذا نجد فيها انتشار عمالة الأطفال، مقارنة بالمجتمعات المحلية في محافظة عمران.

شكل (٢) الخصائص التعليمية للعينة المستهدفة بمحافظة حجة



١-٣- الخصائص التعليمية لأفراد العينة حسب النوع الاجتماعي في محافظتي عمران وحجة يتبيّن من الشكل(3) أن نسبة الأمية بين الإناث مرتفعة مقارنة بالرجال.



يتضح من الشكل(3) أن نسبة الأمية بين الإناث مرتفعة جداً إذ يصل إلى ٥٦,٠٤% من إجمالي أفراد عينة النساء المبحوثات في كل المحافظتين مقابل ٣٦,٠٦% بين الرجال؛ بينما هو أقل بين

مجموعة الشباب حيث بلغت نسبة الأمية بينهم ١١,٥٢% وهذه النسب تقاد تكون ممثلة لواقع الأمية في اليمن كونها تتفق مع نتائج التعداد بين مثل هذه الفئات والتجمعات السكانية. وتبين من الجدول(2) أن نسبة الأمية تتفاوت بين كلا الجنسين في كلا المحافظتين، فقد بلغت نسبة الأمية الكلية ٣٥,٤٤% وهذه النسبة تدل على أن غالبية السكان، لا سيما في المناطق الريفية يعانون من ارتفاع نسبة الأمية، كما يلاحظ أن نسبة الأمية مرتفعة في حجة أكثر من عمران، ويعود ذلك إلى عدة عوامل من أهمها التشتت السكاني في حجة، بالإضافة إلى صعوبة التضاريس فيها، مما جعل التعليم من ضمن أولوياتها.

والجدول الملحق يوضح توزيع أفراد العينة بحسب المستوى التعليمي والنوع بالمحافظات المستهدفة بالدراسة.

جدول(2) يوضح توزيع أفراد العينة بحسب المستوى التعليمي والنوع بمحافظتي عمران وحجة

المحافظة	أمي	يقرأ ويكتب	أساسي	ثانوي	دبلوم	جامعي	المجموع
إجمالي محافظة حجة	١٤٧	٢١	٧٤	٥٩	١٤	١٩	٣٤٨
% المتعلمين في محافظة حجة	٤٢,٢٤%	%٦٦,٠٣	%٦	%١٦,٩٥	%٤,٠٢	%٥,٤٦	١٠٠
إجمالي محافظة عمران	١٠٥	٤٥	٨١	٨٠	١٩	٣٣	٣٦٣
% المتعلمين في محافظة عمران	٢٨,٩٢%	١٢,٤٠	%١	%٢٢,٠٤	%٥,٢٣	%٩,٠٩	١٠٠
الإجمالي الكلي لحافظي عمران وحجة	٢٥٢	٦٦	١٥٥	١٣٩	٣٣	٥٢	٧١١
نسبة التعليم في المحافظتين	٣٥,٤٤%	%٩,٢٨	%٠	%١٩,٥٥	%٤,٦٤	%٧,٣١	١٠٠

2-أولويات التنمية

بعد عملية التفريغ للبيانات الميدانية بمحافظي عمان وحجة تبين أن غالبية السكان فيها يعانون من عدة مشاكل اجتماعية واقتصادية بالإضافة إلى ضعف في الخدمات المقدمة لهم، وتركزت أهم تلك الاحتياجات التي لا يزال السكان يطالبون بها كونها تعد من ضمن أبرز الأولويات في حياتهم المعيشية ولا يستطيعون الاستغناء عنها، وتختلف تلك الأولويات من مجتمع إلى آخر بحسب قرب أو بعد هذا التجمع من مركز عاصمة المحافظة، وهذه الأولويات الخاصة بالخدمات يتم تحديدها أولاً من قبل السكان في التجمعات المحلية وترتيبها بحسب الاحتياجات. ثانياً، ثم يقوم الفريق المختص بال المجالس المحلية ومركز المحافظة من مختلف القطاعات الخدمية الصحية والتعليمية وغيرها بتحديد نوعية تلك الخدمات وعددتها ومساحتها بشكل دقيق ثالثاً، ثم إدراجها في الخطط التنموية رابعاً.

كما برزت معايير عديدة لتتوفر مثل تلك الأولويات في بعض المناطق وحرمان بعضها منها سواء تعلق ذلك الأمر بالجوانب السياسية أو الحزبية أو غيرها. كما تبين أن أهم تلك الأولويات التي برزت بوصفها احتياجاتاً رئيساً لمعظم تلك التجمعات تتمثل في: (الماء، الصحة، التعليم، الطرق، الصرف الصحي، الكهرباء، الطرقات وغيرها)، وهذه الأولويات تختلف بل وتتفاوت من منطقة إلى أخرى بالرغم من تشابه بعض المجتمعات فيها، وهذا يعد بروز مثل تلك الاحتياجات والأولويات المجتمعية دليلاً على مدى ضرورة المبادرة التوعوية لأفراد هذه التجمعات بالمشاركة في العمل التنموي والأخذ المبادرات الشعبية في التنمية المحلية؛ لأنه لا توجد تنمية بدون مشاركة شعبية.

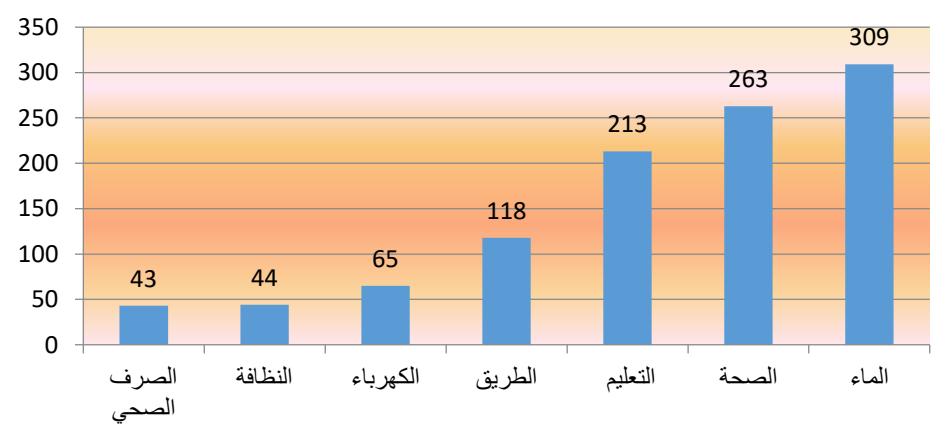
كما تبين من عملية التفريغ للبيانات أن هذه المجتمعات تعاني من تدهور وقصور مثل هذه الخدمات سواء من حيث البنية التحتية أو من أن هذه التدخلات التنموية منقوصة، إما لعدم التجهيزات فيها أو لتدنيها، أو لعدم الكادر فيها، أو لبعدها عن مناطق تجمعاتهم السكنية؛ الأمر الذي تسبب في ظهور عدد من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والبيئية مثل (التلوث البيئي) بين سكان هذه

التجمعات نتيجة لعدم الصرف الصحي. وبالإضافة إلى ذلك ظهرت بعض المشكلات بين أفراد هذه التجمعات تمثلت في انعدام فرص العمل وانتشار البطالة والهجرة الداخلية بين المدن، وعمل الأطفال وكذا العمل في تحرير القات في بعض التجمعات. إلى جانب انتشار عدد من الأمراض بين الأطفال والنساء وكبار السن لا سيما في المناطق الريفية والتي يعتمد سكانها على مياه البرك والوديان للشرب. كما أظهرت المقابلات الشخصية والجماعية مع مجتمع النازحين بعض المشكلات التي يعانون منها خاصة تلك المتعلقة بالغذاء والسكن وغيرها، وفي ما يلي سوف يتم التعرض لتلك الأولويات في الحافظتين.

١-٢ أبرز قضايا التنمية في محافظة عمران

بالرغم من اختلاف الأولويات والاحتياجات بين المناطق إلا أن بعضها تكاد تكون مشتركة فيما بينها مثل: المياه والصحة والتعليم والطرق، وتختلف الأولويات الأخرى بحسب كل تجمع، والشكل(4) يوضح ذلك.

شكل (٤) أبرز أولويات التنمية في محافظة عمران



يتبيّن من الشكل(٤) أن الماء يمثل أبرز الأولويات للسكان في محافظة عمران، حيث صرّح معظم أفراد العينة من مختلف الفئات العمرية والشريائح الاجتماعية أن مشكلة المياه تعدّ من ضمن الصعوبات

الرئيسة في مناطقهم، ويعاني منها النساء والأطفال بصفة خاصة، كونهن من يتحمل مشقة جلب الماء من البرك والعيون والآبار خاصة في المناطق الريفية؛ بينما في المناطق الحضرية يتم شراء الماء عن طريق خزانات محمولة على مركبات مخصصة، وقد مثلت نسبة الاحتياج للماء من قبل أفراد العينة المستهدفة بمحافظة عمران 85,12% من إجمالي أفراد العينة المستهدفة بالمحافظة، وهذه النسبة العالية تؤكد تلك الأولوية لدى السكان من ضرورة توافر المياه الخاصة بالشرب بالدرجة الأولى، وللزراعة بالدرجة الثانية. وجاءت الصحة في المرتبة الثانية بنسبة بلغت 72,45% ويعود ذلك إلى تدهور الوضع الصحي في معظم التجمعات، حيث صرحوا أنهم يعانون من وباء الملاريا خاصة في تجمع حيثة في مديرية ظليلة حبور، ويعاني السكان في معظم التجمعات من ندرة الوحدات الصحية، وإن وجدت فليست مجهزة بالتجهيزات والكادر الصحي، وعلى سبيل المثال: الوحدة الصحية في مجزر بمديرية ذيبين؛ الأمر الذي يجعل السكان يقومون بنقل مرضاهم إلى مركز المحافظة أو إلى العاصمة، ولا يتم نقل معظم المرضى إلا في الحالات الحرجة، ويقتصر ذلك على الأسر الميسورة. بينما الأسر الفقيرة تتحمل المرض أو تلجأ إلى التداوي بالأعشاب أو الكي أو الذهاب إلى المشعوذين.

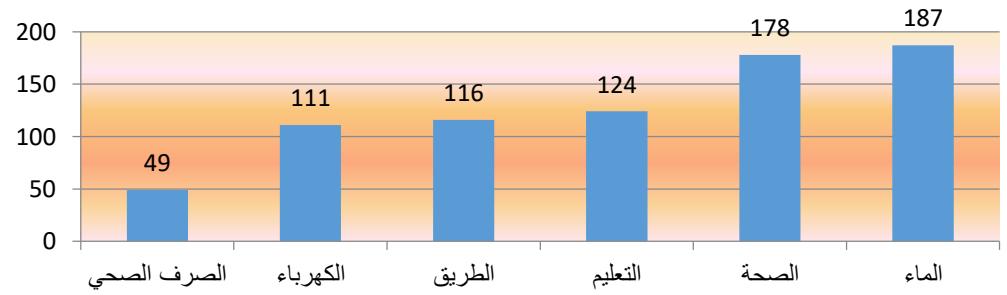
أما التعليم فيأتي في المرتبة الثالثة بنسبة 58,68%， ويعود ذلك إلى أن معظم المجتمعات المستهدفة يوجد فيها مدارس للتعليم الأساسي وهي مختلطة؛ بينما مدارس التعليم الثانوي بعيدة عن تجمعاتهم السكنية مما يتسبب في تسرب الكثير من الطلاب من التعليم الثانوي كما تبين أن قلة عدد المعلمين والمعلمات في المناطق الريفية يؤدي إلى حرمان البنات من مواصلة التعليم سواء في مدارس التعليم الأساسي أو الثانوي، وهذا القصور يؤدي إلى ازدهار منابع الأمية في تلك المناطق سيما بين النساء. أما فيما يتعلق بالأولويات الأخرى فتأتي الطرق في المرتبة الرابعة بنسبة 32,51% مثل قرية العمرية بمديرية عيال سريح، وفريح العجيرات بمديرية القفلة؛ أما الكهرباء فجاءت في المرتبة الخامسة بنسبة 17,91% وإن وجدت في بعض المناطق فهم يعانون من انقطاعات دائمة. أما فيما يتعلق بالنظافة

فجاءت في المرتبة السادسة بنسبة 12,12% يليها خدمات الصرف الصحي بنسبة 11,85%， وقد أصبحت قضايا النظافة والصرف الصحي من ضمن الأولويات التي بدأت تثير اهتمامهم خاصة في تلك التجمعات الحضرية أو التجمعات التي تقع بالقرب من الوديان مثل قرية حيطة التي يعاني سكانها من تلوث مياه الوادي، والتي تؤثر على صحة السكان في المنطقة، أما مشكلة النظافة فقد برزت بشكل أساسي في تجمع رиде وعمران وخرم وبيت عثمان بمديرية ثلا. كما برزت بعض الأولويات الأخرى الأقل أهمية وختلفت بحسب التجمعات المستهدفة، حيث تمثلت في ضرورة الاهتمام بالحدائق والمنتزهات والأندية الرياضية، والاهتمام بمرافق التدريب الفني والمهني، والتلوث البيئي في المناطق الحضرية. بينما نجدها في المجتمعات الريفية تتمثل في ضرورة تقديم الخدمات الزراعية للمزارعين، وفي الاهتمام بعلاج الشروء الحيوانية من بعض الأمراض.

٢-أبرز قضايا التنمية في محافظة حجة

تبين أن الأولويات التي أبرزها السكان في التجمعات التي استهدفتهم الدراسة بمحافظة حجة تكاد تكون متشابهة مع محافظة عمران، ولكنها تختلف في أولويتها بحسب بعض التجمعات السكانية، وبالرغم من هذا الاختلاف في الأولويات والاحتياجات بين المناطق إلا أن بعضًا منها تكاد تكون مشتركة، مثل المياه والصحة والتعليم والطرق، وتختلف الأولويات الأخرى بحسب كل تجمع كما هي موضحة في الشكل(٥).

شكل (٥)أبرز أولويات التنمية بمحافظة حجة



يتبيّن من الشكل(5) الخاص بأولويات التنمية بمحافظة حجة أن قضية المياه هي الأولى لدى معظم السكان في التجمعات التي استهدفتها الدراسة، حيث بلغت نسبة ذلك الاحتياج عند السكان حوالي 53,73 % من إجمالي عدد السكان الذين تم استهدافهم في هذه التجمعات، وهذه النسبة غير مرتفعة مقارنة بما وجدناه لدى التجمعات السكانية في محافظة عمران، ويعود ذلك إلى أن بعض التجمعات التي تم استهدافها لا تعاني من مشكلة المياه بشكل حاد مثل التجمعات الحضرية في المدينة والقريبة منها، بالإضافة إلى تجمع القلعوس بمديرية بني قيس؛ بينما شكلت المياه أولوية قصوى في المناطق التي تعاني شحّة المياه مثل: العريف وبكيل المير وبني قيس بمديرية كعیدنة ومديرية عبس وكشر وميدي، ويصل شراء الوايت الماء في كشر في فترة الجفاف إلى أكثر من 20 ألف ريال، وبالرغم من ذلك فلا تزال قضية المياه تعد من ضمن الأولويات القصوى لمعظم التجمعات السكانية في اليمن، إذ أصبحت هذه المشكلة من المشاكل التي باتت تقلق الساسة والمخططين والمستثمرين والسكان، وتتطلب تكاتف كل الجهود من أجل الوصول إلى معالجات حقيقة لهذه المشكلة من خلال الاهتمام بمحاصد المياه، وبناء السدود والحواجز المائية، بالإضافة إلى ضرورة التخلص من زراعة القات، أو تقليل المناطق المزروعة به؛ كون معظم الاستهلاك من المياه وبنسبة تصل إلى أكثر من 65% يذهب إلى سقي شجرة القات، هذا إلى جانب منع الحفر العشوائي للمياه الذي بدأ يهدّد المخزون المائي للليم. وجاءت الصحة في المرتبة الثانية بعد المياه بنسبة 51,49 % حيث تبيّن أن المراكز الصحية في بعض التجمعات لا تقدم خدمات صحية متکاملة مما يؤدي إلى نقل المرض إلى المدن الرئيسية التي تبعد عن مناطق تجمعاتهم وتتكلفهم نفقات كبيرة؛ بينما البعض يضطر إلى تحمل المرض أو اللجوء إلى التطبيب بالوسائل التقليدية المعروفة لدى سكان كل تجمع.

وقد ظهر التعليم من ضمن تلك الأولويات لدى معظم سكان التجمعات المستهدفة، بنسبة 35,63 %، ويعود ذلك إلى رداءة الخدمة المقدمة من التعليم خاصة في المناطق الريفية فمعظم

المدارس ليس فيها كادر تعليمي مكتمل بالإضافة إلى عدم المدارس الثانوية والمهنية بالقرب من التجمعات السكانية، كما كانت قضية تعليم الفتاة من ضمن أولويات التعليم لأن الكثير من التجمعات النسوية أكدن على أهمية تعليم الفتاة من خلال ضرورة توافر مدارس خاصة بالبنات بالإضافة إلى المعلمات لأن الكثير من الفتيات يتسربن من التعليم بحجج أن أولياء أمورهن لا يرغبون في مواصلتهن التعليم في مدارس مختلطة، كما برزت ظاهرة تسرب الأطفال من التعليم في بكيل المير وميدي وبني قيس وخروجهم لسوق العمل مما يعرضهم إلى بعض المشكلات الجسمية والنفسية، وتنتشر ظاهرة تحرير الأطفال في مديرية بكيل المير بشكل رئيسي.

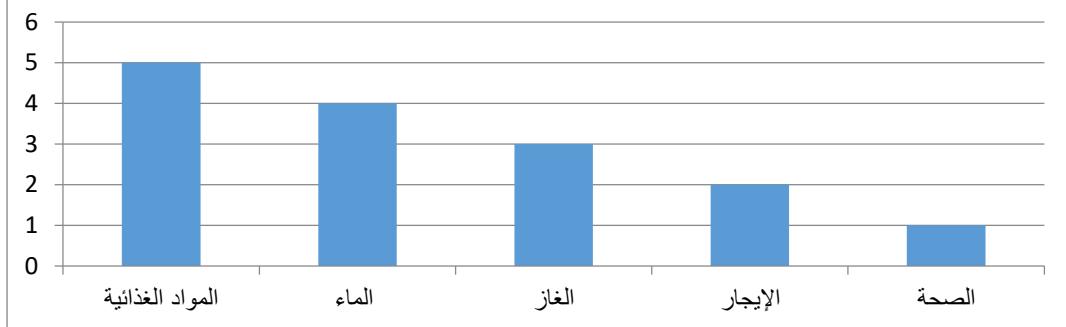
أما فيما يتعلق بالطرق فقد جاءت في المرتبة الرابعة بعد التعليم بنسبة ٦٣,٣٣% ومثلت الطريق أبرز تحديات التنمية في مجتمع العريف بمديرية بني العوام نتيجة للمشقة التي يعاني منها السكان عند تنقلاتهم سواء لتسويق مزروعاتهم أو للعلاج أو لقضاء حاجياتهم بالرغم من أن المنطقة تعد من أجمل المناطق في اليمن لما تمتاز به من طبيعة جبلية، وتفاوتت حدة هذه المشكلة في بعض المديريات الأخرى في بني قيس وبكيل المير وكشر.

وجاءت الكهرباء في المرتبة الرابعة بنسبة ٣١,٨٩% كون الكهرباء باتت حالياً من ضمن الاحتياجات للسكان على مستوى الريف والحضر، وتلتها الصرف الصحي بنسبة ١٤,٠٨% وبرز هذا الالتحاج في المراكز الحضرية خاصة في مدينة حجة التي يعاني فيها السكان من مشكلة الصرف الصحي. كما برزت بعض الأولويات الثانوية مثل مشكلة تصريف القمامات وحماية المنازل من التساقطات الصخرية، وإنارة الشوارع، وإنشاء حدائق للأطفال، وصالحة للمناسبات السكانية في مدينة حجة، بينما نجد أنها تمثلت في الأضرار من المبيدات الزراعية في العريف بمديرية كعیدنة، والخدمات الزراعية والخدمات البيطرية في بني قيس ميدي وبكيل المير.

3-2 مشكلة النازحين

بعد الحرب السادسة في محافظة صعدة تأثر معظم السكان خاصة أولئك الذين دمرت بيوتهم من جراء الحرب مما أدى إلى نزوح عدد كبير منهم إلى بعض المحافظات منها محافظة عمران، التي تم استهداف بعض من تجمعات النازحين فيها للتعرف على أولوياتهم واحتياجاتهم والتحديات التي يواجهونها في حياتهم اليومية، فقد أفاد أفراد المجموعة المستهدفة أنهم لم يستطيعوا العودة لمناطقهم نتيجة تدمير منازلهم، ولهذا فهم مضطرون للعيش في تلك التجمعات. وقد عانى كثير منهم من عدد من المشكلات منها تسرب الأطفال من التعليم، وخروج النساء والأطفال للعمل في الزراعة خاصة في مزارع البطاطس مقابل أجر يومي زهيد لا يتجاوز 700 ريال، بالإضافة إلى أجر عيني يتمثل في حوالي ثلاثة كيلو (سطل) من البطاطس. بينما تلجأ بعض النساء والأطفال إلى التسول لتسديد إيجار منازلهم التي يتراوح أجرها بين 7500 إلى 15000 ألف ريال، كما صر بعض النازحين أنهم يفضلون السكن في بيوت للإيجار بدلاً من الخيام التي صرفت لهم حتى لا يحصل لهم مضائقات من قبل السكان، كما شكا النازحون من تقلص المساعدات الغذائية التي كانت تصرف لهم، فلم يعد يصرف للأسرة الواحدة غير كيس من البر، ودببة زيت ومن 5 إلى 10 كيلو فاصولياً و2 كيلو سكر وكيس من الملح، وهي لا تفي باحتياجاتهم الأساسية. وأنباء المقابلات التي أجريت مع النازحين في مديرية خمر وريدة بربت لديهم عدد من الأولويات والاحتياجات كما هي موضحة في الشكل البياني(6).

شكل (٦) أبرز الأولويات لدى تجمعات النازحين بمديرية خمر وريدة



يبيرز من الشكل(6) أن الأولويات لدى النازحين في هذه التجمعات السكانية تتمثل في الغذاء لأن ما يعطى لهم من قبل منظمة الغذاء العالمي لا يفي باحتياجاتهم. كما أكدوا على أهمية الماء نظراً لما يعانونه، حيث تضطر النساء إلى جلب الماء من المساجد ومن الآبار أو شرائه في بعض الأحيان، كما يطالبوا بإعطائهم أسطوانات غاز للطبخ لأنهم غير قادرين على شرائه، بالإضافة إلى صعوبة دفع إيجارات المسكن، وفي هذا الصدد قال أحد النازحين: "حتى تغلب على مثل تلك الصعوبات نخرج الأطفال يعملون من عمرتهم فوق سبع سنوات وما نخليلهم يذهبوا إلى المدرسة" بينما قال الآخر: "أنا الآن بنتي تعمل في المركز الصيفي الذي تقيمه اليونيسف من أجل الرعاية النفسية للأطفال يعطونها 15 ألف ريال وهي تساعدنا على ظروف الحياة". وأكد غالبيتهم أنهم لا يتلقون الخدمات الصحية، كونها غالبة ومكلفة لهم، ولهذا يتحملون المرض ويلجئون إلى التداوي بالطرق التقليدية، وقد صرحت بعض النسوة بقولها: المريض نعطيه زبادي وزعتر لأننا لا نقدر نشتري لهم الدواء.

ومعظم النازحين أكدوا أن لديهم الرغبة في العودة إلى قراهم لو تم إعادة إعمارها لأنهم لم يتمكنوا من التكيف على مثل هذه الأوضاع، ولم يندمجوا ضمن النسيج الاجتماعي في المجتمعات المضيفة لهم وهذا ما أكدته أحد النازحين في خمر بقوله نحن من منطقة العمشية بصعدة، تم ضرب منازلنا بالطيران والحوثيون كملوا عليها، وحالياً نحن هنا ما قدرنا نتعايش مع الناس لأن الناس قاسون في هذه المناطق، وأرجع ذلك بقوله: لأن الظروف الاقتصادية الصعبة هي التي أدت بهم إلى مثل هذه الحالة فالكل تعان من الظروف الاقتصادية والغلاء والارتفاع المستمر للأسعار.

3-أبرز التحديات التنموية

بعد أن تعرفنا على أهم وأبرز الأولويات التنموية في التجمعات التي استهدفها البحث الميداني، بترت بعض التحديات التنموية في هذه التجمعات، وبالرغم من اختلاف هذه التجمعات إلا أنها نجد أن مشكلة البطالة والفقر وارتفاع أسعار المواد الغذائية، وانتشار زراعة القات، شكلت تحدياً تنموياً أمام

معظم السكان في هذه التجمعات، حالت بينهم وبين أي مبادرة أو مشاركة شعبية للنهوض بمجتمعاتهم، بالإضافة إلى بعض التحديات الأخرى التي برزت في التجمعات مثل الاصطياد العشوائي في سواحل مديرية ميدي الذي بدأ يهدد الصيادين من الاستمرار في عملهم نتيجة لتراجع الإنتاج السمكي، وكذا انجراف الأراضي الزراعية الواقعة في مجاري الوديان، كما شكلت ظاهرة التقطيع والثارات في بعض التجمعات السكانية تحديًّا كبيرًا أمام عملية التنمية في هذه التجمعات مثل ما هو حاصل في مديرية القفلة وخرم وذيبين كونها باتت تحدد عملية الاستقرار والأمن في تلك المناطق، وتحرم السكان من وصول الخدمات، وبرزت مشكلة الأرضي في مدينة عمران. كما تبين أن مشكلة البطالة بين الشباب باتت تحدد عملية التنمية في تلك المناطق القبلية والتي أكدها عليها معظم أفراد الفئات التي تم استهدافها في هذه الدراسة حيث شكلت ما نسبته 30,30% في محافظة عمران وحوالي 56,32% في محافظة حجة، وهذه النسبة تؤكد على أن ظاهرة البطالة التي بدأت تمثل تحديًّا أمام عملية التنمية في تلك التجمعات خاصة في المناطق القبلية كون البعض من هؤلاء يرجعون إلى عملية التقطيع وخلق المشاكل في المنطقة.

4-تغير أولويات واحتياجات التنمية بين الماضي والحاضر

لقد أكد معظم أفراد العينة أن هناك عدة تغيرات في أولويات واحتياجات التنمية بين الماضي والحاضر ويعود ذلك إلى عدة عوامل منها زيادة النمو السكاني، والتغير الاجتماعي والاقتصادي الذي صاحبه تغير في العادات والتقاليد الاستهلاكية، وفيما يلي سوف نتطرق لمثل تلك التغيرات في بعض أولويات واحتياجات التنمية في المجتمعات التي تم استهدافها في هذه الدراسة وهي:

1-4 الملايين

نتيجة للتغير الاجتماعي والاقتصادي السريع الذي شهدته اليمن بعد فترة الستينيات من القرن الماضي ساهم ذلك في تغير الكثير من العادات الاستهلاكية، والطلب الاجتماعي على السلع والخدمات؛ منها على سبيل المثال: تنامي عادة تناول الفات بين السكان في المجتمع، الأمر الذي

صاحبها عدد من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية في الكثير من المجتمعات الريفية والحضرية، فقد أدت زراعة القات إلى الاستهلاك الجائر للمياه، بالإضافة إلى الحفر العشوائي للأبار من قبل المزارعين الكبار من أجل سقي أشجار القات أو بعض المحاصيل الزراعية مثل البطاطس وغيرها، وهذا النوع من الاستهلاك للمياه يفوق ما كان عليه الحال من قبل، حيث كان استهلاك المياه يقتصر على الشرب والاستخدام المنزلي فقط؛ بينما الزراعة كانت تعتمد على الأمطار بدرجة أساسية، وبالإضافة إلى ذلك كان الاهتمام في الماضي بعملية حصاد المياه إذ كان بجوار كل منزل سقاية للمياه لحفظ مياه الأمطار، وكذا الاهتمام بالحواجز المائية، وكان ذلك ضمن العملية التعاونية بين سكان كل تجمع سكاني. أما في الوقت الحاضر فزادت شدة الاستهلاك للمياه لأغراض الزراعة، ولزراعة القات على وجه الخصوص نظراً لزيادة الطلب عليه في السنوات الأخيرة، الأمر الذي صاحبه حفر المزيد من الآبار مما تسبب في نضوب المياه الجوفية في معظم المناطق اليمنية التي لم تعرف أي أزمة تذكر للمياه قبل هذه الفترة ، لأن المياه المتوفرة كانت تفي باحتياجات السكان، بينما اليوم أصبحت معظم المناطق اليمنية تعاني من أزمة المياه سواء تلك التي تزرع القات أو يتركز فيها نشاط زراعي أو المناطق الأخرى التي شهدت حفر عشوائياً للأبار نتيجة للتوسيع في الأنشطة السكانية والعمارية المختلفة؛ كل تلك العوامل أثرت بشكل مباشر وغير مباشر في نضوب المياه وتفاقم مشكلة المياه في اليمن، وبهذا كان التغير تغييراً سلبياً مما يتطلب ضرورة البدء في التوعية من أجل ترشيد الاستهلاك للمياه، والعودة إلى العمل التعاوني من أجل حصاد مياه الأمطار وبناء الحواجز المائية والسدود، وتوعية الناس بمخاطر تناول وزراعة القات على الصحة واستنزاف الماء.

2-4 الصحة

أجمع معظم أفراد العينة أن الوضع الصحي كان متدهوراً من قبل، ويعاني معظم السكان من انتشار الأمراض والأوبئة نتيجة لغياب الخدمات الصحية في معظم المناطق اليمنية ما عدا عدد محدود من المدن الرئيسية التي فيها بعض الخدمات الصحية الأولية، وهذا فمعظم الناس يلجئون إلى التداوي بالأعشاب وعند المشعوذين، أو بالطرق التقليدية الأخرى مثل الكي أو تقديم بعض القرابين للأولياء الصالحين، وهذه الطرق في عملية التداوي والتي أبرزتها هذه الدراسة في محافظتي عمران وحجة تؤكد أن

الوضع الصحي سابقاً اعتمد فيه الناس على استخدام مثل هذه الطرق التقليدية حتى في المراكز الحضرية؛ بينما اليوم الوضع الصحي الحالي تغير، حيث توافرت المستشفيات والمراكز الصحية، بالإضافة إلى وجود الكادر الصحي في مراكز المدن وبعض المناطق، ولكن ما أبرزته هذه الدراسة أن معظم المجتمعات التي تم استهدافها لا تزال تعاني من سوء هذه الخدمة كونها لم تتوافر في تجمعاتهم وإن وجدت فهي تعد من ضمن التدخلات التنموية المنقوصة كونها مغلقة مثل ما هو الحال في قرية مجرر بمديرية ذيبين بمحافظة عمران وبكيل المير في حجة، أو تعاني من نقص في التجهيزات والكوادر الصحية كما هو الحال في حمدة بمديرية ريدة بعمران وفي ميدي بصعدة.

3-4 التعليم

أكد معظم السكان في التجمعات المستهدفة على أن التعليم في السابق كان يقتصر على تدريس القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة والحساب فقط، ويدرس من قبل بعض الفقهاء (سيدهنا)، ويكون ذلك في الكتاتيب إما في الجامع أو بجوار الجامع أو تحت شجرة بالقرب من منزل الفقيه. ومعظم الدارسين في هذه الكتاتيب هم من الأطفال الذكور ونادراً ما يتم تدريس الإناث إلا في حالة وجود امرأة تدرس القرآن فيتم إرسال الإناث لدراسة القرآن فقط، ولهذا كانت الأمية منتشرة بين السكان، وبعد فترة الستينيات تم افتتاح بعض مدارس التعليم الأساسي، واقتصر التعليم على الذكور بالإضافة إلى بعض الأسر من كانت ترسل بناتها للتعليم في المدارس المختلطة، وعندما يتم الانتهاء من التعليم الأساسي يذهب بعض الطلبة الذكور لمواصلة تعليمهم في المدارس الثانوية في مراكز المدن القريبة من تجمعاتهم السكانية.

وبهذا حرم السكان في معظم التجمعات المستهدفة من التعليم والإناث بشكل خاص، ويعود ذلك إلى انعدام مدارس للتعليم الثانوي في معظم التجمعات السكانية التي تم استهدافها في المناطق الريفية، بالإضافة إلى عدم الكادر من المعلمين والمعلمات؛ الأمر الذي يؤدي إلى تسرب الكثير من الطالبات

من التعليم الأساسي بحجة أن معظم أولياء الأمور يرفضون موافقة بناتهم للتعليم في الصفوف العليا من التعليم الأساسي والثانوي في مدارس مختلطة، وهذا يؤدي إلى انتشار الأممية بين النساء في معظم الأرياف في المناطق المستهدفة، وفي معظم المناطق الريفية في اليمن. أما المناطق الحضرية فمعظمها يتتوفر فيها مدارس للتعليم الثانوي للذكور والإثاث مثل ما هو الحال في مدينة عمران وريده وخرم وحجة، وإن كان هناك قصور فالقصور يكون في عدم تجهيز هذه المدارس، بالإضافة إلى نقص في الكادر التعليمي من المدرسين لبعض المواد مثل الفيزياء والرياضيات والإنجليزي.

4-4 الطرق

عانت معظم التجمعات السكانية في الفترة الماضية من مشكلة المواصلات لأن الطرق وعرة مما جعل السكان يعتمدون على الحمير والجمال في تنقلاتهم سواء للسفر أو لجلب بعض احتياجاتهم الأساسية، وبعد السنتينيات بدأت عملية شق الطرق لربط مراكز المدن بالمدن الرئيسية الأخرى، وبعد فترة الثمانينيات بدأت عملية ربط بعض مراكز المدن ببعض التجمعات السكانية الكبيرة بطرق ثانوية ريفية معبدة أو مسلفة.

وبالرغم من الاهتمام الكبير بالطرق الريفية من قبل الحكومة وال المحليات؛ إلا أن بعض التجمعات السكانية لا زالت إلى اليوم تعاني من غياب مثل هذه الخدمة، وقد حاول الأهالي بمجهودهم الشخصي شق بعض الطرق بالوسائل التقليدية من أجل إيصال بعض الخدمات إليهم، وهذه الطرق لا تزال صعبة ولا يتمكن من السير فيها إلا نوع معين من السيارات ذات الدفع الرباعي، مثل ما هو الحال في التجمع السكاني في منطقة العريف ب مديرية بني العوام، والعيارات في مديرية القفلة، وفي القلعوس ب مديرية بني قيس بسبب وعورة التضاريس؛ بينما التجمعات السكانية الريفية الأخرى تتفاوت الصعوبة فيها، لأن الطريق أصبحت شبه معبدة أو معبدة و يمكنهم التواصل من خلالها، وهذا عكس التجمعات الحضرية التي أصبحت الطرق الإسفليّة متوفّرة فيها.

5- الكهرباء

تعد الكهرباء من الخدمات التي أصبحت من ضمن الأولويات في عملية التنمية لأي تجمع سكاني ريفي أو حضري لما توفره هذه الخدمة من تسهيلات للمواطنين، وهذه الخدمة لم تعرفها اليمن إلا بعد منتصف القرن الماضي، وتركزت في بداية الأمر على المدن الرئيسية ثم بدأت تنتشر لتشمل معظم المدن الثانوية، وإلى بعض التجمعات الريفية.

وبالرغم من هذا التوسيع في مد خطوط الكهرباء إلا أن معظمها ضعيف، مما يؤثر ذلك على جودة هذه الخدمة؛ فقد شكا معظم سكان المناطق التي تم استهدافها وتوفرت فيه هذه الخدمة من رداءتها مثل ما هو الحال في تجمع محذر ب مديرية ذيبين وفي خمر وفي بيت الوادعي، وغيرها من التجمعات؛ حيث صرحا أن الكهرباء ضعيفة ومتقطعة باستمرار مما لا يستفيد منها بالشكل المطلوب، ولهذا يقترون تقوية خطوط الكهرباء.

أما بعض التجمعات لا زالت تعاني من غياب هذه الخدمة مثل ما هو الحال في كشر والقلعوس بمديرية بين قيس، والعجيرات بمديرية القفلة.

6- الصرف الصحي

تعد هذه الخدمة من الخدمات التي باتت تدخل ضمن الأولويات نتيجة للزيادة السكانية والعمانية في معظم التجمعات التي تم استهدافها في هذه الدراسة، لأن الصرف الصحي في الفترة الماضية لم يكن ضمن الأولويات؛ إذ كان يتم تصريفها إلى جوار المنازل ويستفاد منها في عملية التسميد للأرض؛ بل أن بعض التجمعات السكانية لم تعرف الحمامات الخاصة بالصرف الصحي كون عملية قضاء الحاجة تتم في الشعاب خلف الزرع والأشجار القريبة من المنازل خاصة في المناطق الريفية، ذلك أن البيوت لم تكن متقاربة مثل ما هو عليه الحال الآن. ونتيجة للزيادة السكانية وللتطور العماني فقد أصبح لكل منزل حمام، وببدأت عملية الصرف الصحي تشكل خطورة وتلوثاً للبيئة خاصة في

التجمعات الحضرية التي بدأت تعاني من أضرار هذه المشكلة مثل ما هو الحال في عمران وريده وخرم ومدينة حجة نتيجة لانفجار بعض مواسير الصرف الصحي مما تسبب في تلوث البيئة وانتشار بعض الأمراض بين السكان.

5- استراتيجية التعايش على مستوى الفرد والأسرة في المحافظات المستهدفة

بعد أن تعرفنا على أبرز أولويات التنمية في المناطق التي تم استهدافها في محافظتي عمران وحجة سنحاول فيما يلي التطرق لبعض استراتيجيات التعايش من قبل السكان مع تلك الاحتياجات في حالة غيابها أو ضعف ورداة وجودها على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع.

5-1- استراتيجية التعايش على مستوى الفرد والأسرة في محافظة عمران

جدول (3) أبرز القضايا التنموية واستراتيجية التعايش معها من قبل الأفراد والأسر في محافظة عمران

القضايا التنموية	طرق التعايش على مستوى الأسرة	طرق التعايش على مستوى الفرد
الماء	<p>الترشيد في استهلاك المياه أثناء الطبخ والتنظيف، وجلب الماء من الآبار والبرك والوديان فوق الحمير وفوق رؤوس النساء من قبل الأسر الفقيرة، أو عن طريق شراءه بواسطة الوايت من قبل الأسر الميسورة</p>	<p>الترشيد في الاستهلاك، والاقتصار على الاغتسال مرة في الأسبوع، جلب الماء من البرك والآبار أو من الجوامع لاسيما في المجتمعات الحضرية، وعن طريق الحمير أو فوق رؤوس النساء والفتيات مما يؤدي إلى تسربهن من التعليم.</p>
الصحة	<p>استخدام الحناء وبعض الأعشاب الطبية، استعمال الإسعافات الأولية، بعض الأسر تنقل المريض إلى المستوصف أو الوحدة الصحية، وبعضهم ينقل المرضى إلى مركز المحافظة عمران أو العاصمة صنعاء في الحالات المستعصية.</p>	<p>العلاج بالكي أو باستخدام الثوم، البعض يتحمل المرض خوفاً من نفقات العلاج، استخدام بعض المهدئات، البحث عن تكاليف العلاج، التداوي بالأعشاب وبالوسائل التقليدية</p>
التعليم	<p>غالبية الأسر لديها الرغبة في تعليم أبنائها، ونظراً لعدم المدارس الخاصة بتعليم الإناث تكتفي بعض الأسر</p>	<p>مواصلة تعليمهم الأساسي، والبعض منهم يواصل المرحلة الثانوية في مدارس بعيدة مشياً على الأقدام</p>

طرق التعايش على مستوى الأسرة	طرق التعايش على مستوى الفرد	القضايا التنمية
بتدرис بناتها الصنوف الأولى من التعليم الأساسي، والتحق بعض الفتيات بالتعليم بالانتساب حيث تأتي لحضور الامتحانات النهائية فقط	أو التنقل بالسيارات المارة، والبعض يتسلب من التعليم خاصة الإناث.	
بعض الأسر تمتلك سيارات خاصة بها للتنقل، غالبية الأسر تعتمد على وسائل النقل العامة للتنقل، وفي حالة المرض يتم استئجار السيارة بأكثر من 5000 ألف ريال.	التنقل بواسطة السيارات العامة والبعض منهم مشياً على الأقدام أو بواسطة الحمير	الطرق
بعض الأسر في المناطق الريفية يعتمدون على الفوانيس أو الشمع أو الغاز، وبعض الأسر على المواتير؛ بينما في المناطق الحضرية يعتمدون على مشروع الكهرباء، بالإضافة إلى المواتير	الاعتماد على الكشاف اليدوي أو الفانوس أو الشمع في حالة عدم توفر الكهرباء، والبعض يقوم بإنجاز مهامه في وقت مبكر قبل انقطاع التيار الكهربائي.	الكهرباء
معظم الأسر تعتمد على البيارات المكشوفة أو المغطاة للصرف الصحي، والبعض يقوم بإخراج المخلفات إلى الطريق، واستخدام الأسيد لمعالجة الانسدادات، بالإضافة إلى تحمل تكاليف عملية الشفط للبيارات.	الاعتماد في قضاء الحاجة في المنازل أو في الجوامع	الصرف الصحي

2-5 استراتيجية التعايش على مستوى الفرد والأسرة في محافظة حجة

ستنطرب إلى استراتيجية التعايش بمحافظة حجة على مستوى الفرد والأسرة في تلك التجمعات.

جدول(4) أبرز القضايا التنموية واستراتيجية التعايش معها من قبل الأفراد والأسر في محافظة حجة

طرق التعايش على مستوى الأسرة	طرق التعايش على مستوى الفرد	القضايا التنمية
الاقتصاد في الماء، الاستهلاك للمياه، وغسل الملابس أسبوعياً في الوديان، وجلب الماء من العيون والبرك والوديان والغيول فوق الحمير، والأسر الفقيرة تجلب وبكيل المير وكشر، ويلجأ بعضهم إلى جلب الماء	الاقتصاد في الماء، الذهاب إلى الوادي أو الغيل أو البرك للاغتسال مثل ما هو الحال في القلعوس	الماء

طرق التعايش على مستوى الأسرة	طرق التعايش على مستوى الفرد	القضايا التنمية
الآراء فوق رؤوس النساء أو من قبل الأولاد، أما الأسر الميسورة فتقوم بشرائه بواسطة الوايت، ويستخدم معظمها في زراعة القات.	من البرك والآبار، وعن طريق الحمير أو فوق رؤوس النساء.	
استخدام المهدئات، والتكميد، أو الأعشاب الطبية، وكذا استخدام أدوية من الصيدلية في القرية، بعض الأسر ترهن أو تتبع ممتلكاتها من أجل العلاج في إحدى المستشفيات بمراكز المديريه أو مركز المحافظة، كما أن بعض الأسر تعتمد على الحملات الوطنية لأخذ اللقاحات	الاعتماد على الأساليب الشعبية، كالاعشاب، أو بالكي، أو قراءة القرآن على الأطفال المرضى، كما يلجأ بعضهم إلى شراء العلاج بدون وصفة طبية، بينما آخرون قد يرهونون ما يملكونه من الأرض، أو يقترضون من الآخرين للعلاج، كما قام البعض بشراء الناموسيات في أماكن تكاثر البعوض.	الصحة
بعض الأسر تشجع أبناءها على مواصلة التعليم وترهن أرضها من أجل مساعدة أبنائها على مواصلة التعليم كما هو الحال في كشر، وأخرى تدفع أبنائها إلى العمل، وتعمل بعض الأسر كما هو الحال في العريف بتقسيم الأبناء إلى نصفين نصف يدرس والنصف الآخر يهاجر إلى السعودية للعمل	مواصلة التعليم الأساسي، وبعضهم يتسرّب من التعليم للعمل أو للهجرة إلى السعودية، غالبية الفتيات يتسرّبن من التعليم.	التعليم
بعض الأسر تنتقل بواسطة السيارة ولهذا تقوم بشراء احتياجاتها مرة كل أسبوع. وفي حالة خراب الطريق يخرج الجميع من الرجال والأطفال لإصلاحها.	التنقل بواسطة سيارات النقل العامة ولتحفييف أجور المواصلات يأخذ هذه الوسيلة مرتين في الشهر من أجل شراء احتياجاتهم، وبعض يمشي على الأقدام أو بواسطة الحمير، ويعمل المجتمع على إصلاح الطرق في حالة تخربها وانقطاعها بسبب المياه أو السيل.	الطرق
بعض الأسر تستخدم الفوانيس أو الغاز، وأخرى تستخدم المولدات الكهربائية وتحدد ساعات معينة من أجل الاقتصاد	يشتري شمعاً، وآخرون يستخدمون الغاز، أو المصباح ذات البطارية، كما يذهب بعض الشباب إلى الفنادق لمشاهدة التلفاز، وشحن	الكهرباء

القضايا التنموية	طرق التعايش على مستوى الفرد	طرق التعايش على مستوى الأسرة
	بطاريات التلفونات في الأسواق	
الصرف الصحي	يستخدم الخلاء في قضاء الحاجة، أو في المنازل، والبعض يقوم بحفر البيارات المكشوفة أو المغطاة . أو في حمامات المساجد	بعض الأسر تخرج أبنوها من المنزل إلى خارجه،

6- الحلول الإيجابية للقضايا التنموية

لقد تبين من خلال عملية التحليل لوجهات النظر المختلفة من قبل السكان في التجمعات التي استهدفتها الدراسة في محافظتي عمران وحجة الكثير من الحلول الإيجابية لتلك الأولويات والاحتياجات التنموية.

6-1- الحلول الإيجابية للقضايا التنموية بمحافظة عمران

جدول(5) الحلول الإيجابية للقضايا التنموية من وجهة نظر أفراد العينة بمحافظة عمران

القضية التنموية	الحلول الإيجابية	حلول أقل نجاحاً
الماء	توفير مشروع مياه متكملاً، وإنشاء حواجز مائية لتغذية مياه الآبار، إنشاء سدود لخصاد مياه الأمطار، وحفر آبار ارتوازية وعمل شبكة للمياه وتوصيلها للمنازل، ومعالجة مشكلة تلوث وملوحة المياه. كما اقترح بعضهم ترميم وصيانة البرك القديمة	بناء خزانات وسط القرى، توفير المياه بالشكل الكافي، إصلاح البرك القديمة وصيانتها، وتوصيل شبكة مياه للمنازل.
الصحة	تشغيل الوحدات الصحية والمستشفيات خلال توفير الكادر والتجهيزات والأدوية، بناء مستشفى ريفي متكملاً، وتوفير الأدوية مجاناً	توزيع الوحدات الصحية والمستشفيات بغرفة عمليات متكملاً، بعضهم اقترح التداوى بالأعشاب الطبية، توفير قابلات مجتمع من القرية. توفير تغذية للحوامل والطفل
التعليم	بناء مدارس خاصة للبنات، وتوفير الكادر التربوي لها،	توسيع المدارس القائمة، تعليم البنات في

القضية التنموية	الحلول الإيجابية	حلول أقل نجاحاً
	بناء مدارس ثانوية وتوفير الكادر، بناء مراكز لمحو الأمية، وتوفير معاهد مهنية، وفتح مراكز صيفية للنساء	الفترة المسائية، واقتراح البعض الدراسة المختلطة.
الطريق	توسيعة الطريق الحالية وسفلتتها، وكذا صيانة وإصلاح الطرق الحالية، شق طرق جديدة تفادياً لمشاكل التقطيع والثار، أما في المدن فقد اقترح بعضهم رصف وسفلتة الطرق الحالية وتوسيعتها، ووضع تصريف لمياه الأمطار بمديرية القفلة	إنشاء خطوط جديدة تربط القرية بمناطق أخرى أكثر أمناً تفادياً لمشاكل الثار والتقطيعات كما هو الحال في قرية العجيارات
الكهرباء	إصلاح شبكة الكهرباء الحالية وتحسين المولات، وإيجاد مولات كهربائية كبيرة، مع التشديد على الرقابة الإدارية	توفير مواطير كهربائية، ومحاسبة المسؤولين
الصرف الصحي	عمل شبكة صرف صحي متكاملة مع شبكة تصفيية	حفر بيارات بجوار المنازل.

٦-٢- الحلول الإيجابية للقضايا التنموية بمحافظة حجة

جدول(٦) الحلول الإيجابية للقضايا التنموية من وجهة نظر أفراد العينة بمحافظة حجة

القضية التنموية	الحلول الإيجابية	حلول أقل نجاحاً
الماء	تنوع المجتمع بأهمية ترشيد استهلاك المياه، وكذا استخدام السقايات الخاصة بهم، وإنشاء حواجز مائية، استغلال مياه الأمطار وإنشاء البرك، الاستغلال الأمثال لمياه الوديان، استكمال مشروع شبكة مياه الريف، تحليه المياه المالحة في ميدي، تخفيض سعر المياه، إعادة تأهيل مشاريع المياه، وتفعيل الدور الرقابي	توفير مشروع مياه متكامل، حفر بئر ارتوازية، انتقال السكان بجوار الغيول، توفير дизيل
الصحة	بناء وحدات صحية وتأهيل وتوظيف كادر صحي بها، ترميم الوحدات الصحية الحالية وتوفير الأجهزة لها مع تأهيل قابلات من المنطقة نفسها، وتنوع المجتمع بأهمية ردم البرك والمستنقعات وأماكن تكاثر البعوض، وكذا المحافظة على نظافة المياه فيها.	استخدام محلفات الحيوانات لطرد البعوض أو الإصاءة، وهو مضر بصحة الإنسان
التعليم	بناء مدارس خاصة بالبنات، إضافة فصول جديدة للمدارس القائمة لتكون	بناء مدارس إعدادية

حلول أقل نجاحاً	الحلول الإيجابية	القضية التنموية
وثانوية، وتوفير كادر تعليمي من المعلمين والمعلمات	فصولاً للمدرسة الثانوية، توفير كادر تعليمي معلمين ومعلمات، تفعيل برنامج التغذية المدرسية لـ إقبال الفتاة على التعليم، إيجاد رقابة على المدرسين، بناء مدرسة لحو الأمية، تحويل مبنى المسلح إلى مدرسة مثل ما هو الحال في مدينة حجة بالحلة.	
رصف الطرق	مسح وتوسيعة الطرق وسد الفجوات وتكسير الصخور، وبناء الجدران المساندة لها، وكذا رصف الطرق وتعبيدتها وتحسينها وحمايتها من الرياح كما هو الحال في ميدي، وخلق روح المبادرة الذاتية في المجتمع لإصلاح الطرق، وكذا رصف الشوارع بالأحجار في مدينة حجة	الطريق
توصيل شبكة الكهرباء للريف	استكمال الشبكة الداخلية، الصيانة المستمرة للمولدات، وتوفير дизيل، تغيير الشبكة كاملة، وتصليح الأسلاك والكابلات، توفير مواطير كهربائية، إعادة تأهيل شبكة كهرباء عبس، استكمال توصيل الكهرباء من عبس إلى ميدي.	الكهرباء
جمع المبالغ من الأهالي لإصلاح المجاري، حفر بيارات بالرغم من تلوثها للمياه الجوفية	عمل شبكة مجاري للصرف الصحي، ربط القرى بالمجاري، وتنعيم البيارات المكشوفة، وحفر بيارات كبيرة لمن هم غير مشتركون في المجاري خاصة في منطقة الشاهلي بمدينة حجة.	الصرف الصحي

6-3 الجهات والأشخاص من يلجأ إليهم أفراد المجتمع لحل مشاكلهم

يلجأ كثير من السكان إلى عدد من الجهات والشخصيات الاجتماعية من أجل تقديم حلول إيجابية لمشكلاتهم أو تلبية احتياجاتهم التنموية، ومن خلال عملية التحليل تبين أن هذه الجهات والشخصيات تتمثل في كل الجهات التي تم استهدافها بمحافظي عمران وحجة تتمثل في الآتي: المجلس المحلي، ومركز الشرطة، ودائرة الأمن، والنيابة، والحاكم، ومكاتب التربية وغيرها؛ أما فيما يتعلق بالشخصيات فهي متعددة مثل الشيخ، والعاقل، والأعيان، والأمين العام للمجلس المحلي أو عضو

المجلس المحلي، أو مدير الناحية، أو عضو مجلس النواب، وإمام الجامع، والوجهاء والشخصيات المؤثرة في المجتمع.

٦-4- الجهات والأشخاص من يقدمون المساعدة لأفراد المجتمع

أما الجهات والأشخاص الذين يقدمون المساعدة فتمثلت بالصندوق الاجتماعي للتنمية، والمجلس المحلي، وصندوق الرعاية الاجتماعية، والهيئة العامة لمياه الريف، وبرنامج الغذاء العالمي، وأطباء بلا حدود، ومنظمة اليونيسف، والهلال الأحمر، وجمعية الثروة السمكية ومنظمة أكس بلاس، والمكاتب الخدمية في الحافظة أو المديريّة؛ بالإضافة إلى بعض الجمعيات الخيرية مثل جمعية الإصلاح، ومؤسسة الصالح، وبعض الجمعيات الخيرية المحلية، وكل تلك الجهات تقدم المساعدات بحسب المجال الذي تختتم به، فعلى سبيل المثال الصندوق الاجتماعي للتنمية، والمجلس المحلي يقومان ببناء المدارس والوحدات الصحية والمواجز والسدود المائية وغيرها.

أما فيما يتعلق بالأشخاص فهم في الغالب من الشيوخ والعقال وأعضاء المجلس المحلي وأعضاء مجالس النواب، والتجار، سواء من أبناء المنطقة أو من خارجها، فالعقل والشيوخ وأعضاء المجالس المحلية والنواب يساعدون أفراد المجتمع في المطالبة بتنفيذ المشاريع التنموية، وبعض الميسورين يقدمون بعض المساعدات العينية للفقراء من السكان في رمضان والأعياد الدينية، كما يقوم التجار بتوزيع بعض المساعدات للفقراء.

٧-نتائج البحث:

توصل البحث إلى عدد من النتائج تمثلت في الآتي:

- ضعف المشاركة المجتمعية في الخطط والسياسات والبرامج والمشاريع التنموية.
- عدم المشاركة المجتمعية في مختلف مراحل الخطة سواء في عملية الإعداد والتنفيذ أو الرصد والتقييم.

- اختلفت الاحتياجات والأولويات بحسب قرب أو بعد التجمع السكاني من مركز عاصمة المحافظة مما يدل على أن:
 - عواصم المحافظات تأخذ النصيب الأكبر من البرامج والمشاريع التنموية المرصودة للمحافظة.
 - حرمان بعض المناطق من البرامج والمشاريع التنموية في الخطط التنموية.
 - التدخلات التنموية منقوصة وغير مكتملة، إما بسبب تدني مستوى التجهيزات وإما لعدم الكادر.
 - بعض المشروعات الخدمية والتنموية بعيدة عن التجمعات السكانية مما يقلل من الاستفادة منها.
- اختلفت الأولويات والاحتياجات للسكان، فقد برزت الأولوية لديهم للمياه لتلتها الصحة والتعليم والطرق والكهرباء وباختلاف يسر في الترتيب في بعض المناطق، بينما جاءت الأولويات الأخرى بعد ذلك مثل الصرف الصحي والنظافة والحدائق والمنتزهات والأندية الرياضية ومراكز التدريب المهني.
 - برزت بعض المعاناة من قبل النازحين إلى تلك المحافظات من محافظة صعدة تمثلت في التسرب من التعليم وخروج النساء والأطفال للعمل في المناطق المستقبلة لهم.
 - برزت مشكلة البطالة والفقر من ضمن أبرز التحديات التنموية في تلك المناطق لتلتها مشكلة القات والثارات والتقطيع وغيرها.
 - حدوث بعض التغيرات في أولويات واحتياجات التنمية بين الماضي والحاضر نتيجة لتغير الكثير من العادات الاستهلاكية وزيادة الطلب الاجتماعي على السلع والخدمات مثل زيادة استهلاك المياه.

- بروز بعض استراتيجيات التعايش من قبل السكان مع واقعهم نظراً لغياب تلك الاحتياجات أو ضعفها ورداة تواجدها على مستوى الفرد والأسرة مثل الترشيد في المياه أو طرق جلبه أو شرائه، وكذا ما يتعلق بالصحة والتعليم.

8- التوصيات والمقترحات:

- تفعيل المشاركة المجتمعية في الخطط والسياسات والبرامج التنموية.
- توسيع حجم المشاركة المجتمعية في العملية التنموية وفي المراحل المختلفة للخطط التنموية؛ الإعداد والتنفيذ والرصد والتقييم.
- استهداف تحقيق نمو متوازن في القطاعات الاقتصادية ومناطق البلاد المختلفة.
- الأخذ في الاعتبار تأثير السياسات والبرامج على تحقيق التوازن بين الجنسين والذي يسعى بصورة إيجابية إلى معالجة أوجه عدم التوازن في العلاقات النوعية، حيث تشمل عملية التخطيط مشاركة المرأة في جميع مراحل التخطيط التنموي.
- إحداث تغيير في الهيكل الاقتصادي يشمل أسلوب ووسائل الإنتاج، بما يوسع الطاقة الإنتاجية للاقتصاد ويزيد نصيب الفرد من الناتج القومي وكذلك يغير سلوك المستهلك.
- وضع خطط تنموية تتحسب لوقوع الأزمات أو الكوارث، وتستعد لها بتخطيط وقائي يتم فيه حشد كامل للإمكانيات بما فيها الموارد الاحتياطية وأشكال الدعم المختلفة التي يمكن الحصول عليها.
- وضع خطط تنموية تقوم بتحليل المخاطر المحتملة التي يمكن أن تعيق أو تحريف خطط التنمية الأساسية عن مسارها الأصلي، وتعامل مع أوضاع احتمالية تتطلب إعداد خطط بدائلة وفق سيناريوهات معينة، وهي عملية منظمة ومستمرة تخضع لضوابط مقتنة تتم في فترة مبكرة

لالأزمات المحتملة، وتتضمن مجموعة إجراءات وسياسات إدارية وأنظمة توفر القدرة والسلطة لإدارة الأزمة أو الكارثة.

قائمة المصادر والمراجع:

وزارة التخطيط والتعاون الدولي ص37: خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية الثالثة للتخفيف من الفقر (2006-2010)، صنعاء، (د. ت.ن).

وحدة المراقبة والتقييم: الدليل التدريبي في المراقبة، وزارة التخطيط والتعاون الدولي، صنعاء، 2010.
الجهاز المركزي للإحصاء ص33: النتائج النهائية للتعداد العام للسكان والمساكن والمنشآت ديسمبر 2004، صنعاء ديسمبر 2004.

الصندوق الاجتماعي للتنمية؛ وثائق وبروشورات عن الصندوق الاجتماعي حول المشاركة المجتمعية.
صندوق تطوير واقراض البلديات ص5 : المشاركة والمشورة المجتمعية دليل عملي تدريبي، آيار 2009. مأخذو من الموقع الإلكتروني بتاريخ ديسمبر 2021 متاح على الموقع:
<http://www.baladiyat.ps/CMS/Upload/Admin/Documents/public%20participation%20manual.pdf>

حسين، حسين محمد ص168: طرق وأدوات جمع المعلومات والبيانات عن المجتمع المحلي، سلسلة أدلة العاملين بتنمية المجتمعات المحلية السلسلة الرابعة الجزء الأول، مطبعة القدس، الأردن، 1995-1996.

خميس، مجذ الدين ص32: الدولة والتنمية في إطار العولمة- تحليل سوسيولوجي لأزمة التنمية العربية ودور الدولة في تجاوزها، ط1، دار مجذ لاوي للنشر والتوزيع، الأردن، 2004.

العيسي، جهينة سلطان وآخرون ص53: علم اجتماع التنمية، الأهلي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، دمشق، 1999.

- غدنز، أنتوني ص 729: علم الاجتماع، ترجمة فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة - مؤسسة ترجمان -
توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، بيروت، أكتوبر 2005.
- (غنيم، عثمان ص 187: التخطيط أسس ومبادئ، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2001).
- شيخلي، عبد الرزاق ص 83: الإدارة المحلية دراسة مقارنة، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة مؤته، ط 1 ، 2001.
- العيسي، جهينة سلطان وآخرون ص 53: علم اجتماع التنمية، الأهلي للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، دمشق، 1999.
- المقرمي، عبد الملك ص 26: الاتجاهات النظرية لتراث التنمية والتخلف في نهاية القرن العشرين - رؤية نقدية من العالم الثالث، ط 1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت 1991.
- مشورب، إبراهيم ص 51: التخلف والتنمية. دراسات اقتصادية، دار المنهل اللبناني مكتبة رأس النبع للطباعة والنشر، بيروت، 2002.
- أمارتيا صن ص 17: التنمية حرية، ترجمة شوقي جلال، مجلة عالم المعرفة، العدد 303، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مايو 2004.
- البشاري، أحمد علي ص 54: الإصلاحات الاقتصادية في اليمن (1995-2001)، مجلة الثوابت، العدد السادس عشر إبريل - يونيو 1999.
- الشرجي، عبد الحكيم أحمد ص 10: أهمية الشراكة مع منظمات المجتمع المدني في تحقيق أهداف التنمية الألفية في اليمن، مجلة قضايا اجتماعية العدد 17، المركز اليمني للدراسات الاجتماعية وبحوث العمل، صنعاء، سبتمبر 2008.
- سلاوي، يوسف: مفهوم التنمية المحلية في القانون الجزائري، أطروحة دكتوراه مقدمة لكلية الحقوق جامعة الجزائر 1 - بن يوسف بن خدة، للسنة الجامعية 2017-2018م، من ص 19-25.
- متاح على الرابط الإلكتروني:
http://193.194.83.98/jspui/bitstream/1635/14641/1/SELLAOUI_YOUCEF.pdf

قدومي، منال عبد المعطي صالح ص27: دور المشاركة المجتمعية في تنمية وتطوير المجتمع المحلي، رسالة

ماجستير مقدمة جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2006. مأخذوذ من الموقع الإلكتروني

بتاريخ يوليوليو 2020، متاح على الرابط:

https://scholar.najah.edu/sites/default/files/all-thesis/community_participation_and_its_role_in_the_development_of_the_local_community_case_study_of_neighborhood_committees_in_the_city_of_nablus.pdf

مأخذوذ من الموقع الإلكتروني بتاريخ يناير 2022، متاح على الرابط:

<https://www.starshams.com/2021/03/educational-Community%20participation.html>

Dunham, Arthur, The New Community Organization, Thomas, Crowell Company, New York, 1970.pp22.

Obstacles that Face Yemeni Students in Translating Proverbs from English into Arabic

Dr. Abdou Ahmed Ali Mounassar^(*)

Abstract

This study aimed to investigate the obstacles that face Yemeni students in translating proverbs from English into Arabic. To achieve the goal of this study, the researcher selected a random sample of 45 English students who registered in the first semester of the academic year (2021-2022) in the Department of English, Faculty of Arts at Thamar University in Yemen. The researcher designed a translation test that consists of 14 English proverbs. The students were asked to translate them into Arabic. The collected data were analyzed and investigated. The results discovered unaccepted level of students in translating these proverbs. The most committed problems were related to students' unfamiliarity with English culture-specific items; their failure in achieving the exact Arabic equivalence; lack of knowledge of techniques and strategies of translation in general and proverbs in particular; the ambiguity of some English proverbs and committing linguistic, stylistic, and grammatical mistakes.

Keywords: Translation, equivalence, obstacles, culture-specific items, English proverbs, Arabic proverbs, Yemeni students, Thamar University.

(*)Associate Professor of Translation, English Department, Faculty of Arts Thamar University, Yemen.

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة الصعوبات التي تواجه الطلاب اليمنيين عند ترجمة الأمثال من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية. ولتحقيق هذا الهدف اختار الباحث عينة عشوائية قوامها 45 طالباً وطالبة مسجلين في الفصل الدراسي الأول من العام الجامعي (2021-2022) في قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب بجامعة ذمار، الجمهورية اليمنية. صمم الباحث اختبار ترجمة يتكون من 14 مثالاً إنجليزياً. حيث طلب من الطلاب ترجمتها إلى اللغة العربية. بعد ذلك تم جمع النتائج وتحليلها وقد كشفت هذه النتائج أن الطلاب لم يكونوا عند المستوى المطلوب؛ فقد كانت أكثر المشكلات تتعلق بعدم إلمامهم بالتعابير الثقافية الإنجليزية، بالإضافة إلى إخفاقهم في ايجاد المكافئ العربي الدقيق، كذلك عدم معرفتهم بتقنيات واستراتيجيات الترجمة بشكل عام وترجمة الأمثال بشكل خاص إلى جانب غموض بعض الأمثال الإنجليزية. كما قاموا بارتكاب أخطاء لغوية وأسلوبية ونحوية.

الكلمات المفتاحية: الترجمة، التكافؤ، الصعوبات، التعابير الثقافية الإنجليزية، الأمثال الإنجليزية، الأمثال العربية، الطلاب اليمنيون، جامعة ذمار.

1. Introduction

Translation is an essential process that allows people to share information, news, culture, literature, and sciences among others. It is the procedure of moving from one language 'source language' to another 'target language'. Translation is not an easy task because a translator needs to have a bilingual competence in the source language and the target language as well as knowledge of both cultures to clear off the ambiguity in some texts. Therefore, the translation of proverbs that are known to be culture-specific concepts will absolutely form a problem. Proverbs are fixed expressions that are important in any language because they have meanings that can cover all aspects of life, knowledge, social values, religion and other aspects of culture.

Students are generally careful when translating proverbs into their closest equivalence in the target language because there are many obstacles that face them while translating proverbs. They have their own structure, form and style. Furthermore, there are proverbs which contain some cultural aspects in the source language that can't be found in the target culture. Therefore, Students must be familiar with the strategies of translation in general and translating proverbs and fixed expressions in particular. In translating proverbs from English to Arabic, students encounter some obstacles due to the linguistic, stylistic and cultural gap between the two languages. One of the linguistic difficulties is the equivalence in the target language. This study aims to explore the obstacles that Yemeni students encounter in translating proverbs from English into Arabic.

1. 1 Significance of the Study

Studies that deal with translating proverbs are relatively few, especially in Yemen. This current study may be of great value to those who are interested in the field of translation in general and to English students in particular, since it provides broad analysis to the areas of difficulties in translating proverbs from English into Arabic. The findings of the study may help students, translators, readers, academics and other people interested in this field. The study is expected that the findings will fill some gaps in translation studies.

1.2. Objectives and Questions of the Study

The goal of this study is to explore the obstacles that face English students in translating proverbs from English into Arabic. In addition, it aims to find out the reasons behind these obstacles. The study, therefore, attempted to answer the following questions:

- a- What are the obstacles that face Yemeni students in translating proverbs from English into Arabic?

b- What are the reasons behind these obstacles?

1.3. Limitation of the study

The population of the study consisted of 45 students from level four who hold B.A degree in English at English Department, Faculty of Arts, Thamar University, Republic of Yemen. The sample of students (male and female) were chosen randomly from the total population of students registered in the first semester of the academic year 2021/2022. It dealt with some difficulties that undergraduate students of English encounter in translating proverbs from English into Arabic.

2. Definition of Terms

2.1. Translation

Translation has been the subject of interest not only to linguists, professional and amateur translators, and language teachers but also to electronic engineers and mathematicians. A huge number of books and articles have been written about this field of human knowledge. However, "What is translation?" is still a question in need of research. The reason is that writers on translation seem to look at translation from different perspectives. The result is that translation appears to be a complex process. According to Catford (1965:20) "Translation is the replacement of textual material in one language (source language) by equivalent textual material in another language (target language)". It means that the translator has to replace anything related to the source text with something that relevant in the target text. The "textual material" can be words, idioms, phrases, sentences, language style, and the grammatical structure. Nida and Taber defined translation as "Translation consists in reproducing in the receptor language the closest natural equivalent of the source language message, first in terms of meaning and secondly in terms of style." (Nida & Taber, 1982: 12). By this definition, the translators' priority is to consider whether the

translation would be read and understood by the target language readers as it is intended by the writer of the source language text.

2.2. Equivalence in Translation

According to Roman Jakobson, interlingual translation involves ‘substitute(ing) messages in one language not for separate code-units but for entire messages in some other language.’ The role of a translator, therefore, is to read the original carefully, recodify accurately and transmit the message meaningfully in the target language. Hence it can be said that translation involves two equivalent messages in two different codes. Roman Jakobson, in his “On linguistic Aspects of Translation” (1959), talks about the problem of equivalence in meaning between words in different languages. He points out that “there is ordinarily no full equivalence between code-units.” What he means is that when one is trying to translate from the source language, one figures out that sometimes it is impossible to find an exact, equivalent word or expression in the target language. The reason is that our language is based on the socio-cultural practices. (Munday, 2008 :37)

2.3. Proverbs

According to Ghazala (2008:138) "Proverbs are special, fixed, unchanged phrases which have special, fixed, unchanged meanings. A proverb cannot be translated or understood as a collection of the individual meanings of its words. Moreover, proverbs are metaphors that stand for something else. Besides that, they are culture-specific. Therefore, they should not be translated or understood directly. " On other hand, Meider (2004: 3) defines proverbs as "a short, generally known sentence of the folk which contains wisdom, truth, morals, and traditional views in a metaphorical, fixed and memorable form and which is handed down from generation to generation". According to Julie Mourad, Dictionary of Comparative Proverbs English- Arabic

(2006:7) "Proverbs have always been words of wisdom uttered by our ancestors in an eloquent style...They are the expression of life itself, in its sweetness and bitterness. They reveal the hidden content of the human mind and feelings, hence they are quoted in every occasion and by all generations." Furthermore, Mohammed Attia, the Dictionary of Common English Proverbs, Translated and Explained (2004: 3) defined proverb as:

"المثل هو قول شائع وجيز يحمل معنى النصائح أو التحذير، فالمثل لا بد أن يكون شائعاً بين عدد كبير من أفراد المجتمع طوال فترة طويلة من الزمن، وهذا ينم عن قدم المثل، فلا يمكن للمثل أن يكتسب صفة الشيوع بين يوم وليلة، وإنما تتناقله الأجيال وتتردده الألسنة حتى يصبح جزءاً من تراث الأمة."

3. Review of Literature

A number of studies in translating proverbs tried to explore methods of translating them into Arabic and vice versa.

Mohammed Bassam Thalji (2015) conducted a study that shed light on translating proverbs from Arabic into English and vice versa. It aimed to explore the obstacles that Jordanian novice translators encounter when translating proverbs and to explore the strategies they use when translating proverbs from Arabic into English and vice versa. The study revealed that the obstacles which Jordanian novice translators face when translating proverbs from Arabic into English and vice versa are: inability to translate culturally bound words/ expressions properly; giving wrong TL equivalent, irrelevant meaning and wrong paraphrasing; using literal translation and misuse of the appropriate lexical words; committing linguistic, stylistic, and grammatical mistakes; and unfamiliarity with translation strategies and techniques. Moreover, the strategies they used while translating proverbs were: rendering TL equivalent which accounted for 181 instances 45.25% of

the total responses; the paraphrase technique which accounted for 88 instances 22%; literal translation which reached to 57 instances 14.25%; and glossing which accounted for three instances 0.75% of the total translation.

Mohammad Al Shehab (2016) achieved a study that aimed at examining the ability of translation students in translating English cultural expressions “proverbs” into Arabic. The collected data were analyzed and investigated quantitatively and qualitatively. The data showed a low level in students' translation, most of them focused on literal translation that affects the meaning and the tone of proverbs. The results illustrated a high rate of poor translation that interpreted the low level of students' understanding in English and Arabic languages. The most committed problems were related to students' unfamiliarity with English proverbs, in addition to their failure in achieving the exact Arabic equivalence of English proverbs listed in the translation test.

4. Translating Proverbs

According to Baker (1992:68-71), there are main difficulties a translator could face while translating proverbs. These difficulties are follows:

1- The lack of cultural equivalence in the TL. In this case, the SL may have some culture-specific concept that cannot be found in the TL or the relevance of a word is different depending on the languages. What the SL finds relevant may not be relevant for the TL.

2- The proverb might exist in the SL and TL but the connotations are different, thus the context of use is no more the same.

3- The interdependence of the literal meaning and the figurative meaning in the SL which has to be conveyed in the TL. Here, the SL

proverb might contain rhymes or figures of speech that give the proverb a type of musicality. It is therefore difficult to create the same effect in the TL.

4- The context and the frequency of use of a proverb are different from one language to another.

According to Hassan (2014:45) "Translators should consider relevance in the translating of proverbs. Relevance is one of the factors which they should pay special attention in the interpretation of proverbs. The translation of a source language proverb should be relevant to the target language community." Ibrahim and Kennedy (1996) as sited in Hassan (2014:46) argue that "interpretations of given proverbs by people from differing cultural backgrounds should show corresponding differences in the use of language..." For this, not all proverbs should be translated literally.

The cultural differences between sender and receiver also complicate matters. Susan Bassnett gives an example of how complicated the translation of even ordinary prosaic words can become. The good translator has to be aware of all minute cultural differences even before starting off on the process of translating even a simple word like 'yes'.

5. Strategies for Translating Proverbs

The term strategy refers to a method or a procedure used by a translator to solve a particular problem while translating. Baker (1992:72-78) suggests strategies that help translators in translating proverbs as follows:

1- Using a proverb of similar meaning and form

This strategy is about using the target language proverb that has meaning and lexical items similar to the source language proverb. For instance, the proverb (*No smoke without fire*) the meaning and the form of the source proverb is the same as of the target proverb.

2- Using a proverb of similar meaning but dissimilar form

In this strategy, the translator can use a target language proverb that has a similar meaning but different linguistic structures. For instance, (*The grass is greener on the other side*) the Arabic equivalence of this proverb is (النبي في غير أهله كريم، مزمار الحبي لا يطرب) The linguistic structures of these two proverbs are different but the meaning is the same.

3- Translation by Paraphrase

This strategy is used when there is no target language equivalent identical to the source text proverb or the style of the target text differs from the source text. For instance, the proverb (Barkis is willing) is translated into (العين بصيرة واليد قصيرة) Mr. Barkis, fictional character, a cart driver in the novel David Copperfield by Charles Dickens. Barkis is persistent in his courtship of Clara Peggotty, Copperfield's childhood nurse, and is known for the hopeful often-repeated phrase "Barkis is willing." He declares his intention to marry Peggotty. (<https://www.britannica.com/topic/Mr-Barkis>)

4- Translation by Omission

In this strategy, the translator deletes the whole proverb because there is no target language proverb similar to the source language one closely. Therefore, translators tend to paraphrase the meaning as clearly and accurately as possible.

6. Methodology

6.1. Instrument of the Study

The researcher used a translation test which was carried out to meet the objectives and achieve the needs of the present study. The test contained 14 English proverbs selected from English resources to be translated to Arabic and they covered many themes.

6.2. Discussion and Analysis

Students deal with translating English proverbs indifferent ways. Answers are presented in three categories: correct answer, wrong answer and no answer. Fourteen English proverbs were in the test and discussion is provided below. Each proverb in the test is discussed separately as follow:

Table (1): Students' Performance in the 1st Proverb

No.	Proverb	Correct Answer		Wrong Answer		No Answer	
		F	%	F	%	F	%
1	Cut your coat according to your cloth.	15	33	30	67	0	0

According the table above (15) 33% of the students provided correct answers by using Arabic cultural equivalence such as: (على قدر بساطك مد جليك) and (30) 67% of them provided wrong answers by using literal translation and giving irrelevant meaning and by committing linguistic, stylistic and grammatical mistakes that distort the entire meaning of the proverb such as:

(اقطع معطفك حسب قماشك / ضع الشيء في مكانه المناسب / ضع معطفك مع ملابسك / اقطع كوتوك عبر ملابسك / على قدر فراشك وسح / لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد / قطع قطعة قماش لأن

معطفه قطع / ينزل البرد بقدر الدفء / يقطع طبقة رقيقة حسب ملابسك / فصل كوتوك على قدر
 ملابسك / مزق قماشك وفقاً لقماشك الخفيق)

According to The Facts on File Dictionary of Proverbs (2002: 50) this proverb means: "Match your actions to your resources, and do not try to live beyond your means." According to Mohammed Attia, the Dictionary of Common English Proverbs, Translated and Explained (2004:29), this proverb is translated as:

-على قدر حافلك مد قدميك. المعنى: لا بد أن يوفق الإنسان بين دخله ومصروفاته فلا ينفق أكثر
 مما لديه من الموارد.

Julie Mourad, Dictionary of Comparative Proverbs English- Arabic (2006:44) translated it as:

-على قدر بساطك امدد رجليك. أي ليكن مصروفك على قدر استطاعتك.

Table (2): Students' Performance in the 2nd Proverb

No.	Proverb	Correct Answer		Wrong Answer		No Answer	
		F	%	F	%	F	%
2	The fear of God is the beginning of wisdom.	13	29	32	71	0	0

In translating this proverb (13) 29% of the students provided correct answers by using Arabic cultural equivalence such as: (رأس الحكمة مخافة الله). Whereas (32) 71% of them provided wrong answers by committing linguistic, stylistic and grammatical mistakes and giving irrelevant meaning that distort the entire meaning of the proverb like:

(النار من الله يكون بداية من الحكمة/ الخوف من الله بداية الإيمان/ مخافة الله أول الحكم/ إن الله يخشى من عباده العلماء/ الخوف من الرب يكون بداية من التقرب إليه/ من خاف من الله ما هاب/
اعبد الله كأنك تراه/من لا يخاف لا يسلم)

According to Julie Mourad, Dictionary of Comparative Proverbs English- Arabic (2006:124) this proverb is translated as:

-رأس الحكمة مخافة الله..، -أي أن أولى واجبات المرء التي تنم عن دراية هي خشية خالقه وطاعته في
محارمه.

Table (3): Students' Performance in the 3rd Proverb

No.	Proverb	Correct Answer		Wrong Answer		No Answer	
		F	%	F	%	F	%
3	Add insult to injury.	23	51	19	42	3	7

According to the table above (23) 51% of students provided correct answers by using Arabic cultural equivalence such as: ، (يزيد الطين بلة while (19) 42% provided wrong answers by using literal translation and giving irrelevant meaning and by committing linguistic, stylistic and grammatical mistakes such as:

(يضيف إهانة للجرح/ إضافة الشتائم إلى المصائب/ الإهانة إصابة/ يزيد الحقاره ضررا/ من تدخل في
ما لا يعنيه يلقى ما لا يرضيه/ ما يجعلك إلا الذي وصلك/ غدر وإهانة/ كثرة الإهانة تؤدي إلى
الأذى/ يصب ماء على الزيت/ ضع النقاط على الحروف/ يضيف الإهانة إلى المحسنة)

And (3) 7% of students didn't translate it at all. According to Julie Mourad, Dictionary of Comparative Proverbs English- Arabic (2006:22)) this proverb is translated to:

-زاد ضغثنا على إبالة.، - زاد الطين بلة. - أي زاد الوضع سوءاً عما هو عليه.

Table (4): Students' Performance in the 4th Proverb

No.	Proverb	Correct Answer		Wrong Answer		No Answer	
		F	%	F	%	F	%
4	The end justifies the means.	20	44.4	23	51.1	2	4.4

As shown in table 4 above, (20) 44.4% of students provided correct answers by using Arabic cultural equivalence such as: (الغاية تبرر الوسيلة) According to Mohammed Attia, the Dictionary of Common English Proverbs, Translated and Explained (2004:43), this proverb is translated into:

-الغاية تبرر الوسيلة. المعنى: تعد هذه المقوله من أكثر الأقوال التي اختلف عليها الناس بين مؤيد ومعارض، - والمعنى أنه ما دام المدف كان شريفاً ونبيلاً فلا بد من السعي لتحقيقه مهما كانت الوسيلة حتى وإن كان ذلك سيسبب الألم والمعاناة لبعض الناس.

On the other hand, (23) 51.1% of students provided wrong answers by committing linguistic, stylistic and grammatical mistakes and by giving irrelevant meaning that change the meaning of the proverb like:

(وقع الفأس في الرأس / خير الكلام ما قل ودل / النهاية تبرر المعنى / الوسيلة نهاية التبرير / النهاية خلاصة المعنى / لا تبخلا على غيرك / العبرة بالخواتيم/الوسيلة غاية لا تدرك / في النهاية تظهر الدلائل/نهاية الأعذار التسكم / عذر أقبح من ذنب)

And (2) 4.4% of students didn't translate it at all. According to The Facts on File Dictionary of Proverbs (2007: 73) this proverb means: "Any course of action, however immoral or unscrupulous, is justifiable

if it achieves a worthy objective." While, Julie Mourad, Dictionary of Comparative Proverbs English- Arabic (2006:123) translated it into:

الغاية تبرر الواسطة.. - كثيرون يرون في الغاية التي وصلوا إليها ما يبرر الطريقة التي اعتمدوها.

Table (5): Students' Performance in the 5th Proverb

No.	Proverb	Correct Answer		Wrong Answer		No Answer	
		F	%	F	%	F	%
5	Between Scylla and Charybdis.	8	18	27	60	10	22

According to the table above (8) 18% of students provided correct answers by using Arabic cultural equivalence such as: *كالمستجير من الرمضاء* (بالنار، أمران أحلاهما مر، بين نارين) Meanwhile (27) 60% of students provided wrong answers by committing linguistic, stylistic and grammatical mistakes and by using literal translation and giving irrelevant meaning such as:

(بين سيلا وشاربليس / بين السماء والأرض / بين سيلا وشخص حذر / بين سيلا وشاري / بين سيلي وكاريبيودز / ما بين المشرق والمغرب / ما بين الحياة الموت / بين البيتين / بين البيع والشراء / ما بعد على العين بعد عن القلب / عين في الجنة وعين في النار)

(10) 22% of students didn't translate it. According to Longman Dictionary of Contemporary English, this proverb means: "in a situation where you have to choose between two possible actions, but both are dangerous or unpleasant." The phrase comes from the ancient Greek stories of Scylla, a monster, and Charybdis, a whirlpool (water that spins around and pulls things down into it) that killed sailors in the sea between Italy and Sicily."

(<https://www.ldoceonline.com/dictionary/between-scylla-and-charybdis>)

Table (6): Students' Performance in the 6th Proverb

No.	Proverb	Correct Answer		Wrong Answer		No Answer	
		F	%	F	%	F	%
6	Cleanliness is next to godliness.	40	89	3	7	2	4

As shown in the table above (40) 89% of students provided correct answers by using Arabic cultural equivalence such as: (النظافة من الإيمان). Only (3) 7% of students provided wrong answers by using literal translation and committing linguistic and stylistic mistakes and by giving irrelevant meaning such as:

(النظافة بعد الشر / النقاء جوار الخير / تجنب كل ما يضر واعمل كل ما ينفع / الوقاية خير من

(العلاج)

and (2) 4% of students didn't translate it at all. According to The Facts on File Dictionary of Proverbs (2002: 43) this proverb means: "Personal hygiene indicates a pious or virtuous nature; also used more generally to emphasize the importance of cleanliness." Mohammed Attia, the Dictionary of Common English Proverbs, Translated and Explained (2004 :25), translated it into:

-النظافة من الإيمان. المعنى: يضرب هذا المثل لحث الإنسان على تحري النظافة سواء في البدن أو الملبس أو المسكن.

According to Julie Mourad, Dictionary of Comparative Proverbs English- Arabic (2006:41) this proverb is translated as:

-النظافة من الإيمان. -أي من كان نظيفاً بدنياً كان نظيفاً أخلاقياً، لا يكذب ولا يسرق الخ.

Table (7): Students' Performance in the 7th Proverb

No.	Proverb	Correct Answer		Wrong Answer		No Answer	
		F	%	F	%	F	%
7	One man's meat is another man's poison.	13	29	32	71	0	0

According the table above (13) 29% of students provided correct answers by using Arabic cultural equivalence such as: (مصابب قوم عند) (قوم فوائد). and (32) 71% of students provided wrong answers by using literal translation, committing linguistic, stylistic and grammatical mistakes and by giving irrelevant meaning that change meaning of the proverb such as:

(رجل سنم الرجل الآخر / من طعن غيره طعن الله / الرجل يأكل لحم أخيه / من حفر حفرة لأخيه وقع فيها / رجل واحد قابل رجلا آخر مقتولا بالسم / أحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه / رجل واحد له نقطة ضعف / مختلف الأسلوب من شخص آخر / واحد ينهش لحمه و الآخر يقتله بالسم)

The word 'meat' in the proverb translated by some students to (يقابل) which means in English 'meet' that indicate to their carelessness in reading and understanding every word of the proverb.

According to The Facts on File Dictionary of Proverbs (2002: 214) this proverb means "What one person likes, another person dislikes." Mohammed Attia, the Dictionary of Common English Proverbs, Translated and Explained (2004: 149) translated it into:

-طعام الرجل سُمٌّ لآخر. المعنى: الطعام الذي يناسب شخصاً ما قد لا يناسب شخصاً آخر وما يعجب شخص ما قد لا يطيقه شخص آخر، فمثلاً قد يكون أخوك مغرماً بالأفلام البوليسية بينما لا تطيق أنت رؤيتها.

According to Julie Mourad, Dictionary of Comparative Proverbs English- Arabic (2006:103) this proverb is translated as:

-مصالح قوم عند قوم فوائد..، - من غرائب القدر أن تكون فائدة بعض الناس نتيجة مصالح الآخرين.

Table (8): Students' Performance in the 8th Proverb

No.	Proverb	Correct Answer		Wrong Answer		No Answer	
		F	%	F	%	F	%
8	March winds and April showers bring forth May flowers.	10	22	31	69	4	9

In translating the proverb "*March winds and April showers bring forth April flowers*" (10) 22% of students provided correct answers by using Arabic cultural equivalence such as: (إن بعد العسر يسرا، ما بعد الشدة إلا

الفرج، رب ضارة نافعة) Moreover, (31) 69% of them provided wrong answers by using literal translation, committing linguistic, stylistic and grammatical mistakes and by giving irrelevant meaning such as:

(مارس عاصف وأبريل يمطر، تجلب ما يشبه ذلك مايو الزهور/ رياح مارس وزخة أبريل تحضر ورود مايو/ رياح مارس وثلوج أبريل تجلب أربعين زهور في مايو/ في الرابع من مايو تنموا الأزهار مع الرياح مارس وأمطار أبريل/ في أربعة مايو في شهر مارس تساقط الورود وفي شهر أبريل تطرد بغزارة/ رياح مارس وبساتين أبريل أحضرت زهور أربعة مايو)

If we take a glance at the translation above, some of them are misunderstand the word 'forth' and they confused with the word 'fourth' and translated it into (الرابع / أربعة/أربعين)

According to The Facts on File Dictionary of Proverbs (2002: 11) this proverb means " Something unpleasant often leads to something more desirable." On the other hand, (4) 9% of students didn't translate it at all.

Table (19): Students' Performance in the 9th Proverb

No.	Proverb	Correct Answer		Wrong Answer		No Answer	
		F	%	F	%	F	%
9	Even Homer sometimes nods.	1	2	37	82	7	16

The Arabic cultural equivalence of this proverb is:

(لكل جواد كبوة ولكل عالم هفوة، كل ابن آدم خطاء، جل من لا يخطئ، جل من لا يسهو.)

As shown in the table above, only (1) 2% of students provided correct answer by using accepted translation as: (37) 82% provided wrong answers by using literal translation and by committing linguistic, stylistic and grammatical mistakes and by giving irrelevant meaning that distort the entire meaning of the proverb such as:

(حتى المشرد أحياناً إيماءة بالرأس / حتى المطرقة أحياناً تومئ / حتى البيت أحياناً لا توجد راحه /

حتى المطرقة أحياناً تصيب الرأس / حتى البيت بعض الوقت يومئ برأسه / حتى المطرقة تلوح برأسها

/الأحداث تشير إلى أصحابها/ حتى هوميروس أحياناً يهز رأسه / حتى الصوامع تتحني أحياناً / حتى

هوميروس أحياناً فضولي)

If we take a glance at the translation above, some of students are misunderstand the name 'Homer' and translated it into (المطرقة/ البيت)

because they may be confused with the word 'hammer and home'. According to Speake, Oxford Dictionary of Proverbs, (2007: 253) this proverb means: "Nobody, even a poet as great as the Greek epic writer Homer, can be at his best or most alert all the time. Nods here means 'becomes drowsy, falls asleep'; hence, 'errs due to momentary lack of attention'." According to Julie Mourad, Dictionary of Comparative Proverbs English- Arabic (2006:72) this proverb is translated as:

- لكل عالم هفوة، وكل جواد كبوة، وكل صارم نبوة.. - يضرب لتبير فشل الناجحين وخطأهم.

(7) 16% of the students didn't translate it at all.

Table (10): Students' Performance in the 10th Proverb

No.	Proverb	Correct Answer		Wrong Answer		No Answer	
		F	%	F	%	F	%
10	He came back empty handed.	23	51.1	20	44.4	2	4.4

As shown in the table above (23)51.1% of the students provided correct answers by using Arabic cultural equivalence such as:

(رجع بخفي حنين، عاد خالي الوفاض)

Meanwhile, (20) 44.4% of the students provided wrong answers by using literal translation and by committing linguistic, stylistic and grammatical mistakes and by giving irrelevant meaning that change the entire meaning of the proverb such as:

(هو رجع إلى البيت بيديه فارغة/ أتى خلف يد فارغة/ عاد وما معه شيء/ وجودك مثل عدمك/
 عاد بيدين فارغتين/ هو عاد غامض اليد/ عاد فاضي اليدين/ رجع مكتوف اليدين/ الحاذق خرج من السوق عطل)

and (2) 4.4% of them didn't translate it.

Table (11): Students' Performance in the 11th Proverb

No.	Proverb	Correct Answer		Wrong Answer		No Answer	
		F	%	F	%	F	%
11	A leopard never changes its spots.	5	11	31	69	9	20

According the table above (5)11% of the students provided correct answers by using Arabic cultural equivalence such as: (الطبع غالب التطبع)

Meanwhile, (31) 69% give wrong answers by using literal translation and giving irrelevant meaning and by committing linguistic, stylistic and grammatical mistakes that change the entire meaning of the proverb such as:

(الفهد لا يغير خطواته/ الفهد لا يغير مكانه/ النمر لا يغير موضعه/ القوي لا يغير خطواته/ لا تعمل من الحبه قبة/ اللاعب لا يتغير أبداً في رياضته/ القط من شبل الأسد/ الفهد لا تغير أبداً من الرياضة/ الفهد من شبل الأسد/ واثق الخطى يمشي ملكاً/ لا حياة مع اليأس ولا يأس مع الحياة/ الفهود لا تغير أبداً مكانها)

If we take a glance at the translation above, some of students are misunderstand the word 'spots' and translated it into (رياضته/ الرياضة) because they confused with the word 'sport'.

(9)20% of the students didn't translate it. According to The Facts on File Dictionary of Proverbs (2002:164) this proverb means: "A person cannot change his or her character or nature". On the other hand, Mohammed Attia, Dictionary of Common English Proverbs, Translated and Explained (2004: 116) translated it into:

(لا يستطيع النمر أن يغير جلده (الطبع غالب التطبع) المعنى: يولد النمر بجلده ولا يستطيع أن يغيره، فكذلك إذا كان الإنسان شريرا بطبيعته واستشرى الشر فيه فليس هناك من أمل أن يتغير أبداً مهما عاش من الزمن)

According to Julie Mourad, Dictionary of Comparative Proverbs English- Arabic (2006:125) this proverb is translated as:

-الطبع غالب التطبع..، - العادة توأم الطبيعة..، -العادة طبيعة ثانية.

Table (12): Students' Performance in the 12th Proverb

No.	Proverb	Correct Answer		Wrong Answer		No Answer	
		F	%	F	%	F	%
12	If a wind blows, ride it.	4	9	35	78	6	13

While (4) 9% of the students provided correct answers by using Arabic cultural equivalence such as: (إذا هبت رياحك فاغتنمها) (35) 78% of them provided wrong answers by using literal translation, giving irrelevant meaning and by committing linguistic, stylistic and grammatical mistakes that distort the entire meaning of the proverb such as:

(قارب الخوف تأمن / إذا هبت الرياح اركبها/ إذا عصفت الرياح واجهها/ إذا هبت الرياح تجنبها /
 الباب الذي يجيء منه الريح اغلقه واستريح/ تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن/ اذا أمسكها ركبها/ لو
 ركب الخيل وأسع أضاع نفسه/ إذا هبت الرياح زادت النار)

And (6)13% of the students did not provide any translation for it. According to Julie Mourad, Dictionary of Comparative Proverbs English- Arabic (2006:28) this proverb is translated as:

-إذا هبت رياحك فاغتنمها.

- أي إذا واتتك الفرصة أخذ منها. وقال الشاعر:
غافل الفرصة واعلم أنها كمضي البرق تمضي الفرص.

Table (13): Students' Performance in the 13th Proverb

No.	Proverb	Correct Answer		Wrong Answer		No Answer	
		F	%	F	%	F	%
13	A chip of the old block.	13	29	27	60	5	11

According the table above (13)29% of the students provided correct answers by using Arabic cultural equivalence such as: (هذا الشبل من ذاك) (الأسد، الولد سر أبيه، من شابه أباه ما ظلم). On the other hand (27) 60% of them provided wrong answers by using literal translation, giving irrelevant meaning and by committing linguistic and stylistic mistakes that change the entire meaning of the proverb such as:

(ما يضر مقتول طعنه/ الكسرة من الحجر القديم/ السفينة من السواد القديم/ شظية من المبني القديم/
قطعة من كتلة صخرية قديمة/ قطرة من بحر/ قطعة أثرية رخيصة/ تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن/
قطعة من البناء القديمة / الطمع أعمى عيونه وانحجب عن رؤية الحق)

If we take a glance at the translation above, some of them are misunderstand the word 'chip' and translated it into (السفينة/ السفن) because they confused with the word 'ship'.

Only (5)11% didn't translate it at all. According to Julie Mourad, Dictionary of Comparative Proverbs English- Arabic (2006:12) this proverb is translated as:

-العصبية من العصا، -إن هذا الشبل من ذلك الأسد، -الولد سر أبيه.

-أي أن الابن ينشأ على ما كان عليه والده.

Table (14): Students' Performance in the 14th Proverb

No.	Proverb	Correct Answer		Wrong Answer		No Answer	
		F	%	F	%	F	%
14	No sweet without sweat.	11	24	34	76	0	0

As shown in the table above (11) 24% of the students provided correct answers by using Arabic cultural equivalence such as: من طلب العلی سهر (الليلي، من جد وجد، ومن زرع حصد). Meanwhile, (34) 76% provided wrong answers by using literal translation and giving irrelevant meaning and by committing linguistic and stylistic mistakes such as:

(ليس كل حلو مرا / ماعد بش حلا في شيء / لا حلوى بدون حلوى / لا حياء بدون ملح / لا حلوى من دون مرارة)

If we take a glance at the translation above, some of them are misunderstand the word 'sweat' and translated it into (حلوى) because they may be confused with the word 'sweet'.

According to The Facts on File Dictionary of Proverbs (2002: 205) this prover means: "Nothing can be achieved without effort, suffering, or hardship." On the other hand, Mohammed Attia, Dictionary of Common English Proverbs, Translated and Explained (2004: 142) translated it into:

(لا حلوى بلا عرق (حلوة النجاح مزوجة بعرق الكفاح) المعنى: لا يستطيع المرء أن يصل إلى مراده ويحقق آماله دون بذل الجهد والعرق وتحمل المشقة)

Table (16): The Total Frequencies and Percentages of Students' Answers of English Proverbs

No.	Proverbs	Correct Answer		Wrong Answer		No Answer	
		F	%	F	%	F	%
1	Cut your coat according to your cloth.	15	33	30	6	0	0
2	The fear of God is the beginning of wisdom.	13	29	32	71	0	0
3	Add insult to injury.	23	51	19	42	3	7
4	The end justifies the means.	20	44.4	23	51.1	2	4.4
5	Between Seylla and Charybdis.	8	18	27	60	10	22
6	Cleanliness is next to godliness.	40	89	3	7	2	4
7	One man's meat is another man's poison.	13	29	32	71	0	0
8	March winds and April showers bring forth May flowers.	10	22	31	69	4	9
9	Even Homer sometimes nods.	1	2	37	82	7	16
10	He came back empty handed.	23	51.1	20	44.4	2	4.4
11	A leopard never changes its spots.	5	11	31	69	9	20
12	If a wind blows, ride it.	4	9	35	78	6	13
13	A chip of the old block.	13	29	27	60	5	11
14	No sweet without sweat.	11	24	34	76	0	0
The Total Number of Proverbs for 45 Students are (630)		199	32	381	60	50	8

If we take a glance at table (16) we will see that 3 English proverbs have achieved above 50 percent when translated into Arabic. The English proverb "*Cleanliness is next to godliness.*" has achieved 89% it means in Arabic culture (النظافة من الإيمان). The proverb expresses the idea that those who are pure and wholesome are close to God. Similarly, the English proverbs "*Add insult to injury.*" and "*He came back empty handed.*" have achieved 51% and 51.1% and they have Arabic equivalents as: (رُجِعَ بِخَفْيٍ حَنِينٍ) and (بِزَيْدِ الطَّيْنِ بَلَةً) consecutively. On the other side, eleven English proverbs have achieved fewer than 50 percent such as; "*The fear of God is the beginning of wisdom.*" that means in Arabic: (رَأْسُ الْحِكْمَةِ مُخَافَةُ اللَّهِ) and means in English (we must

avoid evil, or anything that lures us to do evil or wickedness) it has got 29% while 32 students failed in translating it.

The low level was for the proverb: "*Even Homer sometimes nods.*" it has got 2%. Generally, the total number of proverbs for 45 students are (630) and the percentages of the correct answers are 32% whereas, the percentages of the wrong answers are 60% and the percentages of no answers are 8%. It is clear that correct answers show lower percentages specially in proverbs No.1, 2, 4, 5, 7, 8, 9, 11, 12, 13 and 14. Whereas, high percentages in wrong answers include proverbs No. 2, 3, 4, 5, 7, 8, 9, 10, 11, 12, 13 and 14. On other hand, percentages in no answers include proverbs No. 3, 4, 5, 6, 9, 10, 11, 12 and 13.

The study has discovered that the obstacles that Yemeni students encounter in translating proverbs from English into Arabic are:

The first obstacle is the failure to translate culture-specific items, for example, students failed in translating the proverbs: "*Between Seylla and Charybdis.*" and "*Even Homer sometimes nods.*" They could not explain the meaning of the proverb or because the concepts which the source language lexical items refer to are not available in Arabic language. This result agrees with Baker (1992) who assumes that the source language text may have words that are unknown in the target culture and cause problems to translators.

The second obstacle is using literal translation which does not reflect the appropriate meaning because students either misinterpret the intended meaning or have no previous knowledge in these terms. Some students replace the source language words with target language words without bearing in mind the semantic and linguistic features of the words used. Also, some of them are deceived by the resemblance between words of the source language and target language that may lead to a false translation. For instance, some students tend to give wrong meanings for the proverb "*The end*

justifies the means." The word (end) indicates " purpose or aim" but some students translated it into (النهاية) also the word (means) indicates " way or method" but some students rendered it into (المعنى). In the proverb "*The fear of God is the beginning of wisdom.*" The word (fear) indicates "horror" but some students confused with the word (fire) and translated it into "النار". Also, In the proverb "*No sweet without sweat.*", they deceived by the resemblance between 'sweet' and 'sweat'. The word (sweet) means "sugary" but (sweat) means "toil" and they translated it into (حلوى). This agrees with Alsaidi (2020) who finds that literal translation and lack of linguistic and cultural knowledge in both languages cause problems of fully understanding of the intended meaning.

The third obstacle is committing linguistic, stylistic, and grammatical mistakes. The students do the mistakes because they maybe lack practicing in translation or they are in a hurry while translating these proverbs and they maybe do not edit their answers after finishing the translation or they do not have enough linguistic competence.

The fourth obstacle is the unfamiliarity with translation strategies and techniques and the ambiguity of some English proverbs. Most of the students use literal translation but this is not helpful in translating proverbs that contain culture-specific terms such as "*March winds and April showers bring forth May flowers.*" And "*Even Homer sometimes nods.*" This result agrees with that of Dweik & Suleiman (2013) who find that the lack of knowledge in translation techniques and translation strategies is one of the problems that students have encountered.

7. Conclusion

After investigating the obstacles that face Yemeni students in translating proverbs from English into Arabic, the study showed that they face the following problems: inability to translate culture-specific items that do not have equivalents in Arabic; using literal translation which does not reflect the appropriate meaning; committing linguistic, stylistic and grammatical mistakes that distort the entire meaning of the proverbs; unfamiliarity with translation strategies and techniques that were the major reasons for the poor translation. The results demonstrated a high rate of wrong translation (60%) that interpreted their weaknesses in knowing both languages and cultures. As a final point, students either misinterpret the intended meaning or have no previous knowledge in these terms and by carrying out more studies such this, the gap will be filled and students' translation of proverbs from English into Arabic will be improved.

8- Recommendations

The following recommendations may help in overcoming the obstacles faced by the students in translating proverbs:

1. Students should be familiar with source language and target language culture.
2. Students should gain more practice in translation and not limit themselves only to the theoretical part.
3. Students should use the appropriate dictionaries to recognize the meaning of the proverb.
4. Students should pay attention to linguistic mistakes and edit their answers after finishing the translation.
5. Students should be familiar with the distinguished structure of proverbs and their style.

6. Students should be aware of the translation strategies and technique in translating proverbs.

7. Students should realize that proverbs can be culture-specific items which need extra care through their translations into the target language.

9-References

- Al Shehab M. (2016) The Ability of Translation Students in Translating English Proverbs into Arabic and Vice Versa at Jadara University in Jordan, *Journal of Literature, Languages and Linguistics. An International Peer-reviewed Journal*, Vol.29, 2016
- Alsaidi, A. (2014) Misinterpretation of culture loaded English proverbs into Arabic: A domestication approach. (*Unpublished Master thesis*) Thi – Qar University, Thi –Qar, Iraq.
- Attia, M. (2004) *Dictionary of Common English Proverbs, Translated and Explained.* Retrieved from <http://www.attiaspace.com/Publications/CommonProverbs.pdf>
- Baker, M. & Saldanha G. (2009) *Routledge Encyclopedia of Translation Studies*, 2nd ed, Routledge, London and New York.
- Baker, M. (1992). *In Other Words: a course book on translation*. London and New York: Routledge.
- Catford, J. C. (1965) *A linguistic Theory of Translation*. London: Oxford University Press.
- Crystal, D. (1955) *Cambridge Encyclopedia of the English Language*, Cambridge University Press.
- Dweik, B. & Suleiman, M. (2013). Problems encountered in translating cultural expressions form Arabic into English. *International Journal of English Linguistics*, Vol.3, No (5) 47-60.
- Farghal, M. & Al-Hamly, M. (2015). Arabic Proverbs in Fiction Translation: Girls of Riyadh as an Example, *Jordan Journal of Modern Languages and Literature*, Vol.7, No. 1, 2015, pp1-20
- Ghazala, H. (2008) *Translation as Problems and Solutions*, Dar El-Ilm Lilmalayin, Beirut, Lebanon, special edition.

- Hassan, Bahaa-eddin A. (2014) *Between English and Arabic: A Practical Course in Translation*, Cambridge Scholars Publishing,
- Manser, M. H. (2002) *The Facts on File Dictionary of Proverbs*, 2nd edition, An imprint of Infobase Publishing.
- Mieder, W. (2004) *Proverbs: a handbook*, Greenwood Press.
- Mourad, J. (2006) *Dictionary of Comparative Proverbs*. Beirut: Al-Mourad publishers.
- Munday, J. (2008) *Introducing Translation Studies, Theories and applications*. 2nd Edition, Routledge, London and New York.
- Newmark, P. (1988). *A Textbook of Translation*. Herfordshire: Prentice Hall.
- Nida, Eugene (1964). *Toward a Science of Translating*. Leiden: E.J. Brill.
- Nida, E. A, & Taber, C. (1982). *The Theory and Practice of Translation*, E.J. Brill, Leiden, The Netherlands.
- Robinson, D. (1997). *Becoming A Translator: An Accelerated Course*. London: Oxford.
- Speake, J. (2007) *Oxford Dictionary of Proverbs*, 5th edition, Oxford University Press.
- Thalji, Mohammed B. (2015) The Translation of Proverbs: Obstacles and Strategies, *M.A thesis in English Language and Literature, Faculty of Arts and Sciences Department of English Language and Literature, Middle East University, Amman, Jordan*. Retrieved from https://meu.edu.jo/libraryTheses/5871fd344b5b6_1.pdf
- Vinay, J. P. & Darbelnet, J. (1995) *Comparative Stylistics of French and English, A methodology for translation*, Translated and edited by Juan Sager & M. Hamel, Benjamins Translation Library, Amsterdam.

Web sites:

- <https://www.ldoceonline.com/dictionary/between-scylla-and-charybdis>
- <https://www.britannica.com/topic/Mr-Barkis>
- https://www.researchgate.net/publication/350567719_Pragmatic_Analysis_of_the_Translation_of_English_Culture-Specific_Proverbs_into_Arabic/link/60662ab5458515614d2b6cb6/download

Appendix

List of English Proverbs

No.	English Proverb	Arabic Translation
1	Cut your coat according to your cloth.	على قدر بساطك مد رجليك.
2	The fear of God is the beginning of wisdom.	رأس الحكمة مخافة الله.
3	Add insult to injury.	يزيد الطين بلة.
4	The end justifies the means.	الغاية تبرر الوسيلة.
5	Between Seylla and Charybdis.	كل المستجير من الرمضاء بالنار، أمران أحلاهما مر، بين نارين.
6	Cleanliness is next to godliness.	النظافة من الإيمان.
7	One man's meat is another man's poison.	مصابئب قوم عند قوم فوائد.
8	March winds and April showers bring forth May flowers.	إن بعد العسر يسرا، ما بعد الشدة إلا الفرج، رب ضارة نافعة.
9	Even Homer sometimes nods.	لكل جواد كبوة ولكل عالم هفوة، كل ابن آدم خطاء، جل من لا يخطئ، جل من لا يسهوا.
10	He came back empty handed.	رجع بخفي حنين، عاد خالي الوفاض.
11	A leopard never changes its spots	الطبع غلب التطبع.
12	If a wind blows, ride it.	إذا هبت رياحك فاغتنمها.
13	A chip of the old block.	هذا الشبل من ذك الأسد، الولد سر أبيه، من شاب أباه ما ظلم.
14	No sweet without sweat.	من طلب العلى سهر الليالي، من جد وجد ومن زرع حصد.



Hadhramout
University



ISSN : 2707 - 86655

EISSN : 2707 - 8663

AL-MAHRAH

Journal of Humanities

Scientific, Biannual & Refereed

Issued by the Faculty
of Education - Almahrah

- » Difficulties of Investigation and Evidencing of Cyber-Crimes and their Impact on Criminal Justice
- » Rulings on Combining Friday Prayer with Afternoon Prayer (A Comparative Jurisprudence Study)
- » Al- Reijz in the Holy Quran Thematic studying
- » Women's Patterns in Facing the Male Other in Samples from the Omani Feminist Novels
- » Cinematic Scene Images and their Structural Techniques among Arab Poets of Blank Verse
- » Literary Intertextuality in Abdul Samad Bakathir's Poetry (Abdullah Ali 'Aati's Book 'Maa Waraa Al-Fikrah') Beyond the Idea A Critical Analytical Reading
- » Assessing the Dimensions of Educational Security Among Students of the Faculty of Education and Science at University of Saba Region
- » The Impact of The Micro-Teaching Strategy On The Development of Teaching Performance In Practical Education Among Students of The College of Education at Al-Mahra governorate
- » Community participation in setting local development priorities A sociological study in the governorates of Amran and Hajjah
- » Obstacles that Face Yemeni Students in Translating Proverbs from English into Arabic

Issue (No.12)June 2022